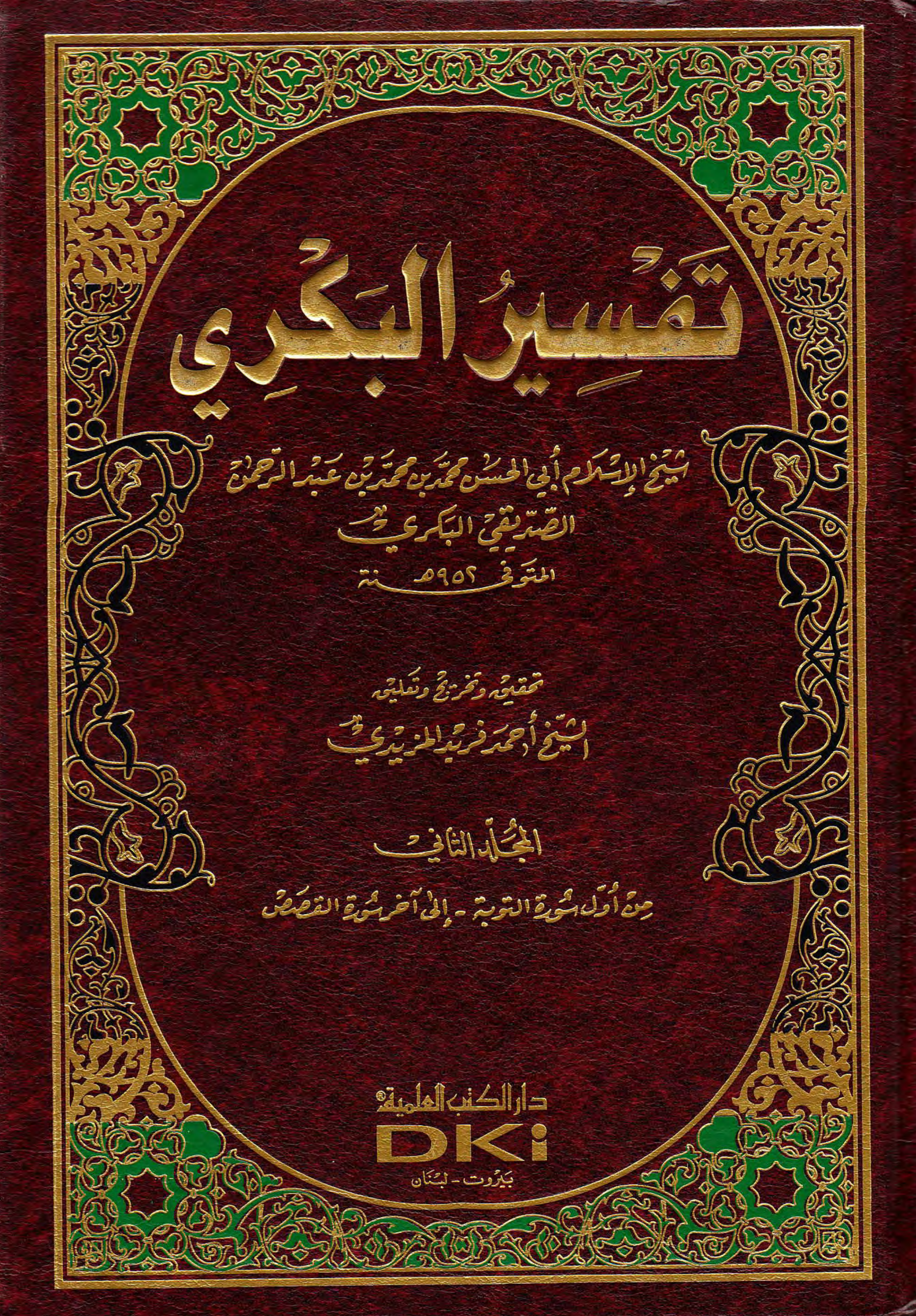

تفسير البكري
لشيخ الإسلام أبي الحسن محمد بن محمد بن عبد الرحمن
الصديقي البكري
المتوفى سنة ٩٥٢هـ
تحقيق وتخريج وتعليق
الشيخ أحمد فريد المزيدي
المجلد الثاني
من أول سورة التوبة - إلى آخر سورة القصص
دار الكتب العلمية
DKI
بيروت - لبنان



شيخ الإسلام أبي الحسن محمد بن محمد بن عبد الرحمن
الصديقي البكري
المتوفى سنة ٩٥٢هـ

تحقيق وتخريج وتعليق
الشيخ أحمد فريد المزيدي

الجزء الثاني

من أول سورة التوبة - إلى آخر سورة القصص



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

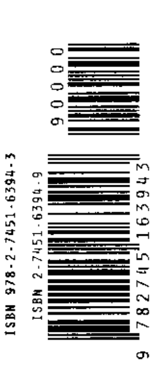
http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales @al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title	: **TAFSĪR AL-BAKRI**	**تفسير البكري** :	**الكتاب**
Classification:	Exegesis of The Qur'an	تفسير قرآن :	**التصنيف**
Author	: Al-šayḫ Muḥammad ben Muḥammad al-Bakri	شيخ الإسلام أبو الحسن محمد بن محمد البكري :	**المؤلف**
Editor	: Al-šayḫ Aḥmad Farid al-Mizyadi	الشيخ أحمد فريد المزيدي :	**المحقق**
Publisher	: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah	دار الكتب العلميـــة - بيروت :	**الناشر**
Pages	: 1504 (3 volumes)	1504 (3 أجزاء) :	**عدد الصفحات**
Size	: 17*24	17*24 :	**قياس الصفحات**
Year	: 2010	2010 :	**سنة الطباعة**
Printed in	: Lebanon	لبنـــان :	**بلد الطباعة**
Edition	: 1st	الأولى (لونان) :	**الطبعة**



Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون،القبة،مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب:١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠



سورة براءة(1)

ويقال لها: سورة العذاب، وسورة التوبة، مدنية إلا الآيتين من آخرها، تسع

(1) هذه السورة مدنية كلها، وقيل: إلا آيتين من آخرها فإنهما نزلتا بمكة، وهذا قول الجمهور، وذكر المفسرون لها اسمًا واختلافًا في سبب ابتدائها بغير بسملة، وخلافًا عن الصحابة: أهي والأنفال سورة واحدة، أو سورتان؟ ولا تعلق لمدلول اللفظ بذلك، فأخلينا كتابنا منه، ويطالع ذلك في كتب المفسرين. ويقال: برئت من فلان أبرأ براءة، أي: انقطعت بيننا العصمة، ومنه برئت من الدين، وارتفع براءة على الابتداء، والخبر إلى الذين عاهدتم، ومن الله صفة مسوغة لجواز الابتداء بالنكرة، أو على إضمار مبتدأ أي: هذه براءة، وقرأ عيسى بن عمر براءة بالنصب، قال ابن عطية: أي الزموا، وفيه معنى الاغراء، وقال الزمخشري: اسمعوا براءة، قال: فإن قلت: بم تعلقت البراءة، بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين؟ قلت: قد أذن الله تعالى في معاهدة المشركين أولاً، فاتفق المسلمون مع رسول الله ﷺ وعاهدوهم، فلما نقضوا العهد أوجب الله تعالى النبذ إليهم، فخوطب المسلمون بما تجدّد من ذلك فقيل لهم: اعلموا أنّ الله تعالى ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين، وقال ابن عطية: لما كان عهد الرسول ﷺ لازمًا لجميع أمته حسن أن يقول: عاهدتم، وقال ابن إسحاق وغيره: كانت العرب قد أوثقها رسول الله ﷺ عهدًا عامًا على أنْ لا يصدّ أحد عن البيت الحرام ونحو هذا من الموادعات، فنقض ذلك بهذه الآية، وأحل لجميعهم أربعة أشهر، فمن كان له مع الرسول عهد خاص وبقي منه أقل من الأربعة أبلغ به تمامها، ومن كان أمده أكثر أتمّ له عهده، وإذا كان ممن يحتبس منه نقض العهد قصر على أربعة أشهر، ومن لم يكن له عهد خاص فرضت له الأربعة يسيح في الأرض أي: يذهب فيها مسرحًا آمنًا، وظاهر لفظة من المشركين العموم، فكل من عاهده المسلمون داخل فيه من مشركي مكة وغيرهم، وروي أنهم نكثوا إلاّ بني ضمرة وكنانة فنبذ العهد إلى الناكثين، وقال مقاتل: المراد بالمشركين هنا ثلاث قبائل من العرب: خزاعة، وبنو مدلج، وبنو خزيمة، وقيل: هذه الآية في أهل مكة، وكان الرسول ﷺ صالح قريشًا عام الحديبية على أنْ يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس، فدخلت خزاعة في عهد الرسول، وبنو بكر بن عبد مناة في عهد قريش، وكان لبني الديل من بني بكر دمٌ عند خزاعة فاغتنموا الفرصة وغفلة خزاعة، فخرج نوفل بن معاوية الديلي فيمن أطاعه من بني بكر وبيتوا خزاعة فاقتتلوا، وأعانت قريش بني بكر بالسلاح، وقوم أعانوهم بأنفسهم، فهزمت خزاعة إلى الحرم، فكان ذلك نقضًا لصلح الحديبية، فخرج من خزاعة بديل بن ورقاء وعمرو بن سالم في ناس من قومهم، فقدموا على الرسول ﷺ مستغيثين.

وعشرون أو ثلاثون ومائة آية، ولـم يكتب فيها بسملة؛ لأنـه ﷺ لـم يأمر بذلك؛ لأنها نزلت بالعذاب بالسيف والبسملة أمان.

﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ [التوبة: ١ - ٥].

هـذه ﴿بـراءةٌ مـن الله ورسـوله﴾ [التوبة: 1] وأصـله ﴿إِلـى الَّـذينَ عَاهَـدْتُم مِـنَ الْمُشْرِكِين﴾ والخطاب في عاهدتم: لأصحابه ﷺ وإن كان هو العاقد لرضاهم بذلك.

ونقض العهد بما يذكر في قوله: ﴿فسيحوا﴾ [التوبة: 2] سيروا أيها المشركون ﴿فِي الْأَرْضِ أَرْبعـة أشْهر﴾ مع الأمان غير خائفين أحدًا من المسلمين أولها شوال بدليل ما يأتي، ولا أمان لكم بعدها ﴿واعْلموا أنَّكم غيْرُ مُعْجزي الله﴾ أي: لا تفلتون ولا تفوتون عذابه ﴿وأنَّ الله مُخْزي الْكافرين﴾ مذلهم بالقتل في الدنيا والعذاب في الآخرة معنى الآية: إنه من كان له عهد إلى أربعة أشهر فلا يزاد عليها فهو بعد ذلك حرب، ومن لم يكن له عهد فهي كعهده، ومن زيد له عليها حط إليها، ومن عوهد لا لأجل أحل عهده بها.

﴿وَأَذَانٌ﴾ [التوبة: 3] إعلام ﴿من الله ورسوله إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبر﴾ هو يوم النحر؛ لكثرة أعمال الحج فيه؛ أي: ﴿أنَّ الله بـرِيءٌ مِـنَ الْمُـشْرِكِينَ﴾ وعـددهم ﴿وَرَسُولُهُ﴾ أيضًا بريء من المشركين، فهو مضموم اللام إلا في قراءة يعقوب فبفتحها،

وقد بعث النبي ﷺ عليًا من تلك السنة سنة تسع فأذن يوم النحر بمنى بعد الأمان وألّا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ﴿فَإِنْ تُبْتُمْ﴾ من الكفر ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الإيمان ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَبَشِّرِ﴾ أخبر ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم وهو القتل والأسر في الدنيا والنار في الآخرة، ثم استثنى يداه.

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: 4] وهم بنو من كنانة ﴿ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ من شروط العهد قبل تمام مدته ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا﴾ يعاونوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ من الكفار ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى﴾ انقضاء ﴿مُدَّتِهِمْ﴾ التي عاقدتم عليها وكان بقي منها تسعة أشهر ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ [التوبة: 5] أي: انقضت وهي مدة العهد بينكم وبينهم سميت بذلك؛ لأن الله حرَّم فيها دماء المشركين، وليس المراد بها هنا القعدة والحجة والمحرم ورجب ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ في الحل والحرم ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ بالأسر ﴿وَاحْصُرُوهُمْ﴾ بالحبس، فإذا تحصنوا فامنعوهم الخروج حتى يضطروا إلى القتل أو الإسلام ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾[1] أي: على كل طريق

---

(1) قال القرطبي في قوله ﷻ: ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ دلالة على جواز اغتيالهم قبل الدعوة؛ لأنّ المعنى اقعدوا لهم مواضع الغرة، وهذا تنبيه على أنّ المقصود إيصال الأذى إليهم بكل طريق، إما بطريق القتال، وإما بطريق الاغتيال، وقد أجمع المسلمون على جواز السرقة من أموال أهل الحرب، وإسلال خيلهم، وإتلاف مواشيهم إذا عجز عن الخروج بها إلى دار الإسلام، إلا أنْ يصالحوا على مثل ذلك، قال الزمخشري: «كل مرصد» كل ممر ومجتاز ترصدونهم فيه، وانتصابه على الظرف كقوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وهذا الذي قاله الزجاج قال: كل مرصد ظرف، كقولك: ذهبت مذهبًا ورده أبو علي؛ لأنّ المرصد المكان الذي يرصد فيه العدوّ، فهو مكان مخصوص لا يحذف الحرف منه إلا سماعًا كما حكى سيبويه: دخلت البيت، وكما غسل الطريق الثعلب، وأقول: يصح انتصابه على الظرف؛ لأن قوله: «واقعدوا لهم» ليس معناه حقيقة القعود، بل المعنى ارصدوهم في كل مكان يرصد فيه، ولما كان بهذا المعنى جاز قياسًا أن يحذف منه في كما قال: وقد قعدوا منها كل مقعد، فمتى كان العامل في الظرف المختص عاملاً من لفظه أو من معناه، جاز أن يصل إليه بغير واسطة في، فيجوز جلست مجلس زيد، وقعدت مجلس زيد، تريد في مجلس زيد، فكما يتعدى الفعل إلى المصدر من غير لفظه إذا كان بمعناه، فكذلك إلى الظرف، وقال الأخفش: معناه على كل مرصد، فحذف وأعمل الفعل، وحذف على، ووصول الفعل إلى مجرورها فتنصبه.

يسلكونه﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ أسلموا﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ طريقهم؛ أي: اتركوها لهم من غير تعرض لهم،﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن تاب، وهذه الآية نسخت كل آية في القرآن فيها ذكر الإعراض والصبر على إيذاء الكفار.

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [التوبة: ٦ - ١٠].

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: 6] المأمور بقتالهم﴿اسْتَجَارَكَ﴾ استأمنك من القتل﴿فَأَجِرْهُ﴾ منه﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾ هي إضافة صفة إلى موصوف لا خلق إلى خالق، ولا ملك إلى مالك، والمراد: القرآن﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ﴾ أوصله﴿مَأْمَنَهُ﴾ بتمكينه من ذلك، وهو الموضع الذي يأمن فيه، وهو دار قومه إن لم يؤمن لينظر في أمره ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الإجازة لسماع كلام الله﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: بسبب عدم علمهم الأحكام فهم محتاجون إلى علمها، وهذه محكمة إلى يوم القيامة.

﴿كَيْفَ﴾ [التوبة: 7] تعجيب للسامع ومعناه لا﴿يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾ وهم كافرون بهما ينقضون وينكثون، واستثنى منه المذكور بقوله:﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يوم الحديبية وهم: بنو بكر، وبنو خزيمة، وبنو مُدْلج، وبنو ضمرة، وبنو الدِّيل من بني بكر، فأمر بإتمام العهد لمن لم ينقض وهم: بنو ضمرة، وقيل: هم قريش، وإنهم المستثنون من قبل﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ﴾ أقاموا على العهد ولم ينقضوه﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ على الوفاء به﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ وقد استقام ﷺ على عهدهم حتى نقضوا بإعانة بني بكر على خزاعة.

﴿كَيْفَ﴾ [التوبة: 8] يكون لهم عهد ﴿وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ أي: يقدروا عليكم أو يظفروا بكم ﴿لَا يَرْقُبُوا﴾ أي: لا يحفظوا أو لا ينظروا ولا يراعوا ﴿فِيكُمْ إِلًّا﴾ هل هو القرابة أو الحلف أو العهد أو الذمة والعطف لتغاير اللفظين؟ أو هو الله؟ أقوال، **أقربها:** الأخير؛ أي: لا يخافوا الله في أموركم وقتلكم ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ أي: عهدًا بل يؤذوكم بحسب طاقتهم ﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بكلامهم الحسن المخالف لما في ضميرهم ﴿وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ﴾ الإيمان والوفاء بما قالوه ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾ أي: المشركون ﴿فَاسِقُونَ﴾ بنقض العهد.

﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهِ﴾ [التوبة: 9] أي: القرآن ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا؛ أي: تركوا اتّباعها للشهوات والهوى الحقيرين؛ لأنهم نقضوا العهد بأكلة أطعمها لهم أبو سفيان ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي: نهوا الناس عن الدخول في دين الإسلام ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ﴾ أي: بئس ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ عملهم هذا.

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: 10]، المتجاوزون للحدود بالكفر ونقض العهود.

﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [التوبة: ١١ - ١٦].

﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ [التوبة: 11] من الشرك ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أي: فهم إخوانكم ﴿فِي الدِّينِ﴾ دين الإسلام ﴿وَنُفَصِّلُ﴾ نبيّن ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون، وحَرَّمت هذه الآية دماء أهل القبلة.

﴿وَإِنْ نَكَثُوا﴾ [التوبة: 12] نقضوا؛ أي: كفار قريش ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾ عهودهم ﴿مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا﴾ قدحوا ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ دين الإسلام وعابوه ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ﴾ بهمزتين حيث كان لابن عامر والكوفيين والباقون بتليين الهمزة الثانية، والمراد: رءوس أهل ﴿الْكُفْرِ﴾ وهم: رؤساء قريش كأبي سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبي جهل وأسلما وغيرهم، وقيل: هم أهل فارس والروم ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ﴾ بكسر الهمزة لابن عامر؛ أي: لا تصديق ﴿لَهُمْ﴾ والباقون بفتحها؛ أي: لا عهود لهم لنقضهم فكأنها لم توجد ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ يرجعون عن الكفر أو الطعن في الدين والإعانة عليكم.

﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا﴾ [التوبة: 13] نقضوا ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾ عهودهم ﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ من مكة ﴿وَهُمْ﴾ الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية وأعانوا بني بكر على خزاعة واجتمعوا بدار الندوة للمشاورة في إخراج الرسول ﷺ و﴿بَدَءُوكُمْ﴾ بالقتال ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: يوم بدر إذ بدءوا بقتال خزاعة، وهم خلفاء رسول الله ﷺ مع بني بكر فأمنعكم من قتالهم ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ تخافون قتالهم ﴿فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ في قتالهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: 14] أي: يقتلهم بها ﴿وَيُخْزِهِمْ﴾ بالذل والقهر كالأسر ﴿وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ بما فعل بهم، وهم خزاعة شفي الله صدورهم من بني بكر مع قريش بالنبي ﷺ.

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: 15] كربها ووجدها بمعونة قريش بني بكر عليهم ﴿وَيَتُوبُ﴾ بالرفع للقراء إلا رويس فبنصبه ﴿اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ فيهديه للإسلام كأبي سفيان ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

---

(1) قررت الآيات قبل هذا أفعال الكفرة المقتضية لقتالهم، والحض على القتال، وحرم الأمر بالقتال في هذه، وتعذيبهم بأيدي المؤمنين هو في الدنيا بالقتل والأسر والنهب، وهذه وعود ثبتت قلوبهم وصححت نياتهم، وخزيهم هو إهانتهم وذلهم، وينصركم يظفركم بهم، وشفاء الصدور بإعلاء دين الله وتعذيب الكفار وخزيهم، وقرأ زيد بن علي: ونشف بالنون على الالتفات، وجاء =

﴿أَمْ﴾ [التوبة: 16] بمعنى همزة الإنكار ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا﴾ فلا تؤمروا بجهاد ولا تمتحنوا ﴿وَلَمَّا﴾ ولم ﴿يَعْلَمِ اللهُ﴾ هو علم الرؤية في الخارج، أو متعلق الثواب والعقاب ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ بإخلاص ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ بطاعة وأولياء يوالونهم المعنى، ولم يظهر المخلص لما ذكر من غيره ﴿وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه.

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [التوبة: ١٧ - ٢١].

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ﴾ [التوبة: 17] لكل القراء إلا ابن عامر والبصريين فبالإفراد لإرادة المسجد الحرام؛ أي: يدخلوا، أو الجلوس فيه ﴿شَاهِدِينَ﴾ مقرّين ﴿عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾ بالفعل كالسجود للصنم، وبالقول كإقرار أهل مكة ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ لعدم شرطها ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ ونزلت

= التركيب صدور قوم مؤمنين ليشمل المخاطبين وكل مؤمن؛ لأن ما يصيب أهل الكفر من العذاب والخزي هو شفاء لصدر كل مؤمن، وقيل: المراد قوم معينون، قال ابن عباس: هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا، فلقوا من أهلها أذى شديدًا، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يشكون إليه فقال: «**أبشروا فإن الفرج قريب**» وقال مجاهد والسدي: هم خزاعة، ووجه تخصيصهم أنهم هم الذين نقض فيهم العهد ونالتهم الحرب، وكان يومئذ في خزاعة مؤمنون كثير.

هذه الآيات إلى قوله: ﴿...لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: 19] بسبب أن العباس لمَّا أسر قبل إيمانه عيَّره المسلمون بقطع الرحم والكفر فقال: إنه يعمر البيت الحرام ويسقي الحاج وإن ذلك كالإيمان أو أفضل فنزلت للرد عليه في زعمه، وقيل: المراد غيره.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ﴾ [التوبة: 18] أي: يصلح أن يكون فيها، وأهلاً لها ﴿مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ﴾ أحدًا ﴿إِلَّا الله فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ إلى الحق.

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ [التوبة: 19] أي: سقيه الماء ﴿وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ بالإقامة فيه ونحوها؛ أي: أهل ذلك، وانفرد الشطوي عن عيسى بن وردان فروى: سقاة الحاج وعمرة المسجد بضم السين وحذف الياء وفتح العين والميم من غير ألف ﴿كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ﴾ في الفضل والبركة ﴿وَالله لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ [التوبة: 20] رتبة ﴿عِنْدَ اللهِ﴾ من غيرهم ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بالنجاة من النار والخلود في الجنة.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾ [التوبة: 21] دائم.

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ

كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾[التوبة: ٢٢ - ٢٦].

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ الله عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا﴾[التوبة: 22ـ23] اختاروا ﴿الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ﴾أي: يتخذهم إخوانًا وأحبابًا ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾نزلت في قوم أسلموا وتركوا الهجرة من مكة إلى المدينة خشية أن يضيعوا ما ذكر بهجرتهم.

﴿قُلْ﴾لهم ﴿إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾[التوبة: 24] بلا ألف بعد الراء لكل القراء إلا أبا بكر عن عاصم فبألف بعد الراء ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾اكتسبتموها ﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾عدم نفاقها ﴿وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾تحبونها ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾فقعدتم لأجل ذلك عن الهجرة والجهاد ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾انتظروا ﴿حَتَّى يَأْتِيَ الله بِأَمْرِهِ﴾الذي منه فتح مكة وهو تهديد لهم ﴿وَالله لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ الله فِي مَوَاطِنَ﴾[التوبة: 25] مواضع للحرب ﴿كَثِيرَةٍ﴾كبدر وقريظة والنضير ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾موضع بين مكة والطائف؛ أي: يوم قتالكم فيه هوازن ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾في ذلك اليوم؛ وذلك لأن النبي ﷺ لمَّا فتح مكة في شهر رمضان خرج بعده إلى حنين في شوال سنة ثمان، وكان في اثني عشر ألفًا، عشرة آلاف من المهاجرين، وألفان من الطلقاء، وكان المشركون أربعة آلاف فقال رجل من الأنصار يقال له مسلمة بن سلام: لن نغلب اليوم من قلة فأدركتهم كلمته وساءت رسول الله ﷺ ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾أي: لم تعد في دفع العدو؛ إذ انهزم المسلمون ذلك اليوم، ثم تراجعوا وأنزل الله ملائكته وثبتهم وسكن قلوبهم ونصرهم فسبوا نحوًا من ستة آلاف، ورجع رسول الله ﷺ إلى الطائف لمَّا هرب أمير الكفار في أوطاس إليها لحصاره، فلمَّا استهل ذو القعدة رجع رسول الله ﷺ فأحرم بعمرة من الجعرانة وقسّم بها غنائم حنين وأوطاس ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾أي: مع رحبها؛ أي: سعتها فلم يجدوا مكانًا يطمئنون إليه لشدة ما لحقكم من الخوف ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ﴾رجعتم

﴿مُدْبِرِينَ﴾ منهزمين، وثبت النبي ﷺ على بغلته البيضاء وليس معه غير العباس وأبو سفيان بن الحرث أخذ بركابه.

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ الله سَكِينَتَهُ﴾ [التوبة: 26] رحمته وطمأنينته ﴿عَلَى رَسُولِهِ﴾ فثبت ﴿وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فردوا إلى النبي ﷺ لأنه أمر العباس - وكان صبيًا - أن يناديهم ليتراجعوا فتراجعوا وقاتلوا ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ هم الملائكة ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والسبي ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾
وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [التوبة: ٢٧ - ٣٠].

﴿ثُمَّ يَتُوبُ الله مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [التوبة: 27] الانهزام المذكور وغيره ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ من الكفار فيهديه للإسلام ﴿وَالله غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: 28] أي: قذر مبعد لخبث باطنهم ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ أي: لا يدخلوا الحرم ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ أراد به العام الذي حج فيه أبو بكر الصديق ﷺ بالناس ونادى فيه علي - كرم الله وجهه - ببراءة، وهو عام تسع من الهجرة، فلما نزلت شكا المسلمون من أهل مكة ذلك؛ إذ كانوا يتجرون فربما ضاق بهم العيش بسبب منعهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ خشيتم ﴿عَيْلَةً﴾ فقر أو فاقة ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ الله مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾ وكان كذلك فأسلم أهل جدة وصنعاء اليمن وأهل جريش منها وجلبوا الميرة الكثيرة إلى مكة فكفوا ما

خافوا، وأرسل الله عليهم المطر مدرارًا وأغناهم بالجزية التي تؤخذ من الكفار ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

---

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فيه سبع مسائل: **الأولى**: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ ابتداء وخبر، واختلف العلماء في معنى وصف المشرك بالنجس، فقال قتادة ومعمر بن راشد وغيرهما: لأنه جنب إذ غسله من الجنابة ليس بغسل، وقال ابن عباس وغيره: بل معنى الشرك هو الذي نجسه، قال الحسن البصري: من صافح مشركًا فليتوضأ، والمذهب كله على إيجاب الغسل على الكافر إذا أسلم إلا ابن عبد الحكم فإنه قال: ليس بواجب، لان الاسلام يهدم ما كان قبله، وبوجوب الغسل عليه قال أبو ثور وأحمد، وأسقطه الشافعي وقال: أحب إلي أن يغتسل، ونحوه لابن القاسم، ولمالك قول: إنه لا يعرف الغسل، رواه عنه ابن وهب وابن أبي أويس، وحديث ثمامة وقيس بن عاصم يرد هذه الأقوال، رواهما أبو حاتم البستي في صحيح مسنده، وأن النبي ﷺ مر بثمامة يومًا فأسلم فبعث به إلى حائط أبي طلحة فأمره أن يغتسل، فاغتسل وصلى ركعتين، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد حسن إسلام صاحبكم**» وأخرجه مسلم بمعناه، وفيه: أن ثمامة لما منَّ عليه النبي ﷺ انطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، وأمر قيس بن عاصم أن يغتسل بماء وسدر، فإن كان إسلامه قبيل احتلامه فغسله مستحب، ومتى أسلم بعد بلوغه لزمه أن ينوي بغسله الجنابة، هذا قول علمائنا، وهو تحصيل المذهب، وقد أجاز ابن القاسم للكافر أن يغتسل قبل إظهاره للشهادة بلسانه إذا اعتقد الاسلام بقلبه وهو قول ضعيف في النظر مخالف للأثر، وذلك أن أحدًا لا يكون بالنية مسلمًا دون القول، هذا قول جماعة أهل السنة في الإيمان: إنه قول باللسان وتصديق بالقلب، ويزكو بالعمل.

الثانية: قوله تعالى: ﴿فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ «فلا يقربوا» نهي، ولذلك حذفت منه النون، «المسجد الحرام» هذا اللفظ يطلق على جميع الحرم، وهو مذهب عطاء فإذا يحرم تمكين المشرك من دخول الحرم أجمع، فإذا جاءنا رسول منهم خرج الإمام إلى الحل ليسمع ما يقول، ولو دخل مشرك الحرم مستورًا ومات نبش قبره وأخرجت عظامه، فليس لهم الاستيطان ولا الاجتياز، وأما جزيرة العرب، وهي مكة والمدينة واليمامة واليمن ومخاليفها، فقال مالك: يخرج من هذه المواضع كل من كان على غير الإسلام، ولا يمنعون من التردد بها مسافرين، وكذلك قال الشافعي رحمه الله، غير أنه استثنى من ذلك اليمن، ويضرب لهم أجل ثلاثة أيام كما ضربه لهم عمر رضي الله عنه حين أجلاهم، ولا يدفنون فيها ويلجئون إلى الحل.

الثالثة: واختلف العلماء في دخول الكفار المساجد والمسجد الحرام على خمسة أقوال، فقال أهل المدينة: الآية عامة في سائر المشركين وسائر المساجد، وبذلك كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله ونزع في كتابه بهذه الآية، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ ودخول الكفار فيها مناقض لترفيعها، وفي صحيح مسلم وغيره: «**إن هذه المساجد**
=

لا تصلح لشيء من البول والقذر...الحديث»، والكافر لا يخلو عن ذلك، وقال ﷺ: «**لا أحل المسجد لحائض ولا لجنب**» والكافر جنب، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ**﴾ فسماه الله تعالى نجسًا، فلا يخلو أن يكون نجس العين أو مبعدًا من طريق الحكم، وأي ذلك كان فمنعه من المسجد واجب؛ لأن العلة وهي النجاسة موجودة فيهم، والحرمة موجودة في المسجد، يقال: رجل نجس، وامرأة نجس، ورجلان نجس، وامرأتان نجس، ورجال نجس، ونساء نجس، لا يثنى ولا يجمع لأنه مصدر، فأما النجس - بكسر النون وجزم الجيم - فلا يقال إلا إذا قيل معه رجس، فإذا أفرد قيل نجس - بفتح النون وكسر الجيم - ونجس - بضم الجيم .، وقال الشافعي رحمه الله: الآية عامة في سائر المشركين، خاصة في المسجد الحرام، ولا يمنعون من دخول غيره، فأباح دخول اليهودي والنصراني في سائر المساجد، قال ابن العربي: وهذا جمود منه على الظاهر؛ لأن قوله ﷻ: ﴿**إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ**﴾ تنبيه على العلة بالشرك والنجاسة، فإن قيل: فقد ربط النبي ﷺ ثمامة في المسجد وهو مشرك، قيل له: أجاب علماؤنا عن هذا الحديث - وإن كان صحيحًا - بأجوبة: **أحدها**: أنه كان متقدمًا على نزول الآية، **الثاني**: أن النبي ﷺ كان قد علم بإسلامه فلذلك ربطه، **الثالث**: أن ذلك قضية في عين فلا ينبغي أن تدفع بها الأدلة التي ذكرناها؛ لكونها مقيدة حكم القاعدة الكلية، وقد يمكن أن يقال: إنما ربطه في المسجد لينظر حسن صلاة المسلمين واجتماعهم عليها، وحسن آدابهم في جلوسهم في المسجد، فيستأنس بذلك ويسلم، وكذلك كان، ويمكن أن يقال: إنهم لم يكن لهم موضع يربطونه فيه إلا في المسجد، والله أعلم، وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا يمنع اليهود والنصارى من دخول المسجد الحرام ولا غيره، ولا يمنع دخول المسجد الحرام إلا المشر كون وأهل الأوثان، وهذا قول يرده كل ما ذكرناه من الآية وغيرها، قال الكيا الطبري: ويجوز للذمي دخول سائر المساجد عند أبي حنيفة من غير حاجة، وقال الشافعي: تعتبر الحاجة، ومع الحاجة لا يجوز دخول المسجد الحرام، وقال عطاء بن أبي رباح: الحرم كله قبلة ومسجد، فينبغي أن يمنعوا من دخول الحرم؛ لقوله تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾ وإنما رفع من بيت أم هانئ، وقال قتادة: لا يقرب المسجد الحرام مشرك إلا أن يكون صاحب جزية أو عبدًا كافرًا لمسلم، وروى إسماعيل بن إسحاق حدثنا يحيى بن عبد الحميد قال حدثنا شريك عن أشعث عن الحسن عن جابر عن النبي ﷺ قال: «**لا يقرب المسجد مشرك إلا أن يكون عبدا أو أمة فيدخله لحاجة**»، وبهذا قال جابر بن عبد الله فإنه قال: العموم يمنع المشرك عن قربان المسجد الحرام، وهو مخصوص في العبد والأمة.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿**بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا**﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه سنة تسع التي حج فيها أبو بكر، **الثاني**: سنة عشر قاله قتادة، ابن العربي: وهو الصحيح الذي يعطيه مقتضى اللفظ وإن من العجب أن يقال: إنه سنة تسع وهو العام الذي وقع فيه الأذان، ولو دخل غلام رجل داره يومًا فقال له مولاه: لا تدخل هذه الدار **بعد** يومك لم يكن المراد اليوم الذي دخل فيه.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً**﴾ قال عمرو بن فائد: المعنى وإذ خفتم، وهذه عجمة،

والمعنى بارع بـ «أن»، وكان المسلمون لما منعوا المشركين من الموسم وهم كانوا يجلبون الأطعمة والتجارات، قذف الشيطان في قلوبهم الخوف من الفقر وقالوا: من أين نعيش، فوعدهم الله أن يغنيهم من فضله، قال الضحاك: ففتح الله عليهم باب الجزية من أهل الذمة بقوله ﷻ: ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾ وقال عكرمة: أغناهم الله بإدرار المطر والنبات وخصب الأرض، فأخصبت تبالة وجرش وحملوا إلى مكة الطعام والودك وكثر الخير، وأسلمت العرب: أهل نجد وصنعاء وغيرهم فتمادى حجهم وتجرهم، وأغنى الله من فضله بالجهاد والظهور على الأمم، والعيلة: الفقر، يقال: عال الرجل يعيل إذا افتقر، قرأ علقمة وغيره من أصحاب ابن مسعود «عائلة» وهو مصدر كالقائلة من قال يقيل، وكالعافية، ويحتمل أن يكون نعتًا لمحذوف تقديره: حالاً عائلة، ومعناه خصلة شاقة، يقال منه: عالني الأمر يعولني: أي شق علي واشتد، وحكى الطبري أنه يقال: عال يعول إذا افتقر.

السادسة: في هذه الآية دليل على أن تعلق القلب بالأسباب في الرزق جائز وليس ذلك بمناف للتوكل وإن كان الرزق مقدرًا وأمر الله وقسمه مفعولاً ولكنه علقه بالأسباب حكمة ليعلم القلوب التي تتعلق بالأسباب من القلوب التي تتوكل على رب الأرباب، وقد تقدم أن السبب لا ينافي التوكل، قال ﷺ: «**لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا**» أخرجه البخاري، فأخبر أن التوكل الحقيقي لا يضاده الغدو والرواح في طلب الرزق، ابن العربي: ولكن شيوخ الصوفية قالوا: إنما يغدو ويروح في الطاعات فهو السبب الذي يجلب الرزق، قالوا: والدليل عليه أمران: **أحدهما**: قوله تعالى: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ**﴾ **الثاني**: قوله تعالى: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾ فليس ينزل الرزق من محله، وهو السماء، إلا ما يصعد وهو الذكر الطيب والعمل الصالح وليس بالسعي في الارض فإنه ليس فيها رزق، والصحيح ما أحكمته السنة عند فقهاء الظاهر وهو العمل بالأسباب الدنيوية من الحرث والتجارة في الأسواق والعمارة للأموال وغرس الثمار، وقد كانت الصحابة تفعل ذلك والنبي ﷺ بين أظهرهم، قال أبو الحسن بن بطال: أمر الله سبحانه عباده بالإنفاق من طيبات ما كسبوا، إلى غير ذلك من الآي، وقال: ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ**﴾ فأحل للمضطر ما كان حرم عليه عند عدمه للغذاء الذي أمره باكتسابه والاغتذاء به، ولم يأمره بانتظار طعام ينزل عليه من السماء، ولو ترك السعي في ترك ما يتغذى به لكان لنفسه قاتلاً، وقد كان رسول الله ﷺ يتلوى من الجوع ما يجد ما يأكله، ولم ينزل عليه طعام من السماء، وكان يدخر لأهله قوت سنته حتى فتح الله عليه الفتوح، وقد روى أنس بن مالك أن رجلا أتى النبي ﷺ ببعير فقال: يا رسول الله، أعقله وأتوكل أو أطلقه وأتوكل ؟ قال: «**اعقله وتوكل**»، ثم قيل: الأسباب التي يطلب بها الرزق ستة أنواع: **أعلاها**: كسب نبينا محمد ﷺ قال: «**جعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري**»، خرجه الترمذي وصححه، فجعل الله رزق نبيه ﷺ في كسبه لفضله، وخصه بأفضل أنواع الكسب، وهو أخذ الغلبة والقهر لشرفه، **الثاني**: أكل الرجل من عمل يده، قال ﷺ: «**إن أطيب ما أكل**

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: 29] ولا يؤمنوا بالنبي ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ كالخمر ﴿وَلَا يَدِينُونَ﴾ أي: يقرون أو يتبعون ﴿دِينَ الْحَقِّ﴾ أهل الدين الحق، والمراد الثابت الناسخ لغيره من الأديان وهو الإسلام ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ الخراج المضروب عليهم كل عام ﴿عَنْ يَدٍ﴾ قهر وذل أو بأيديهم بلا وكالة ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ أذلاء بالأخذ منهم والانقياد لحكم الإسلام فيؤخذ من أهل الكتاب وممن له شبهة كتاب كالمجوس من كل ذكر حر بالغ وأقلها دينار في كل سنة.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ [التوبة: 30] قائل ذلك رجل منهم يقال له: فِنْحَاص، وقيل غيره ﴿عُزَيْرٌ﴾ بالتنوين لعاصم ويعقوب، والباقون بنزعه ﴿ابْنُ اللهِ﴾ وهو منزّه عن ذلك قالوه؛ لأن عزيرًا حفظ التوراة في صغره وما حفظها صغير في زمنه مثله ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ﴾ هي فرقة منهم أيضًا قالت فيهما للعهد كقوله: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ﴾ [آل عمران: 42] إذ القائل لها: جبريل فقط ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ من غير اعتماد على برهان بل ﴿يُضَاهِئُونَ﴾ بكسر الهاء بعدها همزة مضمومة، والآخرون بضم الهاء بلا همز؛ أي: يشابهون به ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ من آبائهم تقليدًا لهم، وأراد به إمَّا مضاهاة النصارى اليهود، والتشبيه للأمم الكافرة قبلهم في الكفر ﴿قَاتَلَهُمُ اللهُ﴾ أي: لعنهم ﴿أَنَّى﴾ كيف ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن الحق بعد وضوح الدلالة عليه.

=

الرجل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده» خرجه البخاري، وفي التنزيل ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ وروي أن عيسى ﷺ كان يأكل من غزل أمه، **الثالث**: التجارة، وهي كانت عمل جل الصحابة رضوان الله عليهم، وخاصة المهاجرين، وقد دل عليها التنزيل في غير موضع، **الرابع**: الحرث والغرس، وقد بيناه في سورة البقرة، **الخامس**: إقراء القرآن وتعليمه والرقية، وقد مضى في الفاتحة، **السادس**: يأخذ بنية الأداء إذا احتاج، قال ﷺ: «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله»، خرجه البخاري رواه أبو هريرة ﷺ.

السابعة: قوله تعالى: ﴿إِن شَاءَ﴾ دليل على أن الرزق ليس بالاجتهاد، وإنما هو من فضل الله تولى قسمته بين عباده وذلك بين في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [التوبة: ٣١ - ٣٤].

﴿اتَّخذُوا أحْبارهُمْ﴾ [التوبة: 31] علماء اليهود ﴿ورُهْبانهُمْ﴾ عُبَّاد النصارى ﴿أرْبابًا منْ دُون الله والْمسيح ابْن مرْيم﴾ لأنهم جعلوه ولدًا؛ وإذا جعلوه كذلك فقد أهّلوه للربوبية؛ لأن من شأن الولد أن يكون خليفة أبيه ﴿وما أُمرُوا﴾ من التوراة والإنجيل ﴿إلَّا ليعْبُدُوا﴾ أي: بأن يعبدوا ﴿إلهًا واحدًا لا إله إلّا هُو سُبْحانهُ﴾ تنزيهًا له ﴿عمّا يُشْركُون﴾.

﴿يُريدُون أنْ يُطْفئُوا نُور الله﴾ [التوبة: 32] شرعه ﴿بأفْواههمْ﴾ ألسنتهم وأقوالهم فيه ﴿ويأْبى الله إلّا أنْ يُتمّ﴾ يظهر ﴿نُورهُ﴾ بإعلاء كلمة الدين ﴿ولوْ كره الْكافرُون﴾.

ذلك ﴿هُو الّذي أرْسل رسُولهُ﴾ [التوبة: 33] محمدًا ﷺ ﴿بالْهُدى﴾ وهو القرآن والسنة ﴿ودين الْحقّ﴾ وهو الإسلام ﴿ليُظْهرهُ﴾ ليعليه وينصره ﴿على الدّين كُلّه﴾ جميع الأديان المخالفة له ﴿ولوْ كره الْمُشْركُون﴾ ذلك، وروى المقداد بن الأسود أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يبقى على ظهر الأرض مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام إمَّا بعز عزيز أو بذل ذليل**»[1] أمَّا عزهم فبكونهم من أهله فيعزوا به، وأمَّا كذبهم به قصدها

(1) رواه البيهقي في «الكبرى» (181/9).

إذا لم يدخلوا فيه، وقال الشافعي ﷺ جميع الكفار إمَّا أهل كتاب، أو أميون فقهر رسول الله ﷺ الأميين، فدانوا بالإسلام طوعًا وكرهًا وقتل أهل الكتاب حتى دان البعض بالإسلام، والآخر أعطى الجزية، **وقيل:** المراد عند نزول عيسى ابن مريم ﵇ لا يبقى أحد إلا من آمن، أو بقتله عيسى ﵇ وقومه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ﴾ [التوبة: 34] يأخذون ﴿أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ كالرشا في الحكم، وتغيير صفة رسول الله ﷺ ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ دين الله ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا﴾ أي: الكنوز ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ وكل مال أدِّى زكاته ليس بكنز ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ أخبرهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ۚ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [التوبة: ٣٥ - ٣٩].

﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى﴾ [التوبة: 35] تحرق ﴿بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾

أي: جباه كانزيها ﴿وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ أي: يوسع جلدهم؛ ليسع كل ذلك، ويقال لهم: ﴿هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ أي: جزاء ما كنتم تمنعون زكاته، والآية عامة في الكفار والمسلمين، **وقيل**: خاصة لأهل الكتاب.

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾ [التوبة: 36] أي: عددها المعتد به للسنة ﴿عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ قرأ أبو جعفر اثنا عشر وأحد عشر وتسعة وعشر بإسكان العين في الثلاثة، ويمد ألف اثنا، وانفرد الهرواني عن ابن وردان بحذفها، والباقون بفتح العين فيهن ﴿فِي كِتَابِ اللَّـهِ﴾ حكمه، أو اللوح المحفوظ ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا﴾ أي: الشهور ﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ محرمة وهي ذو القعدة بفتح القاف على الأفصح ويجوز كسرها، وذو الحجة بفتح الحاء وكسرها والثاني أفصح، والمحرم ورجب، وبعضهم عدّها من سنة واحدة، والأول أشهر ﴿ذَلِكَ﴾ أي: تحريم هذه الأشهر ﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ المستقيم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ﴾ أي: في الأشهر كلها، أو المراد الحرم، وخصّت تعظيمًا لها؛ لأن الذنب فيها أعظم وزر المريد فضلها وحرمتها عندهم في الجاهلية ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بالذنوب، ومنه تغييرها عن القاعدة الشرعية بجعل الحرام حلالاً وعكسه ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ أي: جميعًا في الأشهر الحرم وغيرها ﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ أي: جميعًا ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالنصرة والمعونة.

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ [التوبة: 37] وهو تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر كانت العرب تفعله؛ لأنهم أصحاب حروب فيشق عليهم الترك فيحلوا ما احتاجوا إلى القتال فيه ويحرموا مكانه غيره، ومنه ما كان بعضهم يفعله من تحليل المحرم إذا هلّ وهم في القتال فيه إلى صَفر، وقرأ ورش عن نافع ﴿النَّسِيءُ﴾ بتشديد الياء بلا همز، والباقون بالهمز في أوله ﴿زِيَادَةٌ﴾ لكفرهم بحكم الله فيه ﴿فِي الْكُفْرِ﴾ أي: الفاعلين له ﴿يُضَلُّ﴾ وقرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص يضل بضم الياء وفتح الضاد، وقرأ يعقوب بضم الياء وكسر الضاد، والباقون بفتح الياء وكسر الضاد ﴿بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ﴾ أي: النسيء ﴿عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾ هذا بيان ضلاهم فيه ﴿لِيُوَاطِئُوا﴾ يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بدله ﴿عِدَّةَ﴾ عدد ﴿مَا حَرَّمَ اللهُ﴾ من الأشهر فلا يزيدون على تحريم أربعة ولا ينقصون ولا ينظرون إلى أعيانها ﴿فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ فظنوه حسنًا ﴿وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا﴾ [التوبة: 38] اخرجوا، وقاتل

ذلك رسول الله ﷺ ﴿في سَبِيلِ اللهِ﴾ نزلت في غزوة تبوك؛ لأنه ﷺ سافر إليها في حر شديد مع بُعد السفر وضيق الحال فشق عليهم ﴿اثَّاقَلْتُمْ﴾ تثاقلتم وتباطأتم وملتم ﴿إلى الْأَرْضِ﴾ المعنى لزمتم أرضكم وبلادكم، والاستفهام للتوبيخ ﴿أرضِيتُم بالْحَيَاة الدُّنْيَا﴾ أي: بخفضها ودعتها ﴿من الْآخرَةِ﴾ أي: بدل نعيمها، أو عن الجهاد ﴿فما مَتَاعُ الْحياةِ الدُّنْيَا فِي﴾ جنب متاع ﴿الْآخرة إلَّا قلِيلٌ﴾ حقير.

﴿إلَّا تَنْفِرُوا﴾ [التوبة: 39] تخرجوا مع النبي للجهاد ﴿يُعذِّبْكُمْ عذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلمًا قيل: هو أمسك المطر، واللفظ أعم ﴿ويَسْتبدلْ﴾ بكم ﴿قوْمًا غيْرَكُمْ﴾ خيرًا منكم وأطوع، وهل هم أبناء فارس أو اليمن؟ قولان ﴿ولا تضُرُّوهُ﴾ أي: الله أو النبيّ ﴿شَيْئًا وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه نصر دينه ونبيّه.

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠) ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١) لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (٤٢) عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ (٤٣) لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ (٤٤) ﴾ [التوبة: ٤٠ - ٤٤].

﴿إلَّا تَنْصُرُوهُ﴾ [التوبة: 40] أي: النبيّ وهو عتاب لهم ﴿فقدْ نصرهُ الله إذْ﴾ حين ﴿أَخْرَجَهُ الَّذينَ كفَرُوا﴾ من مكة نسبه إليهم؛ لأنهم هموا بإخراجه، أو لأنهم ألجئوه لذلك لما أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة، ﴿ثاني اثْنيْنِ﴾ أي: أحد اثنين،

والمراد به أبو بكر الصديق ﷺ لأنه كان ثانيًا للنبي ﷺ والمراد أنه إذا نصره في تلك الحالة لا يخذله في غيرها ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ وهو ثقب في أعلى ثور، وهو جبل قريب من مكة مكثا فيه ثلاث ﴿إِذْ يَقُولُ﴾ النبي ﷺ ﴿لصاحِبِهِ﴾ أبي بكر الصديق لما قال له الصديق وقد رأى أقدام المشركين: لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا ﴿لا تَحْزَنْ إنّ الله مَعَنَا﴾ بالنصر ﴿ فَأَنْزَل الله سَكِينَتَهُ﴾ طمأنينته هي ما ألقاه في قلبه من الأمنة التي سكن عندها ﴿عَلَيْهِ﴾ أي: على أبي بكر ﴿وأيَّدهُ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿بجُنُودٍ﴾ من الملائكة تصرف أبصار الكفار في غار ونصرته في يوم بدر وغيرها ﴿لمْ تروْها﴾ فيما ذكر ﴿وجعل كلمةَ الَّذين كفرُوا﴾ أي: دعوة الشرك ﴿السُّفْلى﴾ المغلوبة ﴿وكلمةُ الله﴾ بنصب التاء ليعقوب بالرفع، وهي قوله لا إله إلا الله ﴿هي الْعُلْيَا﴾ أي: الظاهرة الغالبة لا غيرها ﴿والله عزيزٌ حكِيمٌ﴾.

﴿انْفِرُوا﴾ [التوبة: 41] اخرجوا ﴿خفَافًا وثقالًا﴾ في القوة والضعف والاستطاعة وعدمها وهي منسوخة بآية: ﴿ليْس على﴾ [التوبة: 91] ﴿وجَاهدُوا بأموالكُمْ وأنْفُسكُمْ فِي سبيل الله ذلكُمْ خَيْرٌ لكُمْ إنْ كُنْتُمْ تعْلَمُونَ﴾ ما فيه من الأجر وإنه خير فلا تثاقلوا ونزل في المنافقين الذين تخلفوا.

﴿لوْ كان﴾ [التوبة: 42] الذي تدعوهم إليه يا محمد ﷺ ﴿عرضًا﴾ غنيمة ومتاعًا للدنيا ﴿قريبًا﴾ لا مشقة في تناوله ﴿وسفرًا قاصدًا﴾ هينًا ﴿لاتَّبعُوك﴾ فخرجوا معك طلبًا للغنيمة ﴿وَلَكِنْ بَعُدَتْ عليْهِمْ الشُّقَّةُ﴾ المسافة فتخلفوا ﴿وسيحْلفُون بالله﴾ إذا رجعتم إليهم ﴿لو اسْتَطَعْنا﴾ الخروج ﴿لَخَرجْنا معكُمْ يُهْلِكُون أنْفُسهُمْ﴾ بالأيمان الكاذبة ﴿والله يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لكاذبون﴾ في أيمانهم لاستطاعتهم وكان ﷺ أذن الجميع في التخلف باجتهاد منه فنزل عتابًا له وقدم العفو تطمينًا لقلبه ﷺ وإظهارًا لعظيم مقامه عنده.

﴿عفا الله عَنْكَ لِمَ أذنْت لهُمْ﴾ [التوبة: 43] في التخلف عن غزوة تبوك وهلا تركهم ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذينَ صَدقُوا﴾ في أعذارهم ﴿وتَعْلَمَ الْكَاذِبينَ﴾ فيه وهم من لا عذر له.

﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: 44] في التخلف عن ﴿أَنْ يُجاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ وهذا نفي بمعنى النهي أو هو منسوخ بقوله: ﴿لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ [النور: 62] أو المراد أنهم يستأذنونه في ذلك بغير عذر ﴿وَالله

عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾

﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[التوبة: ٤٥ - ٥٠].

﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ﴾ [التوبة: 45] في التخلف ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ﴾ شكت ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ في الدين ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ﴾ شكهم ﴿يَتَرَدَّدُونَ﴾ يتحيرون.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ [التوبة: 46] للغزو معك ﴿لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ أي: هيئوا له ما يناسبه من السلاح والزاد ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ خروجهم ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ منعهم وحبسهم وكسلهم عن الخروج ﴿وَقِيلَ﴾ لهم؛ أي: قال بعضهم لبعض أو ألهموا أسباب الخذلان بأن قدر تعالى ذلك فقيل: ﴿اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ المرضى والزَّمنى أو النساء والصبيان.

﴿لَوْ خَرَجُوا﴾ [التوبة: 47] أي: المنافقين ﴿فِيكُمْ﴾ أي: معكم أو في عسكركم ﴿مَا زَادُوكُمْ﴾ شيئًا ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿خَبَالًا﴾ فسادًا بإيقاع الجبن والتهويل بكثرة العدو ﴿وَلَأَوْضَعُوا﴾ أسرعوا ﴿خِلَالَكُمْ﴾ وسطكم وبينكم بالمشي بالنميمة ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ يطلبونها لكم وهي الشرك بإلقاء العداوة ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ﴾ محبون ومطيعون ﴿لَهُمْ﴾ ولما كان ذلك كان الأمر بالخروج لإلزامهم الحجة وإظهار نفاقهم ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ

بِالظَّالِمِينَ﴾ فيجازيهم.

﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ﴾ [التوبة: 48] لك؛ أي: لأصحابك يا محمد ﷺ ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل كشف أسرارهم عندك أول ما قدمت المدينة ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ أي: أجالوا الرأي في إبطال ما جئت به والتخذيل للناس عنك ﴿حَتَّى﴾ رأوا تخذيل أصحابك حتى ﴿جَاءَ الْحَقُّ﴾ من نصر الله لك أو الحق من كشف أسرارهم ﴿وَظَهَرَ﴾ عن ﴿أَمْرُ اللهِ﴾ أي: دينه ﴿وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ لظهوره فدخلوا فيه ظاهرًا، ونزل من قوله: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم﴾ [التوبة: 47] بسبب أن النبي ﷺ حصل عنده شيء من الحزن وتغير الصدر بسبب تخلف عبد الله بن أُبي في المنافقين فعزاه الله بذلك.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي﴾ [التوبة: 49] أي: في التخلف قائل ذلك: الجَدِّ بن قيس المنافق إذ عرض عليه رسول الله ﷺ الخروج إلى تبوك وقال له: هل لك في جلاد بني الأصفر؟ وذكر له أن في بني الأصفر سباتًا وضعافًا، وقال إني مغرم بالنساء وأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألَّا أصبر عنهن فأفتتن فأذن لي في التخلف ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾ بهم فاعتل ولم يكن به علة إلا النفاق قال تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ﴾ العظمى وهي الشرك ﴿سَقَطُوا﴾ أوقعوا بنفاقهم وخلافهم أمر الله ورسوله ﷺ ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ﴾ جامعة ومطبعة ﴿بِالْكَافِرِينَ﴾ لا محيص لهم عنها.

﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ [التوبة: 50] من نصر وغنيمة ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ تحزنهم؛ أي: المنافقين ﴿وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ شدة ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾ أي: حذرنا بالحزم في ترك الخروج ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ هذه المصيبة ﴿وَيَتَوَلَّوْا﴾ يعرضوا ﴿وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ بما أصابك أو بسلامتهم.

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ
وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟
إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ
إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ
أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا

يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَـٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [التوبة: ٥١ - ٥٦].

﴿قُلْ لَنْ يُصيبَنا إلَّا ما كَتَبَ الله لَنا﴾ [التوبة: 51] إصابته و﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ ناصرنا وحافظنا وإن وقعت ﴿وَعَلى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾ [التوبة: 52] تنتظرون أن يقع ﴿بِنَا إِلَّا إِحْدَى﴾ العاقبتين ﴿الْحُسْنَيَيْنِ﴾ تثنية حسنى تأنيث أحسن؛ أي: إمَّا النصر والغنيمة، أو الشهادة والجنة ﴿وَنَحْنُ﴾ منتظرون ﴿نَتَرَبَّصُ﴾ ننتظر ﴿بِكُمْ﴾ أي: إحدى السوءتين إمَّا ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ الله بِعَذابٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ من غير قتال كإهلاك الأمم السالفة بقارعة من السماء ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ أي: يأذن لنا بقتالكم، والآية في المنافقين ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ انتظروا بنا ذلك ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ منتظرون عاقبتكم.

﴿قُلْ﴾ [التوبة: 53] لهم ﴿أَنْفِقُوا﴾ في طاعة الله ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ نزلت في جَدِّ بن قيس إذ قال أعينكم بمالي ﴿لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ﴾ ما أنفقتموه ﴿إِنَّكُمْ﴾ أي: لأنكم ﴿كُنْتُمْ قَوْمًا فاسِقِينَ﴾ أي: إن أنفقتم لن يتقبل والأمر هنا بمعنى الخبر.

﴿وَما مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ﴾ [التوبة: 54] بياء من أسفل في أوله لحمزة والكسائي وخلف والباقون بالتاء ﴿مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ﴾ أي: لأنهم ﴿كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسالى﴾ متثاقلون ﴿وَلا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ للإنفاق؛ أي: يعدونه مغرمًا.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ﴾ [التوبة: 55] أي: لا ترى ذلك ولا غيره من نعمنا عليهم حسنًا؛ لأن المستدرج يكثر ماله وولده ﴿إِنَّما يُرِيدُ الله لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ أي: إن يعذبهم ﴿بِهَا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ بما يقع فيها من المشقة والمصائب كغرق المال أو موت الولد ونحوه ﴿وَتَزْهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كافِرُونَ﴾ فيعذبهم في الآخرة أشد العذاب.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ [التوبة: 56] أي: مؤمنون ﴿وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ يخافون أن تظهروا على ما في قلوبهم فيقع بهم ما وقع بغيرهم

فيحلفون تقية.

﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [التوبة: ٥٧ - ٦١].

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ [التوبة: 57] يلجئون إليه؛ أي: حصنًا وقومًا يأمنون إليهم ﴿أَوْ مَغَارَاتٍ﴾ جمع مغارة وهي ما في الجبال من المواضع التي يستر فيها ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ بفتح الميم وإسكان الدال مخففة ليعقوب وهو موضع الدخول، والباقون بضم الميم وفتح الدال مشددة، وأصله: مفتعل من أدخل يدخل وهو: السَّرَب، أو المراد الوجه الذي يدخلونه على خلاف رسول الله ﷺ ﴿لَوَلَّوْا﴾ أدبروا ﴿إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ يسرعون في نفورهم وإدبارهم فمعناه لو يجدون مخلصًا منكم ومهربًا لفارقوكم.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ﴾ [التوبة: 58] قرأ يعقوب يلمزك ويلمزون ولا تلمزوا بضم الميم في الثلاثة، والباقون بالكسر فيها، واللمز: العيب؛ أي: ومن المنافقين من يعيبك ﴿فِي الصَّدَقَاتِ﴾ أي: في فرضها وتفريقها وفاعل ذلك ذو الحويصرة التميمي ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا﴾ كثيرًا ﴿رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا﴾ ذلك ﴿إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: 59] محمد ﷺ من الغنائم ونحوها ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ﴾ أي: كافينا ﴿سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ ما نحتاج إليه من غنيمة أخرى ﴿إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ﴾ أن يغنينا؛ أي: لو فعلوا ذلك لكان خيرًا لهم.

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ﴾ [التوبة: 60] هذه الآية في بيان مصارف الزكاة الواجبة

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ أي: مصروفة لهم، وهم جمع فقير، وهو من لا يملك شيئًا، أو ملك ما لا يقع موقعًا من كفايته كمن احتاج إلى عشرين فوجد أربعة ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ وهم جمع مسكين، وهو من ملك ما يقع موقعًا من كفايته ولا يكفيه كواحد ثمانية من عشرة يحتاج إليها ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ وهو من جمع مال الزكاة وأعان على ضبطه من جاب وقاسم وكاتب وحاشر ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ ليسلموا أو يثبت إسلامهم، أو يسلم نظراؤهم، أو يذبوا عن الإسلام اقتسام الأموال، والأخير لا يعطيان اليوم عند جمع من المجتهدين منهم الشافعي لعز الإسلام بخلاف الآخرين فيعطيان ﴿وَفِي﴾ فك ﴿الرِّقَابِ﴾ وهم المكاتبون كناية صحيحة فيُعطى المكاتب ما يستعين به في وفاء نجوم كتابته، وقيل: المراد شراء أرقاء ويعتقون ﴿وَالْغَارِمِينَ﴾ وهو من استدان في طاعة أو مباح أو معصية وتاب منها، وليس لهم وفاء أو لإصلاح ذات البين ولو أغنياء ﴿وَفِي سَبِيلِ اللهِ﴾ وهم الغزاة الذين لم يثبت اسمهم في الديوان ولا فيء لهم ولو أغنياء فيعطى ما يحتاجه لسفره ذهابًا وإيابًا ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ وهو منشأ سفرًا ومجتاز إن كان سفره مباحًا فيعطى ما يوصله لمقصده، وذكرت لام الملك في الأربعة الأول إشعار بإطلاق الملك لهم، وبقي في الأربعة الأخيرة إشارة إلى أنه إذا لم يحصل الصرف في تلك الجهة يسترد ﴿فَرِيضَةً﴾ واجبة فلا يجوز صرفها لغير من ذكر ولا منع صنف منهم؛ إذا أوجد فيقسمها الإمام عليهم على السواء، وله تفصيل بعض أحاد الصنف على الآخر، ويحرم التفصيل مع تساوي الحاجات وأفادت اللام وجوب استغراق آحاد كل صنف، لكن لا يجب على صاحب المال؛ إذا قسم لغير ذلك عليه بل يكفي إعطاء ثلاثة من كل صنف ولا يكفي دونها، وعلم من السنة أن شرط المعطي منها الإسلام، وألَّا يكون هاشميًا ولا مطلبيًا، ولا يجوز نقل الزكاة من بلد لآخر عند الشافعي ﷺ ﴿مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وهذه الآية ناسخة لكل صدقة أمر بها في القرآن فلا تجب غير الزكاة.

﴿وَمِنْهُمُ﴾ [التوبة: 61] أي: المنافقين ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ محمدًا ﷺ بعيبه وبعيب نقل حديثه ﴿وَيَقُولُونَ﴾ إذا نهوا عن ذلك؛ لئلا يبلغه ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ أي: يسمع كل شيء قيل له ويقبله، فإذا حلفنا له أنا لم نقل صدَّقنا ﴿قُلْ﴾ هو ﴿أُذُنُ خَيْرٍ﴾ أي: مستمع خير وصلاح لا شر وفساد ﴿لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يصدقهم ولا يصدق المنافقين ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بالخفض لحمزة، والباقون بالرفع ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ لأنه كان سبب إيمانهم ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [التوبة: ٦٢ - ٦٧].

﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ﴾ [التوبة: 62] أيها المؤمنون فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول أنهم ما أذوه﴿لِيُرْضُوكُمْ وَالله وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ بالطاعة﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ حقًا، نزلت؛ لأن وديعة بن ثابت ومعه جمع من المنافقين جلسوا فتكلموا في حق رسول الله ﷺ وعندهم عامر بن قيس الأنصاري فردَّ عليهم، ونقل ذلك له ﷺ فجاءوا وحلفوا فصدَّقهم فسأل عامر ﷺ ربه في بيان الصادق والكاذب فنزلت بصدقه.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ﴾ [التوبة: 63] أي: الشأن﴿مَنْ يُحَادِدِ﴾ أي: يخالف أو يشاقق ﴿الله وَرَسُولَهُ﴾ ورسوله فيكون في حد؛ أي: جانب عن الله ورسوله﴿فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ جزاءً﴿خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ﴾ الذل والهوان﴿الْعَظِيمُ﴾ .

﴿يَحْذَرُ﴾ [التوبة: 64] يخاف﴿الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ﴾ تخبر المؤمنين﴿بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الحسد والعداوة للمؤمنين، وهم مع ذلك يستهزؤون﴿قُلِ اسْتَهْزِئُوا﴾ أمر تهديد﴿إِنَّ الله مُخْرِجٌ﴾ مظهر﴿مَا تَحْذَرُونَ﴾ تخافون إظهاره من نفاقكم، ونزلت في اثني عشر من المنافقين أرادوا الفتك برسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك في عقبة من الطريق فأمر رسول الله ﷺ من ضرب رواحلهم

لما أخبره جبريل عليه السلام بذلك وعرفهم ولم يقتلهم خشية أن يقول الناس لما ظفر بأصحابه قتلهم أو علم عمار بن ياسر فضرب وجوه رواحلهم لما علم ذلك فردوا، أو في عبد الله بن أبي وأصحابه.

﴿ولئنْ سألْتهمْ﴾ [التوبة: 65] أي: المنافقين عن استهزائهم بك والقرآن وهم معك في المسير لتبوك ﴿ليقولنَّ﴾ معتذرين ﴿إنَّما كنَّا نخوضُ ونلْعبُ﴾ في الحديث كعادة الناس في قطع الطريق واللعب بالكلام ولم نقصد ذلك ﴿قُلْ أبالله وآياته﴾ القرآن ﴿ورسوله﴾ محمد ﷺ ﴿كُنْتُمْ تسْتهْزئون﴾ بذلك.

﴿لا تعْتذروا﴾ [التوبة: 66] عن ذلك؛ أي: قل لهم يا محمد ﷺ ذلك ﴿قدْ كفرْتمْ﴾ أي: أظهرتم الكفر ﴿بعْد إيمانكُمْ﴾ أي: إظهاركم الإيمان ﴿إنْ نعْفُ عنْ طائفة﴾ فرقة ﴿منكمْ﴾ بإخلاصها وتوبتها كمَخْشِيّ بن حمير الأشجعي كان يسمع لهم ولا يضحك وتاب بعد ذلك، وسأل الله أن يتوفاه في سبيله فقيل يوم اليمامة ﴿نُعذّبْ طائفة﴾ وهم من بقي، قرأ عاصم «أن نعف» بنون مفتوحة وضم الفاء «نعذب» بالنون وكسر الذال، طائفة بالنصب، والباقون «نعف» بضم الباقي أوله وفتح الفاء، نعذب بضم التاء المثنّاة من فوق في أوله وفتح الذال، طائفة بالرفع ﴿بأنّهمْ كانُوا مُجْرمين﴾ بسبب إجرامهم.

﴿الْمُنافقون والْمُنافقاتُ بعْضُهمْ منْ بعْضٍ﴾ [التوبة: 67] متشابهون في الدين كالأبعاض للشيء الواحد ﴿يأْمُرون بالْمُنْكر﴾ بالشرك والمعصية ﴿ويـنْهوْنَ عنِ الْمعْرُوف﴾ الإيمان والطاعة ﴿ويقْبضُون أيْديهُمْ﴾ فلا ينفقون في سبيل الله، ولا يؤدون زكاة، ولا يفعلون خيرًا ﴿نسُوا الله فنسيهُمْ﴾ تركهم من التوفيق في الدين، والرحمة في الآخرة ﴿إنَّ الْمنافقين هُمُ الْفاسقُون﴾.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ

هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ
وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾
وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ
وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ
ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾
يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟
بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ
خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى
ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن
فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [التوبة: ٦٨ - ٧٥].

﴿وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ [التوبة: 68] أي: كافيهم جزاء على كفرهم ﴿وَلَعَنَهُمُ اللهُ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ بالخلود في النار.

﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [التوبة: 69] أي: أنتم أيها المنافقون فعلتم كفعلهم ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا﴾ تمتعوا ﴿بِخَلَاقِهِمْ﴾ حظهم ونصيبهم من الدنيا ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ﴾ أيها الكافرون ﴿بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ﴾ في الكذب وتكذيب الرسل ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾ أي: كما خاضوا، أو كالذي خاضوا ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ فبطل كذبهم ومكرهم؛ لإطفاء

النور الإلهي، وجوزوا بالأسر والقتل ونحو ذلك ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ فخلدوا في النار ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي: كما حصل لهم ذلك، كذلك أنتم يحصل هذا لكم.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ﴾ [التوبة: 70] خبر ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أهلكوا بالطوفان ﴿وَعَادٍ﴾ قوم هود أهلكوا بالريح ﴿وَثَمُودَ﴾ قوم صالح هلكوا بالرجفة ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ﴾ بهلاك نمروذ وسلبه النعم ﴿وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾ وهم قوم شعيب أهلكوا بعذاب يوم الظلة ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ المنقلبات التي جعل عاليها سافلها وهم قوم لوط ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات؛ أي: فكذَّبوهم كما فعلتم فحصل لهم ذلك، فاحذروا أن يقع بكم ما وقع بهم ﴿فَمَا كَانَ الله لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بأن يعذبهم بلا ذنب ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب الذنب.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: 71] في الدين والنصرة ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وهو كل مطلوب في الشرع ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وهو مذموم فيه ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ أي: ما فيض منها ﴿وَيُطِيعُونَ الله وَرَسُولَهُ﴾ محمدًا ﷺ ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ الله إِنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَعَدَ الله الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة: 72] إقامة، وهل هي الكروم، أو اسم لبطنان الجنة، أو لقصور لا يدخلها إلا نبي، أو صدِّيق، أو شهيد، أو حكم عدل، أو مدينة في الجنة فيها الرسل والأنبياء والشهداء وأئمة الهدى، أو نهر في الجنة جناته على حافتيه؟ أقوال ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ [التوبة: 73] بالسيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ بإقامة الحدود والإعراض، وترك الرفق، وإقامة الحجة ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تلن جانبك لهم، بل أنفرهم وأمقتهم ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع هي، ونسخت هذه كل آية فيها العفو والصفح.

﴿يَحْلِفُونَ﴾ [التوبة: 74] أي: المنافقون ﴿بِاللهِ مَا قَالُوا﴾ ما بلغك عنهم من السبّ ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ وهي: إمَّا سبّ الرسول بقولهم: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: 8] وقول بعضهم: إن كان محمد صادقًا فنحن شر من الحمير ﴿وَكَفَرُوا﴾ أي: أظهروا الكفر ﴿بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ في الصورة الظاهرة ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ من همهم بقتله ﷺ ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾ كرهوا ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ

الله وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بإحلال الغنائم بعد شدة الحاجة؛ المعنى: لم ينقموا منه إلا هذا وليس مما ينقم ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا﴾ عن نفاقهم ﴿يَكُ خَيْرًا لَهُمْ﴾ من البقاء عليهم ﴿وَإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾ يعرضوا عن الإيمان ﴿يُعَذِّبْهُمُ الله عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾ بالخزي والقتل ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالعذاب الدائم ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ الله لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة: 75] رزقًا واسعًا ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ بصرفه في وجوه الخير.

﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [التوبة: ٧٦ - ٨٠].

﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ﴾ [التوبة: 76] فلم يفعلوا ما عاهدوا الله عليه ﴿وَتَوَلَّوْا﴾ عن طاعة الله ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ [التوبة: 77] أي: صيّر عاقبة أمرهم جزاء لحلفهم ﴿نِفَاقًا﴾ ثابتًا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ أي: الله وهو يوم القيامة، والمراد: إنه حرمهم التوبة ﴿بِمَا أَخْلَفُوا الله مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ [التوبة: 78] أي: المنافقون ﴿أَنَّ الله يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ ما في قلوبهم ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ ما تناجوا به بينهم سرًا ﴿وَأَنَّ الله عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ فلا يفوته علم شيء ونزلت الآيات من قوله: ﴿وَمِنْهُمْ﴾... إلى هنا بسبب أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري كان فقيرًا فسأل النبي ﷺ أن يدعوا له بأن يؤتيه الله مالاً، فقال له: أما لك في رسول الله أسوة حسنة؟ فلم يزل به حتى دعا له وكان يقول: إن أتاني مالاً أعطي كل ذي حق حقه،

وأكون من الصالحين به، فأعطاه الله غنمًا منعته بكثرتها عن الطاعات من جمعة وجماعة وغيرها، ثم لم يؤد زكاتها وخسر ما كان عليه من الخير، وجاء بعد ذلك إلى النبي ﷺ بزكاته فقال: إن الله منعني أن أقبل منك، فجعل يحثوا التراب على رأسه. ثم أتى بها لأبي بكر فلم يقبلها، ثم كذلك فعل مع عمر وعثمان فلم يقبلوا، ومات في خلافة عثمان.

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾ [التوبة: 79] يعيبون ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾ المتنفّلين ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ ومن المطَّوِّعين: عبد الرحمن بن عوف كان ماله ثمانية آلاف درهم فتصدَّق بأربعة آلاف وأتى بمائة وسق من تمر، أو عاصم بن عدى وأبو عقيل كان لكل صاعان من تمر فتصدَّق بواحد وأبقى الآخر لأهله، فقالوا: إن لغنيين عن هذا ﴿وَ﴾ يلمزون ﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ طاقتهم؛ أي: أبا عقيل فيأتون به ﴿فَيَسْخَرُونَ﴾ يضحكون ﴿مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ﴾ أي: جازاهم على ذلك ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿اسْتَغْفِرْ﴾ [التوبة: 80] يا محمد ﴿لَهُمْ﴾ أي: للمنافقين ﴿أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ تخيير له ﷺ في الاستغفار لهم والترك، قال ﷺ: «**إني خُيِّرت فاخترت**»[1] يعني: الاستغفار ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ﴾ أي: فاستغفارك وعدمه، سواء في ابتغاء المغفرة لهم، أو السبعين للمبالغة عن الكثرة، وعليه قيل: كيف خُفي ذلك عليه ﷺ حيث قال ما يأتي؟ وأجيب: بأنه لإظهار كمال الشفقة والرحمة تعليمًا للأمة، وهذا دأب الأنبياء كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: 36] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: عدم المغفرة لهم ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن

---

(1) رواه البخاري (293/5).

تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [التوبة: ٨١ - ٨٦].

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ [التوبة: 81] عن غزوة تبوك ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ قعودهم ﴿خِلَافَ﴾ بعد ﴿رَسُولِ اللهِ﴾ ﷺ ﴿وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض ﴿لَا تَنْفِرُوا﴾ تخرجوا إلى الجهاد ﴿فِي الْحَرِّ﴾ لأن غزوة تبوك كانت فيه ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ لهم ﴿نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ من تبوك ﴿لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ يفهمون ويعلمون ما تخلّفوا.

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ [التوبة: 82] في الدنيا ﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ في الآخرة ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: من النقائص، والآية خبر عن حالهم بصيغة الأمر.

﴿فَإِنْ رَجَعَكَ﴾ [التوبة: 83] يا محمد ﷺ؛ أي: ردك ﴿اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ﴾ فرقة ﴿مِنْهُمْ﴾ أي: من المخلّفين ﴿فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ معك في غزوة أخرى ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ في سفر أو غزوة ﴿وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: في غزوة تبوك ﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾[1] المتخلّفين عن الغزو

(1) الخطاب للرسول والمعنى: فإن رجعك الله من سفرك هذا وهو غزوة تبوك، قيل: ودخول «إنْ» هنا وهي للممكن وقوعه غالبًا إشارة إلى أنه ﷺ لا يعلم بمستقبلات أمره من أجلٍ وغيره، إلا أن يعلمه الله، وقد صرح بذلك في قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَراً إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ قال نحوه ابن عطية وغيره، إلى طائفة منهم لأنّ منهم من مات، ومنهم من تاب وندم، ومنهم من تخلف لعذر صحيح فالطائفة هنا الذين خلصوا في النفاق وثبتوا عليه هكذا قيل، وإذا كان الضمير في منهم عائدًا على المخلفين الذين خرجوا وكرهوا أن يجاهدوا، فالذي يظهر أنّ ذكر الطائفة هو لأجل أنّ منهم من مات، قال ابن عطية: ويشبه أن تكون هذه الطائفة قد حتم عليها =

من النساء والصبيان وغيرهم.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: 84] أي: من المنافقين ﴿مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ أي: لا تقف عليه لدفن ولا زيارة ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ خارجون عن الطاعة بالكفر، ونزلت بسبب أن عبد الله بن أبي في مرض موته أرسل إلى رسول الله ﷺ فدخل عليه فسأله أن يستغفر له ويصلي عليه بعد موته، فنُهي عن ذلك، فما صلّى بعده على أحد منهم، ولا قام على قبره أبدًا.

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي﴾ [التوبة: 85] الحياة ﴿الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾ [التوبة: 86] أي: طائفة من القرآن ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ أصحاب الغنى ﴿وَقَالُوا ذَرْنَا﴾ أتركنا ﴿نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ في رجالهم.

﴿ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ
(٨٧) لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٨٨) أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٨٩) وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ
ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

بالموافاة على النفاق، وعينوا للنبي ﷺ وإلا فكيف يترتب على أن يصلي على موتاهم إنْ لم يعينهم، وقوله: وماتوا وهم فاسقون، نص في موافاتهم، ومما يؤيد هذا أنّ النبي ﷺ عينهم لحذيفة بن اليمان، وكانت الصحابة إذا رأوا حذيفة تأخر عن الصلاة على جنازة رجل تأخروا هم عنها، وروي عن حذيفة أنه قال يومًا: بقي من المنافقين كذا وكذا، وقال له عمر بن الخطاب: أنشدك الله أنا منهم؟ فقال: لا والله، لا أمنت منها أحدًا بعدك، وأمر الله نبيه أن يقول لهم: لن تخرجوا معي هو عقوبة لهم وإظهار لدناءة منزلتهم وسوء حالهم، وهذا هو المقصود في قصة ثعلبة بن حاطب التي تقدمت في الامتناع من أخذ صدقته، ولا خزي أعظم من أن يكون إنسان قد رفضه الشرع ورده كالجمل الأجرب.

مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا
يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن
سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ
لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا
يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [التوبة: ٨٧ - ٩٢].

﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ [التوبة: 87] جمع خالفة، إلا دينًا من الناس، أو المتخلّفين من النساء ونحوهم في البيوت ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الخير.

﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ [التوبة: 88] في سبيل الله ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿أَعَدَّ﴾ [التوبة: 89] هيأ ﴿الله لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ [التوبة: 90] بتشديد الذال لكل القراء إلا يعقوب فبالتخفيف وإسكان العين؛ أي: المعتذرون، أو المبالغون في العذر وهم: رهط عامر بن الطفيل ﴿مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ إلى النبي ﷺ ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ في التخلف عن غزوة تبوك؛ لعذرهم فأذن لهم ﴿وَقَعَدَ الَّذِين كَذَبُوا الله وَرَسُولَهُ﴾ في ادّعاء الإيمان من منافقي الأعراب عن المجيء إلى الاعتذار ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ثم بَيَّن من تعذر، فقال: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ كالشيوخ ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ﴾ في الجهاد؛ أي: الفقراء.

﴿حَرَجٌ﴾ [التوبة: 91] إثم في التخلف عن الغزو ﴿إِذَا نَصَحُوا لِله﴾ بإخلاص العمل ﴿وَرَسُولِهِ﴾ فاتبعوه، ومنه: ترك الإرجاف في حال قعودهم والتثبيط ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ بذلك ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ عقوبة في التخلف عن العدو ﴿وَالله غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بهم، نزلت في ابن أم مكتوم، ويلحق به كل ذي عذر.

﴿وَلَا﴾ [التوبة: 92] حرج أيضًا ﴿عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ﴾ أي: إذا أتوك ﴿لِتَحْمِلَهُمْ﴾ معك إلى الغزو وهم سبعة من الأنصار، سمّى منهم: العرباض بن سارية،

وأبو موسى الأشعري، وغيرهما كما في الأصل ﴿قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ وهل سألوه أن يحملهم على الدواب فلم يجدها، أو على النعال المخصوفة، أو الخفاف المرفوعة؟ قولان، **الأول**: أقرب ﴿تَوَلَّوْا﴾ انصرفوا ﴿وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا﴾ لئلا يجدوا ﴿مَا يُنْفِقُونَ﴾ على أنفسهم في الغزو.

﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَـٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ٩٣ - ١٠٠].

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ [التوبة: 93] بالعقوبة ﴿عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾ في التخلف ﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ النساء ونحوهم ﴿وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ

فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَعْتَذِرُونَ﴾ [التوبة: 94] في التخلف ﴿إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من غزوة تبوك وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فلمَّا رجع رسول الله ﷺ جاءوا يعتذرون بالباطل ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ لن نصدقكم ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ أي: أخبرنا بأحوالكم ﴿وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ هل تتوبون أم تقيمون على النفاق؟ ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ بالبعث ﴿إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ ما غاب ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ ما علمناه ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ﴾ [التوبة: 95] رجعتم ﴿إِلَيْهِمْ﴾ من تبوك أنهم معذورون في التخلف ﴿لِتُعْرِضُوا﴾ لتصفحوا ﴿عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ المراد: دعوهم وما اختاروا لأنفسهم ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ أي: مبعدون لأعمالهم القبيحة ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ولمَّا نزلت أمر رسول الله ﷺ أصحابه بترك كلام المنافقين ومجالستهم.

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * الْأَعْرَابُ﴾ [التوبة: 96-97] أهل البدو ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ من أهل المدن؛ لجفوتهم، وغلظتهم، وبعدهم عن سماع القرآن ﴿وَأَجْدَرُ﴾ أخلق وأحرى ﴿أَ﴾ بأن ﴿لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ من الفرائض، والحدود، والحلال والحرام ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ﴾ [التوبة: 98] في سبيل الله ﴿مَغْرَمًا﴾ إذ لا يرجو عليه ثوابًا، ولا يخاف في مسكه عقابًا ﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾ ينتظر ﴿بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ أن تنقلب عليكم فيتخلص، ومما تربصوه بهم موت رسول الله ﷺ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لا عليكم ﴿دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ فتح أبو عمرو وابن كثير السين؛ أي: الردة والفساد هنا وفي الفتح، والباقون بضمها؛ أي: الهزيمة والبلاء ﴿وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فيجازي كلاً بما علمه من عمله، ونزلت في أعراب أسد وغطفان وتميم.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: 99] وهم فرقة من أسلم وجهينة ومزينة وغفار وبني مقرِّن ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿قُرُبَاتٍ﴾ جمع: قربة، وهو ما يتقرّب به إلى الله ﴿عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ﴾ دعوات ﴿الرَّسُولِ﴾ له، وقربات؛ أي: ينفق تقرّبًا إلى الله ورغبة في صلوات، أو وسيلة إلى صلوات الرسول ﷺ؛ أي:

دعاية كقوله: اللهم صلي على آل أبي وأمي ﴿أَلَا إِنَّهَا﴾ أي: صلوات الرسول، أو نفقاتهم ﴿قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾ عند الله ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ جنته ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ﴾ وهم من آمن أول الناس، فأول من آمن من الرجال: أبو بكر الصديق ﷺ، ومن الصبيان: علي - كرَّم الله وجهه - ومن النساء: خديجة، ومن العبيد: زيد بن حارثة.

* **وقيل:** هم من شهد بيعة الحديبية.

* **وقيل:** هم من صلى إلى القبلتين.

* **وقيل:** أهل بدر.

* **وقيل:** جميع الصحابة ﷺ.

﴿وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: 100] بالرفع: ليعقوب، والباقون: بجره، وسابق الأنصار ومن بايع رسول الله ﷺ ليلة العقبة وكانوا سبعة في العقبة الأولى، وسبعين في الثانية، أو آمن من بعد مجيء أبي زرارة مصعب بن عمير الأنصاري للمدينة يعلمهم ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ ففعلوا مثل فعلهم الحسن وهم سوى من سبق إلى يوم القيامة ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ فأثابهم ثوابًا كبيرًا، أو رضي عنهم بطاعته ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا﴾ نصب بدون من لكل القراء إلا ابن كثير فأتى بمن وجر التاء ﴿الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ دائمًا، والأبد: ما لا نهاية له ﴿ذَلِكَ﴾ هو ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى
ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ
(١٠١) وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ
عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٠٢) خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ
عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ
ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (١٠٤) وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟
فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم

بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [التوبة: ١٠١ - ١٠٧].

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾ [التوبة: 101] هم قوم من أشجع وأسلم وغفار ومزينة وجهينة كانت منازلهم حول المدينة ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ قوم منافقون أيضًا من الأوس والخزرج ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ استمروا عليه ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ يا محمد ﷺ ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ وهذه الآية نزلت قبل قوله: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: 30] فلا تنافي بين الآيتين ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ الأولى: في الدنيا، ومرة في الآخرة، ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ﴾ في الآخرة ﴿إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ بالخلود في النار.

﴿وَ﴾ [التوبة: 102] قوم ﴿آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ من التخلف، نزلت في عشرة تخلفوا عن غزوة تبوك منهم أبو لبابة ﴿خَلَطُوا﴾ أي: جمعوا ﴿عَمَلًا صَالِحًا﴾ وهو جهادهم قبل ذلك، أو اعترافهم بذنوبهم، أو غير ذلك ﴿وَآخَرَ﴾ أي: بآخر ﴿سَيِّئًا﴾ هو تخلفهم، وقالوا: رسول الله ﷺ في الحر ونحن في الظلال، فربطوا أنفسهم بسواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المخلفين، وحلفوا ألا يحلهم إلا النبي ﷺ فجاء رسول الله ﷺ فرآهم فقال: «**ما هم؟**» فقالوا له عن شأنهم، فأقسم لا يفكهم حتى ينزل أمر الله فيهم، فنزلت هذه الآية وأطلقهم فذلك قوله ﴿**عَسَى الله أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ ثم لمَّا أطلقهم قالوا: يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتّنا عنك فتصدق بها عنّا وطهّرنا واستغفر لنا، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أُمِرت أن آخذ من أموالكم شيئًا**»[1].

فنزل: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ**﴾ [التوبة: 103] أي: من ذنوبهم ﴿وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ أي: ترفع منازلهم، فأخذ منهم ثلث أموالهم فتصدّق بها ﴿**وَصَلِّ عَلَيْهِمْ**﴾ أدع لهم ﴿**إِنَّ صَلَاتَكَ**﴾ بالتوحيد، وفتح التاء لحمزة والكسائي وخلف وحفص، والباقون بالجمع وكسر التاء ﴿**سَكَنٌ**﴾ رحمة وطمأنينة ﴿**لَهُمْ وَالله**

(1) ذكره القرطبي في «تفسيره» (242/8).

سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ [التوبة: 104] استفهام تقرير، القصد به: تهييجهم للتوبة والصدقة ﴿أَنَّ الله هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ لا غير ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ أي: يتقبلها ويثيب عليها لا غيره ﴿وَأَنَّ الله هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَقُلِ﴾ [التوبة: 105] لهم أو الناس ﴿اعْمَلُوا﴾ ما شئتم ﴿فَسَيَرَى الله عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ﴾ بالبعث ﴿إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: الله ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

﴿وَآخَرُونَ﴾ [التوبة: 106] من المتخلفين ﴿مُرْجَوْنَ﴾ بهمز بعد الجيم لأبي بكر وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، والباقون بلا همز، والمعنى: مؤخرون عن التوبة ﴿لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ فهم بما يشاء ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ بأن يميتهم بلا توبة ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ وقد تاب عليهم بفضله؛ لأنها نزلت في الثلاثة الذين خلفوا كما سيأتي ﴿وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَ﴾ [التوبة: 107] منهم ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ وهم اثنا عشر من المنافقين ﴿ضِرَارًا﴾ قرأ المدنيان وابن عامر الذين اتخذوا بلا واو، والباقون بالواو ﴿وَكُفْرًا﴾ بالله ورسوله ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أعداؤه لذلك؛ لأن المؤمنين كانوا مجتمعون في مسجد قباء فبنو مسجد الضرار؛ ليؤدي إلى الصلاة البعض فيه، فيؤدي إلى الاختلاف والتفريق بينهم ﴿وَإِرْصَادًا﴾ إعدادًا ﴿لِمَنْ حَارَبَ الله وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل بنائهم لمسجد الضرار وهو أبو عامر الراهب الفاسق جاء عليه مسوح إلى النبي ﷺ فدعاه إلى الإيمان فأبى وقال: إنه على ملة إبراهيم، فلمَّا لم يؤمن دعا عليه النبي ﷺ أن يموت غريبًا طريدًا، فتوجه للشام وأرسل للمنافقين أنِّي ذاهب إلى قيصر ملك الروم آتيكم بجنود فابنوا لي مسجدًا، وأراد أن يتخذه معقلاً له فيقدم فيه من أن يأتي من عنده، فبنو مسجد الضرار وكانوا سألوا رسول الله ﷺ أن يصلي فيه، فأراد ذلك لعدم العلم بأمره فنزل عليه الوحي فأمر بحرقه واتخاذه مزبلة ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا﴾ ببنيانه ﴿إِلَّا الْحُسْنَى﴾ الفعلة الحسنة؛ ليأتيه العاجز عن المجيء إلى مسجد الرسول ﷺ، وليأوى الناس إليه من المطر، والحر، والتوسعة على المسلمين ﴿وَالله يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في حلفهم.

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ

أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ
شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا
يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
﴿١١٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ
يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ
وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى
بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ
ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ
عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٨ - ١١٢].

ولمَّا سألوا النبي ﷺ أن يصلي فيه نزل: ﴿لَا تَقُمْ﴾ [التوبة: 108] تُصل ﴿فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ﴾ بُنيت قواعده ﴿عَلَى التَّقْوَى﴾ هو مسجد قباء كما في «صحيح البخاري»، أو مسجده ﷺ كما في مسلم، ولك الجمع بينهما، المراد: الجنس ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ وضع يوم حللت بدار الهجرة ﴿أَحَقُّ﴾ منه ﴿أَنْ﴾ بأن ﴿تَقُومَ﴾ فتُصلي فيه ﴿فِيهِ رِجَالٌ﴾ هم الأنصار ﴿يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَالله يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ أي: يثيبهم، ولمَّا نزلت أتاهم النبي ﷺ في مسجد وقال: «**إن الله أحسن عليكم الثناء في الطهور في قصة مسجدكم، فما هذا الطهور الذي تطهرون به؟**» قالوا: والله برسول الله ما نعلم شيئًا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا - وفي رواية: نتبع الحجارة بالماء - فقال: «**هو ذاك فعليكموه**»[1].

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ﴾ [التوبة: 109] قرأ نافع وابن عامر أسس: بضم الهمزة وكسر السين الأولى ﴿بُنْيَانَهُ﴾ برفع النون، والباقون: بفتح الهمزة والسين ونصب النون ﴿عَلَى

(1) رواه البيهقي في «السنن» (105/1)، والدارقطني في «السنن» (202/1).

تَقْوَى﴾ مخافة ﴿مِنَ اللهِ﴾ ورجاء ﴿وَرِضْوَانٍ﴾ منه ﴿خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا﴾ أي: شفير ﴿جُرُفٍ﴾ بضم الراء وإسكانها، وهو: جانب البئر التي لم تُطْوَ، والوادي الذي حفره السيل ﴿هَارٍ﴾ هائر، هو: الساقط، أو المشرف على السقوط ﴿فَانْهَارَ بِهِ﴾ أي: سقط ببانيه ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ وهو مثال مسجد قباء والثاني مسجد الضرار خير؛ أي: الأول خير ﴿وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً﴾ [التوبة: 110] شكًّا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فيحسبون أنهم أحسنوا في بنائه وهم مسيئون، أو المعنى لا يزال هدمه ريبة في قلوبهم؛ أي: حزازة وغيظًا ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ﴾ قرأ يعقوب إلَى أن فجعلها إلَى التي للغاية، والباقون بالتشديد على معنى إلَّا أن تصدع ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ فيموتوا فنزول الحزازة أو الشك، وقرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب وحمزة وحفص تَقَطَّع بفتح التاء؛ أي: تقطع، والباقون بالضم ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ﴾ [التوبة: 111] يبذلونها في طاعته كالجهاد بأن ﴿لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ نزلت؛ لأن النبي ﷺ لمَّا بايع الأنصار السبعين ليلة العقبة بمكة قال له عبد الله بن رواحة: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: «**اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعوا منه أنفسكم وأموالكم**» قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: «**الجنة**»، فقالوا: ربح البيع لا تقبيل ولا نستقبل ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ﴾ أي: لا أحد أوفى منه ﴿فَاسْتَبْشِرُوا﴾ أفرحوا ﴿بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ﴾ البيع ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿التَّائِبُونَ﴾ [التوبة: 112] من الشرك والنفاق ﴿الْعَابِدُونَ﴾ المطيعون بالإخلاص ﴿الْحَامِدُونَ﴾ لله على كل حال في السرَّاء والضرَّاء وهم أول من يدخل الجنة ﴿السَّائِحُونَ﴾ الصائمون، وقيل: هم الغزاة، وقيل: طلبة العلم ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ﴾ لأحكامه بالعمل بها ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالجنة.

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ١١٣ وَمَا كَانَ

ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [التوبة: ١١٣ - ١١٧].

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي﴾ [التوبة: 113] أصحاب ﴿قُرْبَى﴾ قرابة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ نزلت؛ لأن بعض الصحابة كان يستغفر لأبويه المشركين، ولأن النبي ﷺ استغفر لعمه أبي طالب، أو لأن أبا طالب دخل عليه رسول الله ﷺ في مرضه فعرض عليه لا إله إلا الله فأبى فقال: لاستغفرن لك ما لم أنْهَ، فنزلت ناهية عن ذلك[1] وفي «صحيح» مسلم: إنه ﷺ أراد الاستغفار لأمه فنُهي عن ذلك.

﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ﴾ [التوبة: 114] على نبينا محمد - وعليه أفضل الصلاة والسلام - ﴿لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ﴾ مفعلة من الوعد ﴿وَعَدَهَا﴾ أي: إبراهيم الموعدة ﴿إِيَّاهُ﴾ إذ وعد أباه أن يستغفر له إن آمن ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ بموت الأب على الكفر ﴿أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾ وهل التبيّن واقع في الدنيا أو في الآخرة؟ لأنه يسأل فيراه في صورة ضبع ملطخ بالدم، قولان، وفي «صحيح» البخاري: ما يشهد للثاني ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ وترك الاستغفار له ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ﴾ كثير الدعاء والتأوه خوفًا من الله ﴿حَلِيمٌ﴾ صفوح عمن سبّه، أو ناله بمكروه، **وقيل**: هو السيد، **وقيل**: الصبور على الأذى.

﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا﴾ [التوبة: 115] أي: يحكم عليهم بالضلالة ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ أي: وفقهم للإسلام ﴿حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ يتركون من العمل فلا يتّقونه

---

(1) رواه البخاري (5/283).

فيستحقون الإضلال ﴿إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ﴾ [التوبة: 116] أيها الناس ﴿مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يحفظكم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنع عنكم ضرره.

﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ﴾ [التوبة: 117] أي: أدام توبته ﴿عَلَى النَّبِيِّ﴾ أي: في إذنه في التخلف لبعض من سبق ذكره، أو صدر به؛ لأنه كان سبب التوبة على من يأتي ﴿وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ أي: تجاوز عن ذنوبهم ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ﴾ وقت ﴿الْعُسْرَةِ﴾ أي: الشدة، ومن ذلك اتباعهم له في غزوة تبوك إذا كانت على عسرة في الزاد والظهر والماء؛ إذ كان الرجلان يقسمان التمرة والعشرة يتعقبون البعير الواحد، واشتد الحر حتى شربوا الفرث ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾ بالياء من تحت في أوله في قراءة حفص وحمزة، والباقون: بالتاء؛ أي: تميل ﴿قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾ إلى التخلف عن اتباعه في تبوك ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ بالثبات ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ وتاب.

﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [التوبة: ١١٨ - ١٢١].

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ [التوبة: 118] عن غزوة تبوك وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية الأنصاريون تخلفوا كسلاً وميلاً إلى الراحة لا نفاقًا ولم يعتذروا إلى النبي ﷺ كغيرهم، فوقف أمرهم خمسين ليلة لمَّا جاء من تبوك

واعترفوا، وأمر باعتزالهم نسائهم، وأمر الناس بهجرهم، واعتزالهم، وترك كلامهم حتى نزلت توبتهم بعد، وقيل المعنى: خلفوا عن التوبة ويشهد له قوله: ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: مع رحبها؛ أي: سعتها من شدة ما نالوا، فلا يجدون مكانًا يطمئنون إليه ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ قلوبهم همًّا وغمًّا ووحشة بتأخير توبتهم، فلا يسعها أنس ولا سرور ﴿وَظَنُّوا﴾ استيقنوا ﴿أَنْ لَا مَلْجَأَ﴾ مفزع ﴿مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ وفقهم للتوبة ﴿لِيَتُوبُوا﴾ أي: ليستقيموا على التوبة ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ﴾ [التوبة: 119] بترك معاصيه ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ في الإيمان والعهود بأن تلزموا الصدق.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ [التوبة: 120] معناه النهي ﴿وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ سكان البوادي كأسلم وغفار ﴿أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ﴾ إذا غزا ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ بأن يصونوها بما رضيه لنفسه من الشدائد، فيقيموا في الظلال وهو في الحر في الغزو ﴿ذَلِكَ﴾ أي: النهي المذكور ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ عطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ جوع ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَطَئُونَ﴾ من الأرض ﴿مَوْطِئًا﴾ بمعنى: وطء ﴿يَغِيظُ﴾ يغضب ﴿الْكُفَّارَ﴾ وطئهم لها ﴿وَلَا يَنَالُونَ﴾ يصيبون ﴿مِنْ عَدُوٍّ﴾ الله ﴿نَيْلًا﴾ كالقتل والأسر والنهب ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ ليجازوا عليه بالأجور الكثيرة، أو المراد: ثواب عمل صالح ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: أجورهم، بل يُثيبهم.

﴿وَلَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: 121] في سبيل الله ﴿نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ أي: قليلة ولو تمرة ﴿وَلَا كَبِيرَةً﴾ كثيرة ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ أي: يجاوزونه في سيرهم ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ أجره ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاؤه.

﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ

أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٢ - ١٢٥].

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا﴾ [التوبة: 122] إلى الغزو ﴿كَافَّةً﴾ فنزلت؛ لأن الله لمَّا ذم المنافقين في التخلف صار النبي ﷺ إذا بعث سرية خرج كل الناس وبقي وحده فنهاهم عن ذلك ﴿فَلَوْلَا﴾ هلا ﴿نَفَرَ﴾ خرج للغزو ﴿مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ قبيلة ﴿مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ جماعة ومكث الباقون ﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾ أي: الماكثون ﴿فِي الدِّينِ﴾ هذا معنى الآية، وحذف للعلم بأن المتأهب للغزو ليس من شأنه النفقة، بل هو من شأن المقيم ﴿وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ من الغزو وتعليم ما تعلَّموه من الأحكام ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ عقاب الله بامتثال أمره ونهيه، وهذه مخصوصة بالسرايا والتي قبلها بالنهي عن تخلف أحد إذا خرج رسول الله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ [التوبة: 123] الأقرب فالأقرب في الدار مثل: قريظة والنضير وحنين والروم إذا انتقلوا إليها؛ لأنهم كانوا بالشام وهي أقرب إلى المدينة من العراق ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾[1] شدة وقوة وحمية؛

(1) لما خص تعالى على التفقه في الدين، وحرض على رحلة طائفة من المؤمنين فيه، أمر تعالى المؤمنين كافة بقتال من يليهم من الكفار، فجمع من الجهاد جهاد الحجة وجهاد السيف، قيل: نزلت قبل الأمر بقتل الكفار كافة، فهي من التدريج الذي كان في أول الإسلام، وضعف هذا القول بأنّ هذه الآية من آخر ما نزل، وقالت فرقة: إنما كان رسول الله ﷺ ربما تجاوز قومًا من الكفار غازيًا لقوم آخرين أبعد منهم، فأمر الله بغزو الأدنى فالأدنى إلى المدينة، وقالت فرقة: الآية مبينة صورة القتال كافة، فهي مترتبة مع الأمر بقتال الكفار كافة، ومعناها: أنّ الله تعالى أمر فيها المؤمنين أن يقاتل كل فريق منهم الجيش الذي يضايقه من الكفرة، وهذا هو القتال لكملة الله ورد البأس إلى الإسلام، وأما إذا مال العدو إلى صقع من أصقاع المسلمين ففرض على من اتصل به من المؤمنين كفاية عدوّ ذلك الصقع وإن بعدت الدار ونأت البلاد، وقال: قاتلوا هذه المقالة نزلت الآية مشيرة إلى قتال الروم بالشام؛ لأنهم كانوا يومئذ العدوّ الذي يلي ويقرب، إذ كانت العرب قد عمها الإسلام، وكانت العراق بعيدة، ثم لما اتسع نطاق الإسلام توجه الفرض في قتال الفرس والديلم وغيرهما من الأمم، وسأل ابن عمر رجل عن قتال الديلم فقال: عليك بالروم، وقال علي بن الحسين والحسن: هم الروم والديلم، يعني في زمنه، وقال ابن زيد: المراد =

أي: أغلظوا عليهم ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ الله مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر.

﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾ [التوبة: 124] من القرآن ﴿فَمِنْهُمْ﴾ الضمير للمنافقين ﴿مَنْ يَقُولُ﴾ لأصحابه استهزاء ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ﴾ أي: السورة ﴿إِيمَانًا﴾ تصديقًا، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ لتصديقهم بها ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون بنزولها لما فيها من زيادة الفائدة.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [التوبة: 125] نفاق وضعف اعتقاد ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ كفرًا إلى كفرهم؛ لكفرهم بها ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٦ - ١٢٩].

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ [التوبة: 126] بالتاء من فوق في أوله لحمزة ويعقوب، وبالياء من

=

بهذه الآية وقت نزولها العرب، فلما فرغ منهم نزلت في الروم وغيرهم: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ إلى آخرها، وقيل: هم قريظة والنضير وفدك وخيبر، وقال قوم: تحرجوا أن يقاتلوا أقرباءهم وجيرانهم، فأمروا بقتالهم، ويلونكم: ظاهره القرب في المكان، وقيل: هو عام في القرب في المكان، والنسب والبداءة بقتال من يلي؛ لأنه متعذر قتال كلهم دفعة واحدة، وقد أمرنا بقتال كلهم، فوجب الترجيح بالقرب كما في سائر المهمات كالدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ولأن النفقات فيه، والحاجة إلى الدواب والأدوات أقل، ولأن قتال الأبعد تعريض لتدارك المسلمين إلى الفتنة، ولأن الدين يكون إن كانوا ضعفاء كان الاستيلاء عليهم أسهل، وحصول غير الإسلام أيسر، وإن كانوا أقوياء كان تعرضهم لدار الإسلام أشد، ولأن المعرفة بمن يلي آكد منها بمن بعد للوقوف على كيفية أحوالهم وعَددهم وعُددهم، فترجحت البداءة بقتال من يلي على قتال من بعد.

تحت لمن بقي ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ يبتلون ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ بالأمراض والشدائد ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ ولا يرجعون عن نفاقهم ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون بما رأوا من شدة وغيرها.

﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾ [التوبة: 127] فيها ذكركم وقرأها النبي ﷺ ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ يريدون الهرب يقولون: ﴿هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ إذا قمتم، فإن لم يرهم أحد قاموا وإلا ثبتوا ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا﴾ على كفرهم ﴿صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾ على الإيمان؛ أي: أضلَّهم ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ لا يفهمون دين الله؛ لعدم تدبرهم.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: 128] أي: من العرب؛ إذ ليس منهم قبيلة إلا وله ﷺ فيها نسب ﴿عَزِيزٌ﴾ شديد ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: ما أعنتكم؛ أي: ضرَّكم ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: على إيمانكم ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾ شديد الرحمة ﴿رَحِيمٌ﴾ يريد لهم الخير، **وقيل**: الرأفة للطائع، والرحمة للعاصي.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ [التوبة: 129] أعرضوا عن الإيمان بك ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ﴾ كافي ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت لا بغيره ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ والعرش الكرسي، خص بالذكر؛ لأنه أعظم المخلوقات، وهذه آخر آية نزلت كما قيل.

سورة يونس

مكية إلا قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ [يونس: 94] الآيتين أو الثلاث، أو ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ﴾ [يونس: 40] وهي: مائة وتسع آيات أو عشرة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [يونس: ١ - ٥].

﴿الر﴾[1] [يونس: 1] أنا الله الذي أرى ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿آيَاتُ

(1) هذه السورة مكية إلا ثلاث آيات، فإنها نزلت بالمدينة، وهي ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ إلى آخرهن، قاله ابن عباس، وقال الكلبي: إلا قوله ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به فإنها نزلت في اليهود بالمدينة، وقال قوم: نزل من أولها نحو من أربعين آية بمكة، ونزل باقيها بالمدينة، وقال الحسن وعطاء وجابر: هي مكية وسبب نزولها: أنّ أهل مكة قالوا: لم يجد الله رسولاً إلا يتيم أبي طالب فنزلت، وقال ابن جريج: عجبت قريش أن يبعث رجل منهم فنزلت، وقيل: لما حدثهم عن البعث والمعاد والنشور تعجبوا، ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما أنزل ﴿وَإِذَا مَا =

الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْحَكِيمِ﴾ المحكم ببيان الأحكام.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾ [يونس: 2] أي: أهل مكة، استفهام إنكار وتعجيب، والعجب: من الإنسان استعظام بسبب رؤية شيء خفي سببه علمه ﴿عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ أي: إيحاؤنا ﴿إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ هو محمد ﷺ ﴿أَنْ أَنْذِرِ﴾ خوف ﴿النَّاسَ﴾ الكافرين بالعذاب ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ﴾ أي: بأن ﴿لَهُمْ قَدَمَ﴾ سلف ﴿صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ وهل هو محمد ﷺ أو الجزاء الحسن، أو ما أسلفوا من أعمالهم، أو السعادة في الأزل، أو شفاعة محمد ﷺ، أو مقام صدق لا زوال له، أو منزلة رفيعة؟ أقوال: **أقربها**: الأخير ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا﴾ أي: محمد ﷺ ﴿لَسَاحِرٌ﴾ بالألف بعد السين ومن حذفها قال المشار إليه القرآن ﴿مُبِينٌ﴾ بيّن ونزلت؛ لأن الكفار تعجبوا من إرسال البشر.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [يونس: 3] من أيام الدنيا؛ أي: في قدرها؛ لأنه لم يكن ثَمّ شمس، ولو شاء لخلقهن في لمحة والعدول عنه؛ لتعليم خلقه الثبت ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواء يليق به ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ بين الخلائق يقضيه وحده ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ﴾ يشفع لأحد ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ لذلك الشفيع، فهو رد على من زعم خلافه، كالنضر بن الحارث إذ قال: إن العُزى تشفع له، ولقول غيره: إن الأصنام تشفع لهم ﴿ذَلِكُمُ﴾ أي: الذي فعل هذه الأشياء ﴿اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾

=

أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ وذكر تكذيب المنافقين ثم قال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ وهو محمد ﷺ أتبع ذلك بذكر الكتاب الذي أنزل، والنبي الذي أرسل، وأن ديدن الضالين وأحد متابعيهم ومشركيهم في التكذيب بالكتب الإلهية وبمن جاء بها، ولما كان ذكر القرآن مقدّمًا على ذكر الرسول في آخر السورة، جاء في أول هذه السورة كذلك فتقدم ذكر الكتاب على ذكر الرسول، وتقدم ما قاله المفسرون في أوائل هذه السورة المفتتحة بحروف المعجم، وذكروا هنا أقوالاً عن المفسرين منها: أنا الله أرى، ومنها أنا الله الرحمن، ومنها أنه يتركب منها ومن حم ومن نون الرحمن، فالراء بعض حروف الرحمن مفرقة، ومنها أنا الرب وغير ذلك، والظاهر أن تلك باقية على موضوعها من استعمالها البعد المشار إليه، فقال مجاهد وقتادة: أشار بتلك إلى الكتب المتقدمة من التوراة والإنجيل والزبور، فيكون الآيات القصص التي وصفت في تلك الكتب، وقال الزجاج: إشارة إلى آيات القرآن التي جرى ذكرها، وقيل: إشارة إلى الكتاب المحكم الذي هو محزون مكتوب عند الله، ومنه نسخ كل كتاب، وقيل: إشارة إلى الراء وأخواتها من حروف المعجم، أي: تلك الحروف المفتتح بها السور وإن قربت ألفاظها فمعانيها بعيدة المنال.

وجّدوه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون.

﴿إِلَيْهِ﴾ [يونس: 4] تعالى ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ في الآخرة ﴿جَمِيعًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا إِنَّهُ﴾ أي: الله، وهو بكسر الهمزة، وقرأ أبو جعفر بفتحها ﴿يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ أي: بدأه بالإنشاء ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بالبعث ﴿لِيَجْزِيَ﴾ ليثيب ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾ العدل ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ ماء حار اشتد حرّه ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ أي: بسبب كفرهم ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾ ذات ضياء؛ أي: نور بالنهار.

﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: 5] بالليل ﴿وَقَدَّرَهُ﴾ أي: القمر من حيث يسير ﴿مَنَازِلَ﴾ أي: ذا منازل، ثمانية وعشرون منزلاً في ثمانية وعشرين ليلة من كل شهر، ويستتر الليلتين إن كان الشهر ثلاثين يومًا وليلة إن كان تسعة وعشرين يومًا، وبمنازله يعرف انقضاء الشهور لا بالشمس، **وقيل:** هو من باب الاكتفاء بأحدهما عن الآخر كقوله: أحق أن ترشوه ﴿لِتَعْلَمُوا﴾ بذلك ﴿عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ أي: دخول السنين وانقضاؤها، وحساب الشهور والأيام والساعات ﴿مَا خَلَقَ اللهُ﴾ العظيم الخلق ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ فلم يخلقه باطلاً ولا عبثًا ﴿يُفَصِّلُ﴾ يبيّن بالياء من تحت في أوله لابن كثير وأبي عمرو وحفص ويعقوب، والباقون بالنون ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون.

﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ٦ - ١٠].

﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [يونس: 6] بالذهاب والمجيء والزيادة والنقصان ﴿وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وغير ذلك

﴿وَ﴾ في ﴿الْأَرْضِ﴾ من حيوان وجبال وبحار وأنهار وأشجار وغيرها ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ [يونس: 7] يخافون ﴿لِقَاءَنَا﴾ بالبعث ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بدل الآخرة؛ لإنكارهم لها ﴿وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ يسكنوا إليها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا﴾ دلائل وحدانيتنا ﴿غَافِلُونَ﴾ تاركون للنظر فيها.

﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: 8] الأعمال القبيحة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ﴾ [يونس: 9] يرشدهم ﴿رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ به؛ أي: بسببه بأن يجعل لهم نورًا يهتدون به يوم القيامة إلى الجنة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ﴾ أي: من بين أيديهم ﴿الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

﴿دَعْوَاهُمْ﴾ [يونس: 10] أي: دعاؤهم، **وقيل:** قولهم، **وقيل:** كلامهم ﴿فِيهَا﴾ أي: في الجنة أن يقولوا: ﴿سُبْحَانَكَ اللهمَّ﴾ أي: الله، **وقيل:** إنه إذا اشتهوا من الجنة شيئًا فطلبوه كان طلبهم له بأن يقولوا: ﴿سُبْحَانَكَ اللهمَّ﴾ فإذا الذي طلبوه بين أيديهم ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ﴾ فيما بينهم ﴿فِيهَا سَلَامٌ﴾ أي: يسلمون على بعضهم بعضًا، أو تسلم الملائكة عليهم من عند ربهم، أو من عند أنفسهم ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ونزل ما استعجل المشركون العذاب، أو لما قيل: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ﴾ كما مرَّ في الأنفال.

﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ

أَن أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [يونس: ١١ - ١٥].

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ﴾ [يونس: 11] في الدعاء على النفس والأهل والمال والولد ﴿اسْتِعْجَالَهُمْ﴾ أي: كاستعجالهم ﴿بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ﴾ بفتح القاف والضاد لابن عامر ويعقوب ﴿إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ﴾ بالنصب، والباقون بضم القاف وكسر الضاد، وأجلهم بالرفع؛ أي: لأهلك من دُعي عليه، أو لفرغ من هلاكهم ولكن عملهم ﴿فَنَذَرُ﴾ نترك ﴿الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ لا يخافون ﴿لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون متحيّرين.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ﴾ [يونس: 12] الكافر ﴿الضُّرُّ﴾ الجهد والفاقة ﴿دَعَانَا لِجَنْبِهِ﴾ أي: عليه إذا كان مضطجعًا ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ أي: في جميع حالاته ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ﴾ أي: دفعناه عنه ﴿مَرَّ﴾ أي: ذهب واستمر على طغيانه ﴿كَأَنْ﴾ كأنه ﴿لَمْ يَدْعُنَا إِلَى﴾ كشف ﴿ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ﴾ كما زيّن له الدعاء عند الضر، والإعراض عند الرجاء ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين للحد في الكفر والعصيان ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾ [يونس: 13] الأمم ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ بالشرك ﴿وَ﴾ قد ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلالات على صدقهم ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ﴾ كما أهلكناهم بكفرهم ﴿نَجْزِي﴾ نعاقب ﴿الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ الذين كذّبوا محمدًا ﷺ.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ﴾ [يونس: 14] يا أهل مكة ﴿خَلَائِفَ﴾ جمع: خليفة ﴿فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد القرون الهالكة ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فيها.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ [يونس: 15] القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لا يخافون البعث ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا﴾ ليس فيه عيب آلهتنا ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ من تلقاء نفسك بما مروا، أو يجعل الحرام حلالاً وعكسه، قائله: كفار مكة ومنهم: عبد الله بن أمية المخزومي، والوليد بن المغيرة، وغيرهم ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَا يَكُونُ﴾ ما ينبغي ﴿لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ من كل شيء ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القيامة.

﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ

فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى
ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾
وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ
شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ
سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً
فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ
فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [يونس: ١٦ - ٢٠].

﴿قُلْ﴾ [يونس: 16] لهم ﴿لَوْ شَاءَ الله مَا تَلَوْتُهُ﴾ أي: القرآن ﴿عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾ قرأ ابن كثير بخلاف عن البزي: ولأدريكم ولأقسم بيوم القيامة بحذف الألف بعد اللام؛ أي: ولو شاء لأعلمكم به من غير قرآني عليكم على لسان غيري، والباقون بإثباتها؛ أي: ولو شاء ما أعلمكم به ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ﴾ مكثت ﴿فِيكُمْ عُمُرًا﴾ وهو أربعون سنة ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: من قبل نزول القرآن ولم أكتم شيء ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ إنه ليس من قبلي؛ إذ لو كان كذلك لقلته قبل حينه، ثم بعد الأربعين أقام بمكة ثلاث عشرة سنة وهاجر، فأقام بالمدينة عشرًا بالإجماع، وتوفي ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [يونس: 17] بنسبة الشريك والولد؛ أي: لا أظلم منه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ وهي محمد ﷺ أو القرآن ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: لا ينجوا من أشرك من النار.

﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ [يونس: 18] أي: شركاء مكة ﴿مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ إن عصوه ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ إن أطاعوه وهي الأصنام ﴿وَيَقُولُونَ﴾ عنها ﴿هَؤُلَاءِ﴾ إشارة للأصنام ﴿شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ﴾ يا محمد ﷺ لهم ﴿أَتُنَبِّئُونَ﴾ تخبرون ﴿الله بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ فهو إنكار عليهم وتوبيخ لهم؛ أي: أتخبرونه بأنه له شريكًا، أو لكم عنده شفيعًا، أو هو لا يعلمه؛ إذ لو كان له شريك لعلمه؛ إذ لا يخفى عليه شيء، ثم نزَّه نفسه عن ذلك، فقال: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه بالياء

للخطاب هنا، وفي موضعين النحل والروم لحمزة والكسائي وخلف، والباقون بالياء للغيب في الأربعة.

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [يونس: 19] على دين الإسلام من لدن آدم لنوح، أو من زمن إبراهيم، وسبق في البقرة ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾ بالتفرق إلى مؤمن وكافر ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: الناس في الدنيا بنزول العذاب على الكفار ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من الدين.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ [يونس: 20] أي: كفار مكة ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﷺ ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ على الذي نريده منه، أو كإتيان الأنبياء قبله من الناقة والعصا واليد ﴿فَقُلْ﴾ يا محمد ﷺ لهم إذا قالوا ذلك ﴿إِنَّمَا الْغَيْبُ﴾ ما غاب عن العباد؛ أي: أمره ﴿لِلَّهِ﴾ ومنه الآيات، فلا يأتي بها إلا هو وأنا على التبليغ ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ العذاب إن لم تؤمنوا، أو انتظروا القضاء ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: ٢١ - ٢٤].

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ﴾ [يونس: 21] المراد بهم: كفار مكة ﴿رَحْمَةً﴾ راحة ورخاء

﴿مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ﴾ شدة وجذب ﴿مَسَّتْهُمْ﴾ نالتهم ﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ﴾ تكذيب واستهزاء، وقولهم: رزقنا بنو كذا ﴿فِي آيَاتِنَا قُلِ﴾ يا محمد ﷺ ﴿الله أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ أي: جزاء لكم على مكركم ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ هم الحفظة ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ بالتاء من فوق للكل، ويعقوب بالياء.

﴿هُوَ﴾ [يونس: 22] أي: الله ﴿الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ﴾ بياء ثم سين مهملة من التسيير للكل إلا أبا جعفر وابن عامر فقرأ «تنشركم» بتاء مفتوحة، ثم نون ساكنة، ثم شين معجمة من النشر وهو: البعث ﴿فِي الْبَرِّ﴾ على الدواب ﴿وَالْبَحْرِ﴾ في السفن ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾ أي: السفن تستعمل للواحد والجمع ﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ لينة ﴿وَفَرِحُوا بِهَا﴾ أي: بالريح الطيبة ﴿جَاءَتْهَا﴾ أي: الفلك ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ شديدة الهبوب ﴿وَجَاءَهُمُ﴾ أي: أهل السفينة ﴿الْمَوْجُ﴾ حركة الماء واختلاطه ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا﴾ أيقنوا ﴿أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أهلكوا بالغرق ﴿دَعَوُا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: الدعاء باعتبار أنهم لم يشركوا معه غيره ﴿لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ﴾ الشدة؛ أي: قالوا ذلك ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ بالإيمان.

﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ﴾ [يونس: 23] منها ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ﴾ يفسدون من بغي الجرح إذا فسد، والمراد: يتجاوزون الحدود بالشرك والعصيان ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: قل لهم ذلك ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ﴾ ظلمكم ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ إذ وباله راجع إليهم، ثم ابتدأ فقال: ﴿مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: هذا متاع، وقرأ حفص «متاع» بالنصب ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد الموت ﴿فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فنجازيكم عليه.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ﴾ [يونس: 24] صفة ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ﴾[1] مطر ﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ

---

(1) الدنيا: تأنيث الأدنى، ويرجع إلى الدنو، ويرجع إلى الدنو، بمعنى القرب، والألف فيه للتأنيث، ولا تحذف منها الألف واللام إلا في شعر، والدنيا تارة تستعمل صفة، وتارة تستعمل استعمال الأسماء، فإذا كانت صفة، فالياء مبدلة من واو، إذ هي مشتقة من الدنو، وذلك نحو: العليا، ولذلك جرت صفة على الحياة في قوله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ فأما القصوى والحلوى فشاذ، وإذا استعملت استعمال الأسماء، فكذلك، وقال أبو بكر بن السرّاج: في المقصور والممدود له الدنيا مؤنثة مقصورة، تكتب بالألف هذه لغة نجد وتميم خاصة، إلا أن أهل الحجاز وبني أسد يلحقونها ونظائرها بالمصادر ذوات الواو، فيقولون: دنوى، مثل: شروى، وكذلك يفعلون بكل فعلى موضع لامها واو، ويفتحون أولها ويقلبون الواو ياء؛ لأنهم =

﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ أي: بسبب المطر ﴿نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ المعنى: فأخرج ألوانًا من نباتها ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ﴾ من المأكول لكل منها كحبوب وحشيش ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ حسنها وبهجتها وتلون الزهر ﴿وَازَّيَّنَتْ﴾ بالزهور ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا﴾ أصحابها ﴿أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: متمكنون من قطعها وحصادها والانتفاع بها، والضمير راجع إلى الزينة أو الأرض؛ لأن النبات مفهوم منها ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾ هلاكنا ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي: زرعها ﴿حَصِيدًا﴾ محصودة مقطوعة كالمحصود بالمناجل ﴿كَأَنْ﴾ كأنها ﴿لَمْ تَغْنَ﴾ تنعم وتُعمَّر والمغاني من المنازل التي لم يعمرها الناس ﴿بِالْأَمْسِ﴾ أي: بالزمن السابق ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل هذا البيان ﴿نُفَصِّلُ﴾ نُبيّن ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في الأمثال، فيعلمون ما فيها من الحكم والمواعظ.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٥) ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٦) وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٧) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨) فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ (٢٩) هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ (٣٠)﴾ [يونس: ٢٥ - ٣٠].

﴿وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: 25] وهي الجنة بالدعاء إلى الإيمان سُمّيت به: للسلامة من الآفات فيها ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو الإسلام، فالدعوة عامة، والهداية خاصة؛ لاستغنائه عن الخلق.

=

يستثقلون الضمة والواو.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ [يونس: 26] بالإيمان ﴿الْحُسْنَى﴾ وهي الجنة ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ وهي النظر إلى وجه الله تعالى في الجنة ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾ يغشى ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ غبار، والمراد: سواد الوجه ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ هوان وكآبة ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا﴾ [يونس: 27] عملوا ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ الشرك ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ أي: لهم ذلك بلا زيادة ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ مانع من العذاب ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ﴾ ألبست ﴿وُجُوهُهُمْ قِطْعًا﴾ ساكنة الطاء لابن كثير ويعقوب والكسائي؛ أي: جزاء، والباقون بالفتح، جمع: قطعة ﴿مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَ﴾ [يونس: 28] اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ أي: الخلق ﴿جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾ أي: ألزموا مكانكم ﴿أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾ أي: الأصنام ﴿فَزَيَّلْنَا﴾ ميَّزنا ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وبين المؤمنين كما في آية ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: 59] أو بينهم وبين شركائهم ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾.

﴿فَكَفَى بِاللهِ﴾ [يونس: 29] أي: حيث قلتم هذا فكفى بالله ﴿شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ لأنَّا لا نغفل ولا نسمع ولا نبصر.

﴿هُنَالِكَ﴾ [يونس: 30] أي: ذلك اليوم ﴿تَبْلُو﴾ بتائين لحمزة والكسائي ويعقوب؛ أي: تقرأ وتتبع، والباقون بتاء فوقية، ثم باء موحدة؛ أي: تختبر وتعلم ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾ ما عملت أو ما عبدت ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ عليه من الكذب؛ أي: زال عنهم ذلك وهو دعواهم الشريك ونحوه.

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن
يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ
أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ
تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾
قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ

تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ
إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ
﴿٣٦﴾ ﴾ [يونس: ٣١ - ٣٦].

﴿قُلْ﴾ [يونس: 31] لهم: ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ بالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ﴾ يعني: الأسماع؛ أي: خلقها ﴿وَالْأَبْصَارَ﴾ فإن شاء أوجدهما وإن شاء أعدمهما ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ وهو الآدمي ﴿مِنَ الْمَيِّتِ﴾ وهو النطفة ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ عكس السابق ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ أي: يقضيه ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ هو ﴿الله فَقُلْ﴾ لهم يا محمد ﷺ: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ فتؤمنون، أو أفلا تتقون الشرك وتخافون العقاب عليه.

﴿فَذَلِكُمْ﴾ [يونس: 32] الفعَّال لهذه المذكورات ﴿الله رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ الثابت الذي لا مرية فيه؛ لوضوح الدلالة ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ أي: ليس بعده غيره فمن أخطأ الحق وهو عبادة الله وحده وقع في الضلال ﴿فَأَنَّى﴾ كيف ﴿تُصْرَفُونَ﴾ عن عبادته مع إقراركم بما سبق.

﴿كَذَلِكَ﴾ [يونس: 33] كما صرف هؤلاء عن الإيمان ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ وجبت نقمته واستقر حكمه ﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ أشركوا وهي ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ أو هي ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قُلْ﴾ [يونس: 34] لهم يا محمد ﷺ: ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: ينشئه من غير أصل سبق، ثم يعيده بعد الموت، وذكر الإعادة؛ لأنها صارت كالواضح الذي لا مرية فيه فلا عبرة بإنكارهم، ثم أمره بالجواب بقوله: ﴿قُلِ الله يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ تُصرفون عن الحق وهو الإيمان مع قيام الدليل.

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ [يونس: 35] أوثانكم ﴿مَنْ يَهْدِي﴾ يرشد ﴿إِلَى الْحَقِّ﴾ بنصب الدليل وخلق الاهتداء ﴿قُلِ الله يَهْدِي﴾ من يشاء هدايته ﴿لِلْحَقِّ﴾ أي: إليه ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ وهو الله ﴿أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهِدِّي﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر وورش وأبو عمرو في أحد الوجهين بفتح الياء والهاء وتشديد الدال، وأبو جعفر

بخلاف عنه عن ابن جماز وقالون في أحد وجهيه كذلك مع إسكان الهاء، وحمزة والكسائي وخلف بفتح الياء وإسكان الهاء وتخفيف الدال، وحفص ويعقوب بفتح الياء وكسر الهاء، وأبو بكر كذلك مع كسر الباء، وقرأ أبو عمرو وقالون وابن جماز في وجههم الثاني باختلاس الفتحة ﴿إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ هو كناية عن الأصنام؛ أي: الله الهادي لكل شيء أحق أن يعبد أم الصنم الذي لا يهتدي أن ينقل من مكان إلى آخر إلا أن يهدى أن ينقله؟ وهو استفهام تقرير وتوبيخ؛ أي: الأول أحق ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ تقضون هذا القضاء الفاسد من اتباع ما لا يحق اتباعه بالزعم الفاسد.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ [يونس: 36] في قولهم: الأصنام آلهة تشفع ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ حيث قلدوا آباءهم في ذلك من غير برهان ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي﴾ لا يفيد أو لا يدفع ﴿مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ أي: لا يدفع من عذابه شيئًا أو لا يقوم مقام العلم فيما المطلوب منه العلم ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فيجازيهم عليه.

﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [يونس: ٣٧ - ٤٢].

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ﴾ [يونس: 37] أي: ما ينبغي لمثله ﴿أَنْ يُفْتَرَى﴾ يختلق كذبًا؛ أي: ما كان افتراء ﴿مِنْ دُونِ﴾ غير ﴿اللهِ وَلَكِنْ﴾ أنزل ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب كالتوراة والإنجيل وما يأتي بعده من أشراط الساعة ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ أي: بيان ما فيه من حلال وحرام ونحوهما ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿أَمْ﴾ [يونس: 38] بل ﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ اختلقه محمد إنكار واستبعاد لقولهم،

والضمير راجع للقرآن ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ أي: تشبه القرآن في البلاغة والفصاحة على وجه الافتراء فإنكم عربيون فصحاء مثلي ﴿وَادْعُوا﴾ للإعانة عليه ﴿مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن محمد ﷺ افتراه فلم تقدروا على ذلك.

قال تعالى ردًا عليهم: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يونس: 39] أي: القرآن إذ لو تأملوا أنه لا مثل له في الكلام ﴿وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ أي: عاقبة ما فيه من الوعيد ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما كذَّبوا بالقرآن ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: كفار الأمم أنبياؤهم ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ بالتكذيب فكذلك يهلك هؤلاء.

﴿وَمِنْهُمْ﴾ [يونس: 40] أي: قومك أهل مكة ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ في المستقبل بعلم الله ذلك منه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ لتعلق العلم بعدم إيمانه ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ وهم الذين لا يؤمنون، وهذا تهديد لهم.

﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ﴾ [يونس: 41] لهم ﴿لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ فكل جزاء عمله مقصور عليه ﴿أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ﴾ من الحق ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الباطل، وهي منسوخة بالأمر بالجهاد.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [يونس: 42] إذا قرأت القرآن بالاستماع الظاهر ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ شبَّههم بهم في عدم الانتفاع بالمتلو عليهم ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ مع الصمم ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون، ومعناه إنكار ذلك.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يونس: ٤٣ - ٤٩].

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ [يونس: 43] بالبصر الظاهر ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ أراد: عمى القلب ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ أي: مع عدم إبصارهم شبّههم بهم في عدم الاهتداء.

﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ [يونس: 44] إذ فِعله فضل أو عدل ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر والتكذيب.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ﴾ [يونس: 45] أي: كأنهم ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ في الدنيا أو القبور ﴿إِلَّا سَاعَةً﴾ أي: قدرها ﴿مِنَ النَّهَارِ﴾ لهول ما رأوا ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ فيعرف بعضهم بعضًا إذا بعثوا من القبور كما كانوا في الدنيا، وتنقطع المعرفة إذا عاينوا أهوال يوم القيامة ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ﴾ أي: بالبعث ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ [يونس: 46] يا محمد ﷺ ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ به من العذاب في حياتك؛ أي: فذاك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل ذلك ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ في الدار الآخرة ﴿ثُمَّ اللهُ شَهِيدٌ﴾ مطّلع ﴿عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ من تكذيبهم وكفرهم فيجازيهم به، و﴿ثُمَّ﴾ لترتيب الأخبار أو بمعنى «الواو»، ورأى ﷺ من عذابهم ما وقع في بدر.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ [يونس: 47] من الأمم السابقة ﴿رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ إليهم فكذّبوه ﴿قُضِيَ﴾ حكم ﴿بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل، فأهلكوا ونجا الرسول ومن صدّقه ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بتعذيبهم بغير جرم، فلا يُزاد عليهم شيء فكذلك يفعل بهؤلاء، وقيل: المراد إذا جاء في الآخرة قضى بينه وبينهم.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ [يونس: 48] أي: الكفار ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ الذي يعدّه محمد ﷺ من العذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه.

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [يونس: 49] أي: لا أقدر لها دفع الأول ولا على جلب الثاني ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَا شَاءَ اللهُ﴾ فكيف أملك لكم حلول العذاب ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة معلومة لانقراضهم ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ أي: وقت زوالهم ﴿فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ يتأخرون عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1] يتقدمون عليه قبل مجيئه.

---

(1) هذا وعيد لأهل مكّة بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله كما نزل بالأمم أي أجل مؤتت لمجيء العذاب إذا خالفوا أمر ربهم فأنتم أيتها الأمّة كذلك، وقيل: الأجل هنا أجل الدّنيا التقدير: للأمم كلّها أجل أي يقدّمون فيه على ما قدموا من عمل، وقيل: الأجل مدّة العمر =

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ
﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ
لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞
وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ
لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ
وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [يونس: ٥٠ - ٥٥].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ [يونس: 50] أخبروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ﴾ أي: الله ﴿بَيَاتًا﴾ ليلاً ﴿أَوْ نَهَارًا مَاذَا﴾ أي شيء ﴿يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾ أي: العذاب ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون والمراد: التهويل؛ أي: ما أعظم ما استعجلوه.

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ [يونس: 51] حل بكم ﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾ أي: بالله أو العذاب وقت اليأس، والهمزة لإنكار التأخير؛ إذ لا يقبل منهم، ويقال لهم ﴿آلْآنَ﴾ تؤمنون، قرأ ورش عن نافع «**الآن**» بحذف الهمزة التي بعد اللام، والفاء حركتها على اللام ومد الهمزة

=

والتقدير ولكل واحد من الأمة عمر ينتهي إليه بقاؤه في الدّنيا وإذا مات علم ما كان عليه من حقّ أو باطل. وقال ابن عطية: أي فرقة وجماعة وهي لفظة تستعمل في الكثير من الناس، وقال غيره: والأمة الجماعة قلّوا أو كثروا وقد يطلق على الواحد كقوله في قس بن ساعدة «يبعث يوم القيامة أمّة وحده» وأفرد الأجل لأنه اسم جنس أو لتقارب أعمال أهل كل عصر أو لكون التقدير لكل واحد من أمة، وقرأ الحسن وابن سيرين فإذا جاء آجالهم بالجمع وقال ساعة لأنها أقلّ الأوقات في استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد في أقصر وقت وأقربه قاله الزمخشري، وقال ابن عطية لفظ عنى به الجزء القليل من الزمان والمراد جمع أجزائه، والمضارع المنفي بلا إذا وقع في الظاهر جوابًا لـ«إذا» يجوز أن يتلقى بفاء الجزاء ويجوز أن لا يتلقى بها وينبغي أن يعتقد أنّ بين الفاء والفعل مبتدأ محذوفًا وتكون الجملة إذ ذاك اسمية والجملة الاسمية إذا وقعت جوابًا لـ«إذا» فلا بد فيها من الفاء أو إذا الفجائية، قال بعضهم: ودخلت الفاء على إذا حيث وقع إلا في يونس؛ لأنها عطفت جملة على جملة بينهما اتصال وتعقيب فكان الموضع موضع الفاء وما في يونس يأتي في موضعه إن شاء الله.

الأولى على وزن عالان، وقرأ الباقون «آلآن» همز ممدود في الآن وإثبات بعد الألف وكذلك قالون وإسماعيل عن نافع ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ وقيل لهم ذلك توبيخًا.

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [يونس: 52] أشركوا ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ أي: الذي تخلَّدون فيه في النار ﴿هَلْ﴾ ما ﴿تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: في الدنيا.

﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾ [يونس: 53] أي: يستخبرونك خطاب للنبي ﷺ ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ أي: ما وعدتنا به من البعث والعذاب ﴿قُلْ إِي﴾ حرف بمعنى نعم ﴿وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ هو المقسم عليه ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: فائتين من العذاب.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ [يونس: 54] أشركت ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ الذي فيها من الأموال ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ من عذاب النار؛ أي: بذلته لتنجوا ﴿وَأَسَرُّوا﴾ أخفوا ﴿النَّدَامَةَ﴾ على الكفر ﴿لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ بهتة ودهشة أو أخفاها الرؤساء خشية من تعيير الأتباع ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الخلائق ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئًا.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: 55] بالبعث والجزاء ﴿حَقٌّ﴾ ثابت ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿ هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس: ٥٦ - ٦١].

﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يونس: 56] في الآخرة.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ [يونس: 57] أي: أهل مكة ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وهي القرآن ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: دوائها من داء الجهل بالذي في القلب ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ به.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ﴾ [يونس: 58] القرآن والإسلام ﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾ هي الجنة ﴿فَبِذَلِكَ﴾ المذكور ﴿فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الأموال والرئاسات الدنيوية قرأ رويس «**فلتفرحوا**» بالخطاب والباقون بالغيب، وقرأ أبو جعفر وابن عامر ورويس «**تجمعون**» بالخطاب والباقون بالغيب.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ [يونس: 59] أخبروني ﴿مَا أَنْزَلَ﴾ خلق ﴿اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا﴾ كالبحيرة ﴿وَحَلَالًا﴾ كما أحلوا من نسلها للذكور دون غيرهم ﴿قُلْ اللهُ﴾ استفهام معناه إنكار للإذن ﴿أَذِنَ لَكُمْ﴾ في ذلك التحليل والتحريم ﴿أَمْ﴾ بل ﴿عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ﴾ تكذبون بنسبة ما زعمتم إليه.

﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ [يونس: 60] أي: أي شيء ظنّوا به ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: أيظنون أنه يدخلهم الجنة ويعقابهم من النار ﴿إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ بإمهالهم والإنعام عليهم، وناسب هذا التهديد قبله؛ لأن معناه أن الله لذو فضل على الناس حيث أنعم عليهم بالفضل وإرسال الرسل وتأخير العذاب وفتح باب التوبة فكيف يفترون على الله الكذب مع تظافر نعمه عليهم؟ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ لا يطيعون ولا يعرفون أنه من الله.

﴿وَمَا تَكُونُ﴾ [يونس: 61] يا محمد ﴿فِي شَأْنٍ﴾ عمل أو أمر ﴿وَمَا تَتْلُو مِنْهُ﴾ أي: من الله أو من الشأن ﴿مِنْ قُرْآنٍ﴾ أنزله عليك ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾ خطاب له مع الأمة ﴿مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ رقباء ﴿إِذْ تُفِيضُونَ﴾ [يونس: 62] تدخلون وتخوضون ﴿فِيهِ﴾ أي: في العمل ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ يغيب، وهو بكسر الزاي هنا وفي «سبأ» للكسائي والباقون بالضم ﴿عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ أصغر نملة ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ أي: من مثقال الذرة ﴿وَلَا أَكْبَرَ﴾ برفع الراء فيهما ليعقوب وخلف وحمزة والباقون بالنصب ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ بيّن هو اللوح المحفوظ.

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى
ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ
قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى
جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٧].

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ الله لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في الدنيا ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة، وبيّنهم لقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا﴾ [يونس: 63] للدوام والاستمرار ﴿يَتَّقُونَ﴾ الله.

﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [يونس: 64] بنزول الملائكة عند الموت مبشرين بالرضا أو الرؤية الصالحة في النوم يراها الرجل أو تُرى له والكل واقع ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ برضوان الله ﴿لَا تَبْدِيلَ﴾ لا تغيير﴿لِكَلِمَاتِ الله ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿وَلَا يَحْزُنْكَ﴾ [يونس: 65] يا محمد ﷺ ﴿قَوْلُهُمْ﴾ أي: قول المشركين لست مرسلاً وغيره، وهنا انتهاء الكلام، ثم ابتداء ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ﴾ أي: دفع الناس أو القوة ﴿لِله جَمِيعًا﴾ حق عليهم ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوال العباد ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأفعالهم فيعز من أطاعه ويذل من عصاه.

﴿أَلَا إِنَّ لِله مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [يونس: 66] من الملائكة وغيرهم ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ عبيدًا وملكًا وخلقًا ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِنْ دُونِ الله﴾ العظيم أصنامًا ﴿شُرَكَاءَ﴾ له على الحقيقة تعالى عند ذلك ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾ الكاذب؛ إذ ظنُّوهم آلهة شفعاء ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في ذلك.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ [يونس: 67] بالنوم أو عن الحركة

﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي: يبصر فيه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سمع تأمل؛ المعنى: ما سمعوه واتعاظ.

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [يونس: ٦٨ - ٧٣].

﴿قَالُوا﴾ [يونس: 68] أي: اليهود والنصارى، ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ تنزيه عن قول المشركين ذلك ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن كل أحد فكيف يتخذ الولد! وإنما يتخذه من يفتقر إلى المعاونة أو لأن يخلفه من بعده، والله منزه عن ذلك ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكًا له ﴿إِنْ﴾ ما ﴿عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ حجة وبرهان ﴿بِهَذَا﴾ الذي يقولونه ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ استفهام توبيخ.

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ [يونس: 69] بنسبة الولد إليه ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ لا يفوزون بالنجاة.

﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا﴾ [يونس: 70] أي: هو متاع ولهم متاع يتمتعون به إلى انقضاء آجالهم ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ بالموت ثم البعث ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ﴾ أي: ألمه ﴿الشَّدِيدَ﴾ بعد الموت ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ أي: بسببه.

﴿وَاتْلُ﴾ [يونس: 71] يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: على كفار مكة ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ﴾ وهم: أولاد قابيل ﴿إِنْ كَانَ كَبُرَ﴾ عظم وثقل ﴿ عَلَيْكُمْ مَقَامِي﴾ طول مكثي فيكم ﴿وَتَذْكِيرِي﴾ وعظي لكم ﴿بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾ بوصل الهمزة وفتح الميم لرويس من الجمع والضم، والباقون بقطعها مفتوحة وكسر الميم؛ أي: احكموا ﴿وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ بالرفع ليعقوب، والباقون بالنصب ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ مبهمًا بل أظهروه وجاهروني به ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ أي: امضوا إلى ما في نفوسكم وأفرغوا منه ﴿وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ تمهلون وتؤخرون، قاله ﷺ تعجيزًا لهم، وعلمًا بأنه ليس بيدهم شيء.

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ [يونس: 72] أعرضتم عن تذكيري وقبول نصحي ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ ثواب عليه حتى تعرضوا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ﴾ ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى اللهِ﴾ أي: عنده ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ [يونس: 73] أي: نوحًا ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ السفينة ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ أي: من معه ﴿خَلَائِفَ﴾ خلفًا مالكون للأرض بالسكن عن الهالكين ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ أي: آخر أمرهم من الهلاك بالتكذيب فكذلك نفعل بمن كذب.

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ [يونس: ٧٤ - ٧٩].

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ [يونس: 74] أي: نوح ﴿رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ إبراهيم وهود وصالح ﴿فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالدلالات الواضحات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل إرسال هؤلاء الرسل لقومهم ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ما طبع الله على قلوب هؤلاء ﴿نَطْبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ فلا يقبل الإيمان كما طبعنا عن قلوب أولئك.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ [يونس: 75] قومه وأشرافهم ﴿بِآيَاتِنَا﴾ التسع ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ مكثرين للذنوب.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ﴾ [يونس: 76] أي: جاء فرعون وقومه ﴿الْحَقُّ﴾ مع موسى ﴿مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ بين ظاهر.

﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ [يونس: 77] أنه لسحر ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾ إنكار لكونه سحر أم قد أفلح من أتى به وأبطل سحر السحرة ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾.

﴿قَالُوا﴾ [يونس: 78] أي: فرعون وقومه ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾ تصرفنا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ﴾ بالتاء من فوق للكل إلا في قراءة أبي بكر من بعض طرقه فبالياء من تحت ﴿لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ﴾ الملك ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ في مصر ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا﴾ لموسى وهارون ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾ مصدقين.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [يونس: 79] بالسحر.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟
قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ
﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا
ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى
ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن
كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا
لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا

فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [يونس: ٨٠ - ٨٨].

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾ [يونس: 80] بعد ما قالوا له: ﴿ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ [الأعراف: 115] ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ أي: الذي أنتم ملقون.

﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ [يونس: 81] حبالهم وعصيهم ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ﴾ بالرفع بلا مد على الخبر للكل إلا أبا عمرو وأبا جعفر فبالمد على الاستفهام ﴿إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ سيمحقه فكان كذلك ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ لا يقبله ولا يثيب عليه ويظهر بطلانه.

﴿وَيُحِقُّ﴾ [يونس: 82] يثبت ويظهر ﴿اللهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ بآياته ومواعيده ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى﴾ [يونس: 83] أي: به ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ﴾ طائفة ﴿مِنْ﴾ من أولاد ﴿قَوْمِهِ﴾ الهاء إما لموسى وأراد به أطفال بني إسرائيل الذين هلك آباؤهم، أو لفرعون والمراد أولاد قوم فرعون أو امرأته وخازنه وماشطته، سموا ذرية؛ لأن أبائهم كانوا من القبط وأمهاتهم من بني إسرائيل على هذا أو هما؟ قولان، ثانيهما لابن عباس ﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾ أي: ملأ قوم الذرية ﴿أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ يصرفهم عن دينهم بتعذيبه ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾ متكبر ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ بإدعاء الربوبية.

﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ [يونس: 84] لمؤمني قومه ﴿يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾.

﴿فَقَالُوا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: 85] أي: لا تظهرهم علينا فيظنوا أننا لسنا على الحق، وأنهم عليه فيزدادوا طغيانًا بنا أو لا تهلكنا بعذاب من عندك فيظنوا ذلك فيفتنوا.

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس: 86].

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ﴾ [يونس: 87] هارون ﴿أَنْ تَبَوَّآ﴾ اتخذا ﴿لِقَوْمِكُمَا

بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أي: اجعلوا القبلة فيها لتصلوا فيها خوفًا من فرعون؛ إذ كان منعهم من الصلاة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر والجنة.

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا﴾ [يونس: 88] أي: أتيتهم ذلك لتفتنهم ﴿عَنْ سَبِيلِكَ﴾ طريق دينك الحق ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ أهلكها وامسخها ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ اطبع عليها حتى لا يؤمنوا ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ جواب الدعاء ﴿حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ المؤلم، دعا عليهم وأمَّن هارون على دعائه.

﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا
وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ
إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ
﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ
ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ
لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [يونس: ٨٩ - ٩٤].

﴿قَالَ﴾ [يونس: 89] تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ فمسخت أموالهم حجارة ولم يؤمن فرعون حتى أدركه الغرق ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ على الرسالة وامضيا لأمري حتى يأتيهم العذاب ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِّ﴾ قرأ ابن عامر بتخفيف النون في بعض طرقه، وروي عنه بإسكان التاء الثانية وفتح الباء مع تشديد النون ﴿سَبِيلَ﴾ طريق ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في استعجال قضائي، روي أنه مكث بعدها أربعين سنة.

﴿وَجَاوَزْنَا﴾ [يونس: 90] عبرنا ﴿بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ فنجوا ﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾ لحقهم وأدركهم ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا﴾ ظلمًا ﴿وَعَدْوًا﴾ أي: لأجلهما، وكان انفلق لموسى فلما رآه فرعون وجنوده هابوا دخوله فتقدمهم جبريل على فرس فدخلوا، فلما تكاملوا

وخرج بنو إسرائيل منه انطلق على فرعون وقومه ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ﴾ أي: لحق فرعون ﴿الْغَرَقُ﴾ أي: غمره الماء وكاد يهلك، وهي الحالة التي تحصل للغريق من الشدة التي يقطع فيها بموته ﴿قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ﴾ بكسر إن لحمزة والكسائي، والباقون بفتحها ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فآمن حين لم ينفعه الإيمان وكرره تأكيدًا ليقبل منه فلم يقبل.

ورش جبريل في فمه من البحر مخافة أن تناله الرحمة، وقال له: ﴿آلْآنَ﴾ [يونس: 91] أي: أتؤمن في هذا الوقت الحاضر ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ أي: من قبل رؤية العذاب ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بضلالك وإضلالك، ولا شك أنه مات كافرًا إذ أدركته الدعوة.

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ [يونس: 92] نخرجك ﴿بِبَدَنِكَ﴾(1) بجسمك الذي لا روح فيه ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ﴾ بعدك أي: موسى وقومه ﴿آيَةً﴾ عبرة فيعرفوا عبوديتك ولا يفعلوا فعلك، قيل: إنما أخرج جسده لشك بعض بني إسرائيل في موته ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿عَنْ آيَاتِنَا﴾ مواعظنا ﴿لَغَافِلُونَ﴾ فلا يعتبرون بها.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ [يونس: 93] أنزلنا ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: بعد إهلاك فرعون ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ كرامة هي مصر على الأصح، وقيل: والشام، وقيل: الأردن وفلسطين، وقيل: الأرض المقدسة ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الحلال ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ أي: اليهود الذين كانوا في عصر محمد ﷺ ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ القرآن، والبيان بأنه رسول الله ﷺ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين بنجاة المؤمنين وتعذيب الكافرين.

﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ [يونس: 94] وهو: القرآن أو قصصه ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾ كعبد الله بن سلام وصحبه فإنه ثابت عندهم يخبروك بصدق ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾

---

(1) فاليوم ننجيك الظاهر أنه خبر، وقيل: هو استفهام فيه تهديد أي: أفاليوم ننجيك؟ فهلا كان الإيمان قبل الإشراف على الهلاك، وهذا بعيد لحذف همزة الاستفهام ولقوله: لتكون لمن خلفك لآية؛ لأنّ التعليل لا يناسب هنا الاستفهام، قال ابن عباس: ننجيك نلقيك بنجوة من الأرض وهي المكان المرتفع، وببدنك بدرعك، وكان من لؤلؤ منظوم لا مثال له، وقيل: من ذهب، وقيل: من حديد وفيها سلاسل من ذهب، والبدن بدن الإنسان، والبدن الدرع القصيرة.

الشاكين فيه، وهو خطاب لمن كان شاكًا في القرآن وفي نبيه محمد ﷺ، أو خطاب النبي ﷺ، أو المراد غيره من الشاكين؛ إذ رسول الله ﷺ لم يكن في شك قطعًا أو هو على سبيل الفرض وقد قال ﷺ: «**لا أشك ولا أسأل**»[1].

﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ
حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ
لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ
شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ
مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى
ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ
وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن
قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [يونس: ٩٥ - ١٠٢].

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [يونس: 95] خطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره.

﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ﴾ [يونس: 96] وجبت ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إذ تعلق العلم بعدم إيمانهم.

﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾ [يونس: 97] دلالة ﴿حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فلا ينفعهم حينئذ.

﴿فَلَوْلَا﴾ [يونس: 98] هلا ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ أريد أهلها ﴿آمَنَتْ﴾ قبل نزول العذاب ﴿فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا﴾ عند نزول العذاب ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿قَوْمَ يُونُسَ﴾ نينوى من أرض الموصل ﴿لَمَّا آمَنُوا﴾ عند رؤية أمارة العذاب ولم يصبروا لحلوله ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ

---

(1) رواه عبد الرازق في «مصنفه» (126/6).

﴿الْخِزْيِ﴾ الذل والهوان ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ لما بكوا وتضرعوا، وورد أن شيخًا من بقية علمائهم قال لهم: يا حي حين لا حي يا حي محيي الموتى يا حي لا إله إلا أنت، فقالوا: نكشف عنهم العذاب ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ انقضاء آجالهم.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾ [يونس: 99] يا محمد ﷺ لما لم يشأه الله منهم ﴿حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: ما يفعل ذلك وهذا تسلية له ﷺ؛ لأنه كان حريصًا على إيمان قومه.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [يونس: 100] بقضائه وإرادته ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ﴾ العذاب ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ لا يفهمون أمره ونهيه ولا يعلمون بهما، وقرأ أبو بكر: «**نجعل**» بالنون في أوله والباقون بالياء.

﴿قُلِ﴾ [يونس: 101] لكفار مكة ﴿انْظُرُوا مَاذَا﴾ أي: الذي ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى ﴿وَمَا تُغْنِي﴾ تفيد وتمنع ﴿الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ﴾ الرسل جمع نذير ﴿عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لعلم الله عدم إيمانهم أي: ما تنفعهم.

﴿فَهَلْ﴾ [يونس: 102] ما ﴿يَنْتَظِرُونَ﴾ أي: كفار مكة بتكذيبك ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا﴾ مضوا ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم؛ أي: مثل وقائع العذاب من الله تعالى فيهم كقوم نوح وغيرهم، والعرب تسمي العذاب والنعم أيامًا ﴿قُلْ فَانْتَظِرُوا﴾ ذلك ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ فكان في يوم بدر.

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا

﴿يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ١٠٩﴾ [يونس: ١٠٣ - ١٠٩].

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾ [يونس: 103] من العذاب ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ معهم ﴿كَذَلِكَ﴾ كما نجيناهم ﴿حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النبي وأصحابه حين نعذب الكفار، والمراد وجوب وقوع النجاة بصدق الوعد.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ﴾ [يونس: 104] خاطبهم به؛ لأنهم لما رأوا الآيات شكوا ﴿مِنْ دِينِي﴾ أي: الإسلام الذي أدعوكم إليه أنه حق ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ وهي الأصنام لشككم فيه ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ يميتكم بقبض أرواحكم ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَ﴾ [يونس: 105] قيل لي ﴿أَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ﴾ أخلص قصدك أو عملك أو استقم ﴿لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ المراد بمثل هذا الخطاب أمته كقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: 65] ونحوه.

﴿وَلَا تَدْعُ﴾ [يونس: 106] تعبد ﴿مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ﴾ إن عبدته ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ إن لم تعبده ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ﴾ ذلك فرضًا ﴿فَإِنَّكَ إِذًا﴾ أي: إذا فعلت ذلك ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ بوضع العبادة في غير موضعها؛ أي: ولست فاعلاً.

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ﴾ [يونس: 107] يصبك ﴿اللهُ بِضُرٍّ﴾ شدة ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ لا دافع ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ نعمة ﴿فَلَا رَادَّ﴾ لا دافع ﴿لِفَضْلِهِ﴾ الذي أرادك به ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ أي: بالخير ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ أو يصيب بما أراد منهما من يشاء، وهو الأحسن ﴿مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ﴾ [يونس: 108] وهو الإسلام والقرآن ﴿مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ إذ نفع ذلك راجع إليه ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ إذ وباله راجع إليه ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ بحافظ لأعمالكم أو مجبر لكم على الهدى.

﴿وَاتَّبِعْ﴾ [يونس: 109] يا محمد ﷺ ﴿مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ﴾ على الدعوة وأذى الكفار، ونسخت بآية القتال ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ﴾ وقد صبر حتى حكم بقتل من قاتل، ومن لم يقاتل وأخذ الجزية ممن لم يقاتل إن كان كتابيًا أوله شبهة كتاب وبذلها لنا ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعدلهم.

سورة هود

مكية إلا قوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ [هود: 114] أو﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ﴾ [هود: 12] و﴿أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ...﴾ [هود: 17] مائة آية وإحدى أو اثنان أو ثلاثة وعشرين آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا
ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا
حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ
لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ
بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا
وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى
سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ
وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ
إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ [هود: ١ - ٧].

﴿الر كِتَابٌ﴾ [هود: 1] أي: هذا كتاب ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ بعجيب النظم وبديع المعاني، واستمرت فلم تنسخ تلاوتها كما نسخت الكتب، وبين فيها الأمر والنهي ونحوهما وليس فيها تناقض ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾[1] بينت بالأحكام والقصص وغيرها أو

---

(1) صارت محكمة متقنة، لا نقص فيها ولا نقض لها كالبناء المحكم، وقيل معناه: إنها لم تنسخ بخلاف التوراة والإنجيل، وعلى هذا فيكون هذا الوصف للكتاب باعتبار الغالب، وهو المحكم =

نزلت شيئًا فشيئًا أو بذكر الثواب والعقاب ﴿مِنْ لَدُنْ﴾ من عند ﴿حَكِيمٍ﴾ فيما أنزل ﴿خَبِيرٍ﴾ أي: الله، أن بأن ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ﴾ [هود: 2] لمن عصى ﴿وَبَشِيرٌ﴾ لمن أطاع.

﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ [هود: 3] من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوا﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة «ثُـمَّ» أمَّا بمعنى الواو وتوبوا أو على بابها، والاستغفار لما مضى من الشرك وغيره والتوبة لما يأتي ﴿يُمَتِّعْكُمْ﴾ في الدنيا ﴿مَتَاعًا حَسَنًا﴾ يحييكم حياة في خفض ودعة بأمن ورضا بما يسر وصبر على غيره هذه أخلاق المؤمنين ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو: الموت ﴿وَيُؤْتِ﴾ يعط في الآخرة ﴿كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ ثوابه ويزيد درجاته في الجنة ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا ﴿فَإِنِّي﴾ أي: فقل إني ﴿أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ أي: يوم القيامة.

=

الذي لم ينسخ؛ وقيل معناه: أحكمت آياته بالأمر والنهي، ثم فصلت بالوعد والوعيد، والثواب والعقاب، وقيل: أحكمها الله من الباطل، ثم فصلها بالحلال والحرام، وقيل: أحكمت جملته، ثم فصلت آياته، وقيل: جمعت في اللوح المحفوظ، ثم فصلت بالوحي، وقيل: أيّدت بالحجج القاطعة الدالة على كونها من عند الله؛ وقيل معنى إحكامها: أن لا فساد فيها، أخذًا من قولهم أحكمت الدابة: إذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح، و﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ معطوف على ﴿أحكمت﴾ ومعناه ما تقدّم، والتراخي المستفاد من «ثم» إما زماني إن فسر التفصيل بالتنجيم على حسب المصالح، وإما رتبيّ إن فسر بغيره مما تقدّم، والجمل في محل رفع على أنها صفة لكتاب، أو خبر آخر للمبتدأ أو خبر لمبتدأ محذوف، وفي قوله: ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ أربعة أقوال: **أحدها:** أُحكمت فما تُنسخُ بكتاب كما نُسخت الكتب والشرائع، قاله ابن عباس، واختاره ابن قتيبة، **والثاني:** أُحكمت بالأمر والنهي، قاله الحسن، وأبو العالية، **والثالث:** أحكمت عن الباطل، أي: مُنعت، قاله قتادة، ومقاتل، **والرابع:** أُحكمت بمعنى جُمعت، قاله ابن زيد، فإن قيل: كيف عمَّ الآيات هاهنا بالإحكام، وخص بعضها في قوله: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾؟ فعنه جوابان، **أحدهما:** أن الإحكام الذي عمَّ به هاهنا، غير الذي خَصَّ به هناك، وفي معنى الإحكام العامّ خمسة أقوال، قد أسلفنا منها أربعة في قوله: ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ والخامس: أنه إعجاز النظم والبلاغة وتضمين الحِكَم المعجزة، ومعنى الإحكام الخاص: زوال اللَّبس، واستواء السامعين في معرفة معنى الآية، **والجواب الثاني:** أن الإحكام في الموضعين بمعنى واحد. والمراد بقوله: ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾: أُحكم بعضها بالبيان الواضح ومنع الالتباس، فأوقعَ العمومُ على معنى الخصوص، كما تقول العرب: قد أكلتُ طعام زيد، يعنون: بعضَ طعامه، ويقولون: قُتلنا وربِّ الكعبة، يعنون: قُتل بعضنا، ذكر ذلك ابن الأنباري.

﴿إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ [هود: 4] في الآخرة ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من الثواب والعذاب.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ﴾ [هود: 5] أي: بعض الكفار ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ أي: يعرضون بقلوبهم، ونزلت؛ لأن بعض المنافقين كان يغشى رأسه ويتغطى بثوبه، ويقول: هل يعلم الله ما في قلبي؟ أو نزلت فيمن كان يستحي أن يتخلّى أو يجامع فيفضي إلى السماء ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ أي: من الله ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ أي: يغطون أنفسهم بها ﴿يَعْلَمُ﴾ تعالى ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فلا يغني استخفاؤهم ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما في القلوب.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: 6] «على» بمعنى من أو عند أو تكفل به فضلاً منه ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ هل هو المكان الذي تأوي فيه؟ أو أرحام الأمهات؟ أو أصلاب الآباء؟ أو الجنة أو النار؟ أقوال، والكل يعلمه الله فالآية شاملة للكل ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ وهل هو المحل الذي تدفن فيه؟ أو أصلاب الآباء؟ أو القبر؟ أقوال كالأول ﴿كُلٌّ﴾ من ذلك المذكور ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ بين؛ أي: مثبت في اللوح المحفوظ.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [هود: 7] أولها الأحد، وآخرها الجمعة ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ﴾ قبل خلقها ﴿عَلَى الْمَاءِ﴾ وكان الماء على متن الريح ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي: خلقهما وما فيهما منافع لكم ومصالح ليختبركم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: أطوع لله ﴿وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ القرآن الناطق بالبعث أو الذي تقوله ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ بين؛ أي: القرآن أو النبي ﷺ عند من قرأ «ساحر».

﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا
يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ
أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ
أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ
﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود: ٨ - ١٣].

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى﴾ [هود: 8] مجيء ﴿أُمَّةٍ﴾ أوقات ﴿مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ يمنعه من النزول قالوه استهزاء واستعجالاً له فقال الله: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ أي: العذاب ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا﴾ مدفوعًا ﴿عَنْهُمْ وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ من العذاب.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ [هود: 9] الكافر ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ رخاء وسعة ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ﴾ وأبدلناه شدة وضيقًا ﴿إِنَّهُ لَيَئُوسٌ﴾ في الشدة من رحمة الله ﴿كَفُورٌ﴾ في النعمة لشدة كفره بالله أولها؛ لأنه لم يعمل بالطاعة فيها.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ﴾ [هود: 10] أي: محن ﴿مَسَّتْهُ﴾ أصابته ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ﴾ زالت الشدائد ﴿عَنِّي﴾ ولم يتوقع زوالها ولا شكر عليها ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ﴾ الفرح: لذة القلب بنيل المطلوب، والمراد هنا فرح بطر ﴿فَخُورٌ﴾ متطاول على الناس بتعديد المناقب.

﴿إِلَّا﴾ [هود: 11] لكن ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الضراء ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في النعماء؛ أي: أنهم إن نالتهم شدة صبروا أو نعمة شركوا ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وأعظمه رضوان الله تعالى في الجنة.

﴿فَلَعَلَّكَ﴾ [هود: 12] خطاب للنبي ﷺ ﴿تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾ فلا تبلغه لهم؛ لتهاونهم وهو سب آلهتهم ﴿وَضَائِقٌ بِهِ﴾ بتلاوته عليهم ﴿صَدْرُكَ﴾ متعلق بما بعده؛ أي: ولعلك ضيق صدرك ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ أي: لأن يقولوا، قاله عبد الله بن أمية المخزومي، ونسبه لهم لرضاهم به ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ﴾[1] للإنفاق ﴿أَوْ جَاءَ

---

(1) روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنَّ رؤساء مكَّة قالوا: يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبًا إن كنت رسولاً، وقال آخرون: ائتنا بالملائكة يشهدون بنبوتك، فقال: لا أقدر على ذلك فنزلت =

مَعَهُ مَلَكٌ﴾ ليصدقه كما اقترحنا فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ أي: فما عليك إلا البلاغ لا الإتيان بما اقترحوا ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أي: حافظ مطلع فيجازيهم، وقيل: المعنى: تارك بعض الموحي عن التبليغ وضائق صدرك بتلاوته عليهم.

﴿أَمْ﴾ [هود: 13] بل ﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أي: اختلق القرآن من قبل نفسه ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾ في محل آخر: ﴿سُورَةٍ﴾ [البقرة: 23] وكان ذاك ثانيًا وهذا أولاً ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾ مفتعلات من تلقاء أنفسكم ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ للاستعانة به على ذلك ﴿مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنه افتراه.

﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن

هذه الآية، وأجمع المسلمون على أنَّه لا يجوزُ على الرسول - عليه الصلاة والسلام - أن يخُون في الوَحْي والتبليغ، وأن يترك بعض ما يوحى إليه؛ لأنَّ تجويزه يُؤدِّي إلى الشَّك في كل الشرائع وذلك يقدحُ في النبوةِ، وأيضًا فالمقصودُ من الرِّسالة تبليغ التكاليف، والأحكام، فإنه لم تحصل هذه الفائدة فقد خرجت الرسالة عن أن تفيد فائدتها، وإذا ثبت ذلك وجب أن يكون المرادُ من قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يوحى إِلَيْكَ﴾ شيئًا آخر سوى أنه فعل ذلك، وذكروا فيها وجوهًا أُخر، قيل: إنَّهم كانوا لا يقبلون القرآن ويتهاونون به، فكان يضيق صدر الرسول ﷺ أن يلقي إليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه، فأهله الله لأداء الرِّسالة، وطرح المبالاة بكلماتهم الفاجرة، وترك الالتفات إلى استهزائهم، والغرض منه التنبيه على أنه إذا أدَّى ذلك الوحي وقع في سفاهتهم، وإن لم يُؤد ذلك وقع في ترك وحي الله - تعالى - وفي إيقاع الخيانةِ، وأنه لا بد من تحمل أحد الضَّررين؛ فتحمل ضرر سفاهتهم أسهل من تحمل الخيانة في وَحْي الله، والغرض من ذكر هذا الكلام: التنبيهُ على هذه الدقيقة؛ لأنَّ الإنسان إذا علم أنَّ كلَّ واحدٍ من طرفي الفعل والترك مشتملٌ على ضررٍ عظيم، على أنَّ الضرر في جانب الترك أعظم وأقوى سهل عليه ذلك الفعل وخف.

رَبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [هود: ١٤ - ١٩].

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ [هود: 14] أي: من دعوتموهم للمعاونة ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ﴾ أي: القرآن ملتبسًا ﴿بِعِلْمِ اللهِ﴾ بلا افتراء ﴿وَأَنْ﴾ أي: وأنه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي: أسلموا.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [هود: 15] بإصراره على الشرك ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ جزاء ما عملوه ﴿فِيهَا﴾ بالصحة والسعة ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ أي: الدنيا ﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾ بنقص من حظوظهم شيء.

﴿أُولَئِكَ﴾ [هود: 16] العاملون بالرياء أو الشرك ﴿الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ﴾ بطل ﴿مَا صَنَعُوا﴾ عملوا ﴿فِيهَا﴾ أي: في الآخرة أو في الدنيا ﴿وَبَاطِلٌ﴾ ذاهب ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ [هود: 17] حجة واضحة وصلت إليه ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ وهو النبي أو المؤمنون وهي القرآن ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ أي: ويتبع ما كان عليه ﴿شَاهِدٌ﴾ يصدقه ﴿مِنْهُ﴾ هل الضمير لله والمعنى جبريل؟ أو هو القرآن؟ أو الإنجيل؟ أو علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - أو جدنا أبو بكر الصديق - كرم الله وجهه - أو نظم القرآن؟ أقوال ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن أو من قبل مجيء محمد ﷺ بالقرآن ﴿كِتَابُ مُوسَى﴾ التوراة شاهد له أيضًا ﴿إِمَامًا﴾ أي: نزل كذلك لمن اتبعه ﴿وَرَحْمَةً﴾ بما فيه من الشهادة على صدق محمد ﷺ، والمعنى: أفمن كان بهذه الصفة كمن لم يتصف بها؛ أي: لا ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: أصحاب محمد ﷺ أو من كان منهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ فلهم الجنة ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ أي: بمحمد ﷺ وبالقرآن الذي جاء به ﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ هي ملل الكفر لتحزبهم؛ أي: اجتماعهم عليه ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِنْهُ﴾ من القرآن ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَمَنْ﴾ [هود: 18] أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ وهو زاعم

الشريك نحوه ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: من افترى ومن كذب ﴿يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾ الحفظة من الملائكة أو من شهد الموقف من الخلق ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ المشركين.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ [هود: 19] دينه ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.

﴿ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [هود: ٢٠ - ٢٦].

﴿أُولَئِكَ﴾ [هود: 20] أي: من هذا وصفه ﴿لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾ فائتين الله ولا هاربين منه ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أنصارًا تمنعهم من العذاب الدائم ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ أي: عليهم بكفرهم وإضلالهم غيرهم ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ الحق؛ والمراد العمل به ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ طريق الهدى لإعراضهم عنها، ولفرط كراهيتهم كأنهم لم يستطيعوا.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [هود: 21] عيبوها فغابت بالعذاب الشديد ﴿وَضَلَّ﴾ ذهب ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ على الله من الشرك، وزعم شفاعة الملائكة واللات ونحو ذلك.

﴿لَا جَرَمَ﴾ [هود: 22] لا محالة ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ من غيرهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا﴾ [هود: 23] أطاعوا وأنابوا وخشوا ﴿إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿مَثَلُ﴾ [هود: 24] صفة ﴿الْفَرِيقَيْنِ﴾[1] المؤمن والكافر ﴿كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ﴾ وصف الكافر ﴿وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ وصف المؤمن ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ أي: في المثل؛ أي: التشبيه، والمعنى إنكار ذلك[2] ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: اذكروا؛ أي: اتعظوا.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي﴾ [هود: 25] بفتح الهمزة لابن كثير والكسائي وأبي عمرو وخلف ويعقوب وأبو جعفر «بأني» والباقون بكسرها ﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بيّن الإنذار.

﴿أَنْ﴾ [هود: 26] بأن ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم في الدنيا أو الآخرة.

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم

---

(1) قال ابن قتيبة: لما ذكر قبل هذه الآية قوما ركنوا إلى الدنيا، جاء بهذه الآية، وتقدير الكلام: أفمن كانت هذه حاله كمن يريد الدنيا؟ فاكتفى من الجواب بما تقدم، إذ كان فيه دليل عليه، وقال ابن الأنباري: إنما حُذف لانكشاف المعنى، والمحذوف المقدَّر كثير في القرآن والشعر، فإن قلنا: إن المراد بمن كان على بيّنة من ربه، رسول الله ﷺ فمعنى الآية: ويتبع هذا النبيَّ شاهد، وهو جبريل عليه السلام «منه» أي: من الله. وقيل: «شاهد» هو علي بن أبي طالب، «منه» أي: من النبي ﷺ وقيل: «يتلوه» يعني القرآن، يتلوه جبريل، وهو شاهد لمحمد ﷺ أن الذي يتلوه جاء من عند الله تعالى.

(2) فمثل الكافر كمن جمع بين العمى والصمم، ومثل المؤمن كمن جمع بين السمع والبصر. فالواو لعطف الصفات، ويجوز أن يكون شبه الكافر بمن هو أعمى فقط، وبمن هو أصم فقط والمؤمن بضدهما، فهو تمثيل للكافرين بمثالين، قاله ابن جزي. وقال البيضاوي: يجوز أن يراد به تشبيه الكافر بالأعمى؛ لتعاميه عن آيات الله، وبالأصم لتصامه عن استماع كلام الله، وتأبيه عن تدبره معانيه، أو تشبيه المؤمن بالسميع والبصير؛ لأن أمره بالضد، فيكون كل منهما مشّبهاً باثنين باعتبار وصفين، أو تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم، والمؤمن بالجامع بين ضديهما، والعاطف لعطف الصفة على الصفة.

مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [هود: ٢٧ - ٣١].

﴿فَقَالَ الْمَلأُ﴾ [هود: 27] الأشراف ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ ولا فضل لك علينا ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ جمع: أرذل كأكلب، والمفرد رذل؛ وهو الدون من كل شيء؛ أي: أسفله كحائك وإسكافي ﴿بَادِيَ﴾ بالهمزة لأبي عمرو؛ أي: أول ﴿الرَّأْيِ﴾ وترك الباقي؛ أي: ظاهر الرأي؛ أي: من غير تأمل ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ تستحقون به الامتناع منا ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ في دعواكم الرسالة إذا رجوا قومه معه في الخطاب.

﴿قَالَ﴾ [هود: 28] نوح: ﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً﴾ نبوة ﴿مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص بضم العين وتشديد الميم؛ أي: شبهت ولبست ﴿عَلَيْكُمْ﴾ وقرأ الباقون بفتح العين والتخفيف؛ أي: التبست هي واشتبهت ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ أي: الرحمة والبينة؛ أي: توجهًا عليكم وغيركم على قبولها، وقيل: المراد بها شهادة أن لا إله إلا الله، وقيل: الرسالة، وقيل: الإسلام، وترجع إلى معنى واحد بالتأمل ﴿وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ لا نقدر على ذلك.

﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [هود: 29] أي: على الوحي وتبليغه ﴿مَالًا إِنْ أَجْرِيَ﴾ ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى اللهِ﴾ أي: عنده؛ أي: منه ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كما أمرتموني ﴿إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ بالبعث فنجزي من طردهم ﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ عاقبة أمركم.

﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي﴾ [هود: 30] يمنعني ﴿مِنَ اللهِ﴾ أي: من عذابه ﴿إِنْ طَرَدْتُهُمْ﴾ أي: لا ناصر لي ﴿أَفَلَا﴾ فهلا ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون؛ أي: اتعظوا.

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ﴾ [هود: 31] فأعطيكم ما تطلبون ﴿وَلَا﴾ أني ﴿أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ قيل: قاله لما قالوا له: من آمن بك إنما اتبعك في الظاهر دون الباطن؛

أي: فإنا لا نعلم سرائرهم إنما هي إلى الله، فلا أعاملهم إلا بالظاهر من حالهم ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ ردًا لقولهم: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا﴾ ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي﴾ تحتقر وتستصغر ﴿أَعْيُنُكُمْ﴾ وهم من قالوا عنهم أراذل ﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ قلوبهم من الخير والشر فيجازيهم عليه ﴿إِنِّي إِذًا﴾ أي: إذا قلت ذلك ﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [هود: ٣٢ - ٣٨].

﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا﴾ [هود: 32] خاصمتنا ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ به من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيه.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللهُ إِنْ شَاءَ﴾ [هود: 33] تعجيله لكم فالأمر إليه لا إليّ ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ فائتين الله.

﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾ [هود: 34] أي: نصيحتي ﴿إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ أي: إغوائكم؛ أي: فإذا أراد الله لا تنفع نصيحتي ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

﴿أَمْ﴾ [هود: 35] بل ﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أي: كفار مكة اختلق محمد القرآن أو الضمير لنوح ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾[1] أي: إثم ذنبي والإجرام كسب الذنب

---

(1) بكسر الهمزة على قراءة الجمهور، مصدر أجرم؛ أي: فعل ما يوجب الإثم، وجرم وأجرم بمعنى =

﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ أي: من إجرامكم؛ وهو ما تكسبون من الذنوب بنسبة الافتراء إليّ فلا أؤاخذ بذلك.

﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ﴾ [هود: 36] أي: لما كثر بلاؤه بقومه ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ من قبل هذا ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ تحزن ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ فدعا عليهم بقوله: ﴿رَبِّ لاَ تَذَرْ...﴾ [نوح: 26].

فأجاب دعاءه وقال: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ﴾ [هود: 37] السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا وحفظنا ﴿وَوَحْيِنَا﴾ أمرنا ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي﴾ قيل ذلك؛ لأنه كان مستغرقًا لحال قومه ولما يقع لهم كالسائل المُلح ﴿فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾.

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾ [هود: 38] السفينة ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ﴾ أشراف ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾ أو جماعة ﴿سَخِرُوا﴾ استهزءوا وضحكوا ﴿مِنْهُ﴾ وقالوا: هذا الذي زعم أنه نبي قد صار نجارًا ﴿قَالَ﴾ مجيبًا لهم: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ إذا نجونا وغرقتم أو نجهلكم كما تجهلون، أو المراد: يحل بكم جزاء سخريتكم.

﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾
حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ
إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ
ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ
فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا
تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ

قاله النحاس، والمعنى: فعليّ إثمي، أو جزاء كسبي، ومن قرأ بفتح الهمزة، قال: هو جمع جرم ذكره النحاس أيضًا ﴿وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ﴾ أي: من إجرامكم بسبب ما تنسبونه إليّ من الافتراء، قيل: وفي الكلام حذف والتقدير: لكن ما افتريته، فالإجرام وعقابه ليس إلا عليكم، وأنا بريء منه، وقد اختلف المفسرون في هذه الآية، فقيل: إنها حكاية عن نوح، وما قاله لقومه، وقيل: هي حكاية عن المحاورة الواقعة بين نبينا محمد ﷺ وكفار مكة، والأوّل: أولى؛ لأن الكلام قبلها وبعدها مع نوح ؑ.

ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [هود: ٣٩ - ٤٥].

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ [هود: 39] يذله ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ﴾ يجب ويقع عليه ﴿عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ دائم.

﴿حَتَّى﴾ [هود: 40] غاية للصنع ﴿إذا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ أي: وقت عذابنا لهم ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ تنور خبز من حجارة كان يخبز فيه؛ أي: خرج الماء منه وعلا، والفوران: الغليان، وكان بالكوفة مما يلي باب كندة، وقيل: بالشام بعين وردة، وقيل: بالهند، وقيل: المراد ظهر ضوء الصبح، والصحيح الأول وكان علامة على الحمل في السفينة ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا﴾ أي: في السفينة ﴿مِنْ كُلٍّ﴾ بالتنوين هنا وفي سورة المؤمنين لحفص، والباقون بلا تنوين بالإضافة ﴿زَوْجَيْنِ﴾ الزوج يقال للاثنين الذي لا يستغنى أحدهما عن الآخر كزوجي خف؛ والمراد هنا: الذكر والأنثى ﴿اثْنَيْنِ﴾ أي: ذكرًا وأنثى؛ والمراد: كل زوجين يحتاج إليهما أو كل أنواعهما ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: زوجتك وأولادك، وروي أنه قال: كيف أصنع؟ فحشر الله الوحوش والسباع والطير فجعل يضرب بيده في كل نوع فصار الذكر يقع في يده اليمنى، والأنثى في اليسرى فيجعلهما في السفينة ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي: منهم بالإهلاك وهو زوجته وأهله وابنه كنعان وسام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ أي: واحمل من آمن وأخبر الله تعالى عن قلتهم بقوله: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قيل: كانوا ست رجال ونساؤهم، وقيل: من كان في السفينة ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء، وقيل: ثمانية، وقيل: اثنان وسبعون، وقيل: سبعة والأشهر الثاني.

﴿وَقَالَ﴾ [هود: 41] نوح ﴿ارْكَبُوا فِيهَا﴾ أي: في السفينة ﴿بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ بفتح الميم لحمزة والكسائي وخلف وحفص، والباقون بالضم ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ حيث لم يهلكنا.

﴿وَهِيَ﴾ [هود: 42] أي: السفينة ﴿تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ من كبره

وارتفاعه على الماء ﴿وَنَادَى نُوحُ ابْنَهُ﴾ كنعان، وكان كافرًا ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ أي: عن السفينة ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا﴾ في السفينة ﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: ممن يغرق معهم فيهلك، وفتح الياء من «بني» في هذه السورة عاصم وكسرها الباقون وسكن الياء في أول لقمان وهي: ﴿يَا بُنَيِّ لاَ تُشْرِكْ بِاللهِ﴾ [لقمان: 13] ابن كثير وفتحها حفص وكسرها الباقون، وسكن قبل الياء الأخيرة من لقمان وهي: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ﴾ [لقمان: 17] وفتحها حفص والبزي وكسرها الباقون، وفتح حفص الياء في يوسف والصافات والأوسط من لقمان وهو: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ﴾ [لقمان: 16] وكسرها الباقون.

﴿قَالَ﴾ [هود: 43] الولد: ﴿سَآوِي﴾ أصبر وألتجئ ﴿إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي﴾ يمنعني ﴿مِنَ الْمَاءِ﴾ أي: من الغرق ﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿لَا عَاصِمَ﴾ لا مانع ﴿الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ أي: من عذابه ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ رَحِمَ﴾ الله فهو المعصوم، قال تعالى: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ﴾ صار ﴿مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾.

﴿وَقِيلَ﴾ [هود: 44] بعد انتهاء الأمر وإغراق الناس: ﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي﴾ اشربي ﴿مَاءَكِ﴾ الذي نبع منك فشربته دون ما نزل من السماء فصار أنهارًا وبحارًا ﴿وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾ أمسكي عن المطر فأمسكت ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ أي: نقص وذهب ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ تم أمر إهلاك قوم نوح ﴿وَاسْتَوَتْ﴾ أي: استقرت السفينة وأوقفت ﴿عَلَى الْجُودِيِّ﴾ جبل بالجزيرة بقرب الموصل تواضع لله لما أخبر الجبال إن السفينة تستوي على بعضها فاشتكت بعد استوائها عليه ﴿وَقِيلَ﴾ لها: إنه تواضع لله فرفعه الله كما وقع في طور موسى، وقيل: ﴿بُعْدًا﴾ هلاكًا ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين.

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي﴾ [هود: 45] كنعان ﴿مِنْ أَهْلِي﴾ أنت وعدتني بنجاتهم ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ الذي لا خلف فيه ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعلمهم وأعدلهم فعدلت في حكمك لقوم بالنجاة وقوم بالغرق.

﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ

ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ
يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ
أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ
هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ
﴿٥٠﴾ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ
﴿٥١﴾ ﴾ [هود: ٤٦ - ٥١].

﴿قَالَ﴾ [هود: 46] أي: الله ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ﴾ أي: الولد ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الناجين أو أهل دينك ﴿إِنَّهُ﴾ أي: سؤالك بنجاته ﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ قرأ يعقوب والكسائي بكسر الميم وفتح اللام «غير» بالنصب، والباقون بفتح الميم ورفع اللام منونة وبرفع «غير» ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي﴾ قرأ المدنيان وابن كثير والدجواني عن هشام بفتح النون، والباقون بكسرها، وهم في الياء كما سيأتي آخر السورة؛ فمنهم من خفف ومنهم من شدد ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ من أمر الولد، وكان ابنه لصلبه على الأصح، وقيل: ابن زوجته ﴿إِنِّي أَعِظُكَ﴾ أذكرك ﴿أَنْ تَكُونَ﴾ كراهة أن تكون ﴿مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بسؤالك ما لم تعلم.

﴿قَالَ﴾ [هود: 47] نوح عند ذلك ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ﴾ من ﴿أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي﴾ هذا السؤال الذي فرط مني ﴿وَتَرْحَمْنِي﴾ بالعفو ﴿أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ﴾ [هود: 48] انزل من السفينة ﴿بِسَلَامٍ﴾ بسلامة وأمن أو تحية ﴿مِنَّا وَبَرَكَاتٍ﴾ خيرات دائمة ﴿عَلَيْكَ﴾ أي: لك بالنجاة والتخصيص ﴿وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ أي: على ذرية ﴿وَأُمَمٌ﴾ ممن كان معك في السفينة ودخل فيه كل مؤمن إلى يوم القيامة، «وأمم» بالرفع ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدنيا بزينتها الفانية ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُمْ﴾ يصيبهم ﴿مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة وهم الكفار.

﴿تِلْكَ﴾ [هود: 49] أي: هذه القصة ﴿مِنْ أَنْبَاءِ﴾ أخبار ﴿الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ أي: من قبل نزول القرآن ﴿فَاصْبِرْ﴾ على

القيام بأمر الله وتبليغ الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ﴾ النجاة في الآخرة أو العاقبة المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ وهي: السلامة والنصرة وغيرهما.

﴿وَ﴾ [هود: 50] أرسلنا ﴿إِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة ﴿هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا﴾ وحدوا ﴿اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ﴾ في شرككم ﴿إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ كاذبون على الله.

﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [هود: 51] أي: علي تبليغ ما أمرت به أو على التوحيد ﴿أَجْرًا﴾ مالاً ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ ما ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقني ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ إن غير الخالق لا يطلب منه شيء.

﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود: ٥٢ - ٥٦].

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ [هود: 52] من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ من الذنوب إن حدثت بعد الإيمان ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ المطر ﴿عَلَيْكُمْ﴾ كانوا قد منعوه ﴿مِدْرَارًا﴾ كثير الدرور متتابعًا في أوقات الحاجة ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً﴾ شدة ﴿إِلَى﴾ مع ﴿قُوَّتِكُمْ﴾ بالمال والولد، قيل: سبب قوله ذلك أنه دعى عليهم فلم تلد لهم امرأة ثلاث سنين، ولم ينزل عليهم مطرًا فإن أطعتم يرجع لك ذلك فتزدادوا قوة بالنسبة إلى ما أنتم عليه، أو المراد قوة الدين لقوة البدن ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا﴾ تعرضوا أو تدبروا ﴿مُجْرِمِينَ﴾ مشركين.

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾[1] [هود: 53] برهان على نبوتك ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي

---

(1) إن كان قصدهم بالبينة البينة التي يقترحونها، فهذه غير لازمة للحق، بل اللازم أن يأتي النبي بآية تدل على صحة ما جاء به، وإن كان قصدهم أنه لم يأتهم ببينة، تشهد لما قاله بالصحة، فقد =

آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾ أي: لقولك ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ مصدقين.

﴿إِنْ﴾[هود: 54] ما ﴿نَقُولُ﴾ في شأنك ﴿إِلَّا اعْتَرَاكَ﴾ أصابك ﴿بَعْضُ آلِهَتِنَا﴾ أي: الشياطين والأصنام ﴿بِسُوءٍ﴾ خبل في العقل بسبك إياه فأنت تهذي ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا﴾ أنتم ﴿أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ به.

﴿مِنْ دُونِهِ﴾ [هود: 55] أي: من دون الله وهم الأوثان ﴿فَكِيدُونِي﴾ احتالوا في ضرري ﴿جَمِيعًا﴾ أنتم وأوثانكم ﴿ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾ تمهلون.

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [هود: 56] نسمة تدب على الأرض ﴿إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ أي: مالكها وقاهرها؛ إذ يتصرف فيها بالإحياء والإماتة فلا نفع ولا ضر إلا بإذنه، وخص الناصية؛ لأن من أُخذ بناصيته بدل للغاية ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ في العدل؛ فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته إلى آخره.

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ

=

كذبوا في ذلك، فإنه ما جاء نبي لقومه، إلا وبعث الله على يديه، من الآيات ما يؤمن على مثله البشر، ولو لم يكن له آية: إلا دعوته إياهم لإخلاص الدين لله، وحده لا شريك له، والأمر بكل عمل صالح، وخلق جميل، والنهي عن كل خلق ذميم من الشرك بالله، والفواحش، والظلم، وأنواع المنكرات، مع ما هو مشتمل عليه هود، عليه السلام، من الصفات، التي لا تكون إلا لخيار الخلق وأصدقهم، لكفى بها آيات وأدلة، على صدقه، بل أهل العقول، وأولو الألباب، يرون أن هذه الآية، أكبر من مجرد الخوارق، التي يراها بعض الناس، هي المعجزات فقط. ومن آياته، وبيناته الدالة على صدقه، أنه شخص واحد، ليس له أنصار ولا أعوان، وهو يصرخ في قومه، ويناديهم، ويعجزهم، ويقول لهم: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾.

أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ ﴾ [هود: ٥٧ - ٦٢].

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [هود: 57] يطيعونه بعد هلاككم ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾ بإعراضكم بل يضركم ذلك ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ أي: لكل شيء حافظ.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ [هود: 58] أي: العذاب ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ وهم أربعة آلاف كما قيل ﴿بِرَحْمَةٍ﴾ هداية ﴿مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد.

﴿وَتِلْكَ﴾ [هود: 59] إشارة إلى آثار القبيلة ﴿عَادٌ﴾ أي: فسيحوا في الأرض وانظروا إليها ثم وصف أحوالهم بقوله: ﴿جَحَدُوا﴾ كذبوا ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ يعني: هودًا عبر بالجمع؛ لأن من يكذب واحد كأنه كذب الكل لاشتراكهم في أصل ما جاءوا به وهو التوحيد ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ أي: السفلة ﴿أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ﴾ متكبر ﴿عَنِيدٍ﴾ معارض لا يقبل الحق.

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ [هود: 60] من الناس معهم حيث كانوا ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: فيها أيضًا على رءوس الخلائق ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا﴾ جحدوا ﴿رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا﴾ من رحمة الله ﴿لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾.

﴿وَ﴾ [هود: 61] أرسلنا ﴿إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة ﴿صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا﴾ وحدوا ﴿اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ﴾ ابتدأ خلقكم ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ لأنهم خلقوا من آدم وهو منها ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أي: عمركم؛ بمعنى: جعلكم عمارها طويلاً؛ أي: سكانها، وقيل: جعلها لكم ما عشتم أخذًا من العمرى ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوا﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ من خلقه بعلمه ﴿مُجِيبٌ﴾ لمن سأله؛ أي: فإن دعوته أهلككم.

﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ [هود: 62] أي: نرجوا أن تكون سيدًا ﴿قَبْلَ هَذَا﴾ القول، وكانوا يرجون رجوعه لدينهم فلما أظهر خلاف ذلك قالوا له ذلك

﴿أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأوثان ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ موهم موقع للتهمة.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾ [هود: ٦٣ - ٦٩].

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ [هود: 63] نبوة وحكمة ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي﴾ يمنعني ﴿مِنَ اللهِ﴾ أي: عذابه ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ بأمركم لي بذلك ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ تضليل لكم.

﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً﴾[1] [هود: 64] أي: علامة دالة على صدقي

---

(1) وفيه مسائل:

المسألة الأولى: ذكروا أنه تعالى لما أهلك عادًا قام ثمود مقامهم، وطال عمرهم وكثر تنعمهم، ثم عصوا الله، وعبدوا الأصنام، فبعث الله إليهم صالحًا وكان منهم، فطالبوه بالمعجزة، فقال: ما تريدون، فقالوا: تخرج معنا في عيدنا، ونخرج أصنامنا وتسأل إلهك ونسأل أصنامنا، فإذا ظهر أثر دعائك اتبعناك، وإن ظهر أثر دعائنا اتبعتنا، فخرج معهم فسألوه أن يخرج لهم ناقة كبيرة من صخرة معينة، فأخذ مواثيقهم أنه إن فعل ذلك آمنوا فقبلوا، فصلى ركعتين ودعا الله فتمخضت تلك الصخرة كما تتمخض الحامل، ثم انفرجت وخرجت الناقة من وسطها، وكانت في غاية الكبر وكان الماء عندهم قليلاً فجعلوا ذلك الماء بالكلية شربًا لها في يوم، وفي اليوم الثاني شربًا لكل القوم قال السدي: وكانت الناقة في اليوم التي تشرب فيه الماء تمر بين الجبلين فتعلوهما ثم تأتي فتشرب فتحلب ما يكفي الكل، وكأنها كانت تصب اللبن صبًا، وفي اليوم الذي يشربون =

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ﴾ من العشب والنبات ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ وهو العقر ﴿فَيَأْخُذَكُمْ﴾ بعقرها ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾ [هود: 65] عقرها قدَّار بأمرهم كما مر ﴿فَقَالَ﴾ صالح لهم:

=

الماء فيه لا تأتيهم وكان معها فصيل لها، فقال لهم صالح: يولد في شهركم هذا غلام يكون هلاككم على يديه، فذبح تسعة نفر منهم أبناءهم، ثم ولد العاشر فأبى أن يذبحه أبوه، فنبت نباتًا سريعًا، ولما كبر الغلام جلس مع قوم يصيبون من الشراب، فأرادوا ماء يمزجونه به، وكان يوم شرب الناقة فما وجدوا الماء، واشتد ذلك عليهم، فقال الغلام: هل لكم في أن أعقر هذه الناقة؟ فشد عليها، فلما بصرت به شدت عليه، فهرب منها إلى خلف صخرة فأحاشوها عليه، فلما مرت به تناولها فعقرها فسقطت، فذلك قوله: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ وأظهروا حينئذ كفرهم وعتوا من أمر ربهم، فقال لهم صالح: إن آية العذاب أن تصبحوا غدًا حمرًا، واليوم الثاني صفرًا، واليوم الثالث سودًا، فلما صبحهم العذاب تحنطوا واستعدوا، إذا عرفت هذا فنقول: اختلف العلماء في وجه كون الناقة آية فقال بعضهم: إنها كانت آية بسبب خروجها بكمالها من الصخرة، قال القاضي: هذا إن صح فهو معجز من جهات: **أحدها**: خروجها من الجبل. **والثانية**: كونها لا من ذكر وأنثى، **والثالثة**: كمال خلقها من غير تدريج، **والقول الثاني**: أنها إنما كانت آية لأجل أن لها شرب يوم، ولجميع ثمود شرب يوم، واستيفاء ناقة شرب أمة من الأمم عجيب. وكانت مع ذلك تأتي بما يليق بذلك الماء من الكلأ والحشيش، **والقول الثالث**: أن وجه الإعجاز فيها أنهم كانوا في يوم شربها يحلبون منها القدر الذي يقوم لهم مقام الماء في يوم شربهم، وقال الحسن: بالعكس من ذلك، فقال إنها لم تحلب قطرة لبن قط، وهذا الكلام مناف لما تقدم، **والقول الرابع**: أن وجه الإعجاز فيها أن يوم مجيئها إلى الماء كان جميع الحيوانات تمتنع من الورود على الماء، وفي يوم امتناعها كانت الحيوانات تأتي، واعلم أن القرآن قد دل على أن فيها آية، فأما ذكر أنها كانت آية من أي الوجوه فهو غير مذكور والعلم حاصل بأنها كانت معجزة من وجه ما لا محالة والله أعلم.

المسألة الثانية: قوله: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً﴾ فقوله: ﴿آيَةً﴾ نصب على الحال أي أشير إليها في حال كونها آية، ولفظة ﴿هَذِهِ﴾ تتضمن معنى الإشارة، و﴿آيَةً﴾ في معنى دالة، فلهذا جاز أن تكون حالاً، فإن قيل: تلك الناقة كانت آية لكل أحد، فلماذا خص أولئك الأقوام بها؟ فقال: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً﴾ قلنا: فيه وجوه: **أحدها**: أنهم عاينوها وغيرهم أخبروا عنها، وليس الخبر كالمعاينة، **وثانيها**: لعله يثبت سائر المعجزات، إلا أن القوم التمسوا منه هذه المعجزة نفسها على سبيل الاقتراح، فأظهرها الله تعالى لهم، فلهذا المعنى حسن هذا التخصيص، فإن قيل: ما الفائدة في تخصيص تلك الناقة بأنها ناقة الله، قلنا: فيه وجوه: قيل أضافها إلى الله تشريفًا وتخصيصًا كقوله: بيت الله، وقيل: لأنه خلقها بلا واسطة، وقيل: لأنها لا مالك لها غير الله، وقيل: لأنها حجة الله على القوم.

﴿تَمَتَّعُوا﴾ عيشوا ﴿فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ ثم تهلكون والثلاثة؛ الخميس والجمعة والسبت، وصبحهم العذاب في صبيحة الرابع يوم الأحد ﴿ذَلِكَ﴾ أي: يوم قولي لكم ﴿وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ فيه؛ أي: غير الكذب.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ [هود: 66] عذابنا ﴿نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ وهم أربعة آلاف ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ أي: نعمة ﴿وَ﴾ نجيناهم ﴿مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ عذابه وهوانه قرأ المدنيان والكسائي «**يومئذ**» هنا و«**من عذاب يومئذ**» في المعارج بفتح الميم، والباقون بكسرها فيهما ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾.

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [هود: 67] كفروا ﴿الصَّيْحَةُ﴾ صاح بها جبريل فأهلكهم أو هي من السماء، وفيها صوت صاعقة فتقطعت قلوبهم في صدورهم ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ باركين على ركبهم هلكى.

﴿كَأَنْ﴾ [هود: 68] أي: كأنهم ﴿لَمْ يَغْنَوْا﴾ يقيموا ﴿فِيهَا﴾ في دارهم ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾ هو مثل ما سبق في عاد، قرأ حمزة ويعقوب وحفص «**أن ثمود**» هنا، وفي الفرقان «**وعاد وثمود**»، وفي العنكبوت «**وثمود وقد**»، وفي النجم «**وثمود فما**» بغير تنوين في الأربعة، والباقون بالتنوين وافقهم أبو بكر في النجم، وانفرد العطار في بعض طرقه عنه بالوجهين، وقرأ الكسائي «**ألا بعدًا لثمود**» بكسر الدال منونة والباقون بالفتح من غير تنوين.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ [هود: 69] من الملائكة ومنهم جبريل، وهل كانوا عشرة معه أو به اثني عشر أو ثمانية أو تسعة؟ أقوال ﴿إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ بالبشارة بإسحاق ويعقوب بعده وكانوا على صورة الغلمان في أبهج صورة، وقيل: جاءوا بإهلاك قوم لوط ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ عليكم وقرأ حمزة والكسائي «**قال سلم**» هنا وفي الذاريات بكسر السين وإسكان اللام بلا ألف، والباقون بفتح السين واللام وألف بعدها فيهما فالثاني من السلام كالأول ﴿فَمَا لَبِثَ﴾ [هود: 70] أي: إبراهيم ﴿أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ محنوذ؛ أي: مشوي على الحجارة وكان سمينًا يسيل دسمًا.

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن

وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ
هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ
أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ
يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ
هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ
رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ
قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ
أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟
لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ
ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ [هود: ٧٠ - ٨٠].

﴿فلَمَّا رَأَى﴾ إبراهيم ﴿أَيدِيَهُمْ﴾ أي: الملائكة ﴿لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ أي: العجل ﴿نكِرَهُمْ﴾ أنكرهم ﴿وَأَوْجَسَ﴾ أضمر في نفسه ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ خوفًا.

﴿قَالُوا﴾ [هود: 71] أي: الملائكة ﴿لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ أي: لهلاكهم قيل: كانوا أربعة آلاف ألف ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ أي: إبراهيم هي سارة ﴿قَائِمَةٌ﴾ إما خلف سترًا وفي خدمة هؤلاء الضيفان ﴿فَضَحِكَتْ﴾ هو: التبسم المعروف إما لزوال خوفها وخوف إبراهيم أو للبشرى بإسحاق ويعقوب أو هلاك قوم لوط أو تعجبًا من ولادتها مع الكبر أو تعجبًا من إبراهيم كيف خاف من ثلاثة على أحد الأقوال فيما بين خدمه وحشمه أو من عقله قوم لوط وقرب العذاب لهم أو تعجبًا من قيامها وخدمة الضيوف وهم لا يأكلون ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ﴾ بعد ﴿إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ وهو ولد إسحاق فبشرت أنها تبقى حتى ترى ولد ولدها، و«**يعقوب**» بالنصب لابن عامر وحمزة وحفص وبالرفع لغيرهم.

﴿قَالَتْ﴾ [هود: 72] أي: سارة لما بشرت بذلك: ﴿يَا وَيْلَتَا﴾ نداء ندبة يقوله

الإنسان عند التعجب أيضًا ﴿أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾[1] وكان عمرها تسعين، وقيل: تسع وتسعين بتقديم التاء في الكل ﴿وَهَذَا بَعْلِي﴾ زوجي سمي به؛ لقيامه بأمرها ﴿شَيْخًا﴾ وكان عمره مائة، وقيل: وعشرون ﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي: الذي قلتم ﴿لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ أن يولد له ولدًا ولي.

﴿قَالُوا﴾ [هود: 73] أي: الملائكة ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ﴾ قدرة ﴿اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ﴾ خيراته الدائمة حسًا ومعنى ﴿عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ المراد: بيت إبراهيم ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾ محمود في أفعاله ﴿مَجِيدٌ﴾ كريم.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ [هود: 74] الخوف منهم ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾ أي: بإسحاق ويعقوب ﴿يُجَادِلُنَا﴾ فيه إضمار معناه ظل أو أخذ يجادلنا؛ أي: يسألنا أو يجادل رسلنا ﴿فِي﴾ شأن ﴿قَوْمِ لُوطٍ﴾.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ [هود: 75] كثير الأناة ﴿أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾[2] رجَّاع فقال: لهم

---

(1) هذه الكلمة تقال عند الإيذان بورود الأمر العظيم، ولم تُرد بها الدعاء على نفسها، وإنما هي كلمة تخفُّ على ألسنة النساء عند الأمر العجيب، وقولها: ﴿أَأَلِدُ﴾ استفهام تعجب، قال الزجاج: و﴿شَيْخًا﴾ منصوب على الحال، قال ابن الأنباري: إنما أشارت بقولها هذا لتنبه على شيخوخيَّته واختلفوا في سن إبراهيم وسارة يومئذ على أربعة أقوال، **أحدها:** أنه كان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة، وسارة بنت ثمان وتسعين سنة، قاله أبو صالح عن ابن عباس، **والثاني:** أنه كان إبراهيم ابن مائة سنة، وسارة بنت تسع وتسعين، قاله مجاهد، **والثالث:** كان إبراهيم ابن تسعين، وسارة مثله، قاله قتادة، **والرابع:** كان إبراهيم ابن مائة وعشرين سنة، وسارة بنت تسعين، قاله عبيد بن عمير، وابن إسحاق.

(2) وهذا مدح عظيم من الله تعالى لإبراهيم، أما الحليم فهو الذي لا يتعجل بمكافأة غيره، بل يتأنى فيه فيؤخر ويعفو ومن هذا حاله فإنه يحب من غيره هذه الطريقة، وهذا كالدلالة على أن جداله كان في أمر متعلق بالحلم وتأخير العقاب، ثم ضم إلى ذلك ماله تعلق بالحلم وهو قوله: ﴿أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ لأن من يستعمل الحلم في غيره فإنه يتأوه إذا شاهد وصول الشدائد إلى الغير فلما رأى مجيء الملائكة لأجل إهلاك قوم لوط عظم حزنه بسبب ذلك وأخذ يتأوه عليه فلذلك وصفه الله تعالى بهذه الصفة، ووصفه أيضًا بأنه مُنيب؛ لأن من ظهرت فيه هذه الشفقة العظيمة على الغير فإنه ينيب ويتوب ويرجع إلى الله في إزالة ذلك العذاب عنهم، أو يقال: إن من كان لا يرضى بوقوع غيره في الشدائد فأن لا يرضى بوقوع نفسه فيها كان أولى، ولا طريق إلى صون النفس عن الوقوع في عذاب الله إلا بالتوبة والإنابة فوجب فيمن هذا شأنه يكون منيبًا.

أتهلكوا قرية فيها ثلاثمائة مؤمن؟ قالوا: لا. قال: أتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن؟ قالوا: لا. قال: أتهلكون قرية فيها أربعون مؤمناً؟ قالوا: لا، قال: أتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمناً؟ قالوا: لا قال: أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا: لا قال: إن فيها لوطًا قالوا: نحن أعلم بمن فيها إلى آخره.

فلما أطال جدالهم قالوا: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [هود: 76] عن هذا الجدال أو عن سؤالك لنا في أمرهم ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بهلاكهم ﴿وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ﴾ أي: نازل بهم ﴿غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ غير مصروف عنهم.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ [هود: 77] وهم: الملائكة الذين أتوا لإبراهيم ﴿لُوطًا﴾ وكانوا على صورة مرد حسان الوجوه ﴿سِيءَ﴾ حزن ﴿بِهِمْ﴾ أي: لمجيئهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ صدرًا أو قلبًا وخاف عليهم قومه ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ شديد كأنه عصيب بالبلاء.

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ﴾ [هود: 78] لما علموا بأنهم عنده ﴿يُهْرَعُونَ﴾ يسرعون كالهرولة ﴿إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ﴾ مجيئهم ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ وهي إتيان الرجال في أدبارهم ﴿قَالَ﴾ لوط لما رآهم قصدوهم للفاحشة: ﴿يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ أراد فداء أضيافه بهم، وكان زواج المسلمة من الكافر صحيح عندهم، وقيل: شرط عليهم الإسلام ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ بالتزويج، وقيل: أراد نساء أمته؛ لأن كل نبي أب لأمته باعتبار الحرمة والتربية ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تُخْزُونِي﴾ تفضحوني ﴿فِي ضَيْفِي﴾ أضيافي ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهو استفهام إنكار؛ لأن يكون فيهم واحد منهم.

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ [هود: 79] خطاب منهم للوط ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ أي: لسنا أزواجًا لهن أو لا حاجة لنا بهن ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ من إتيان الرجال.

﴿قَالَ﴾ [هود: 80] لوط عند ذلك ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ طاقة؛ أي: بالبدن أو الاتباع ﴿أَوْ آوِي﴾ وانضم ﴿إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ عشيرة مانعة، وجواب لو محذوف تقديره: ولبطشت بكم ومن ثم لم يبعث نبي إلا في منعة من قومه.

﴿ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ [هود: ٨١ - ٨٧].

فلما رأت الملائكة ذلك ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ [هود: 81] بسوء ﴿فَأَسْرِ﴾ قرأ المدنيان وابن كثير «فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ» هنا والحجر وفي الدخان «فَأَسْرِ بِعِبَادِي» وفي الشعراء «إن أسر» بوصل الهمزة وبكسر النون من أن وتبدل الهمزة بالكسرة، والباقون بقطع الهمزة مفتوحة في الأربعة ﴿بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ﴾ بطائفة ﴿مِنَ اللَّيْلِ﴾ أي: بعد مضي جزء من أوله، وقيل: أراد به السحر ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾ قرأه ابن كثير وأبو عمرو بضم الياء، وروي من طريق ابن جماز، والباقون بالنصب، وفي إخراجها روايتان؛ قيل: خرجت فلما سمعت صوت العذاب التفت وقالت: واقوماه ثم هلكت أو أصابها حجر فقتلها، وقيل: لم تخرج فهلكت قيل ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا﴾ [هود: 81] أي: من العذاب ﴿مَا أَصَابَهُمْ﴾ وسأل لوط الملائكة عن وقت هلاك قومه فقالوا: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ فلما سمعهم لوط قال: أريد أسرع من ذلك قالوا: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ استفهام تقرير أو تعجب من استعجاله.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ [هود: 82] عذابنا أو أمرنا بإهلاكهم ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ إذ أدخل جبريل عليه السلام جناحه تحتها، وقرى قوم لوط خمس يقال لها: المؤتفكات.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [هود: 83] أي: على القرى بعد قلبها ورفعها إلى السماء

وإسقاطها مقلوبة إلى الأرض ﴿حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾[1] طين طبخ بالنار ﴿مَنْضُودٍ﴾ متتابع ﴿مُسَوَّمَةً﴾ معلمة صفة للحجارة إما بخط أحمر أو بختم أو على كل حجر اسم من رمي به وهي أقوال ﴿عِنْدَ﴾ ظرف لها ﴿رَبِّكَ وَمَا﴾ أي: تلك الحجارة أو بلادهم ﴿هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الكفار من هذه الأمة أو أهل مكة ﴿بِبَعِيدٍ﴾.

﴿وَ﴾ [هود: 84] أرسلنا ﴿إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ﴾ في النسب ﴿شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا﴾ وحدوا ﴿اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ أي: اسم لما يكال به ويوزن ﴿إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ﴾ نعمة تغنيكم عن التطفيف ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن لم تؤمنوا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ بكم يهلككم ووصف اليوم مجاز؛ لأنه واقع فيه.

﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ [هود: 85] أتموهما ﴿بِالْقِسْطِ﴾ العدل ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ لا تنقصوهم من حقهم شيئًا ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

﴿بَقِيَّةُ اللهِ﴾ [هود: 86] أي: رزقه الباقي لكم بعد إيفاء الكيل والوزن ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أو المراد: الثواب في الطاعة أو الطاعة ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: بأن الواصل إليكم من رزق الله وعطائه ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ رقيب أجازيكم بأعمالكم إنما بعثت نذيرًا، وقيل: الحفيظ وكيل، وقيل: قاله لأمره بعدم قتالهم.

﴿قَالُوا﴾ [هود: 87] له استهزاء ﴿يَا شُعَيْبُ﴾ وكان كثير الصلاة ﴿أَصَلَاتُكَ

---

(1) روي أن لوطًا ﷺ غلبوه، وهموا بكسر الباب وهو يمسكه قال له الرسل: تنح عن الباب فتنحى، وانفتح الباب فضربهم جبريل ﷺ بجناحه، فطمس أعينهم وعموا، وانصرفوا على أعقابهم يقولون: النجاة النجاة، فعند لوط قوم سحرة وتوعدوا لوطًا، فحينئذ قالوا له: إنا رسل ربك، وروي أن جبريل نقب من خصاص الباب، ورمى في أعينهم فعموا، وقيل: أخذ قبضة من تراب وأذراها في وجوههم، فأوصل إلى عين من بعد ومن قرب من ذلك التراب، فطمست أعينهم فلم يعرفوا طريقًا ولم يهتدوا إلى بيوتهم، وقيل: كسروا بابه وتهجموا عليه، ففعل بهم جبريل ما فعل، والجملة من قوله: لن يصلوا إليك، موضحة للذي قبلها لأنهم إذا كانوا رسل الله لن يصلوا إليه، ولم يقدروا على ضرره، ثم أمروه بأنْ يسري بأهله، وقرأ الحرميان: «فاسر»، و«إن اسر» بوصل الألف من سرى، وباقي السبعة بقطعها، وأهله ابنتاه، وطائفة يسيرة من المؤمنين بقطع من الليل، قال ابن عباس: بطائفة من الليل، وقال الضحاك: ببقية من آخره، وقال قتادة: بعد مضي صدر منه، وقال ابن الأعرابي: أي ساعة من الليل، وقيل: بظلمة، وقيل: إنه نصف، وقيل: إنه نصف الليل مأخوذ من قطعه نصفين.

﴿تَأْمُرُكَ﴾ بتكليف ﴿أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأوثان، وقيل: المراد بالصلاة القرآن؛ أي: قرآنك ﴿أَوْ﴾ بترك ﴿أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ من زيادة ونقص قرأ حمزة والكسائي وخلف «**أصلاتك**» على الإفراد والباقون بالواو على الجمع، ومعنى الآية: إن هذا أمر باطل لا يدعو إليه داعي خير في زعمهم ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ إما قالوه استهزاء أو على حقيقته؛ لأنه كان قبل ذلك عندهم كذلك، أو أرادوا: السفيه الغاوي؛ لأن العرب تصف الشيء بضده كقولهم للفلاة: مفازة.

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾ ﴾ [هود: ٨٨ - ٩٣].

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ [هود: 88] بيان وحجة واضحة بذلك ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ حلالاً أفأشوبه من الحرام بالبخس والتطفيف، والرزق أما سعة المال أو النبوة أو العلم والعمل والحكمة، والكل كان في شعيب عليه السلام لكن الأنسب للمقام الأول ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ﴾ أذهب ﴿إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ أي: ما أريد آمركم بشيء لم أفعله وأخالفكم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ لي ولكم بالعدل ﴿مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ﴾ والتوفيق خلق قدرة الطاعة في العبد والموفق لا يعصي، والخذلان خلق قدرة المعصية في العبد فالمخذول لا يطيع ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أرجع في كل علم وفي المعاد.

﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ [هود: 89] يحملنكم أو ليكسبنكم ﴿شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ﴾ أي: على أن ﴿مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾ من الغرق ﴿أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾ من الصيحة ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ فاعتبروا إما؛ لأنهم حديثوا عهد معهم أو دارهم قريبة لدارهم.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: 90] بدوام التوبة ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ بخلقه ﴿وَدُودٌ﴾ يحب المؤمنين ويحبونه.

﴿قَالُوا﴾ [هود: 91] إعلامًا بقلة المبالاة ﴿يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ﴾ نفهم ﴿كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ ذليلاً ضعيف النصر ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ عشيرتك وكان في قوة من قومه ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ بالحجارة وهو أقبح القتل ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا﴾ أي: عندنا ﴿بِعَزِيزٍ﴾ كريم عن الرجم؛ أي: بمخالفتك لنا وإنما رهطك هم الأعزاء.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ﴾ [هود: 92] فتتركون قتلي لأجلهم ولا تحفظوني لله، وهو استفهام توبيخ لهم ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾ أي: الله ﴿وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ منبوذًا خلف ظهوركم لا تراقبونه ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ عالم به فيجازيكم عليه.

﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ [هود: 93] حالتكم؛ أي: على مهل وتمكن ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على حالتي؛ أي: على تمكن ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يذله ﴿وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا﴾ انتظروا عاقبة أمركم ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ منتظر.

﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ (٩٤) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا
لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (٩٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ (٩٦) إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ
ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ (٩٨) وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً
وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ (٩٩) ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا
قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠) ﴾ [هود: ٩٤ - ١٠٠].

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ [هود: 94] بإهلاكهم يوم عذابنا ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا

مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ صاح بهم جبريل ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ باركين على ركبهم موتى.

﴿كَأَنْ﴾ [هود: 95] أي: كأنهم ﴿لَمْ يَغْنَوْا﴾ يقيموا ﴿فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ﴾ [هود: 96] برهان ﴿مُبِينٍ﴾ بين ظاهر.

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: 97] سديد.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ﴾ [هود: 98] أي: يتقدمهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فيتبعونه كما اتبعوه في الدنيا ﴿فَأَوْرَدَهُمُ﴾ أدخلهم ﴿النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ هي؛ أي: المدخل المدخول فيه.

﴿وَأُتْبِعُوا﴾ [هود: 99] أردفوا ﴿فِي هَذِهِ﴾ أي: الدنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لعنة ﴿بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾[1] رفدهم؛ أي: العطاء المعطى أو العون المعان.

---

(1) الآيات المعجزات التسع: العصا، واليد، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، ومنهم من أبدل النقص بإظلال الجبل، وقيل: الآيات التوراة، وهذا ليس بسديد، لأنه قال إلى فرعون وملائه، والتوراة إنما نزلت بعد هلاك فرعون وملائه، والسلطان المبين هو الحجج الواضحة، ويحتمل أن يريد بقوله: وسلطان مبين فيها أي في الآيات، وهي دالة على صدق موسى ﷺ ويحتمل أن يريد بها العصا لأنها أبهر تلك الآيات، فنص عليها كما نص على جبريل وميكائيل بعد ذكر الملائكة على سبيل التشريف بالذكر، والظاهر أن يراد بقوله: أمر فرعون أمره إياهم بالكفر وجحد معجزات موسى، ويحتمل أن يريد الطريق والشأن، وما أمر فرعون برشيد: نفى عنه الرشد، وذلك تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على أمره، وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه أدنى مسكة من العقل، وذلك أنه ادعى الإلهية وهو بشر مثلهم، عاينوا الآيات والسلطان المبين في أمر موسى ﷺ وعلموا أن معه الرشد والحق، ثم عدلوا عن اتباعه إلى اتباع من ليس في اتباعه رشد، ويحتمل أن يكون رشيد بمعنى راشد، ويكون رشيد بمعنى مرشد أي بمرشد إلى خير، وكان فرعون دهريًا نافيًا للصانع والمعاد، وكان يقول: لا إله للعالم، وإنما يجب على أهل كل بلد أن يشتغلوا بطاعة سلطانهم، فلذلك كان أمره خاليًا عن الرشد بالكلية، والرشد يستعمل في كل ما يحمد ويرتضى، والغي ضده، ويقال: قدم زيد القوم يقدم قدمًا، وقدومًا تقدمهم والمعنى: أنه يقدم قومه المغرقين إلى النار، وكما كان قدوة في الضلال متبعًا كذلك يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه، ويحتمل أن يكون قوله: برشيد بحميد، العاقبة، ويكون قوله: يقدم قومه، تفسيرًا لذلك وإيضاحًا أي: كيف يرشد أمر من هذه =

﴿ذَلِكَ﴾ [هود: 100] المتلو عليك في شأن الأمم ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ﴾ نتلوه ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْهَا﴾ أي: القرى ﴿قَائِمٌ﴾ عامر هلك أهله دونه ﴿وَ﴾ منها ﴿حَصِيدٌ﴾ هلك بأهله أو خراب إما لا أثر له أو له أثر في الجملة كالزرع المحصود بالمناجل.

﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى
يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾
وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ
﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ
فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾
خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا
يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ
إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا
يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ
بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ ﴾ [هود: ١٠١ - ١١٠].

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالعصيان والكفر ﴿فَمَا أَغْنَتْ﴾ [هود: 101] نفعت ودفعت ﴿عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِنْ

=

عاقبته؟ وعدل عن فيوردهم إلى فأوردهم لتحقق وقوعه لا محالة، فكأنه قد وقع، ولما في ذلك من الإرهاب والتخويف، أو هو ماض حقيقة أي: فأوردهم في الدنيا النار أي: موجبه وهو الكفر.

﴿دُونِ﴾ غير ﴿اللهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ﴾ أي: عذاب ﴿رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ﴾ أي: آلهتهم بعبادتهم لها ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ هو: الخسار والتدمير.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [هود: 102] أي: مثل هذا الأخذ ﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى﴾ أي: أهلها ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ بالذنوب؛ أي: فلا يغني عنهم من أخذه شيء ﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ ومن هنا قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»[1] ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ...﴾ [هود: 102].

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ [هود: 103] نحو المتلو عليك من شأن الأمم ﴿لَآيَةً﴾ لعبرة ﴿لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ﴾ فيه ﴿النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ يشهده أهل السماء والأرض وكل الخلائق.

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ﴾ [هود: 104] بالياء من تحت ليعقوب، والباقون بالنون ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ﴾ وقت ﴿مَعْدُودٍ﴾ معلوم عند الله تعالى.

﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ [هود: 105] أي: ذلك الأجل أو اليوم ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ وهو مفيد لقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: 111] أي: بإذنه ﴿فَمِنْهُمْ﴾ أي: الخلق ﴿شَقِيٌّ وَ﴾ منهم ﴿سَعِيدٌ﴾ كتب كل من الأزل.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾ [هود: 106] في علمه تعالى ﴿فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ صوت شديد في الحلق ﴿وَشَهِيقٌ﴾ صوت ضعيف في الصدر.

﴿خَالِدِينَ﴾ [هود: 107] مقيمين ﴿فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ إشارة إلى التأبيد؛ إذ تقول العرب: لا أفعله ما دامتا يريدون به أبدًا، أو المراد: سماء الجنة وأرضها؛ إذ ما علاك سماء وما وطيته أرض ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ والمعنى: إلا ما شاء ربك من الزيادة على ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا﴾ [هود: 108] بضم السين لحمزة والكسائي وخلف وحفص؛ أي: رزقوا السعادة، والباقون بفتح السين ﴿فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ والمراد بالاستثناء في الأول: الذين يخرجون من النار من أهل الإيمان، وسمي المؤمن شقيًا؛ لدخوله بمعصيته النار، أو المراد: إلا ما

(1) رواه البخاري (4/1726).

شاء من إقامة الفريقين في الدنيا والموقف ونحوه، والاستثناء الثاني كالأول ويدل على الخلود قوله: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ غير مقطوع.

﴿فَلَا تَكُ﴾ [هود: 109] يا محمد ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾ من الأصنام إنما نعذبهم كما عذبنا من قبلهم، وهذا تسلية له ﷺ ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ﴾ أو كعبادتهم ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبلهم وقد عذبناهم ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ﴾ مثلهم ﴿نَصِيبَهُمْ﴾ حظهم من العقاب ﴿غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ أي: تامًا.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [هود: 110] التوراة ﴿فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ أي: فمنهم مصدق ومكذب كما فعل قومك في القرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير كل أمة لأجلها أو تأخير الحساب والجزاء للقيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا فما اختلفوا فيه بأن يعذبوا في الحال ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي: المكذبين به ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ يوقع للريبة وهو التهمة.

﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ۚ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود: ١١١ - ١١٧].

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا﴾ [هود: 111] قرأ نافع وابن كثير وأبو بكر «**وإن كلا**» بإسكان النون والباقون بالتشديد، وقرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة «**لما**» وفي الطارق بتشديد الميم، وابن عامر وعاصم وحمزة وابن جماز في يس «**لما جميع**» وعاصم وحمزة وابن جماز وهاشم بخلاف عنه في الزخرف «**لما متاع**» والباقون بالتخفيف في

الأربعة ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: جزاءها ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم بباطنه كظاهره فيجازيهم به.

﴿فَاسْتَقِمْ﴾ [هود: 112] على العمل بأمر ربك والدعاء إليه ﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾ عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ وأَخَوَاتُهَا»[1] من المفصل، وعد من ذلك الواقعة والمرسلات و﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: 1] و﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبأ: 1] وسئل ما الذي شيبه ﷺ منها؟ فقال: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود: 112] ويستقم ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ آمن ﴿مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ تجاوزوا الحد الذي حده الله لكم ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا يخفى عليه شيء من أعمالكم فيجازيكم بها.

﴿وَلَا تَرْكَنُوا﴾ [هود: 113] أي: لا تميلوا بالقلب محبة ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ هم كل مخالف للشرع وإن كان مؤمنًا أو المعنى: لا ترضوا بأعمالهم ولا تساكنوهم ولا تطيعوهم ولا تداهنوهم ﴿فَتَمَسَّكُمُ﴾ تصيبكم ﴿النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ﴾ غير ﴿اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أعوان تمنعكم من عذابه ﴿ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ تمنعون من عذابه.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ [هود: 114] الغداة والعشي صلاة الصبح والمغرب أو الصبح والظهر والعصر؛ لأنهما في الطرف الثاني ﴿وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ المغرب والعشاء، والزلف الساعات واحدها: زلفة وقت ساعة، وقرأ أبو جعفر بضم اللام، والباقون بالفتح ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ﴾ عام في كل حسنة ومنها الصلوات الخمس ﴿يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ الخطيئات والمكفر بالحسنات الصغائر، نزلت فيمن قبل امرأة أجنبية فأخبره ﷺ فقال: ألي هذا؟ قال: «لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ»[2] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من التكفير ﴿ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ عظة للمتعظين.

﴿وَاصْبِرْ﴾ [هود: 115] أمر للنبي ﷺ بالصبر على كل أذى، وقيل: على الصلاة ﴿فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وهم: كل محسن بالصبر على الطاعة أو المراد هنا المصلين قاله ابن عباس.

﴿فَلَوْلَا﴾ [هود: 116] فهلا ﴿كَانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾ أي: الأمم السابقة ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ

---

(1) رواه البزار في «مسنده» (54/1)، والطبراني في «الكبير» (148/6).

(2) رواه البخاري (403/2).

﴿أُولُو﴾ أصحاب ﴿بَقِيَّةٍ﴾ أي: من فيه بقية أو أصحاب طاعة ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ﴾ الشرك والمعاصي، وقرأ ابن جماز بفتح الجيم وتسهيل الميم في آخره زاي «بقية» بكسر الياء وإسكان القاف وتخفيف الياء، والباقون بفتح الباء وكسر القاف وتشديد الياء ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ المراد به النفي؛ أي: ما كان فيهم ذلك ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ نهوا عن الفساد ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالفساد أو ترك النهي ﴿مَا أُتْرِفُوا﴾ عودوا أو نعموا أو خولوا ﴿فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ فألهتهم النعم الحسية عن الوصول للنعم المعنوية.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾ [هود: 117] منه لأهلها ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ متعاطون الإنصاف بينهم ولا يظلم بعضهم الآخر.

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود: ١١٨ - ١٢٣].

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [هود: 118] على دين واحد لا اختلاف بينهم ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ فمنهم اليهودي والنصراني والمسلم وغير ذلك ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ أي: أراد لهم الخير فلا يختلفون فيه ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي: أهل الاختلاف له وأهل الرحمة لها ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾[1].

---

(1) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ونافع: «كلمات» على الجمع؛ وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، ويعقوب: «كلمة» على التوحيد؛ وقد ذكرت العرب الكلمة، وأرادت الكثرة؛ يقولون: قال قُسّ في كلمته، أي: في خطبته، وزهير في كلمته، أي: في قصيدته، وفي المراد بهذه الكلمات ثلاثة أقوال: **أحدها**: أنها القرآن، قاله قتادة، **والثاني**: أقضيتُه وعداته، **والثالث**: وعده ووعيده، وثوابه وعقابه.

وهي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ﴾ [هود: 119] الجن ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿وَكُلًّا﴾ [هود: 120] أي: كل ما يحتاج إليه ﴿نَقُصُّ﴾ نتلو ﴿عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ﴾ أخبار ﴿الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ﴾ نطمئن ﴿بِهِ فُؤَادَكَ﴾ والفؤاد: القلب؛ والمعنى: إنك كلما احتجت لذلك قويناك به ليقوى يقينك؛ أي: يزداد قوة وتصبر على أذى قومك ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾ الأنباء أو الآيات أو السورة، وقيل: الدنيا أقوال أبعدها الأخير ﴿الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ [هود: 121] حالتكم ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾ على حالتنا تهديد لهم.

﴿وَانْتَظِرُوا﴾ [هود: 122] عاقبة أمركم ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ ذلك ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: علم ما غاب عن العيان فيهما.

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود: 123] في المعاد حتى لا يكون للخلق أمر ينتقم ممن عصى ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ وحده ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ ثق به ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وإنما يؤخرهم لوقتهم.

سورة يوسف

مكية مائة وإحدى عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ
وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى
رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا
تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ
﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ
ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾
۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ
أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ [يوسف: ١ - ٨].

﴿الر تِلْكَ﴾ [يوسف: 1] إشارة لما نزل من القرآن أو هذه الآيات ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ القرآن المظهر للحق من غيره.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ [يوسف: 2] أي: القرآن ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب فإن ورد ما هو موافق للغة غيرهم فمن باب توافق اللغات ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تَعْقِلُونَ﴾ تفهمون ما فيه؛ أي: بلغتكم لكي تفهموه.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ [يوسف: 3] أي: نقرأ ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[1] أي: القراءة

---

(1) قال العلماء: وإنما سميت قصة يوسف أحسن القصص، لأنها جمعت ذكر الأنبياء، والصالحين، والملائكة، والشياطين، والأنعام، وسير الملوك، والمماليك، والتجار، والعلماء، والرجال، =

والبيان، وقيل: أراد به قصة يوسف ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا﴾ بإيحائنا ﴿إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ﴾ أي: وإنه ﴿كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: الوحي ﴿لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ الساهين عن الذي فيه من الأنباء.

﴿إِذْ﴾ [يوسف: 4] أي: اذكر إذ ﴿قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يعقوب: ﴿يَا أَبَتِ﴾ فتح تاءه أبو جعفر وابن عامر هنا وفي كل القرآن، والباقون بكسر التاء ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ في المنام ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ أي: نجمًا من نجوم السماء ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾.

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾[1] [يوسف: 5] خشي من حسدهم ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ يحتالوا في هلاكك لعلمهم بتأويلها؛ لأنهم الكواكب والشمس أمك والقمر أبوك ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[2] ظاهر العداوة.

والنساء، وحيلهن، وذكر التوحيد، والفقه، والسرّ، وتعبير الرؤيا، والسياسة، والمعاشرة، وتدبير المعاش، والصبر على الأذى، والحلم؛ والعزّ، والحكم، إلى غير ذلك من العجائب.

(1) قال ابن العربي: اعلم أن الرؤيا حالة شريفة جعلها الله بشرى للخلق. وقد قال ﷺ: «لم يبق من بعدي من المبشرات إلا الرؤيا»، وحكم بأنها جزء من سبعين جزءًا من النبوة. وقد أنكرت المعتزلة الرؤيا، وقالوا: إنها ليست من الشريعة في شيء.
قال القاضي والأستاذ: هي أوهام وخواطر واعتقادات، وقال الأستاذ أبو إسحاق: هي إدراك حقيقة. وقال الأستاذ أبو بكر: هي إدراك في أجزاء لم تحلها آفة ومن بعد عهده بالنوم، استغرقت الآفة أجزاءه، وتقل الآفة في آخر الليل. قال: ولا يرى في المنام إلا ما يصلح إدراكه في اليقظة فلا يرى شخصًا نائمًا قاعدًا في زمن واحد، وإنما يرى الجائز الخارق للعادة، فإذا رأى أن رأسه يقطع، فإنما رأى غيره على مثاله، وظن أنه هو بنفسه. وبهذا يفسر قوله ﷺ: «من رآني في النوم فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي». فإنا نعلم قطعًا أن الرائي لم ير الذات، ولا العين المرسلة. وإنما رأى مثالاً صادقًا، والملك يضرب الأمثلة على أنواع. وقد قال ﷺ: «رأيت سوداء ثائرة الرأس تخرج من المدينة فأوّلتُها الحمّى».
وقوله: ﴿لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ هذا حكم بالعوائد وما زال الحسد في الإخوة والقرابة، والحكم بالعادة أصل مقرر في الشرع، وقوله: ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾. قال علماؤنا: هذا يدل على معرفة يعقوب بتأويل الرؤيا؛ لأنه علم منها أن يوسف يظهر على إخوته.

(2) قال القرطبي في «تفسيره»: فيه إحدى عشرة مسألة:
الأولى: قوله تعالى: ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ أي: يحتالون في هلاكك؛ لأن تأويلها ظاهر، فربما يحملهم الشيطان على قصدك بسوء حينئذ، واللام في «لك» تأكيد، كقوله: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾.

الثانية: الرؤيا حالة شريفة، ومنزلة رفيعة، قال ﷺ: «**لم يبق بعدى من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة الصادقة يراها الرجل الصالح أو ترى له**»، وقال: «**أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا**»، وحكم ﷺ بأنها جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، وروي «**من سبعين جزءا من النبوة**»، وروي من حديث ابن عباس رضى الله عنهما «**جزءا من أربعين جزءا من النبوة**»، ومن حديث ابن عمر «**جزء من تسعة وأربعين جزءا**»، ومن حديث العباس «**جزء من خمسين جزءا من النبوة**»، ومن حديث أنس «**من ستة وعشرين**» وعن عبادة بن الصامت «**من أربعة وأربعين من النبوة**»، والصحيح منها حديث الستة والأربعين، ويتلوه في الصحة حديث السبعين، ولم يخرج مسلم في صحيحه غير هذين الحديثين، أما سائرها فمن أحاديث الشيوخ، قاله ابن بطال، قال أبو عبد الله المازوى: والأكثر والأصح عند أهل الحديث «**من ستة وأربعين**»، قال الطبري: والصواب أن يقال إن عامة هذه الأحاديث أو أكثرها صحاح، ولكل حديث منها مخرج معقول، فأما قوله: «**إنها جزء من سبعين جزءا من النبوة**» فإن ذلك قول عام في كل رؤيا صالحة صادقة، ولكل مسلم رآها في منامه على أي أحواله كان، وأما قوله: «**إنها من أربعين - أو - ستة وأربعين**» فإنه يريد بذلك من كان صاحبها بالحال التي ذكرت عن الصديق ﷺ أنه كان بها، فمن كان من أهل إسباغ الوضوء في السبرات، والصبر في الله على المكروهات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فرؤياه صالحة - إن شاء الله - جزء من أربعين جزءا من النبوة، ومن كانت حاله في ذاته بين ذلك فرؤياه الصادقة بين جزءين، ما بين الأربعين إلى الستين، ولا تنقص عن سبعين، وتزيد على الأربعين، وإلى هذا المعنى أشار أبو عمر ابن عبد البر فقال: اختلاف الآثار في هذا الباب في عدد أجزاء الرؤيا ليس ذلك عندي ختلاف متضاد متدافع - والله أعلم - لأنه يحتمل أن تكون الرؤيا الصالحة من بعض من يراها على حسب ما يكون من صدق الحديث، وأداء الأمانة، والدين المتين، وحسن اليقين، فعلى قدر اختلاف الناس فيما وصفناه تكون الرؤيا منهم على الأجزاء المختلفة العدد، فمن خلصت نيته في عبادة ربه ويقينه وصدق حديثه، كانت رؤياه أصدق، وإلى النبوة أقرب: كما أن الأنبياء يتفاضلون، قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ**﴾، قلت: فهذا التأويل يجمع شتات الأحاديث، وهو أولى من تفسير بعضها دون البعض وطرحه، ذكره أبو سعيد الأسفاقسي عن بعض أهل العلم قال: معنى قوله: «**جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة**» فإن الله تعالى أوحى إلى محمد ﷺ في النبوة ثلاثة وعشرين عامًا فيما رواه عكرمة وعمرو بن دينار عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فإذا نسبنا ستة أشهر من ثلاثة وعشرين عامًا وجدنا ذلك جزءًا من ستة وأربعين جزءا، وإلى هذا القول أشار المازرى في كتابه «المعلم» واختاره القونوى في تفسيره من سورة يونس عند قوله تعالى: ﴿**لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ وهو فاسد من وجهين: **أحدهما**: ما رواه أبو سلمة عن ابن عباس وعائشة بأن مدة الوحى كانت عشرين سنة، وأن النبي ﷺ بعث على رأس أربعين، فأقام بمكة عشر سنين، وهو قول عروة والشعبي وابن شهاب والحسن وعطاء والخراساني وسعيد بن المسيب على اختلاف عنه، وهى رواية ربيعة وأبي غالب عن أنس، وإذا ثبت هذا الحديث بطل ذلك التأويل، **الثاني**: أن سائر

الأحاديث في الأجزاء المختلفة تبقى بغير معنى.
الثالثة: إنما كانت الرؤيا جزءًا من النبوة؛ لأن فيها ما يعجز ويمتنع كالطيران، وقلب الأعيان، والاطلاع على شيء من علم الغيب، كما قال ﷺ: «**إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصادقة في النوم**» الحديث، وعلى الجملة فإن الرؤيا الصادقة من الله، وأنها من النبوة، قال ﷺ: «**الرؤيا من الله والحلم من الشيطان**» وأن التصديق بها حق، ولها التأويل الحسن، وربما أغنى بعضها عن التأويل، وفيها من بديع الله ولطفه ما يزيد المؤمن في إيمانه، ولا خلاف في هذا بين أهل الدين والحق من أهل الرأى والأثر، ولا ينكر الرؤيا إلا أهل الإلحاد وشرذمة من المعتزلة.
الرابعة: إن قيل: إذا كانت الرؤيا الصادقة جزءًا من النبوة فكيف يكون الكافر والكاذب والمخلط أهلا لها؟ وقد وقعت من بعض الكفار وغيرهم ممن لا يرضى دينه منامات صحيحه صادقة، كمنام رؤيا الملك الذي رأى سبع بقرات، ومنام الفتيين في السجن، ورؤيا بختنصر، التي فسرها دانيال في ذهاب ملكه، ورؤيا كسرى في ظهور النبي صلى الله عليه وسلم، ومنام عاتكة، عمة رسول الله ﷺ في أمره وهى كافرة، وقد ترجم البخاري «باب رؤيا أهل السجن» فالجواب أن الكافر والفاجر والفاسق والكاذب وإن صدقت رؤياهم في بعض الأوقات لا تكون من الوحي ولا من النبوة، إذ ليس كل من صدق في حديثه عن غيب يكون خبره ذلك نبوة، وقد تقدم في الأنعام أن الكاهن وغيره قد يخبر بكلمة الحق فيصدق، لكن ذلك على الندور والقلة، فكذلك رؤيا هؤلاء، قال المهلب: إنما ترجم البخاري بهذا لجواز أن تكون رؤيا أهل الشرك رؤيا صادقة، كما كانت رؤيا الفتيين صادقة، إلا أنه لا يجوز أن تضاف إلى النبوة إضافة رؤيا المؤمن إليها، إذ ليس كل ما يصح له تأويل من الرؤيا حقيقة يكون جزءا من النبوة.
الخامسة: الرؤيا المضافة إلى الله تعالى التي خلصت من الأضغاث والأوهام، وكان تأويلها موافقًا لما في اللوح المحفوظ، والتي هي من خبر الأضغاث هي الحلم، وهي المضافة إلى الشيطان، وإنما سميت ضغثا، لأن فيها أشياء متضادة، قال معناه المهلب، وقد قسم رسول الله ﷺ الرؤيا أقسامًا تغني عن قول كل قائل، روى عوف بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: «**الرؤيا ثلاثة منها أهاويل الشيطان ليحزن ابن آدم ومنها ما يهتم به في يقظته فيراه في منامه ومنها جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة**» قال قلت: سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال نعم! سمعته من رسول الله ﷺ.
السادسة: قوله تعالى: ﴿**قال يبني لا تقصص رؤياك على إخوتك**﴾، الرؤيا مصدر رأى في المنام، رؤيا على وزن فعلى كالسقيا والبشرى، وألفه للتأنيث ولذلك لم ينصرف، وقد اختلف العلماء في حقيقة الرؤيا، فقيل: هي إدراك في أجزاء لم تحلها آفة، كالنوم المستغرق وغيره، ولهذا أكثر ما تكون الرؤيا في آخر الليل لقلة غلبة النوم، فيخلق الله تعالى للرائي علما ناشئًا، ويخلق له الذي يراه على ما يراه ليصح الإدراك، قال ابن العربي: ولا يرى في المنام إلا ما يصح إدراكه في اليقظة، ولذلك لا يرى في المنام شخصا قائما قاعدًا بحال، وإنما يرى الجائزات المعتادات، وقيل إن لله ملكًا يعرض المرئيات على المحل المدرك من النائم، فيمثل له صورًا محسوسه،

=

فتارة تكون تلك الصور أمثلة موافقة لما يقع في الوجود، وتارة تكون لمعاني معقولة غير محسوسة، وفي الحالتين تكون مشرة أو منذرة، قال ﷺ في صحيح مسلم وغيره: «**رأيت سوداء ثائرة الرأس تخرج من المدينة إلى مهيعة فأولتها الحمى، ورأيت سيفي قد انقطع صدره وبقرا تنحر فأولتها رجل من أهل بيتي يقتل والبقر نفر من أصحابي يقتلون، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة، ورأيت في يدي سوارين فأولتهما كذابين يخرجان بعدي**»، إلى غير ذلك مما ضربت له الأمثال، ومنها ما يظهر معناه أولا فأول، ومنها ما لا يظهر إلابعد التفكر، وقد رأى النائم في زمن يوسف عليه السلام بقرا فأولها يوسف السنين، ورأى أحد عشر كوكبًا فأولها بإخوته وأبويه.

السابعة: إن قيل: إن يوسف ﷺ كان صغيرًا حين رؤياه، والصغير لا حكم لفعله، فكيف تكون له رؤيا لها حكم حتى يقول له أبوه: ﴿**لاتقصص رؤياك على إخوتك**﴾؟ فالجواب: أن الرؤيا إدراك حقيقة على ما قدمناه، فتكون من الصغير كما يكون منه الإدراك الحقيقي في اليقظة، وإذا أخبر عما رأى صدق، فكذلك إذا أخبر عما يرى في المنام، وقد أخبر الله سبحانه عن رؤياه وأنها وجدت كما رأى فلا اعتراض، روي أن يوسف ﷺ كان ابن اثنتى عشرة سنة.

الثامنة: هذه الآية أصل في ألا نقص الرؤيا على غير شفيق ولا ناصح، ولا على من لا يحسن التأويل فيها، روى أبو رزين العقيلي أن النبي ﷺ قال: «**الرؤيا جزء من أربعين جزءا من النبوة**»، و«**الرؤيا معلقة برجل طائر ما لم يحدث بها صاحبها فإذا حدث بها وقعت فلا تحدثوا بها إلا عاقلا أو محبا أو ناصحا**» أخرجه الترمذي وقال فيه: حديث حسن صحيح، وأبو رزين اسمه لقيط بن عامر، وقيل لمالك: أيعبر الرؤيا كل أحد؟ فقال: أبالنبوة يلعب؟ وقال مالك: لا يعبر الرؤيا إلا من يحسنها، فإن رأى خيرا أخبر به، وإن رأى مكروها فليقل خيرا أو ليصمت، قيل: فهل يعبرها على الخير وهي عنده على المكروه لقول من قال إنها على ما تأولت عليه؟ فقال: لا! ثم قال: الرؤيا جزء من النبوة فلا يتلاعب بالنبوة. **التاسعة**: وفي هذه الآيه دليل على أن مباحا أن يحذر المسلم أخاه المسلم ممن يخافه عليه، ولا يكون داخلاً في معنى الغيبة؛ لأن يعقوب ﷺ قد حذر يوسف أن يقص رؤياه على إخوته فيكيدوا له، وفيها ما يدل على جواز ترك إظهار النعمة عند من تخشى غائلته حسدًا وكيدًا، وقال النبي ﷺ: «**استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود**»، وفيها دليل واضح على معرفة يعقوب ﷺ بتأويل الرؤيا، فإنه علم من تأويلها أنه سيظهر عليهم، ولم يبال بذلك من نفسه، فإن الرجل يود أن يكون ولده خير منه، والأخ لا يود ذلك لأخيه، ويدل أيضًا على أن يعقوب ﷺ كان أحس من بنيه حسد يوسف وبغضه، فنهاه عن قص الرؤيا عليهم خوفًا أن تغل بذلك صدورهم، فيعملوا الحيلة في هلاكه، ومن هذا ومن فعلهم بيوسف يدل على أنهم كانوا غير أنبياء في ذلك الوقت، ووقع في كتاب الطبري لابن زيد أنهم كانوا أنبياء، وهذا يرده القطع بعصمة الأنبياء عن الحسد الدنيوي، وعن عقوق الآباء، وتعريض مؤمن للهلاك، والتآمر في قتله، ولا التفات لقول من قال إنهم كانوا أنبياء، ولا يستحيل في العقل زلة نبي، إلا أن هذه الزلة قد جمعت أنواعًا من الكبائر، وقد أجمع

=

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [يوسف: 6] قاله يعقوب ليوسف؛ أي: مثل ما أراك هذه الرؤيا كذلك ﴿يَجْتَبِيكَ﴾ يختارك ﴿رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ أي: تعبير الرؤيا سمي تأويلاً؛ لأن الأمر يؤول إليه ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ بالنبوة ﴿وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾ على أولادهم كلهم وهل كانوا أنبياء أم لا؟ قولان أصحهما الثاني ﴿كَمَا أَتَمَّهَا﴾ بالنبوة ﴿عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ بنبوتهما ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ولما بلغ إخوته ذلك حسدوه.

وروي أن النبي ﷺ سأله اليهود عن قصة يوسف فنزل: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي﴾ [يوسف:

المسلمون على عصمتهم منها، وإنما اختلفوا في الصغائر على ما تقدم ويأتي.

العاشرة: روى البخاري عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لم يبق من النبوة إلا المبشرات**» قالوا: وما المبشرات ؟ قال: «**الرؤيا الصالحة**» وهذا الحديث بظاهره يدل على أن الرؤيا بشرى على الإطلاق وليس كذلك، فإن الرؤيا الصادقة قد تكون منذرة من قبل الله تعالى لا تسر رائيها، وإنما يريها الله تعالى المؤمن رفقا به ورحمة، ليستعد لنزول البلاء قبل وقوعه، فإن أدرك تأولها بنفسه، وإلا سأل عنها من له أهلية ذلك، وقد رأى الشافعي ﷺ وهو بمصر رؤيا لأحمد بن حنبل تدل على محنته فكتب إليه بذلك ليستعد لذلك، وقد تقدم في يونس في تفسير قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أنها الرؤيا الصالحة، وهذا وحديث البخاري مخرجه على الأغلب، والله أعلم.

الحادية عشر: روى البخاري عن أبي سلمة قال: لقد كنت أرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت أبا قتاده يقول: وأنا كنت لأرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الرؤيا الحسنة من الله فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها وليتفل ثلاث مرات ولا يحدث بها أحدا فإنها لن تضره**» قال علماؤنا: فجعل الله الاستعاذة منها مما يرفع أذاها، ألا ترى قول أبي قتادة: إني كنت لأرى الرؤيا هي أثقل علي من الجبل، فلما سمعت بهذا الحديث كنت لا أعدها شيئًا، وزاد مسلم من رواية جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان ثلاثا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه**»، وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إذا رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل**» قال علماؤنا: وهذا كله ليس بمتعارض، وإنما هذا الأمر بالتحول، والصلاة زيادة، فعلى الرائي أن يفعل الجميع، والقيام إلى الصلاة يشمل الجميع، لأنه إذا صلى تضمن فعله للصلاة جميع تلك الأمور، لأنه إذا قام إلى الصلاة تحول عن جنبه، وإذا تمضمض تفل وبصق، وإذا قام إلى الصلاة تعوذ ودعا وتضرع لله تعالى في أن يكفيه شرها في حال هي أقرب الأحوال إلى الإجابة، وذلك السحر من الليل.

7] خبر ﴿يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾[1] وهم أحد عشر ﴿آيَاتٌ﴾ بالجمع لكل القراء؛ أي: عبر ومواعظ وأما ابن كثير فقرأ «آية» على التوحيد ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ عن خبرهم؛ أي: لغيرهم أيضًا إذا علموا لكن ترك اكتفاء بالأول.

﴿إِذْ قَالُوا﴾ [يوسف: 8] أي: بعض إخوة يوسف لبعضهم ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ شقيقه بنيامين ﴿أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ جماعة يتعصب بعضنا لبعض ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ﴾ خطأ أو غفلة عن التسوية بيننا ﴿مُبِينٍ﴾ بين بإيثارهما علينا.

﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (١٠) قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (١٤) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ

(1) فائدة: جمع الله في اسم يوسف ﷺ أربعة حرف: الياء، والواو، والسين، والفاء، والياء: يسار ملكه، والواو: وضاحة وجهه، والسين: اطلاعه على أسرار الغيب بحسن تأويل الرؤيا والمكاشفات، والفاء: وفاءه في عهد الرسالة، فإذا اجتمعت هذه الأوصاف في يوسف ﷺ سمي يوسف ﷺ، وأيضًا كان فيه خالص العبودية والحزن في شوقه إلى جمال الربوبية.

قال بعضهم: سُمِّيَ يوسف بيوسف ﷺ؛ لأن الأسيف العبد، وتعبد يوسف، ويقال: لحزنه، والأسف الحزن، جئنا إلى معنى رؤياه: رؤياه: أول مقام المكاشفة؛ لأن أحوال المكاشفين أوائلها المنامات، فإذا قويت الحال تصير الرؤيا كشفًا، وبين الرؤيا والمكاشفات مقامات ذكرتها في الكتاب المكاشفة، وافهم رزقك الله فهم معاني المكاشفات أن الله سبحانه مثَّل عالم الملكوت مما فيها مع أسرار الجبروت بنيران الكواكب والشموس والأقمار، وأيضًا: مثَّل بها أحكام أكابر الأنبياء والأولياء، فالشمس مثل الذات، والقمر مثل الصفات، والكواكب مثل الأوصاف والنعوت والأسماء، وليس غرضي هاهنا بيان أشكال المكاشفات برقتها، لكن أقول بعون الله وتأييده نبذة مما كوشف ليوسف ﷺ: كان يوسف ﷺ آدم الثاني؛ لأن عليه كان من كسوة الربوبية ما كان على آدم، فرأت الملائكة على آدم ما رأت، فسجدوا له كلهم، وهاهنا سجد له أشراف الأنبياء، وهم خيرٌ من الملائكة، وكيف لا يسجدون لهما، ومن وجهها تتلألأ الأنوار القدوسية، وجلال السبوحية.

﴿وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [يوسف: ٩ - ١٧].

﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ [يوسف: 9] أي: إلى أرض بعيدة من أبيه ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ أي: يخلص لكم قصده عن شغله بيوسف أو المراد: بعيد عليكم ولا يلتفت لغيركم ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد قتل يوسف أو طرحه ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ بالتوبة.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ [يوسف: 10] هو يهوذا: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ﴾ اطرحوه ﴿فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ بالجمع للمدنيين جمع: غيابة، وبالإفراد قرأ الباقون؛ أي: أسفله وظلمته ﴿يَلْتَقِطْهُ﴾ يأخذه ﴿بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ هم: المسافرون ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ما أردتم فاكتفوا بذلك.

فلما اجتمعوا على التفريق بينه وبين أبيه ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾ [يوسف: 11] لم يشمه أبو جعفر والكل قرءوا بإخفاء حركة النون الأولى ونقض أهل الآراء أدعم وأشم ﴿عَلَى يُوسُفَ﴾ أي: في إرساله معنا ﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ لقائمون بمصالحه.

وإنما قالوه له بعد قولهم ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ [يوسف: 12] إلى الصحراء ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ بالنون في أوله لابن عامر وأبي عمرو والباقون بالياء فيهما؛ والرتع: الاتساع في الملاذ، وكسر العين من «يــرتع» المدنيان وابن كثير، وأثبت قنبل فيها الياء في الحالين بخلاف عنه أخذ من الرعي للماشية والباقون بالجزم ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ [يوسف: 13] أي: ذهابكم به لفراقه، والحزن هنا: ألم القلب لفراق المحبوب ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ المراد به الجنس وكانت أرضهم كثيرة الذئاب ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ مشغولون، وقال ذلك؛ لأنه رأى ذئبًا في المنام يشتد عليه فمن ثم خاف ذلك.

﴿قَالُوا لَئِنْ﴾ [يوسف: 14] لام قسم ﴿أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ جماعة ﴿إِنَّا

﴿إِذًا﴾ أي: إذا أكله ﴿لَخَاسِرُونَ﴾ أي: عجزة ضعافًا فأرسله معهم.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا﴾ [يوسف: 15] عزموا ﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ أي: يلقوه في ظلمة البئر، وهل الجب بئر بيت المقدس؟ أو بئر بحذاء طبرية بينها وبينه أميال؟ قولان، وجواب لما محذوف؛ أي: فعلوا ذلك بأن نزعوا قميصه بعد ضربه وإهانته وأرادوا قتله كما قيل وأدلوه فلما وصل إلى نصف البئر ألقوه ليموت فسقط في الماء كما قيل ثم آوى إلى الصخرة فنادوه فأجابهم لظن رحمتهم فأرادوا رضخه بصخرة فمنعهم يهوذا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ في الجب وحي حقيقة، وله سبع عشر سنة أو دونها تطمينًا لقلبه، وقيل: وحي إلهام ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ﴾ تخبرهم بعد اليوم ﴿بِأَمْرِهِمْ﴾ بصنيعهم ﴿هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يعلمون بالوحي أو لا يعلمون بأنك يوسف حال الابن كان ذلك لما عرفهم وهم له منكرون كما سيأتي، وأقام في البئر ثلاث ليال فكان يهوذا يأتيه بالطعام كما قيل، ولما فعلوا ذلك أخذوا قميص يوسف فذبحوا عليه سخلة وذهلوا عن شقه.

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً﴾[1] [يوسف: 16] وقت المساء ﴿يَبْكُونَ﴾ وإنما جاءوا فيه ليكونوا أقوى على الكلام معه؛ إذ للعين حق.

---

(1) فيه مسئلتان: **الأولى**: قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً﴾ أي: ليلاً، وهو ظرف يكون في موضع الحال، وإنما جاءوا عشاء ليكونوا أقدر على الاعتذار في الظلمة، ولذا قيل: لا تطلب الحاجة بالليل، فإن الحياء في العينين، ولا تعتذر بالنهار من ذنب فتتلجلج في الاعتذار، فروي أن يعقوب ﷺ لما سمع بكاءهم قال: ما بكم؟ أجرى في الغنم شيء؟ قالوا: لا، قال: فأين يوسف؟ قالوا: ذهبنا نستبق فأكله الذئب، فبكى وصاح وقال: اين قميصه؟ على ما يأتي بيانه إن شاء الله، وقال السدي وابن حبان: إنه لما قالوا أكله الذئب خر مغشيًا عليه، فأفاضوا عليه الماء فلم يتحرك، ونادوه فلم يجب، قال وهب: ولقد وضع يهوذا يده على مخارج نفس يعقوب فلم يحس بنفس، ولم يتحرك له عرق، فقال لهم يهوذا: ويل لنا من ديان يوم الدين! ضيعنا أخانا، وقتلنا أبانا، فلم يفق يعقوب إلا ببرد السحر، فأفاق ورأسه في حجر روبيل، فقال: يا روبيل! ألم آمنك على ولدي؟ ألم أعهد إليك عهدًا؟ فقال: يا أبت كف عني بكاءك أخبرك، فكف يعقوب بكاءه.

الثانية: قال علماؤنا: هذه الآية دليل على أن بكاء المرء لا يدل على صدق مقاله، لاحتمال أن يكون تصنعا فمن الخلق من يقدر على ذلك، ومنهم من لا يقدر، وقد قيل: إن الدمع المصنوع لا يخفى.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ [يوسف: 17] نترامى بالنشاب وننتضل ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا﴾ ثيابنا ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ﴾ مصدق ﴿لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ في نفس الأمر أو عندك لأتهمتنا في هذه القضية لمحبة يوسف فكيف وأنت سيئ الظن بنا.

﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةًۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يوسف: ١٨ - ٢٤].

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ﴾ [يوسف: 18] أي: فوقه ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي ذي كذب أو مكذوب فيه ﴿قَالَ﴾ يعقوب لما رآه صحيحًا وعلم كذبهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زينت ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ فعلتموه به غير قتله ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي: أمري أو صبري أولى وهو الذي لا جزع فيه ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾ المطلوب منه العون ﴿عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ تذكرون من خلاف الواقع في أمر يوسف.

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ [يوسف: 19] سموا بذلك؛ لأنهم يسيرون في الأرض وهم مسافرون من مدين إلى مصر فنزلوا قريبًا من جب يوسف ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ الذي

يرد الماء يستقي منه ﴿فَأَدْلَى﴾ أرسل ﴿دَلْوَهُ﴾ في البئر فتعلق به يوسف فاستقر به، واسم الوارد: مالك بن دعر فلما رآه ﴿قَالَ يَا بُشْرَى﴾ أي: أحضري فهذا وقتك بغير ياء إضافة للكوفيين؛ أي: بشرًا أقبلي، والباقون بياء إضافة ﴿هَذَا غُلَامٌ﴾ فعلموا به إخوته فأتوهم ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾ أخفوا أمره جاعليه ﴿بِضَاعَةً﴾ بأن قالوا: هو عبدنا أبق وسكت يوسف خوفًا أن يقتلوه ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ من ذلك كله.

﴿وَشَرَوْهُ﴾ [يوسف: 20] باعوه منهم ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ قليل دل لذلك قوله ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ وهل كانت عشرون أو اثنان وعشرون أو أربعون؟ أقوال ﴿وَكَانُوا﴾ أي: إخوته ﴿فِيهِ﴾ أي: في يوسف ﴿مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ وعلم مما ذكر أن الضمير في «شروه» وكانوا لإخوته، وقيل: هما للسيارة وهو أقرب للفظ الآية، ولما فعلوا ذلك ذهبوا به إلى مصر وباعوه بعشرين دينار أو زوجي نعل وثوبين لعزيزها واسمه قطفير وقيل: أطيفير وكان وزير الملك الريان من العمالقة.

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ﴾ [يوسف: 21] وهي راعيل أو زليخا ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ منزله ومقامه عندنا ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ بربح أو بكفايته لنا أمرنا ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ قيل: قاله؛ لأنه كان لا يأتي النساء ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: كما أنجينا يوسف من القتل والجب وعطفنا عليه قلب العزيز ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أرض مصر بجعله على خزائنها ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا ﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ فلا يغالبه أحد، والله غالب على أمر يوسف الذي وقع له بالحفظ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يفعله الله من حفظه.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ﴾ [يوسف: 22] يوسف ﴿أَشُدَّهُ﴾ هل هو ثلاثون أو ثلاث وثلاثون، أو عشرون أو ما بين ثماني عشر سنة إلى ثلاثين أو الحكم أقوال، والمراد: تناهي شبابه وقوته ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ حكمة ﴿وَعِلْمًا﴾ هو: الفقه في الدين وكان ذلك قبل النبوة ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم بالطاعة.

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ [يوسف: 23] وهي: امرأة العزيز ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي: طلبت منه أن يجامعها ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ للبيت ﴿وَقَالَتْ﴾ له: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾[1] قرأ

---

(1) «هيت» اسم فعل بمعنى أسرع، ولك للتبيين أي: لك أقول، أمرته بأن يسرع إليها، وزعم الكسائي والفراء أنها لغة حورانية وقعت إلى أهل الحجاز فتكلموا بها ومعناها: تعال، وقاله عكرمة، وقال =

المدنيان وابن ذكوان بكسر الهاء وفتح التاء بلا همز، واختلف عن هشام فروى عنه الحلواني كذلك إلا أنه بالهمز، وروى عنه الدجواني كسر الهاء والهمز وضم التاء،

=

أبو زيد: هي عبرانية «هيتلخ» أي: تعاله فأعربه القرآن، وقال ابن عباس والحسن: بالسريانية، وقال السدي: بالقبطية هلمّ لك، وقال مجاهد وغيره: عربية تدعوه بها إلى نفسها، وهي كلمة حث وإقبال، ولا يبعد اتفاق اللغات في لفظ، فقد وجد ذلك في كلام العرب مع لغات غيرهم، وقال الجوهري: هوت وهيت به صاح به فدعاه، ولا يبعد أن يكون مشتقًا من اسم الفعل، كما اشتقوا من الجمل نحو سبح وحمدك، ولما كان اسم فعل لم يبرز فيه الضمير، بل يدل على رتبة الضمير بما يتصل باللام من الخطاب نحو: هيت لك، وهيت لك، وهيت لكما، وهيت لكم، وهيت لكن، وقرأ نافع، وابن ذكوان، والأعرج، وشيبة، وأبو جعفر: هيت بكسر الهاء بعدها ياء ساكنة وفتح التاء، والحلواني عن هشام كذلك إلا أنه همز وعلي، وأبو وائل، وأبو رجاء، ويحيى، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، وطلحة، والمقري، وابن عباس، وأبو عامر في رواية عنهما، وأبو عمرو في رواية وهشام في رواية كذلك، إلا أنهم ضموا التاء، وزيد بن عليّ وابن أبي إسحاق كذلك، إلا أنهما سهلا الهمزة، وذكر النحاس: أنه قرىء بكسر الهاء بعدها ياء ساكنة، وكسر التاء، وقرأ ابن كثير وأهل مكة: بفتح الهاء وسكون الياء وضم التاء، وباقي السبعة أبو عمرو، والكوفيون، وابن مسعود، والحسن، والبصريون، كذلك، إلا أنهم فتحوا التاء وابن عباس وأبو الأسود، وابن أبي إسحاق، وابن محيصن، وعيسى البصرة كذلك، وعن ابن عباس: هييت مثل حييت، فهذه تسع قراءات هي فيها اسم فعل، إلا قراءة ابن عباس الأخيرة فإنها فعل مبني للمفعول مسهل الهمزة من هيأت الشيء، وإلا من ضم التاء وكسر الهاء سواء همز أم لم يهمز، فإنه يحتمل أن يكون اسم فعل كحالها عند فتح التاء أو كسرها، ويحتمل أن يكون فعلاً واقعًا ضمير المتكلم من هاء الرجل يهيىء إذا أحسن هيئته على مثال: جاء يجيء، أو بمعنى تهيأت، يقال: هيت وتهيأت بمعنى واحد، فإذا كان فعلاً تعلقت اللام به، وفي هذه الكلمة لغات أخر، وانتصب معاذ الله على المصدر أي: عياذًا بالله من فعل السوء، والضمير في إنه الأصح أنه يعود على الله تعالى أي: إن الله ربي أحسن مثواي إذ نجاني من الجب، وأقامني في أحسن مقام، وإما أن يكون ضمير الشأن وغني بربه سيده العزيز فلا يصلح لي أن أخونه، وقد أكرم مثواي وائتمنني قاله: مجاهد، والسدي، وابن إسحاق، ويبعد جدًا، إذ لا يطلق نبي كريم على مخلوق أنه ربه، ولا بمعنى السيد؛ لأنه لم يكن في الحقيقة مملوكًا له، إنه لا يفلح الظالمون أي المجازون الإحسان بالسوء، وقيل: الزناة، وقيل: الخائنون، وقرأ أبو الطفيل والجحدري مثويّ، كما قرأ يا بشريّ، وما أحسن هذا التنصل من الوقوع في السوء، استعاذ أولاً بالله الذي بيده العصمة وملكوت كل شيء، ثم نبه على أنّ إحسان الله أو إحسان العزيز الذي سبق منه لا يناسب أن يجازى بالإساءة، ثم نفى الفلاح عن الظالمين وهو الظفر والفوز بالبغية فلا يناسب أن أكون ظالمًا أضع الشيء غير موضعه، وأتعدى ما حده الله تعالى لي.

وابن كثير بفتح الهاء وبضم التاء من غير همز، والباقون بفتح التاء والهاء بلا همز؛ وهو بمعنى: هلم، وقيل: هيت كحيت؛ بمعنى: تهيأت لك ﴿قَالَ﴾ يوسف عند ذلك: ﴿مَعَاذَ اللهِ﴾ أي: أعوذ بالله معاذًا ﴿إِنَّهُ﴾ الضمير لزوجها قطفير أو لله تعالى ﴿رَبِّي﴾ سيدي ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ نزلي فلا أخونه في أهله ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ومن زنى ظالم لا يفلح.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ [يوسف: 24] أي: عرضت عليه أن يواقعها ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ أي: وقع في خاطره ذلك من غير استقرار ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ وهو: يعقوب رآه ناهيًا له أو مشيرًا بترك ذلك الفعل أو ضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله، أو رأى في الجدار عندهما ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى...﴾ [الإسراء: 32] وجواب لولا محذوف؛ أي: لولاه لواقع المعصية ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: فعلنا معه مثل هذا الفعل من رؤية البرهان ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ الإثم والثناء القبيح بالخيانة ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ الزنا ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ قرأ الكوفيون «**المخلصين**» حيث جاء «**مخلصًا**» في مريم بفتح اللام بلا تشديد؛ أي: المختارين للنبوة وافقهم المدنيان في «**المخلصين**» أي: المختارين، والباقون بالكسر فيهما من إخلاص الدين والطاعة.

﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [يوسف: ٢٥ - ٣٠].

﴿وَاسْتَبَقَا﴾ [يوسف: 25] أي: يوسف والمرأة ﴿الْبَابَ﴾ باب ذلك المحل؛ لأنه لما رأى البرهان فر فخرجت لترده فلم يرجع فجذبت قميصه فجذبه فانقد من دبره

فذلك قوله: ﴿وَقَدَّتْ﴾ شقت ﴿قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ أي: من خلفه ﴿وَأَلْفَيَا﴾ وجدا ﴿سَيِّدَهَا﴾ زوجها ﴿لَدَى﴾ عند ﴿الْبَابِ﴾ ولما رأته هابته وبادرته بتبرئة نفسها ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ زنا ﴿إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ﴾ يحبس﴿ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: ضرب.

ولما سمع منها يوسف ذلك ﴿قَالَ﴾ [يوسف: 26] متبرئًا: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ أي: طلبت فأبيت ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾[1] أي: المرأة، وهل هو صبي في

---

(1) فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قال العلماء: لما برأت نفسها، ولم تكن صادقة في حبه لأن من شأن المحب إيثار المحبوب قال: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ نطق يوسف بالحق في مقابلة بهتها وكذبها عليه، قال نوف الشامي وغيره: كأن يوسف ﷺ لم يبن عن كشف القضية، فلما بغت به غضب فقال الحق.

الثانية: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ لأنهما لما تعارضا في القول احتاج الملك إلى شاهد ليعلم الصادق من الكاذب، فشهد شاهد من أهلها، أي حكم حاكم من أهلها، لأنه حكم منه وليس بشهادة، وقد اختلف في هذا الشاهد على أقوال أربعة: **الأول**: أنه طفل في المهد تكلم، قال السهيلي: وهو الصحيح، للحديث الوارد فيه عن النبي ﷺ وهو قوله: «**لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة**» وذكر فيهم شاهد يوسف، وقال القشيري أبو نصر: قيل فيه: كان صبيًا في المهد في الدار وهو ابن خالتها، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «**تكلم أربعة وهم صغار**» فذكر منهم شاهد يوسف، فهذا قول، **الثاني**: أن الشاهد قد القميص، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، وهو مجاز صحيح من جهة اللغة، فإن لسان الحال أبلغ من لسان المقال وقد تضيف العرب الكلام إلى الجمادات وتخبر عنها بما هي عليه من الصفات، وذلك كثير في أشعارها وكلامها، ومن أحلاه قول بعضهم: قال الحائط للوتد لم تشقني؟ قال له: سل من يدقني، إلا أن قول الله تعالى بعد ﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾ يبطل أن يكون القميص.

الثالث: أنه خلق من خلق الله تعالى ليس بإنسي ولا بجني، قاله مجاهد أيضًا، وهذا يرده قول تعالى: ﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾ الرابع: أنه رجل حكيم ذو عقل كان الوزير يستشيره في أموره، وكان من جملة أهل المرأة، وكان مع زوجها فقال: قد سمعت الاستبدار والجلبة من وراء الباب، وشق القميص، فلا يدري أيكما كان قدام صاحبه، فإن كان شق القميص من قدامه فأنت صادقة، وإن كان من خلفه فهو صادق، فنظروا إلى القميص فإذا هو مشقوق من خلف، هذا قول الحسن وعكرمة وقتادة والضحاك ومجاهد أيضًا والسدي، قال السدي: كان ابن عمها، وروي عن ابن عباس، وهو الصحيح في الباب، والله أعلم، وروي عن ابن عباس رواه عنه إسرائيل عن سماك عن عكرمة قال: كان رجلاً ذا لحية، وقال سفيان عن جابر عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس أنه قال: كان من خاصة الملك، وقال عكرمة: لم يكن بصبي، ولكن كان رجلاً حكيمًا، وروى سفيان عن منصور عن مجاهد قال: كان رجلاً، قال أبو جعفر النحاس: والأشبه بالمعنى - والله

المهد؟ أو شيء من خلق الله تعالى لا نعلمه؟ أو رجل له فهم وعلم أو ابن عم لها حكيم؟ أو رجل من خاصة الملك له رأي؟ أو زوجها؟ أو سنور في الدار؟ أو القميص ونسب ذلك إليها على المجاز للمشابهة في علم الحال به؟ أقوال أولها لابن عباس إنه ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ﴾ من قدامه ﴿فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ﴾ [يوسف: 27] خلف ﴿فَكَذَبَتْ﴾ لأنها تبعته فراودته فلم يطع فأمسكت القميص فانقد ﴿وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَى﴾ [يوسف: 28] أي: الزوج ﴿قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ﴾ أي: هذا الفعل أو قولك ﴿ما جزاء..﴾ إلى آخره ﴿مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ مكركن ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ﴾ أيها النساء ﴿عَظِيمٌ﴾ وقيل: هو من الشاهد.

ثم أقبل الملك على يوسف فقال له: يا ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [يوسف: 29] الأمر؛ أي: اكتمه لئلا يشيع ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾ أي: لأجله؛ والمراد: توبي لله منه ﴿إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ الآثمين في فعلك مع يوسف واشتهر الخبر وشاع.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [يوسف: 30] مدينة مصر أو عين شمس ﴿امْرَأَةُ

=

أعلم - أن يكون رجلاً عاقلاً حكيمًا شاوره الملك فجاء بهذه الدلالة، ولو كان طفلاً لكانت شهادته ليوسف ﷺ تغني عن أن يأتي بدليل من العادة، لأن كلام الطفل آية معجزة، فكادت أوضح من الاستدلال بالعادة، وليس هذا بمخالف للحديث «**تكلم أربعة وهم صغار**» منهم صاحب يوسف، يكون المعنى: صغيرًا ليس بشيخ، وفي هذا دليل آخر وهو: أن ابن عباس رضي الله عنهما روى الحديث عن النبي ﷺ وقد تواترت الرواية عنه أن صاحب يوسف ليس بصبي.
قلت: قد روي عن ابن عباس وأبي هريرة وابن جبير وهلال بن يساف والضحاك أنه كان صبيًا في المهد، إلا أنه لو كان صبيًا تكلم لكان الدليل نفس كلامه، دون أن يحتاج إلى استدلال بالقميص، وكان يكون ذلك خرق عادة، ونوع معجزة، والله أعلم.

الثالثة: وإذا تنزلنا على أن يكون الشاهد طفلاً صغيرًا فلا يكون فيه دلالة على العمل بالإمارات كما ذكرنا. وإذا كان رجلاً فيصح أن يكون حجة بالحكم بالعلامة في اللقطة وكثير من المواضع، حتى قال مالك في اللصوص: إذا وجدت معهم أمتعة فجاء قوم فادعوها، وليست لهم بينة فإن السلطان يتلوم لهم في ذلك، فإن لم يأت غيرهم دفعها إليهم، وقال محمد في متاع البيت إذا اختلفت فيه المرأة والرجل: إن ما كان للرجال فهو للرجل، وما كان للنساء فهو للمرأة، وما كان للرجل والمرأة فهو للرجل، وكان شريح وإياس بن معاوية يعملان على العلامات في الحكومات، وأصل ذلك هذه الآية، والله أعلم.

﴿الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا﴾ عبدها ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي: طلبت منه الفاحشة ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ أي: دخل شغاف قلبها حبه، والشغاف: جلدة رقيقة على القلب ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ﴾ خطأ ﴿مُبِينٍ﴾ بين ظاهر بحبها إياه.

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤) ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (٣٥) وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦) ﴾ [يوسف: ٣١ - ٣٦].

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ [يوسف: 31] قولهن ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ ويقال: صنعت لهن طعامًا ﴿وَأَعْتَدَتْ﴾ أعدت وهيأت ﴿لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ طعامًا يقطع بالسكين للاتكاء عنده وهو الأترج أو هو طعام ما أو اللحم ﴿وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ أي: أعطتها لهن للحز؛ لأنهن كن يفعلن ذلك ﴿وَقَالَتِ﴾ ليوسف ﴿اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ وكانت جعلته في مجلس آخر ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ أعظمنه وهالهن بحسنه؛ لأنه كان إذا مشي تتلألأ الجدران من جماله ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ بما معهن من السكاكين؛ لشغل قلبهن بيوسف، وهن يحسبن أنهن يقطعن اللحم أو غيره، والتقطيع هنا جز اليد بلا إبانة فما أحسسن إلا والدم خارج ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلهِ﴾ معاذ الله وقرأ أبو عمرو «حاشا» في الموضعين بألف بعد الشين في الوصل وهي حرف جر وضعت موضع التنزيه والبراءة لله؛ والمعنى: تنزه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق مثله في نهاية الحسن، والباقون بالإثبات ﴿مَا هَذَا﴾ أي: يوسف ﴿بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ أي:

لمن الملائكة كريم على الله لما حواه من الحسن الذي لا يكون عادته من النسمة البشرية، وفي الصحيح أنه أعطي شطر الحسن.

﴿قَالَتْ﴾ [يوسف: 32] لهن عند ذلك: ﴿فَذَلِكُنَّ﴾ فهذا هو ﴿الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ أي: في حبه بيان لعذرها ثم صرحت بفعلها لعلمها بنفي الملامة فقالت: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ امتنع ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ﴾ من المطلوب منه ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ أي: الأذلاء، فقلن له: أطع مولاتك، فاختار السجن.

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: 33] وفتح يعقوب وحده سين السجن، قيل: ولو لم يقله لم يحبس ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ﴾ وإن لم تصرف ﴿عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ﴾ أمل ﴿إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ﴾ أصر﴿مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ المذنبين، والقصد بذلك الدعاء.

فلذا قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ﴾ [يوسف: 34] أجاب ﴿لَهُ رَبُّهُ﴾ دعائه ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

﴿ثُمَّ بَدَا﴾ [يوسف: 35] ظهر ﴿لَهُمْ﴾ أي: العزيز وقومه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ﴾ الدلالات على براءة يوسف؛ وهي: تقطيع الأيدي ونحوه من القميص أن يسجنونه دل على هذا ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ أي: إلى مدة يرون فيها رأيهم إما لتنقطع مقالة الناس أو لغير ذلك فسجن.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ [يوسف: 36] غلامان للملك؛ أحدهما خازنه على طعامه والآخر ساقيه، ولما دخلا رأياه يعبر الرؤيا فقالا: لنخبرنه ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾ وهو الساقي: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ عنبًا سمي به؛ لأنه يؤول إليه أو الخمر العنب في لغة ﴿وَقَالَ الْآخَرُ﴾ وهو خازن الطعام وكان خبازًا: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا﴾ خبرنا ﴿بِتَأْوِيلِهِ﴾ أي: ما يؤول إليه أمره ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ في تعبير الرؤيا.

﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن

نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٣٧ - ٤٠].

﴿قَالَ﴾ [يوسف: 37] لهما مخبر أنه عالم بتأويل الرؤيا: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ﴾ في النوم ﴿تُرْزَقَانِهِ﴾ تأكلانه ﴿إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ في اليقظة أو المراد: لا يأتيكما في اليقظة من منازلكما طعام إلا أخبرتكما بقدره ووقته وصفته كمعجزة عيسى عليه السلام؛ إذ نبأ قومه بما يأكلونه وما يدخرون ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ أي: يصل إليكما أو ترياه يقظة قالا له: من أين لك هذا؟ فقال: ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ وفيه حث على إيمانهما ثم قواه بقوله: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ﴾ دين ﴿قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ﴾ [يوسف: 38] يجوز ولا ينبغي ﴿لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ المعنى: إن الله عصمهم من الشرك ﴿ذَلِكَ﴾ التوحيد والنبوة والعلم والعصمة ﴿مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾ أي: لأنه بين لهم الهدى على الدنيا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ الله فيشركون.

ثم دعاهما إلى الإسلام بقوله: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ﴾ [يوسف: 39] جعلهما من أصحابه لسكناهما فيه ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾ أي: آلهة مختلفة هذا ذهب وهذا فضة وهذا حجر ونحو ذلك ﴿خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[1] خير وواضح أن الله خير لكن ذلك

---

(1) والمراد منه الاستفهام على سبيل الإنكار، وتقريرُ فساد القول بعبادة الأصنام: أنه تعالى بيَّن أن كثرة الآلهةِ توجب الخلل والفاسد في هذا العالم؛ لقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾ فلمَّا قرَّر أنَّ كثرة الآلهة تُوجِبُ الخلل والفساد، وكونُ الإله واحدٌ، يقتضي حصول الانتظام، وحسن الترتيب قال هاهنا: ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ الله الواحد القهار﴾ وأما تقرير كون كثرةِ الآلهةِ، توجب الخلل والفساد في العالم: إنَّه لو كان اثْنانِ أو ثلاثةٌ، لم نعلم من الذي خلقنا، ورزقنا، ودفع الآفاتِ عنَّا؛ فيقع الشِّرْكُ في أنَّا نعبدُ هذا أم ذاك، ومعنى: كونهم متفرقين، أي: شتَّى، هذا من ذهب، وهذا من فضةٍ، وها من حديدٍ، وهذا أعلى، وهذا أوسط، وهذا أدْنى، =

على سبيل حسن الإلزام.

ثم بين عجز الأصنام فقال: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ [يوسف: 40] جمع؛ لأنه أراد كل أهل السجن ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: من غيره ﴿إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا﴾ أصنامًا ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا﴾ بعبادتها ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾ برهان ﴿إِنِ الْحُكْمُ﴾ القضاء ﴿إِلَّا لِلهِ﴾ وحده ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ﴾ التوحيد ﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ المستقيم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون.

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ
فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ
أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ
فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ
يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي
فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ
ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ
فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ
عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ
﴿٤٦﴾ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا
تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [يوسف: ٤١ - ٤٧].

ثم فسر رؤياهما فقال: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا﴾ [يوسف: 41] وهو صاحب العصير فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ﴾ الملك أو سيده ﴿خَمْرًا﴾ على عادته هذا تأويل رؤياه ﴿وَأَمَّا الْآخَرُ﴾ فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيُصْلَبُ﴾ وهو الخباز ﴿فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ

=

متباينون لا تضر ولا تنفعُ ﴿خَيْرٌ أَمِ اللهُ الواحد القهار﴾ «الوَاحِدُ»: لا ثاني لهُ، «القَهَّارُ» الغالبُ عل الكلِّ.

﴿مِنْ رَأْسِهِ﴾ هذا تأويل رؤياه قيل: لما قال لهما ذلك قالا: ما رأينا شيئًا إنما كنا نلعب فقال: ﴿قُضِيَ﴾ تم ﴿الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ تسألان؛ أي: فرغ منه صدقتما أم كذبتما؛ لأن حكم الله وجب بما قلته.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾ [يوسف: 42] علم ﴿أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا﴾ وهو صاحب العصير ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: سيدك وهو الملك، والمراد: تلطف معه في أمري؛ لأخرج وقل له: إن في السجن غلامًا محبوسًا ظلمًا فخرج ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ الهاء ليوسف عند الأكثر؛ أي: أنسى يوسف الشيطان ذكر ربه، وقيل: عائدة على الساقي؛ أي: أنساه الشيطان ذكره أمر يوسف لربه؛ أي: سيده ﴿فَلَبِثَ﴾ أي: مكث يوسف ﴿فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ المراد به هنا: سبع سنين عند الأكثر، وكان لبث خمس سنين ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ أي: ملك مصر الريان بن الوليد، وقد رأى رؤيا كانت سبب إخراج يوسف من السجن.

﴿إِنِّي أَرَى﴾ [يوسف: 43] أي: رأيت ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ﴾ يبتلعهن ﴿سَبْعٌ﴾ من البقر ﴿عِجَافٌ﴾ واحدتها: عجفاء هزال ﴿وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ﴾ أي: سبع سنبلات ﴿يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ أراد: أعيان قومه ﴿أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ أراد فاعتبروها من عبرت الرؤيا؛ وهي: ذكر عاقبة أمرها، وكان الملك - وهو الريان - رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس، وسبع بقرات عجاف ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها، وسبعًا أخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليهن فطلب تعبيرها من قومه.

فلما طلب ذلك ﴿قَالُوا﴾ [يوسف: 44] هذه ﴿أَضْغَاثُ﴾ أخلاط ﴿أَحْلَامٍ﴾ والأحلام: جمع حلم؛ وهو الرؤيا، والتقدير: أضغاث من أحلام ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ [يوسف: 45] أي: من الفتيين؛ وهو الساقي ﴿وَادَّكَرَ﴾ أي: تذكر ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ حين ومدة طويلة حال يوسف ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾ أي: المنام ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾ إلى يوسف فأرسلوه إلى السجن.

فأتى يوسف فقال له: يا ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ [يوسف: 46] البالغ في الصدق قاله له؛ لأنه علم أحواله بمخالطته في السجن ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ﴾ أي: الملك

وأصحابه بتأويل الرؤيا، وذكر لعل؛ لأنه خشي ألا يحفظ ما قاله على التمام أو خشي أن لا تطول حياته لذلك ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ تعبيرها أو فضلك فيطلبونك للخلاص أو المراد تعبير الرؤيا.

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ﴾ [يوسف: 47] أي: ازرعوا ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ بفتح الهمزة لعاصم في رواية حفص والباقون بإسكانها؛ أي: جدًا واجتهادًا، وهي تأويل السبع السمان ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ﴾ اتركوه ﴿فِي سُنْبُلِهِ﴾ لأنه أبقى على الزمان؛ إذ لا يفسد ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ فأخرجوه منه بالدراية لأكلكم، وفيه تصريح بحفظ الأكثر للحاجة.

﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ
(٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩) وَقَالَ الْمَلِكُ
ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي
قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ
نَفْسِهِ ۚ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ
الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١) ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ
بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) ۞ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ
بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٣) وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ
لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) ﴾ [يوسف: ٤٨ - ٥٤].

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [يوسف: 48] أي: السبع المخصبات ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ مجدبات صعاب وهي تأويل السبع العجاف ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ من الحب المزروع في السنين المخصبين؛ أي: يفنين ما أعددتم لهن قبل مجيئهن؛ يعني: يؤكل ذلك فيهن ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾ تحرزون للبذر بعد تلك الأعوام.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [يوسف: 49] الجدب ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ بالمطر ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ الأعناب وغيرها لخصبه قرأ حمزة والكسائي وخلف بالتاء من فوق في أوله، والباقون بالياء من أسفل.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ [يوسف: 50] لما جاءه الرسول وأخبره بتأويلها: ﴿ائْتُونِي بِهِ﴾ أي: بيوسف ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ﴾ أي: يوسف ﴿الرَّسُولُ﴾ من عند الملك وطلبه للخروج ﴿قَالَ﴾ قاصدًا إظهار براءته: ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾ سيدك ﴿فَاسْأَلْهُ﴾ أن يسأل ﴿مَا بَالُ﴾ حال أو شأن ﴿النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ فرجع فأخبر الملك فجمعهن.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾ [يوسف: 51] شأنكن ﴿إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ هل وجدتن منه ميلاً إليكن، جمع في الخطاب؛ لأن امرأة العزيز راودت، والباقيات أمرن بالطاعة لها ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ أي: فاحشة ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ أي: ظهر وبان ﴿أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في قوله: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي﴾ .. إلى آخره.

فرجع إليه الرسول فأخبره بذلك في السجن ﴿ذَلِكَ﴾ [يوسف: 52] أي: طلب البراءة ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾ في أهله ﴿بِالْغَيْبِ﴾ في حال غيبته ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ أي: لا يسدده ولا يبلغه إلى ما أريد به ففيه تعريض بكيد امرأة العزيز.

ثم تواضع فقال: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ [يوسف: 53] من الذلل ﴿إِنَّ النَّفْسَ﴾ الجنس ﴿لَأَمَّارَةٌ﴾ كثيرة الأمر ﴿بِالسُّوءِ﴾ أي: لكل أحد بالمعصية ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ المراد إلا البعض الذي رحمه ربي فالمعنى من ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾ [يوسف: 54] من السجن وأحضروه عندي ﴿أَسْتَخْلِصْهُ﴾ أجعله خالصًا ﴿لِنَفْسِي﴾ دون شريك فجاءه الرسول، وقال: أجب الملك فقام وودع أهل السجن ثم اغتسل ولبس ثيابًا حسنة ودخل عليه ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا﴾ عندنا ﴿مَكِينٌ﴾ ذو مكانة وأمانة على أمرنا فماذا ترى أن نفعل؟ قال: اجمع الطعام وازرع زرعًا كثيرًا في هذه السنين المخصبة، وأكثر الطعام في سنبله فيأتي الخلق يمتاروا فقال: ومن لي بهذا ﴿أَمِينٌ﴾ .

﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ

إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ
ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ
تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ
﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ
مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يوسف: ٥٥ - ٦٣].

﴿قَالَ﴾ [يوسف: 55] يوسف: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ أي: خزائن الطعام والأموال في أرض مصر ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ للخزائن والحساب ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يصلح الخزائن ومن يأتيني.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [يوسف: 56] كإنعامنا عليه بالخلاص من السجن ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿يَتَبَوَّأُ﴾ ينزل ﴿مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ بعد الضيق بالياء في أوله لكل القراء إلا ابن كثير فبالنون، وقد قيل: إن الملك توجه وختمه وولاه مكان العزيز وعزله ومات بعد فزوجه امرأته فوجدها بكرًا، وولدت له ولدين وأقام العدل بمصر ودانت له الرقاب ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا﴾ ونعمتنا ﴿مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ﴾ ثواب ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ بالطاعة ومنها الصبر وعدم التسخط بقضاء الله كما وقع ليوسف عليه السلام.

﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ﴾ [يوسف: 57] أي: ثوابها ﴿خَيْرٌ﴾ من أجر الدنيا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ في الدنيا، ولما حصل القحط عم الأرض التي حول مصر حتى وصل إلى المحل الذي فيه إخوة يوسف وهو كنعان والشام.

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾[1] [يوسف: 58] إلا بنيامين ليمتاروا لما بلغهم أن عزيز

(1) روى الضحاك عن ابن عباس قال: لما فوَّض الملك إلى يوسف أمر مصر، تلطَّف يوسف للناس، ولم يزل يدعوهم إلى الإسلام، فآمنوا به وأحبُّوه، فلما أصاب الناسَ القحطُ، نزل ذلك بأرض كنعان، فأرسل يعقوبُ ولده للميرة، وذاع أمر يوسف في الآفاق، وانتشر عدله ورحمته ورأفته، فقال يعقوب: يا بَني، إنه قد بلغني أن بمصر ملكًا صالحًا، فانطلقوا إليه وأقرئوه مني السلام، وانتسبوا له لعله يعرفكم. فانطلقوا فدخلوا عليه، فعرفهم وأنكروه، فقال: من أين أقبلتم؟ قالوا:
=

مصر يعطي الطعام بثمنه ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ في المحل الذي هو فيه ﴿فَعَرَفَهُمْ﴾ أنهم إخوته بمجرد الرؤية ﴿وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ لا يعرفونه؛ إما لبعد العهد وظن الهلاك وإما لغير ذلك فكلموه بالعبرانية فقال كالمنكر عليهم: ما أقدمكم بلادي؟ فقالوا: للميرة فقال: لعلكم عيون أو جواسيس؟ قالوا: معاذ الله، قال: فمن أين أنتم؟ قالوا: من بلاد كنعان وأبونا يعقوب نبي الله، قال: وله أولاد غيركم؟ قالوا: نعم كنا اثني عشر فذهب أصغرنا هلك في البرية وكان أحبنا إليه، وبقي شقيقه فاحتبسه ليتسلى به عنه فأمر بإنزالهم وإكرامهم.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ﴾ [يوسف: 59] وفى لهم كيلهم ﴿قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ﴾ أي: هو بنيامين؛ لأعلم صدق مقالتكم ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾ أتمه بلا بخس ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ المضيفين.

﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾ [يوسف: 60] أي: ميرة ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ في داري وبلادي.

﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ [يوسف: 61] نطلبه منه ونسليه عنه ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ ما أمرتنا به.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ﴾ [يوسف: 62] بألف بعد الياء ونون مكسورة بعدها لحمزة والكسائي وخلف وحفص، والباقون «**لفتيته**» بتاء مكسورة بعد الياء بلا ألف؛ أي: لغلمانه: ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾ ثمن طعامكم وكان دراهم ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾ أوعيتهم

=

من أرض كنعان، ولنا شيخ يقال له: يعقوب، وهو يقرئك السلام، فبكى وعصر عينيه وقال: لعلكم جواسيس جئتم تنظرون عورة بلدي، فقالوا: لا والله، ولكنّا من كنعان، أصابنا الجَهد، فأمرَنا أبونا أن نأتيك، فقد بلغه عنك خير، قال: فكم أنتم؟ قالوا: أحد عشر أخًا، وكنا اثني عشر فأكل أحدَنا الذئبُ، قال: فمن يعلم صدقكم؟ ائتوني بأخيكم الذي من أبيكم، وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: لما دخلوا عليه كلَّموه بالعبرانية، فأمر الترجمان فكلَّمهم ليشبِّه عليهم، فقال للترجمان: قل لهم: أنتم عيون، بعثكم ملككم لتنظروا إلى أهل مصر فتخبرونه فيأتينا بالجنود، فقالوا: لا، ولكنا قوم لنا أب شيخ كبير، وكنا اثني عشر، فهلك منا واحد في الغنم، وقد خلّفنا عند أبينا أخًا له من أمه، فقال: إن كنتم صادقين، فخلِّفوا عندي بعضكم رهنًا، وائتوني بأخيكم، فحبس عنده شمعون، واختلفوا بماذا عرفهم يوسف على قولين، **أحدهما**: أنه عرفهم برؤيتهم، قاله ابن عباس، **والثاني**: أنه ما عرفهم حتى تعرَّفوا إليه، قاله الحسن.

﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا﴾ رجعوا ﴿إِلَى أَهْلِهِمْ﴾ وفرغوا أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلينا؛ لأنهم لا يستحلون إمساكها، أو فعله تكرمًا بعدم أخذ ثمن الطعام أو خشي ألا يكون عندهم ما يرجعون به.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ﴾ [يوسف: 63] أخبروه بحال الملك وإكرامهم ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ إن لم نحمل أخانا معنا إليه ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا﴾ بنيامين ﴿نَكْتَلْ﴾ بالنون في أوله أن نحن، وهو الطعام إلا حمزة والكسائي فبالياء من أسفل؛ أي: يكيل هو لنفسه ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ مانعون من السوء.

﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [يوسف: ٦٤ - ٦٧].

﴿قَالَ﴾ [يوسف: 64] يعقوب: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ﴾ يوسف ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ ولم توفوا فكذلك فيه فلا أفعل ﴿فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ بلا ألف بعد [illegible]

[illegible] والكسائي و[illegible]

[illegible]

طعامهم ﴿رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ أي: أي شيء نطلب من إكرام الملك [illegible]

[illegible]

﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ بنيامين ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ لأنه كان يعطي لكل واحد حمل بعير ﴿ذَلِكَ﴾ الذي أتينا به ﴿كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ لا يكفي الأهل أو كيل البعير يسير لا يتجشم

الملك له مشقة أو هو من كلام يعقوب لأولاده.

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ﴾ [يوسف: 66] أي: بنيامين ﴿مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ﴾ تعطوني ﴿مَوْثِقًا﴾ عهدًا ﴿مِنَ اللهِ﴾ بأن تحلفوا تعطوا ميثاقًا وعهدًا ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ تهلكوا جميعًا أو تغلبوا على أمركم فأجابوه إلى ذلك وأتوه موثقهم ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ عهدهم بذلك ﴿قَالَ اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾ نحن وأنتم ﴿وَكِيلٌ﴾ شاهد حافظ وأرسله معهم.

﴿وَقَالَ﴾ [يوسف: 67] لهم لما أرادوا الخروج: ﴿يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا﴾ مصر ﴿مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ لئلا تصيبكم العين، وورد أنها تدخل الرجل القبر والجمل القدر ﴿وَمَا أُغْنِي﴾ أدفع ﴿عَنْكُمْ﴾ بقول ذلك ﴿مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ قدره عليكم وإنما ذلك شفقة ﴿إِنِ﴾ ما ﴿الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ وحده ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[1].

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم

(1) قال ابن العربي: إنما قال ذلك اتقاء من العين، فإنها حق عند المشرعين، والباري تعالى هو الفاعل لا فاعل غيره، وقد جعل النظر سببًا للمرض الذي يصيب الشخص بنظرالعائن بحسب ما يقدره الله تعالى. ولهذا يُنهي العائن عن التلفظ بالإعجاب، فإذا تلفظ، فإن برَّك اندفع الألم بالبركة. فإن لم يفعل سقط بالاغتسال. حسبما ورد في الحديث. وقد اعترض الأطباء هذا، واعتقدوا كذب النقلة للحديث. والجواب بقولهم: إن الكون والفساد يجري على حكم الطبائع الأربع، فإذا شذ شيء عما قالوا: إنه قانون. قالوا: هذه خاصة، خرجت عن مجري الطبيعة لا يعرف لها سبب، وإذا ثبت هذا فنقول: هذا الذي نقل عن صاحب الشريعة. هو خواص شرعية يشهد لصدقها وجودها، فإنا نرى العائن إذا برك امتنع ضرره، وإذا اغتسل برئ مُعَيَّنه.

وقوله: ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللهِ مِن شَيْءٍ﴾. هذا يدل على أنه أمرهم بالتفرق خشية العين، ثم قال: وهذا لا يرد القدر، وإنما هو أمر تأنس به النفوس إذ خلقت ملاحظة للأسباب، فمن لاحظ السبب، ورأى أنه علامة في العادة لا يفعل شيئًا فهو الموحد. ومن نسب إليه فعلاً فهو ملحد. [الأحكام الصغرى ص387].

بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [يوسف: ٦٨ - ٧٤].

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ [يوسف: 68] من الأبواب المتفرقة ﴿مَا كَانَ يُغْنِي﴾ ذلك الدخول المأمور به ﴿عَنْهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ هذا تصديق لقول يعقوب ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾[1] وهي: إرادة دفع العين شفقة من حذر الآباء على أبنائهم ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: يعقوب ﴿لَذُو﴾ صاحب ﴿عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ أي: لتعلمنا إياه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما علمه يعقوب أو إلهام الله لأوليائه.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى﴾ [يوسف: 69] ضم ﴿إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ تحزن ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الحسد لنا، وذكر أنهم لما أتوه ضم كل اثنين في محل فبقي وحده فضمه إليه ثم سأله عن أبيه وأمه ثم عرفه بنفسه وأمره ألا يخبرهم وتواطأ معه على أنه سيحتال على أن يقيم عنده.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾ [يوسف: 70] مشربة يسقى بها يوسف

---

(1) والاستثناء بقوله: ﴿إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ منقطع، والمعنى: ولكن حاجة كانت في نفس يعقوب، وهي شفقته عليهم، ومحبته لسلامتهم، قضاها يعقوب، أي: أظهرها لهم، ووصاهم بها غير معتقد أن للتدبير الذي دبره لهم تأثيرًا في دفع ما قضاه الله عليهم، وقيل: إنه خطر ببال يعقوب أن الملك إذا رآهم مجتمعين مع ما يظهر فيهم من كمال الخلقة، وسيما الشجاعة أوقع بهم حسدًا وحقدًا أو خوفًا منهم، فأمرهم بالتفرّق لهذه العلة، وقد اختار هذا النحاس وقال: لا معنى للعين ها هنا، وفيه أن هذا لو كان هو السبب لأمرهم بالتفرّق، ولم يخص النهي عن ذلك بالاجتماع عند الدخول من باب واحد؛ لأن هذا الحسد أو الخوف يحصل باجتماعهم داخل المدينة، كما يحصل باجتماعهم عند الدخول من باب واحد، وقيل: إن الفاعل في ﴿قَضَاهَا﴾ ضمير يعود إلى الدخول لا إلى يعقوب، والمعنى: ما كان الدخول يغني عنهم من جهة الله شيئًا، ولكنه قضى ذلك الدخول حاجة في نفس يعقوب لوقوعه حسب إرادته.

من ذهب مرصعة بالجوهر وهي الصواع ﴿فِي رَحْلِ﴾ متاع ﴿أَخِيهِ﴾ بنيامين وكان أستأذنه في ذلك ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مناد بعد انفصالهم عن مجلس يوسف ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ وهي القافلة التي فيها الأحمال، وهل كانت حميرًا؟ أو إبلاً؟ قولان ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ أي: سيظهر للناس إنكم سارقون في ظنهم بوجود السقاية في رحلكم.

﴿قَالُوا﴾ [يوسف: 71] أي: إخوة يوسف ﴿وَ﴾ قد ﴿أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ﴾ أي: على المنادي ﴿مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾ من أفقدته إذا وجدته فقيدًا؛ أي: غير موجود.

﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ﴾ [يوسف: 72] صاع ﴿الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من الطعام ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ كفيل.

﴿قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾ [يوسف: 73] أرض مصر بالمعاصي ونسبوهم للعلم بذلك؛ لأنه لم يعهد منهم أو لأنهم كانوا معروفين بأنهم لا يأخذون من الناس شيئًا ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾.

﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ [يوسف: 74] أي: جزاء سرقته ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾[1] في

---

(1) فيها مسائل:

المسألة الأولى: قال الطبري: معنى الآية، قالوا: جزاء من وجد الصاع في رحله استعباده، أو أخذه أو استرقاقه.

قال القاضي أبو بكر: كان دين الملك أن يدفع السارق مثلَيْ السرقة، وكان دين يعقوب: أن يُسْتَرق السارق، فأخذ يوسف إخوته بدين يعقوب.

فائدة: حكى مجاهد أن عمة يوسف كانت عندها منطقة أبيها إسحاق، وكان من سرقها يستملك، وكانت عمة يوسف تحبه حبًا شديدًا، فلما ترعرع، قال لها يعقوب: ادفعي إليَّ ولدي، فقالت له: دعه عندي أيامًا لأشتفي منه. فلما خرج عنها يعقوب، أخذت المنطقة، وحزمت بها يوسف من تحت ثيابه، وقالت: فقدت المنطقة، فالتمست، فوجدت عند يوسف، فلما جاء يعقوب أخبرته بذلك، فقال لها: هو لك، فأمسكته حتى ماتت، فلذلك قال: ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾.

ومن هنا تعلم يوسف وضع السقاية في الرحل.

المسألة الثانية: الكيد والمكر: هو الفعل الذي يخالف فيه الظاهر الباطن. أي: ما جعلنا يوسف فعل ذلك إلا بإذن الله.

قال القاضي: لا شك أن القطع في السرقة ناسخ لما تقدم من الشرائع، إذ كان في شرع يعقوب استرقاق السارق. وفي الصحيح أن رسول الله، قال: «إن بني إسرائيل كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده، لو أن =

قولكم: ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ ووجد فيكم.

﴿ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ
٧٥ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ
كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ
دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ
سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ
شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا
شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨ قَالَ مَعَاذَ
ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩ فَلَمَّا
ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ
عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ
يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٠ ﴾ [يوسف: ٧٥ - ٨٠].

﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ [يوسف: 75] يُسترق ثم أكد بقوله: ﴿فَهُوَ﴾

فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

تنبيه: قوله: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ فيه: جواز التوصل إلى الأغراض بالحيل، إذا لم تخالف شريعة، ولا هَدَمَت أصلاً، خلافًا لأبي حنيفة في تجوير الحيل وإن خالفت الأصول، وحرمت الحلال.

قال القاضي أبو بكر: سمعت الأستاذ أبا بكر الطرطوشي يقول: كان قاضي القضاة أبو عبد الله بن علي يملك عشرة آلاف من المال، فإذا جاء رأس الحول، دعا بنيه. قال لهم: كبرت سني، وضعفت قوتي، وهذا مال لا حاجة لي به. فهو لكم. ثم يخرجه، ويحتمله بنوه إلى دورهم، فإذا جاز الحول، قال له بنوه: يا أبانا غرضنا حياتك دون المال، فخذه إليك. ثم يردونه إليه. يريدون بتبديل الملك إسقاط الزكاة. على رأي أبي حنيفة في التفريق بين المجتمع، والجمع بين المفترق.[الأحكام الصغرى لابن العربي ص390].

أي: السارق ﴿جَزَاؤُهُ﴾ أي: المسروق لا غير؛ أي: فجزاء سرقته أن يؤخذ من وجد في رحله إذ كان ذلك حكم آل يعقوب - عليهم السلام - ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ بالسرقة.

فذهب بهم ليوسف لتفتيش أوعيتهم ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ [يوسف: 76] ففتشها ﴿قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ لئلا يتهم ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾ أي: السقاية ﴿مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ علمناه الاحتيال في أخذ أخيه ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾ رقيقًا عن السرقة ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ في حكمه؛ لأن حكم ملك مصر لم يكن فيه استرقاق، وإنما كان الجزاء عنده الضرب وتغريم مثل المسروق لا الاسترقاق ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أخذه بحكم أبيه؛ أي: لم يتمكن من أخذه إلا بمشيئة الله بإلهامه بسؤال إخوانه وجوابهم بسنتهم ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾ في العلم بالنون في «نــــرفع» و«نــــشاء» للكل إلا يعقوب فبالياء في أوله فيهما ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي﴾ من المخلوقين ﴿عِلْمٍ﴾ منه منهم حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى ﴿عَلِيمٌ﴾

﴿قَالُوا﴾ [يوسف: 77] أي: إخوة يوسف: ﴿إِنْ يَسْرِقْ﴾ بنيامين ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل سرقته وأرادوا يوسف؛ لأنه كان يأخذ الطعام خفية من المائدة للفقراء، وقيل غير ذلك مما في الأصل ﴿فَأَسَرَّهَا﴾ أخفاها ﴿يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا﴾ يظهرها ﴿لَهُمْ﴾ الضمير للكلمة التي في قوله ﴿قَالَ﴾ في نفسه: ﴿أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا﴾ أي: منزلة في السرقة منه ومن أخيه؛ لأنكم سرقتم على الحقيقة يوسف من أبيه وكتمتموه ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ تذكرون في أمره.

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾ [يوسف: 78] هو لقب لملك مصر، ويقال له: فرعون، ولعل الثاني للظالم والأول للعادل ﴿إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ يحبه أكثر منا ويتسلى به عن ولده الهالك ويحزنه فراقه، وصفوه بذلك؛ ليرق له قلب يوسف عليه السلام ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا﴾ استعبده ﴿مَكَانَهُ﴾ بدلاً منه ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ في أفعالك.

﴿قَالَ﴾ [يوسف: 79] أي: يوسف: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أي: نعوذ بالله من ﴿أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾ ولم يقل: سرق؛ للاحتراز من الكذب ﴿إِنَّا إِذًا﴾ أي: إذا أخذنا غيره ﴿لَظَالِمُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ﴾ [يوسف: 80] يئسوا من رده إليهم ﴿خَلَصُوا﴾ اعتزلوا وانفردوا عن الناس ﴿نَجِيًّا﴾ أي: متناجين ينادي بعضهم بعضًا في تدبير ما يقولون إذا

رجعوا إلى أبيهم ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ أي: في العقل وهو شمعون أو يهوذا، أو في السن وهو روبيل ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا﴾ عهدًا ﴿مِنَ اللهِ﴾ في أخيكم ﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ أي: ومن قبل تفريطكم فيه ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ﴾ أفارق ﴿الْأَرْضَ﴾ أي: أرض مصر ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ أي: يدعوني للخروج منها والعود إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللهُ﴾ برد أخي ﴿لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعدل من فصل بين الخلق.

﴿ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [يوسف: ٨١ - ٨٨].

﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ﴾ [يوسف: 81] قاله بنيامين لإخوته ﴿فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ أي: ظهرت لنا سرقته ﴿وَمَا شَهِدْنَا﴾ عليه ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ أي: لأنا رأينا إخراج الصواع من متاعه ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ﴾ حين إعطاء الموثق ﴿حَافِظِينَ﴾ ولو علمنا أنه يسرق لم نأخذه.

﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: 82] أي: أهلها وهي مصر ﴿الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ أي: أرسل إلى أهلها فاسألهم ﴿وَالْعِيرَ﴾ أي: أصحاب القافلة ﴿الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ معها وهم قوم من كنعان ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في إخبارنا لك وعمل يوسف ذلك من قطع أخيه عن

أبيه ونحوه بأمر الله تعالى ليزيد في بلاء يعقوب وتضاعف الأجر له فرجعوا إلى يعقوب وقالوا له ذلك.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ [يوسف: 83] زينت ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ ففعلتموه اتهمهم لما سبق منهم في أمر يوسف أو اتهمهم بحمل الأخ لمصر لطلب نفع عاجل ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ صبري ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾ بيوسف وبنيامين والأخ المقيم معهم ﴿جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بحزني ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبير خلقه.

﴿وَتَوَلَّى﴾ [يوسف: 84] أعرض يعقوب ﴿عَنْهُمْ﴾ أي: عن بنيه وتنامى وجده وحزنه وترك خطابهم ﴿وَقَالَ يَا أَسَفَى﴾ والأسف: أشد الحزن ﴿عَلَى يُوسُفَ﴾ أي: على فراقه ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ انمحق سوادهما ﴿مِنَ الْحُزْنِ﴾ لكثرة البكاء وكان يدرك بهما إدراكًا ضعيفًا، وقيل: عمي ست سنين ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[1] مغموم مكروب لا

---

(1) فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عنهم، وذلك أن يعقوب لما بلغه خبر بنيامين تتام حزنه، وبلغ جهده، وجدد الله مصيبته له في يوسف فقال: ﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ ونسي ابنه بنيامين فلم يذكره، عن ابن عباس، وقال سعيد بن جبير: لم يكن عند يعقوب ما في كتابنا من الاسترجاع، ولو كان عنده لما قال: ﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ قال قتادة والحسن: والمعنى يا حزناه! وقال مجاهد والضحاك: يا جزعاه!، والنداء على معنى: تعال يا أسف فإنه من أوقاتك، وقال الزجاج: الأصل يا أسفي، فأبدل من الياء ألف لخفة الفتحة ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ قيل: لم يبصر بهما ست سنين، وأنه عمي، قال مقاتل، وقيل: قد تبيض العين ويبقى شيء من الرؤية، والله أعلم بحال يعقوب، وإنما ابيضت عيناه من البكاء، ولكن سبب البكاء الحزن، فلهذا قال: ﴿مِنَ الْحُزْنِ﴾ وقيل: إن يعقوب كان يصلي، ويوسف نائمًا معترضًا بين يديه، فغط في نومه، فالتفت يعقوب إليه، ثم غط ثانية فالتفت إليه، ثم غط ثالثة فالتفت إليه سرورًا به وبغطيطه، فأوحى الله تعالى إلى ملائكته: «انظروا إلى صفيي وابن خليلي قائمًا في مناجاتي يلتفت إلى غيري، وعزتي وجلالي! لأنزعن الحدقتين اللتين التفت بهما، ولأفرقن بينه وبين من التفت إليه ثمانين سنة، ليعلم العاملون أن من قام بين يدي يجب عليه مراقبة نظري»، هذا يدل على أن الالتفات في الصلاة - وإن لم يبطل - يدل على العقوبة عليها، والنقص فيها، وقد روى البخاري عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال: «**هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**».

الثانية: قال النحاس: فإن سأل قوم عن معنى شدة حزن يعقوب ﷺ فللعلماء في هذا ثلاثة أجوبة: منها: أن يعقوب ﷺ لما علم أن يوسف ﷺ حي خاف على دينه، فاشتد حزنه لذلك، وقيل: إنما حزن لأنه سلمه إليهم صغيرًا، فندم على ذلك، **والجواب الثالث**: وهو أبينها هو أن

=

يظهر كربه.

﴿قَالُوا﴾ [يوسف: 85] أي: أولاد يعقوب: ﴿تَاللهِ تَفْتَأُ﴾ أي: لا تزال ﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ دنفًا مشرفًا على الموت لطول المرض ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ المبلين من شدة الحزن عليه.

﴿قَالَ﴾ [يوسف: 86] لهم يعقوب عند ذلك ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي﴾ شدة حزني ﴿وَحُزْنِي﴾ عطف عليه إما لأنه كالوصف الكاشف له أو لأنه جعل البث على يوسف والحزن على أخويه أو المراد أشكوا ما أظهره وما أكتمه لله لا لخلقه ﴿إِلَى اللهِ﴾ لا إلى غيره فهو الذي تنفع الشكوى إليه ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ قيل: رأى ملك الموت، وقال له: هل قبضت روح يوسف؟ قال: لا فرجي اللقاء، وقيل: أراد أن تأويل رؤيا يوسف في السجود له لم تقع فاستدل بذلك على وجوده ولقائه.

وقال: ﴿يَا بَنِي اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا﴾ [يوسف: 87] التمسوا وتخبروا ﴿مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا﴾ تقنطوا ﴿مِنْ رَوْحِ اللهِ﴾ أي: رحمته ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ﴾ أي: يقطع الرجاء والأمل ﴿مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ به.

فلما قال لهم ذلك انطلقوا نحو مصر ليوسف ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا﴾ [يوسف: 88] أصابنا ﴿وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ الشدة والجزع ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾ ردية كاسدة لا تنفق في إصابة الطعام إلا يتجوز فيها، وهل كانت من الدارهم الزيوف أو البغال أو الغرائر أو الحبال أو الصوف أو الأقط؟ أقوال ﴿فَأَوْفِ﴾ أتم ﴿لَنَا الْكَيْلَ﴾ أعطنا ما كنت قبل تعطينا كل بالثمن الوافي ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ تفضل علينا بالمسامحة بما بين الثمنين ﴿إِنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ ثواب أعمالهم فلما قالوا له ذلك أدركته الرحمة عليهم، وقيل: قرأ كتاب يعقوب فأدركته ورفع الحجاب

=

في: «واحزناه» الحزن ليس بمحظور، وإنما المحظور الولولة وشق الثياب، والكلام بما لا ينبغي وقال النبي ﷺ: «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب»، وقد بين الله ﷻ ذلك بقوله: ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي مكظوم مملوء من الحزن ممسك عليه لا يبثه، ومنه كظم الغيظ وهو إخفاؤه، فالمكظوم المسدود عليه طريق حزنه، قال الله تعالى: ﴿إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ أي: مملوء كربًا، ويجوز أن يكون المكظوم بمعنى الكاظم، وهو المشتمل على حزنه، يقال فلان كظيم وكاظم؛ أي: حزين لا يشكو حزنه.

بينه وبينهم.

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟
أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن
يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ
ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ
ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا
فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا
فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾
قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ
وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾
قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [يوسف: ٨٩ - ٩٧].

ثم ﴿قَالَ﴾ [يوسف: 89] لهم توبيخًا: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ﴾ مما سبق ذكره ﴿وَأَخِيهِ﴾ بنيامين من هضمكم له بعد فراق أخيه ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ بما سيصير إليه أمر يوسف.

﴿قَالُوا﴾ [يوسف: 90] بعد أن عرفوه لما ظهر من شمائله متبينين لأمره: ﴿أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ قرأ ابن كثير وأبو جعفر «إنــك» على الخبر والباقون على الاستفهام ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾ بنيامين ﴿قَدْ مَنَّ﴾ أنعم ﴿اللهُ عَلَيْنَا﴾ بالاجتماع بعد الفرقة ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ﴾ بفعل الطاعات واجتناب المنهي ﴿وَيَصْبِرْ﴾ على ما يناله أو على أداء الأوامر وعن الفواحش ﴿فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ﴾ [يوسف: 91] فضلك ﴿اللهُ عَلَيْنَا﴾ بالملك والفضل ﴿وَإِنْ﴾ إنا ﴿كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ آثمين في أمرك.

﴿قَالَ﴾ [يوسف: 92] يوسف لما قالوا له ذلك: ﴿لَا تَثْرِيبَ﴾[1] لا تأنيب ولا عتب ﴿عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ فكيف بغيره من الأيام ﴿يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ﴾ دعاء لهم ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ثم سألهم عن يعقوب فقالوا: ذهبت عيناه من البكاء عليك.

فقال: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَـٰذَا﴾ [يوسف: 93] وهو قميص إبراهيم الذي لبسه حين ألقي في النار وكان في عنقه حين ألقي في الجب، وهو من الجنة أمره جبريل بإرساله وقال له: فيه ريحها لا يلقى على مبتلٍ إلا عوفي ﴿فَأَلْقُوهُ﴾ اطرحوه ﴿عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ [يوسف: 94] خرجت من عريش مصر متوجهة إلى كنعان ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لولده ومن حوله: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أتته به ريح الصبا وكان بينه وبينه ثلاثة أيام أو أكثر، وعلم به؛ لأنه وجد ريح الجنة ولم يكن على وجه الأرض منها إلا قميص يوسف ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ وهو النسبة إلى الفند وهو الخوف مع قلة الرأي لصدقتموني.

﴿قَالُوا تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ﴾ [يوسف: 95] خطابك ﴿الْقَدِيمِ﴾ الذي طال زمنه من إفراطك في محبته ورجاء لقائه على بعد العهد.

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ [يوسف: 96] المبشر عن يوسف - وهو ابنه يهوذا - قال مجاهد وهو الأقرب، ويقال: إنه كان أتاه بالقميص الملطخ بالدم فقصد محو ذلك بهذا ﴿أَلْقَاهُ﴾ طرح القميص ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ أي: وجه يعقوب ﴿فَارْتَدَّ﴾ رجع ﴿بَصِيرًا﴾ بأن زال ما في بصره من الضعف أو رد إليه ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قَالُوا﴾ [يوسف: 97] أي: أولاد يعقوب له ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ أي:

---

(1) قال الألوسي (299/18): أي لا يرده الله تعالى بعدما حكم به. ومن لم يرض بذلك قال: هو خبر لمبتدأ محذوف أي ذلك من الله تعالى، والجملة استئناف في جواب سؤال مقدر تقديره ممن ذلك؟ أو حال من الضمير المستتر في الظرف الواقع خبر لا أو متعلق بالنفي أو بما دل عليه كما قيل في قوله تعالى: ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: 2] وقيل: هو متعلق بيأتي، وتعقب بأنه خلاف المتبادر من اللفظ والمعنى، وقيل: هو مع ذلك قليل الفائدة، وجوز كونه صفة ليوم، وتعقب بأنه ركيك معنى، والظاهر أن المراد بذلك اليوم يوم القيامة لا يوم ورود الموت.

اغفرها لنا أو سل الله تعالى أن يغفرها لنا ﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾.

﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يوسف: ٩٨ - ١٠٣].

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف: 98] أخرهم إلى السحر، قاله ابن مسعود، وقيل: إلى ليلة الجمعة ثم إن يعقوب وأولاده توجهوا إلى مصر وخرج يوسف والأكابر لتلقيهم.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ [يوسف: 99] في مصر ﴿آوَى﴾ ضم ﴿إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ يعقوب وأمه راحيل قاله قتادة، وقال السدي: هي خالته ليّا ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ﴾ فلما دخلوا جلس يوسف على سريره.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ﴾ [يوسف: 100] أجلسهما معه ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ السرير ﴿وَخَرُّوا﴾ أي: يعقوب وأمه أو خالته وإخوته ﴿لَهُ﴾ أي: ليوسف ﴿سُجَّدًا﴾ بالانحناء والتواضع ﴿وَقَالَ﴾ يوسف عند ذلك: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل هذا اليوم ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ أنعم علي ﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ ولم يذكر الجب مع أنه كان أشد خشية حياء من إخوته ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ وهي فلسطين والبدو: بسيط من الأرض مسكنه أهل المواشي بماشيتهم ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ﴾ أفسد

﴿الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ بالحسد ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾ من خلقه ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ وأقام عنده أبوه سبع عشرة سنة، وقيل: أربعة وعشرون، وكانت مدة الفرقة ثماني عشرة أو أربعين أو ثمانين سنة، وحضر يعقوب الموت فوصى يوسف أن يحمله ويدفنه عند «أبية» فمضى بنفسه ودفنه وعاد إلى مصر، وأقام بعده ثلاثًا وعشرين سنة.

ولما تم أمره علم أنه لا يدوم تاقت نفسه إلى الملك الدائم فقال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ [يوسف: 101] ملك مصر ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ عبارة الرؤيا ﴿فَاطِرَ﴾ خالق ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي﴾ متولي أمري ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي﴾ اقبضني إليك ﴿مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ أي: بآبائي من الأنبياء فعاش بعد ذلك أسبوعًا أو أكثر ومات وله مائة وعشرون سنة وتشاح المصريون في دفنه فجعلوه في صندوق مرمر؛ ودفنوه بأعلى النيل؛ لتعم البركة جانبيه.

﴿ذَلِكَ﴾ [يوسف: 102] الذي ذكرناه من قصة يوسف وإخوته ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ أي: عند أولاد يعقوب ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ عزموا على ما فعلوه من كيدهم ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ بيوسف؛ أي: لم تحضرهم فتعرف قصتهم فتخبر بها وإنما حصل لك علمها من جهة الوحي.

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ [يوسف: 103] أي: أهل مكة ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ يا محمد ﷺ على إيمانهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: إن اليهود سألوه ككفار قريش عن قصة يوسف فلما أخبرهم فلم يؤمنوا فحزن لذلك فنزلت تسلية ليه ﷺ.

﴿ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ
ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ
أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ
تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ
بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن
قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ
فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْۗ

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٤ - ١١١]

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ [يوسف: 104] أي: على تبليغ الوحي أو القرآن ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ مال ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ تذكير وموعظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ﴾ [يوسف: 105] دلالة على وحدانية الله تعالى أو موعظة ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾ من النجوم والشمس والقمر وغيرها ﴿وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ يجاوزونها ويشاهدونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ لا يتأملون فيها لما يوصلهم للحق.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ﴾ [يوسف: 106] حيث يقرون بأنه الخالق الرازق ﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ به بعبادة الأصنام؛ لأنهم كانوا بعد ذلك الإقرار يعبدون الأصنام، وكان قوم من قريش يقولون في تلبيتهم: لا شريك لك إلا شريك تملكه وما ملك، يفتون الأصنام أو المراد به: المنافقون.

﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ﴾ [يوسف: 107] عقوبة مجللة تغشاهم كالصواعق ونحوها ﴿مِنْ عَذَابِ اللهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت إتيانها قبلة.

﴿قُلْ﴾ [يوسف: 108] لهم ﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾ طريقي؛ والمراد: طريق الحق، وفسرها بقوله: ﴿أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ يقين ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ آمن بي وصدقني ﴿وَسُبْحَانَ اللهِ﴾ تنزيهًا له عن الشركاء ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ [يوسف: 109] لا ملائكة و«**يوحي**» بضم الياء في أوله للكل إلا حفصًا فالنون في أوله وكسر الحاء، وقرأ كذلك «**نوحي**» في النحل والأنبياء وافقه في «**نوحي إليه**» في الأنبياء حمزة والكسائي وخلف، والباقون بالياء وفتح الحاء ﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ الأمصار لحسن أخلاقهم فلم يبعثهم من البوادي لغلظهم، ولم يبعث نبي من الجن ولا من النساء ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أي: المكذبين

لك ومنهم أهل مكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾ آخر أمر ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم فيعتبروا ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بالتاء وبالياء؛ أي: أهل مكة هذا فتؤمنون حتى غاية لما دل عليه،﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ أي: فتراخى نصرهم.

﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ﴾[1] [يوسف: 110] يأس ﴿الرُّسُلُ﴾ من إيمان قومهم ﴿وَظَنُّوا﴾ أي: دخل في ظنهم ﴿أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ بالتخفيف؛ أي: ظن قومهم أنهم قد كذبوا؛ أي: كذبت عليهم الرسل في الوعد بالعذاب لأبي جعفر والكوفيون، والباقون بالتشديد؛ أي: وظن الرسل أن قومهم كذبوهم واستمروا على ذلك وهم الكفار أو ظن من آمن استبطاء النصر وتعلق من شدة البلاء ﴿جَاءَهُمْ﴾ أي: الرسل ﴿نَصْرُنَا فَنُجِّيَ﴾ قرأ ابن عامر ويعقوب وعاصم «فنجي» بنون واحدة وجيم مشددة وفتح الباء، والباقون بنونين الثانية ساكنة مع تخفيف الجيم وإسكان الباء من ﴿مَنْ نَشَاءُ﴾ وهم المؤمنون ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ [يوسف: 111] أي: يوسف وإخوته والرسل ﴿عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ موعظة وتذكرة لأصحاب العقول ﴿مَا كَانَ﴾ أي: القرآن ﴿حَدِيثًا

(1) بغير همز وفي ييئس لغتان يئس وييأس مثل حسب ويحسب ومن قال استيأس قلب العين إلى موضع الفاء فصار استعفل وأصله استيأس ثم خففت الهمزة، قال صاحب «الكشاف»: استيأسوا يئسوا، وزيادة السين والتاء للمبالغة كما في قوله: ﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾ وقوله: ﴿مِنْهُ خَلَصُوا﴾ قال الواحدي: يقال خلص الشيء يخلص خلوصًا إذا ذهب عنه الشائب من غيره، ثم فيه وجهان: **الأول**: قال الزجاج خلصوا أي انفردوا، وليس معهم أخوهم، **والثاني**: قال الباقون تميزوا عن الأجانب، وهذا هو الأظهر، وأما قوله: ﴿نَجِيًّا﴾ فقال صاحب «الكشاف»: النجي على معنيين يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل: النجوى بمعنى المتناجين، فعلى هذا معنى ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم ﴿نَجِيًّا﴾ أي: مناجيًا، روي «نجوى» أي: فوجًا ﴿نَجِيًّا﴾ أي مناجيًا لمناجاة بعضهم بعضًا، وأحسن الوجوه أن يقال: إنهم تمحضوا تناجيًا، لأن من كمل حصول أمر من الأمور فيه وصف بأنه صار غير ذلك الشيء، فلما أخذوا في التناجي على غاية الجد صاروا كأنهم في أنفسهم، صاروا نفس التناجي حقيقة.

﴿يُفْتَرَى﴾ يختلق ﴿وَلَكِنْ﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب كالتوراة والإنجيل ﴿وَتَفْصِيلَ﴾ بيان ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ مما يحتاج إليه في الدين من الحلال والحرام والأمر والنهي وغيرهما ﴿وَهُدًى﴾ بيان ونعمة ﴿وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم به دون غيره.

سورة الرعد

مكيّة إلا قوله: ﴿وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الرعد: 31] وقوله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً﴾ [الرعد: 43] فنزلتا بالمدينة، أو مدنية إلا ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً﴾ [الرعد: 31] اثنين وأربعون، أو ثلاث، أو خمس، أو سبع آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرعد: ١ - ٤].

﴿المر تِلْكَ﴾ [الرعد: 1] إشارة إلى وما في السورة من ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن؛ أي: آيات منه ﴿وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ هو القرآن ﴿مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ لا شك فيه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: مكة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أنه من الله تعالى، ردًا لقول كفار مكة أن محمدًا ﷺ يقول: القرآن من تلقاء نفسه، ثم بيَّن ﷻ دلائل ربوبيته بقوله: ﴿الله الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ أي: سواري ﴿تَرَوْنَهَا﴾ أي: العمد، وهو صادق بالوجود ونفي الرؤية، وبألَّا عمد أصلاً ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواء يليق به.

﴿وَسَخَّرَ﴾ [الرعد: 2] ذلك ﴿الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ بالمنافع لخلقه ﴿كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِي﴾ في فلكه ﴿لأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ وهو وقت انقضاء الدنيا مجيء يوم القيامة ﴿يُدَبِّرُ

﴿الْأَمْرَ﴾ يقضيه ﴿يُفَصِّلُ﴾ يبيّن ﴿الْآيَاتِ﴾ الدلالات ﴿لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ﴾ بالبعث ﴿تُوقِنُونَ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ [الرعد: 3] بسطها ﴿وَجَعَلَ﴾ خلق ﴿فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالاً راسية؛ أي: ثابتة ﴿وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ من كل نوع الحامض والحلو ومختلف اللون ونحوه ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ﴾ أي: يغطي بظلمته ﴿النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنع الله، والتفكر: صرف القلب في النظر في معاني الأشياء.

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ﴾ [الرعد: 4] بقاع مختلفة ﴿مُتَجَاوِرَاتٌ﴾ متقاربات مع الاختلاف فهذا ينبت وهذا لا ينبت، وكل ذلك من دلائل قدرته ﴿وَجَنَّاتٌ﴾ بساتين ﴿مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ﴾ جمع صنو، وهي النخلات يجمعها أصل واحد وتتشعب فروعها ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ منفردة، قرأ البصريان وابن كثير وحفص برفع «زرع، ونخيل، وصنوان، وغير»، والباقون بالخفض ﴿يُسْقَى﴾ بتاء من تحت في أوله ليعقوب وابن عامر وعاصم، والباقون بتاء من فوق ﴿بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾ والماء جسم رقيق مائع به حياة كل قائم ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف ويفضل بالياء، والباقون بالنون، والأكل سبق في البقرة؛ أي: فهذا مالح وهذا حامض وهذا حلو ونحوه، ومن ذلك بنو آدم أبوهم واحد وهم يختلفون بالإيمان والكفر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1] يتدبرون، فيتأملون ويعلمون أن خالق هذه الأشياء لا

---

(1) فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ﴾ في الكلام حذف، المعنى: وفي الأرض قطع متجاورات وغير متجاورات، كما قال: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ والمعنى: وتقيكم البرد، ثم حذف لعلم السامع، والمتجاورات المدن وما كان عامرًا، وغير متجاورات الصحارى وما كان غير عامر.

الثانية: قوله تعالى: ﴿مُتَجَاوِرَاتٌ﴾ أي: قرى متدانيات، ترابها واحد، وماؤها واحد، وفيها زروع وجنات، ثم تتفاوت في الثمار والتمر، فيكون البعض حلوًا، والبعض حامضًا، والغصن الواحد من الشجرة قد يختلف الثمر فيه من الصغر والكبر واللون والمطعم، وإن انبسط الشمس والقمر على الجميع على نسق واحد، وفي هذا أدل دليل على وحدانيته وعظم صمديته، والإرشاد لمن ضل عن معرفته، فإنه نبه سبحانه بقوله: ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾ على أن ذلك كله ليس إلا بمشيئته وإرادته، وأنه مقدور بقدرته، وهذا أدل دليل على بطلان القول بالطبع، إذ لو كان ذلك بالماء
=

=

والتراب والفاعل له الطبيعة لما وقع الاختلاف، وقيل: وجه الاحتجاج أنه أثبت التفاوت بين البقاع، فمن تربة عذبة، ومن تربة سبخة مع تجاورهما، وهذا أيضًا من دلالات كمال قدرته، جل وعز تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوًا كبيرًا.

الثالثة: - ذهبت الكفرة - لعنهم الله - إلى أن كل حادث يحدث بنفسه لا من صانع، وادعوا ذلك في الثمار الخارجة من الأشجار، وقد أقروا بحدوثها، وأنكروا محدثها، وأنكروا الأعراض، وقالت فرقة: بحدوث الثمار لا من صانع، وأثبتوا للأعراض فاعلاً، والدليل على أن الحادث لا بد له من محدث أنه يحدث في وقت، ويحدث ما هو من جنسه في وقت آخر، فلو كان حدوثه في وقته لاختصاصه به لوجب أن يحدث في وقته كل ما هو من جنسه، وإذا بطل اختصاصه بوقته صح أن اختصاصه به لأجل مخصص خصصه به، ولولا تخصيصه إياه به لم يكن حدوثه في وقته أولى من حدوثه قبل ذلك أو بعده، واستيفاء هذا في علم الكلام.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿**وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ**﴾ قرأ الحسن «وجنات» بكسر التاء، على التقدير: وجعل فيها جنات، فهو محمول على قوله: ﴿**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ**﴾ ويجوز أن تكون مجرورة على الحمل على «كل» التقدير: ومن كل الثمرات، ومن جنات، الباقون: «جنات» بالرفع على تقدير: وبينهما جنات ﴿**وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ**﴾ بالرفع، ابن كثير وأبو عمرو وحفص عطفًا على الجنات، أي على تقدير: وفي الأرض زرع ونخيل، وخفضها الباقون نسقًا على الأعناب، فيكون الزرع والنخيل من الجنات، ويجوز أن يكون معطوفًا على «كل» حسب ما تقدم في «وجنات»، وقرأ مجاهد والسلمي وغيرهما «صنوان» بضم الصاد، الباقون بالكسر، وهما لغتان، وهما جمع صنو، وهي النخلات والنخلتان، يجمعهن أصل واحد، وتتشعب منه رءوس فتصير نخيلاً، نظيرها قنوان، واحدها قنو، وروى أبو إسحاق عن البراء قال: الصنوان المجتمع، وغير الصنوان المتفرق، النحاس: وكذلك هو في اللغة، يقال للنخلة إذا كانت فيها نخلة أخرى أو أكثر صنوان، والصنو المثل، ومنه قول النبي ﷺ: «**عم الرجل صنو أبيه**»، ولا فرق فيها بين التثنية والجمع، ولا بالإعراب، فتعرب نون الجمع، وتكسر نون التثنية إلا بجمع ذا وذاك معًا.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿**يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ**﴾ كصالح بني آدم وخبيثهم، أبوهم واحد، قاله النحاس والبخاري، وقرأ عاصم وابن عامر: «يسقى» بالياء، أي يسقى ذلك كله، وقرأ الباقون بالتاء، لقوله: «جنات» واختاره أبو حاتم وأبو عبيدة، قال أبو عمرو: والتأنيث أحسن، لقوله: ﴿**وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ**﴾ ولم يقل بعضه، وقرأ حمزة والكسائي وغيرهما «ويفضل» بالياء ردًا على قوله: ﴿**يُدَبِّرُ الْأَمْرَ**﴾ و﴿**يُفَصِّلُ**﴾ و﴿**يُغْشِي**﴾ الباقون بالنون على معنى: ونحن نفضل، وروى جابر بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ يقول لعلي ؓ: «**الناس من شجر شتى وأنا وأنت من شجرة واحدة**» ثم قرأ النبي ﷺ: ﴿**وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ**﴾ حتى بلغ قوله: ﴿**يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ**﴾ و﴿**الْأُكُلِ**﴾ الثمر، قال ابن عباس: يعني الحلو والحامض والفارسي والدقل، وروي مرفوعًا من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال في قول تعالى: ﴿**وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ**﴾ قال: «**الفارسي والدقل والحلو والحامض**» ذكره الثعلبي، قال الحسن: المراد بهذه

=

يُعبد غيره.

﴿ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الرعد: ٥ - ٨].

﴿وَإِنْ تَعْجَبْ﴾ [الرعد: 5] يا محمد من إنكارهم النشأة الأخرى مع إقرارهم بابتداء الخلق ﴿فَعَجَبٌ﴾ حقيق بالعجب ﴿قَوْلُهُمْ﴾ منكرين للبعث ﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: نعاد كما كنا قبل الموت؛ لأن القادر على الإنشاء وما تقدم على غير مثال قادر على الإعادة ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ في النار يوم القيامة ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لا غيرهم.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ [الرعد: 6] العذاب ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ العافية، نزلت في كفار مكة كانوا يطلبون العقوبة قبل العافية استهزاء منهم كقوله: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً....﴾ [الأنفال: 32] إلى آخره ﴿وَقَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾ جمع مثله بفتح الميم وضم الثاء، والمراد: عقوبات أمثالهم من المكذبين فلا يعتبرون بها ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ أي: معاصيهم رحمة منه، إلا لم يترك على ظهرها دابة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن كفر.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾ [الرعد: 7] هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ الضمير لمحمد ﷺ

=

الآية المثل، ضربه الله تعالى لبني آدم، أصلهم واحد، وهم مختلفون في الخير والشر، والإيمان والكفر، كاختلاف الثمار التي تسقى بماء واحد، ومنها شجر ينضج طول الدهر قطران ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي: لعلامات لمن كان له قلب يفهم عن الله تعالى.

﴿آيَةٌ﴾ علامة تدل لنبوته ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ كالعصا والناقة ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ مخوف لهم بالعذاب إن لم يؤمنوا، والمراد: لا يلزمك الإتيان بمرادهم ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ أي: نبي يدعوهم إلى الله بما يعلمه من الآيات إلا بما يقترحون.

﴿الله يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ [الرعد: 8] من ذكر وغيره، تام أو غيره ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾ تنقص ﴿الْأَرْحَامُ﴾ من مدة الحمل ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ منه فالحائض ينقص ولدها؛ لأن الحيض على الحمل مخرج للدم الذي هو غذاء الولد فينقص، والزيادة تركه، أو المراد بالنقص: النقص عن تسعة أشهر، وبالزيادة: زيادة عليها إلى منتهى مدة الحمل وهو أربع سنين. ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: 9] بقدر وَحَدٍّ لا يتجاوزه ولا ينقص عنه.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد: ٩ - ١٣].

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ ما غاب عنَّا ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ ما علمناه ﴿الْكَبِيرُ﴾ العظيم فكل شيء دونه ﴿الْمُتَعَالِ﴾[1] المستعلي على كل شيء بقدرته.

---

(1) ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ أي: بحد لا يتجاوزه ولا يقتصر عنه، وقال ابن عباس: وكل شيء من الثواب والعقاب عنده بمقدار أي: بقدر الطاعة والمعصية، وقال الضحاك: من الغيض والازدياد، وقال قتادة: من الرزق والأجل، وقيل: صحة الجنين ومرضه وموته وحياته ورزقه وأجله، والأحسن حمل هذه الأقوال على التمثيل لا على التخصيص، لأنه لا دليل عليه، والمراد من العندية العلم أي: هو تعالى عالم بكمية كل شيء، وكيفيته على الوجه المفصل المبين، فامتنع وقوع اللبس في تلك المعلومات، وقيل المراد بالعندية أنه تعالى خصص كل حادث بوقته بعينه، وحالة معينة بمشيئته الأزلية وإرادته السرمدية، ولما ذكر أنه عالم بأشياء خفية لا يعلمها إلا هو، =

﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ﴾ [الرعد: 10] في علم الله﴿مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ فيعلم الكل﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ﴾ مستتر بظلمته﴿وَسَارِبٌ﴾ ظاهر بذهابه في سربه؛ أي: طريقه﴿بِالنَّهَارِ﴾.

﴿لَهُ﴾ [الرعد: 11] أي: لله أو للإنسان﴿مُعَقِّبَاتٌ﴾ ملائكة يأتي بعضهم عقب بعض، فإذا ذهبت ملائكة الليل أتت ملائكة النهار وعكسه﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ الضمير للمستخفي وللسارب؛ أي: الملائكة من أمامه ومن وراء ظهره﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ أي: بأمر الله من الجن وغيرهم﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ من العافية﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ من الطاعة بالمعصية﴿وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ بلاء وشدة﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ من المعقبات ولا من غيرها﴿وَمَا لَهُمْ﴾ إن أراد بهم سوء﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غير الله﴿مِنْ وَالٍ﴾ أي: ملجأ أو والٍ يلي أمرهم فيمنع عنهم العذاب.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ [الرعد: 12] من الصاعقة، أو للمسافر من المشقة أو خوفًا منه في غير أيامه﴿وَطَمَعًا﴾ في نفع المطر أو للمقيم برجاء البركة أو طمعًا فيه إذا كان في أيامه﴿وَيُنْشِئُ﴾ يبدأ﴿السَّحَابَ﴾ جمع: سحابة، وهو: غربال الماء﴿الثِّقَالَ﴾ بالماء.

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ﴾ [الرعد: 13] اسم ملك يسوق السحاب﴿بِحَمْدِهِ﴾ أي: ملتبسًا بذلك﴿وَ﴾ تسبح﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ تقول: سبحان الله وبحمده﴿مِنْ خِيفَتِهِ﴾ أي: خيفة الله تعالى وخشيته، ويسن لمن سمع الرعد أن يقول: سبحان الله من تسبيح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فهو أمان من الصواعق قاله ابن عباس - رضي الله عنهما -﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ جمع: صاعقة وهي العذاب المهلك، أو نار

=

وكانت أشياء جزئية من خفايا علمه، ذكر أن علمه محيط بجميع الأشياء، فعلمه تعالى متعلق بما يشاهده العالم تعلقه بما يغيب عنهم، وقيل: الغائب المعدوم، والشاهد الموجود، وقيل: الغائب ما غاب عن الحس، والشاهد ما حضر للحس، وقرأ زيد بن علي: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ بالنصب ﴿الْكَبِيرُ﴾ العظيم الشأن الذي كل شيء دونه ﴿الْمُتَعَالِ﴾ المستعلي على كل شيء بقدرته، أو الذي كبر عن صفات المحدثين وتعالى عنها، وأثبت ابن كثير وأبو عمرو في رواية: ياء المتعال وقفًا ووصلاً، وهو الكثير في لسان العرب، وحذفها الباقون وصلاً ووقفًا؛ لأنها كذلك رسمت في الخط.

تخرج من السحاب ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ من المسلمين وغيرهم إلَّا الذاكرين قاله محمد الباقر ﷺ، ﴿وَهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿يُجَادِلُونَ﴾ يخاصمون النبي ﷺ ﴿فِي الله وَهُوَ﴾ أي: الله ﴿شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ القوة والأخذ، أو العقوبة، أو الحول، أو المعاملة للماكر بمكره أقوال متقاربة، ونزلت كما أخرجه الطبراني في أربد بن قيس وعامر بن الطفيل الأول قال للنبي ﷺ لمَّا أرسل له يدعوه إلى الإيمان من رسول الله ﷺ: ومن ربك أمن ذهب هو أم فضة أو نحاس؟ والثاني اتفق هو والأول على قتل رسول الله ﷺ فمنعه الله منهما بالمعقبات، وهلك الثاني بعده والأول بالصاعقة فأتته فذهبت بقِحْف رأسه.

﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَـٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَـٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّـٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَـٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَـٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الرعد: ١٤ - ١٧].

﴿لَهُ﴾ [الرعد: 14] تعالى ﴿دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ أي: الصدق، وهي التوحيد بشهادة أن لا إله إلا الله ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ وهم الأصنام ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ﴾ لا يجيبون ﴿لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ مما يطلبونه من نفع أو ضر ﴿إِلَّا﴾ استجابة ﴿كَبَاسِطِ﴾ أي: كاستجابة باسط ﴿كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ﴾ أي: مدليهما في بئر والماء بعيد عنهما، يدعوه ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ فمه بارتفاعه من البئر إليه ﴿وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ إلى فاه أبدًا؛ لبعده فلا يفيده من العطش شيء، فكذا ما هم بمستجيبين لهم ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ أي: أصنامهم، أو عبادتهم لها ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ضياع يذهب عنهم إذا احتاجوا إليه، أو المراد: ما

دعاؤهم لله إلا في ضلال؛ بمعنى: أنه لا يستجيب لهم.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرعد: 15] من الملائكة والإنس والجن ﴿طَوْعًا﴾ من المؤمنين ﴿وَكَرْهًا﴾ من الكفار والمنافقين بالسيف ﴿وَ﴾ تسجد ﴿ظِلَالُهُمْ﴾ أي: الساجدين طوعًا وكرهًا، فظل المؤمن يسجد معه طوعًا، وظل الكافر يسجد كرهًا ﴿بِالْغُدُوِّ﴾ البكر ﴿وَالْآصَالِ﴾ جمع: أصيل، وهو ما بين العصر إلى غروب الشمس.

﴿قُلْ﴾ [الرعد: 16] يا محمد لقومك ﴿مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خالقهما ومدبرهما ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ إن لم يقولوه لا جواب غيره؛ لأنه الحق، ولا اختلاف فيه ومن خالف لم يعتد به ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ﴾ غيره ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أصنامًا تعبدونها ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ فكيف يملكون لكم وتركتم مالكها؟ والاستفهام للتوبيخ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ الكافر والمؤمن، أو الصنم والكافر إن أريد البصر الظاهر ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ﴾ بالياء من أسفل في أوله لحمزة والكسائي وخلف، والباقون بالتاء للتأنيث ﴿وَالنُّورُ﴾ الكفر والإيمان ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: خلق الله بخلق الشركاء، فلذلك اعتقدوا أنهم من أهل العبادة، أو المراد بالاستفهام: إنكار؛ أي: ليس الأمر كذلك، ولا يستحق العبادة إلا الخالق ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فليس ثَمَّ خُلق لغيره فلا شريك له في العبادة ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ لعباده.

﴿أَنْزَلَ﴾ [الرعد: 17] أي: الله ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ هو المطر ﴿فَسَالَتْ﴾ من ذلك الماء ﴿أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ أي: مقدار ملئها في الصغر والكبر ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ﴾ الحادث من الماء ﴿زَبَدًا﴾ هو الخَبَث الذي يظهر على وجه الماء أو القِدْر ﴿رَابِيًا﴾ عاليًا مرتفعًا فوق الماء مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر، أو للحق والباطل، فالزبد العالي هو: الباطل، والماء الصافي هو: الحق، وقيل: هو مَثَل للقرآن، والأودية مثل القلوب، فاحتملت القلوب منه على قدر الفهم والعقل والشك والجهل ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص بالياء من أسفل في أوله، والباقون: بالتاء من فوق ﴿عَلَيْهِ﴾ كائنًا ﴿فِي النَّارِ﴾ من أسفل في أوله، والباقون: بالتاء من فوق عليه كائنًا في النار من جواهر الأرض، كالذهب والفضة والنحاس ﴿ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ﴾ زينة وهي: الذهب والفضة ﴿أَوْ﴾ طلب ﴿مَتَاعٍ﴾ وهو ما يتمتع به من الأواني من النحاس ونحوه ﴿زَبَدٌ

﴿مِثْلُهُ﴾ أي: إذا أذيب فله زبد مثل الماء وهو الخَبَث الذي ينفيه الكير، والزبد الأعلى كالباطل يذهب، والفلز من النحاس والفضة والذهب، وغيرها يبقى وهو الحق، فقوله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ﴾ إلى هنا مثل آخر ﴿كَذَلِكَ﴾ المذكور ﴿يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ أي: مثلهما ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ﴾ أي: منهما ﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ أي: باطلاً ضائعًا مرميًا ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ أي: من الماء والفلز ﴿فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ زمنًا؛ أي: يبقى ولا يذهب كذلك، كذلك الباطل يضمحل وينمحق وإن علا على الحق في بعض الأحيان، والحق باقٍ ثابت ﴿كَذَلِكَ﴾ المذكور ﴿يَضْرِبُ﴾ يبيّن ﴿اللهُ الْأَمْثَالَ﴾.

﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الرعد: ١٨ - ٢٢].

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ [الرعد: 18] أجابوا ﴿لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى﴾ الجنة وسبق وزيادة ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ وهم الكفار ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ أي: بذلوه في القيمة افتداء من النار ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ أي: أشده، فيحاسبون بذنوبهم كلها لا يغفر لهم منها شيء ﴿وَمَأْوَاهُمْ﴾ في الآخرة ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ الفراش هي.

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ [الرعد: 19] فيؤمن ويعمل به ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ فلا يفعل ذلك، قيل: المهتدي العالم بأنه الحق حمزة، وقيل: عمّار، والأعمى أبو جهل بلا خلاف، والمراد: أنهما لا يستويان ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ﴾ [الرعد: 20] المأخوذ عليهم في عالم الذرّ أو كل عهد ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ بترك الإيمان، أو الفرائض.

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ الله بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ [الرعد: 21] من الإيمان، وصلة الرحم عند الأكثرون، وقيل: الإيمان بجميع الكتب والرسل ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي: وعيده ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ وهو المناقشة فيه بتعداد كل الذنوب وعدم مغفرة شيء منها.

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [الرعد: 22] على الطاعات والبلاء وعن الشهوات ﴿ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿وَجْهِ﴾ ذات ﴿رَبِّهِمْ﴾ لا غرضًا آخر ﴿وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنْفَقُوا﴾ في الطاعات ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً﴾ المراد به: أداء الزكاة ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ يدفعون ﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾[1] فإذا فعلوا شيئًا فعلوا بعده صالحًا، وقيل: المراد يدفعون الذنب بالتوبة، أو الشر بالخير، وإذا سفه عليهم حملوا، وإذا حرموا أعطوا، وإذا ظلموا عفوا، وإذا قطعوا وصلوا ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة.

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٣ - ٢٨].

---

(1) قوله تعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أي: يدفعون درأت إذا دفعت، والدرء الدفع، وفي الحديث: «ادرءوا الحدود بالشبهات»، قيل: يدفعون بالاحتمال والكلام الحسن الأذى، وقيل: يدفعون بالتوبة والاستغفار الذنوب، وعلى الأول فهو وصف لمكارم الاخلاق، أي من قال لهم سوءًا لا ينوه وقابلوه من القول الحسن بما يدفعه فهذه آية مهادنة، وهي من صدر الإسلام، وهي مما نسختها آية السيف وبقي حكمها فيما دون الكفر يتعاطاه أمة محمد ﷺ إلى يوم القيامة، ومنه قوله ﷺ لمعاذ: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن» ومن الخلق الحسن دفع المكروه والأذى، والصبر على الجفا بالإعراض عنه ولين الحديث.

والعقبى هي: ﴿جَنَّاتُ﴾ [الرعد: 23] بساتين ﴿عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ هم ﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ آمن ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ وإن لم يعملوا بعملهم يكونون في درجاتهم تكرمة لهم ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ من أبواب الجنة والقصور أول دخولهم للتهنئة.

يقولون: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الرعد: 24] المراد: سلّمكم الله من الآفات التي كنتم تخافون فيها، قالوا: وتدخل الملائكة عليهم في مقدار اليوم والليلة ثلاث مرات بالهدايا والتحف من الله ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ بسبب صبركم ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ عقباكم وهي الجنة.

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ [الرعد: 25] وهم الكفار ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ فيؤمنون ببعض الأنبياء، ويكفرون ببعض ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالعمل بالمعاصي ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ الطرد والبعد من وجه الله ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ أي: العاقبة السيئة في الدار الآخرة، وهي: الانقلاب للنار.

﴿اللهُ يَبْسُطُ﴾ [الرعد: 26] يوسع ﴿الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يضيق على من يشاء ﴿وَفَرِحُوا﴾ أي: مشركوا مكة فرح بطر ﴿بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ والفرح بها كذلك حرام ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي﴾ جنب حياة ﴿الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ شيء قليل ذاهب.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الرعد: 27] من أهل مكة: ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ أي: علامة دالة على صدقه كالعصا واليد ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ إضلاله عدلاً، فلا يغني عنه الآيات ﴿وَيَهْدِي﴾ يرشد ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى دينه فلا ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ رجع، وأقبل بقلبه إليه.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ﴾ [الرعد: 28] تسكن ﴿قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾
كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ
وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ
﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل
لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [الرعد: ٢٩ - ٣٢].

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ﴾ [الرعد: 29] مصدر من الطيب؛ أي: خير وكرامة، أو هي شجرة من الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها ﴿وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ منقلب.

﴿كَذَلِكَ﴾ [الرعد: 30] كما أرسلنا الأنبياء قبلك ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ﴾ لتقرأ ﴿عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ أي: كفار مكة ﴿بِالرَّحْمَنِ﴾ المنعم على عباده حيث قالوا لمَّا أمروا بالسجود له: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾؟ [الفرقان: 60] ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﷺ: ﴿هُوَ﴾ أي: الرحمن ﴿رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ﴾ نقلت ﴿بِهِ الْجِبَالُ﴾ عن أماكنها نزلت؛ لأن طائفة من مشركي مكة منهم أبو جهل قالوا للنبي ﷺ: سيِّر عنَّا جبال مكة بالقرآن؛ إذ ضاقت علينا، ففسحها بذلك؛ لنزرع، وشقق لنا الأرض عيونًا، وأحيي لنا أجداداً من آبائك وآبائنا الموتى بزعم أنك على الحق، فنزلت معلمة لهم بأن هذا لم يكن بقرآن سابق ﴿أَوْ قُطِّعَتْ﴾ شققت ﴿بِهِ الْأَرْضُ﴾ أي: عيونًا وأنهارًا ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ بأن يحيوا لكان هذا القرآن كذلك ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ فإن شاء فعل ذلك، وإن شاء لم يفعله، أو المعنى: لو أن قرآنًا ففعل به ذلك ففعل مثله هذا الماء آمنوا، ونزلت لمَّا أراد الصحابة إظهار ما اقترحوا طمعًا في إيمانهم.

﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ﴾ [الرعد: 31] أي: أنه ﴿لَوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ للإيمان بلا آية ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا﴾ بصنعهم؛ أي: كفرهم ﴿قَارِعَةٌ﴾ داهية، تقرعهم؛ أي: تصل إليهم من صنوف البلاء من القتل، والأسر، والحرب، والجذب ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ أي: القارعة ﴿قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ﴾ وهو شامل ليوم القيامة، والفتح، والنصر، وظهور الرسول ﷺ ودينه، أو المراد: أو تحل أنت قريبًا منها، وقد وقع له ﷺ ذلك عام الحديبية فحل بها حتى أتى بعد فتح مكة ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الرعد: 32] كما استهزأ بك فهو تسلية له ﷺ

﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ أمهلت ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأن أطلت لهم المدة ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعقاب قتلاً في الدنيا ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾؟ أي: عقابي لهم، والمعنى: أنه واقع موقعه، فكذلك أفعل بمن استهزأ بك.

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الرعد: ٣٣ - ٣٦].

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي: حافظها، ورازقها، وعالمها، ومجازيها، ورقيب عليها لما عملت؛ أي: بعملها وهو الله، والجواب محذوف؛ أي: كمن ليس كذلك وهو الأصنام، والهمزة: للإنكار ويدل لذلك ﴿وَجَعَلُوا لِله شُرَكَاءَ﴾ ونظيره: ﴿أَفَمَن شَرَحَ الله صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ [الزمر: 22]؛ أي: كمن قسي قلبه يدل له: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ الله﴾ [الزمر: 22] ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الرعد: 33] بينوا أسماءهم أو صفوهم؛ لننظر هل هي أهل أن تعبد ﴿أَمْ﴾ بل ﴿تُنَبِّئُونَهُ﴾ تخبرون الله ﴿بِمَا﴾ أي: بشريك ﴿لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾؟ استفهام إنكار؛ أي: شريك له؛ إذ لو كان لعلمه تعالى عن ذلك ﴿أَمْ﴾ بل يسمونهم شركاء ﴿بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ﴾ بظن باطل لا حقيقة له باطنًا ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾ شركهم ﴿وَصُدُّوا﴾ هنا وفي غافر: ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ بضم الصاد ليعقوب والكوفيين؛ أي: صدهم الله، والباقون بالفتح فيهما؛ أي: صدوا الناس بمعنى: منعوهم عن السبيل طريق الهدى ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ الله فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ موصل إلى الخير.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الرعد: 34] بالأسر بالقتل ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أشد منه ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ الله﴾ أي: من عذابه ﴿مِنْ وَاقٍ﴾ مانع.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ [الرعد: 35] المراد: شبهها؛ أي: مما يتلى عليكم مثلها ﴿الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا﴾ أي: ما يؤكل فيها ﴿دَائِمٌ﴾ لا ينقطع ﴿وَظِلُّهَا﴾ كذلك لا تنسخه شمس؛ لعدمها فيها[1] ﴿تِلْكَ﴾ الجنة ﴿عُقْبَى﴾ عاقبة ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾.

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ [الرعد: 36] القرآن، وهم أصحاب محمد ﷺ كلهم ومنهم مؤمنوا أهل الكتاب كابن سلام ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن؛ لموافقته لما عندهم ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ الكفار، سموا به؛ لتحزّبهم على الكفر، ومعاداة النبي ﷺ ﴿مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾ كذكر الرحمن وما عدا من القصص ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾ شيئًا؛ أي: فإنكاركم لبعض القرآن إنكار لعبادة الله ﴿إِلَيْهِ أَدْعُو﴾ لا إلى غيره ﴿وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾ مرجعي لا إلى غيره.

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الرعد: ٣٧ - ٤٣].

(1) الأُكل بضم الهمزة: المطعم، وبفتحها: المصدر. قال مالك: ليس في الدنيا ما يشبه ثمار الجنة سوى الموز؛ لأنه دائم في الصيف والشتاء، وقد قال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾.

قال القاضي أبو بكر: وكذلك رمان بغداد، فإنه يقيم في الشجرة السنتين فيشتد قشره، فلا ينفلق إلا بالقدوم، فإذا انفلق خرج منه الحب أجمل ما كان وأينعه. [الأحكام الصغرى 394].

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الرعد: 37] الإنزال ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب يحكم به بين الناس ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: الكفار على سبيل الفرض ﴿بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بالتوحيد ﴿مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ ناصر﴿وَلَا وَاقٍ﴾ حافظ أو مانع من عذابه، ونزل لما عيَّر الكفار أو اليهود النبي ﷺ بكثرة النساء بأن قالوا: همَّته في النساء.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: 38] أولادًا وأنت مثلهم ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ منهم ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾ لأنهم عبيد مربوبون، وهو جواب لعبد الله بن أمية حيث قال: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ﴾ [الرعد: 7] ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾ أمر قضاه الله تعالى، أو مدة ﴿كِتَابٌ﴾ مكتوب فيه تحديده.

﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ [الرعد: 39] من الشرائع، والآجال، والأرزاق، وغير ذلك ﴿وَيُثْبِتُ﴾ ما يشاء بإسكان الثاء وكسر الباء بلا تشديد لابن كثير وأبي عمرو وعاصم ويعقوب، والباقون: بالتشديد ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ وهو اللوح المحفوظ سُمِّي؛ إمَّا لأنه أصل غيره من الكتب كما سُمّيت مكة: أم القرى.

﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ [الرعد: 40] به من العذاب قبل وفاتك فذاك[1] ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل ذلك ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ لا غيره من حسابهم وجزائهم ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ إذا صاروا إلينا فنجزيهم بأعمالهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ [الرعد: 41] أي: كفار مكة السائلين له ﷺ عن الآيات ﴿أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ البلاد ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ جوانبها بفتح ديار الشرك، وزيادة في ديار الإسلام؛ أي: أفلا يعتبرون؟ ﴿وَاللهُ يَحْكُمُ﴾ في خلقه بما أراد ﴿لَا مُعَقِّبَ﴾ لا راد ﴿لِحُكْمِهِ﴾ أي: قضائه ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فيمضي المؤمن للجنة، والكافر للنار، ولا يتعقب ذلك أحد.

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الرعد: 42] أي: قبل كفار مكة من الأمم بأنبيائهم كما مكروا بك ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ أي: يجازيهم بمكرهم، أو المراد: إنه خالقه

---

(1) والمعنى: وإمَّا نرينك - يا محمد - بعض الذي توعدنا به أعداءك من العذاب الدنيوي، فذاك شفاء لصدرك وصدور أتباعك.

جميعًا فبيده كل شيء فلا نفع ولا ضرر إلا بإذنه، فأثبته لهم كسبًا ونفاه عنهم خلقًا، أو المراد: ليس مكرهم كمكره سبحانه؛ لأنه تعالى ﴿**يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ**﴾ فيُعدُّ لها جزاءه من حيث لا تشعر ﴿**وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ**﴾ بالإفراد لابن كثير والمدنيين وأبي عمرو، والباقون: بالجمع ﴿**لِمَنْ عُقْبَى**﴾ عاقبة ﴿**الدَّارِ**﴾ المحمودة في الآخرة ألهم ذلك أم للنبي ﷺ وآله وصحبه؟

﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ [الرعد: 43] لك: ﴿**لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ**﴾[1] لهم: ﴿**كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ**﴾ في أني رسوله إليكم ﴿**وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾ أي: ويكفي معه في ذلك من عنده علم الكتاب، وهل هو تعالى، أو جبريل، أو اليهود والنصارى المطَّلعون على الكتب وهم قوم عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وتميم الداري؟ أقوال: **أضعفها**: الأخير؛ لأن عبد الله بن سلام ومن ذكر معه آمنوا بعد الهجرة، والسورة مكية.

---

(1) والمراد من هذه الشهادة أنه أظهر المعجزات على وفق دعواه ولا شهادة أعلى من هذه الشهادة القولية منا لا تفيد إلا غلبة الظن وهذه تفيد القطع بصحة نبوته، ثم عطف على اسم الله قوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الكِتَابِ﴾ أي: الذي حصل عنده علم القرآن وفهم معانية واشتماله على دلائل الإعجاز من النظم الأنيق والأسلوب العجيب الفائت لقوى البشر، فمن علم هذا الكتاب على هذا الوجه شهد بأنه معجز قاهر وأن الذي ظهر هذا المعجز عليه نبي حق ورسول صدق، وعن الحسن وسعيد بن جبير والزجاج: أن الكتاب هو اللوح المحفوظ، والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح المحفوظ إلا هو يعني الله جل وعلا شهيدًا، ويعضده قراءة من قرأ ومن عنده على من الجارة، واعترض على هذا القول بأن عطف الصفة على الموصوف بعيد لا يقال: شهد بهذا زيد والفقيه، وإنما يقال: زيد الفقيه، وقيل: المراد شهادة أهل الكتاب من الذين آمنوا برسول الله كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري؛ لأنهم يشهدون بنعمته في كتبهم، والاعتراض بأن إثبات النبوة بقول الواحد والاثنين مع جواز الكذب على أمثالهما لكونهم غير معصومين لا يجوز.

سورة إبراهيم عليه السلام(1)

مكية إلا آيتين من قوله:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللهِ كُفْرًا....﴾ [إبراهيم: 28] إلى قوله:﴿....فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: 30] أربع، أو خمس، أو اثنان، أو إحدى وخمسون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ١ - ٥].

﴿الر كِتَابٌ﴾(2) [إبراهيم: 1] أي: هذا الكتاب﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ

(1) سميت به لاشتمالها على دعوات لإبراهيم عليه السلام تمّت بهذه الملة كالحج وجعل الكعبة قبلة الصلاة مع الدلالة على عظمتها بحيث صارت من المطالب المهمة للمتفق على غاية كمال إبراهيم عليه السلام وعلى نبوة نبينا عليه أكمل التحيات وأفضل التسليمات مع غاية كماله وهذا من أعظم مقاصد القرآن.

(2) هذه السورة مكية كلها في قول الجمهور، وعن ابن عباس وقتادة، هي مكية إلا من قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللهِ كُفْرًا﴾ الآية إلى قوله: ﴿إِلَى النَّارِ﴾ وارتباط أول هذه السورة بالسورة =

﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿بِإِذْنِ﴾ بعلم أو بأمر ﴿رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ﴾ دين ﴿الْعَزِيزِ﴾ الذي لا غالب له ﴿الْحَمِيدِ﴾ المحمود.

﴿الله﴾ [إبراهيم: 2] بالرفع لجعفر ونافع وابن عامر، والباقون: بالجر، وافقهم - أي: الأولين - رويس في الابتداء ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ﴾ [إبراهيم: 3] يحبون أو يختارون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ الله وَيَبْغُونَهَا﴾ يطلبون الطريق ﴿عِوَجًا﴾ زيفًا وميلاً عن القصد ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ﴾ ذهاب ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحق.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: 4] بلغتهم، فقوم النبي ﷺ الأقربون إليه العرب، وبعث لكل من غيرهم من يفهمه بلغتهم، والناس تبع للعرب،

قبلها واضح جدًا؛ لأنه ذكر فيها: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً﴾ ثم ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِياً﴾ ثم ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الكِتَابِ﴾ فناسب هذا قوله ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ وأيضًا فإنهم لما قالوا على سبيل الاقتراح ﴿لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِن رَّبِّهِ﴾ وقيل له: ﴿قُلْ إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ أنزل ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ كأنه قيل: أو لم يكفهم من الآيات كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات هي الضلال، إلى النور وهو الهدى، وجوزوا في إعراب ﴿الر﴾ أن يكون في موضع رفع بالابتداء، وكتاب الخبر، أو في موضع رفع على خبر مبتدأ محذوف تقديره: هذه ﴿الر﴾ وفي موضع نصب على تقدير: الزم أو اقرأ الر، وكتاب أنزلناه إليك جملة مفسرة في هذين الإعرابين، و﴿كِتَابٌ﴾ مبتدأ، وسوغ الابتداء به كونه موصوفًا في التقدير أي: كتاب أي: عظيم أنزلناه إليك، وجوزوا أن يكون ﴿كِتَابٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره: هذا كتاب، و﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ جملة في موضع الصفة، وفي قوله: أنزلناه، وإسناد الإنزال إلى نون العظمة ومخاطبته تعالى بقوله إليك، وإسناد الإخراج إليه ﷺ تنويه عظيم وتشريف له ﷺ من حيث المشاركة في تحصيل الهداية بإنزاله تعالى، وبإخراجه ﷺ إذ هو الداعي والمنذر، وإن كان في الحقيقة مخترع الهداية هو الله تعالى، والناس عام، إذ هو مبعوث إلى الخلق كلهم، والظلمات والنور مستعاران للكفر والإيمان، ولما ذكر علة إنزال الكتاب وهي قوله: لتخرج قال: بإذن ربهم، أي: ذلك الإخراج بتسهيل مالكهم الناظر في مصالحهم، إذ هم عبيده، فناسب ذكر الرب هنا تنبيهًا على منة المالك، وكونه ناظرًا في حال عبيده، وبإذن ظاهره التعلق بقوله: لتخرج، وجوز أبو البقاء أن يكون بإذن ربهم في موضع الحال قال: أي مأذونًا لك، وقال الزمخشري: بإذن ربهم بتسهيله وتيسيره، مستعار من الإذن الذي هو تسهيل الحجاب، وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق.

والكل تبع لقريش ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ليُفهمهم ما أتى به ﴿فَيُضِلُّ الله مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ [إبراهيم: 5] التسع وقلنا له: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من الكفر إلى الإيمان ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ الله﴾ بنعمه، أو بالعذاب المرسل على من قبلهم كعادٍ وثمود ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التذكير ﴿لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ كثير الصبر على الطاعة ﴿شَكُورٍ﴾ كثير الشكر؛ أي: لكل مؤمن؛ لأنهما من صفاته.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾ [إبراهيم: ٦ - ٩].

﴿وَ﴾ [إبراهيم: 6] اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قومه أو هو نفسه ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أشده ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ المولودين ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَاءَكُمْ﴾ لقول بعض الكهنة: إن مولودًا يولد في بني إسرائيل يكون سبب ذهاب ملك فرعون ﴿وَفِي ذَلِكُمْ﴾ الإنجاء أو العذاب ﴿بَلاءٌ﴾ إنعام أو ابتلاء ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ [إبراهيم: 7] أعلم، وتأذن وأذن بمعنى واحد ﴿رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ﴾ النعم بالطاعة باللسان والجنان والأركان ﴿لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ رزقًا من تلك النعم وثوابًا ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ﴾ جحدتم النعم فلم يشكروها، لأعذبنكم دل عليه: ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ لقومه: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ﴾ [إبراهيم: 8] عن الخلق ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في أفعاله آمنتم به أو كفرتم.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ [إبراهيم: 9] استفهام تقرير ﴿نَبَأُ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودَ﴾ قوم صالح ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ﴾ لكثرتهم ﴿جَاءَتْهُمْ﴾ أتتهم ﴿رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الحجج الواضحة على صدقهم ﴿فَرَدُّوا﴾ أي: الأمم ﴿أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ ليعضوا عليها من شدة الغيظ، أو ردوا حجتهم في أفواههم فلم يقبلوها منهم ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ على زعمكم ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾[1] موقع للريبة والتهمة في أمركم.

﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ
لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ
مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ
مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا
سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ
إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ

---

(1) ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ﴾ مع غاية كثرتهم ﴿وَعَادٍ﴾ مع غاية قوتهم ﴿وَثَمُودَ﴾ مع كثرة تحصنهم وصنائعهم ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ وهم من الكثرة بحيث ﴿لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللهُ﴾ لم يؤاخذهم الله إلا على الكفر؛ لأنه آخذهم إذ ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: في أفواه أنفسهم أمرًا للأنبياء بأطباق الفم أو في أفواه الأنبياء منعًا لهم من التكلم ﴿وَ﴾ إذ لم يسكتوا بذلك ﴿قَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ﴾ من وجود الله وتوحيده وأسمائه وأفعاله، وكيف نؤمن لبيناتكم ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ﴾ ناشئ ﴿مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ﴾ أي: من ذات المدعو إليه لا قريب يعارضه شيء بل ﴿مُرِيبٍ﴾ أي: موقع في الريب بحيث لا يبالي معه للبينات

﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ۝١٤﴾ [إبراهيم: ١٠ - ١٤].

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ﴾؟ [إبراهيم: 10] استفهام توبيخ وإنكار؛ أي: لا شك في توحيده لما ظهر من الدلالات عليه ﴿فَاطِرِ﴾ خالق ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خالقهما من غير مثال سبق ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ إلى طاعته ﴿لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ إمَّا كلها، أو غير حقوق العباد ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ بلا عذاب ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو انقضاء آجالكم ﴿قَالُوا﴾: أي: قومهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ فلستم رسلاً ﴿تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ حجة واضحة على صدقكم.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [إبراهيم: 11] في الصورة كما قلتم ولسنا ملائكة ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ بالاصطفاء بالرسالة ﴿وَمَا كَانَ﴾ ما ينبغي ﴿لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ﴾ حجة ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾ لأنَّا عبيد مأمورون ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ يثقوا به.

﴿وَمَا لَنَا﴾ [إبراهيم: 12] قالته الرسل ﴿أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ﴾ أي: لا مانع لنا من ذلك ﴿وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ بيَّن لنا طريق الحق ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ﴾ أي: والله لنصبرن ﴿عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا﴾ على أذاكم ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا﴾ [إبراهيم: 13] بلادنا ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ أي: تدخلن فيها ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾ أي: إلى الرسل ﴿رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكفار.

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ﴾ [إبراهيم: 14] التي أرادوا إخراجكم منها ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد هلاكهم ﴿ذَلِكَ﴾ النصر والظفر والعز ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ يوم القيامة سُمّي به؛ لقيام الناس فيه للحساب ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾[1] أي: عقاب.

﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝١٥ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ

---

(1) أي: قيامه للحساب بين يدي في القيامة، أو قيامي على عبادي، وحفظي لأعمالهم، واطلاعي على سرهم وعلانيتهم، أو خاف عظمة ذاتي وجلالي، (وخاف وعيد) أي: وعيدي بالعذاب، أو عذابي الموعود للكفار.

كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ [إبراهيم: ١٥ - ٢٠].

﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾ [إبراهيم: 15] أي: الأمم استنصروا وسألوا العذاب كما سأله من قال: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ الحَقَّ...﴾ [الأنفال: 32] إلى آخره، وقيل: المراد إن الرسل دعوا على قومهم لما أيسوا من إيمانهم ﴿وَخَابَ﴾ خسر ﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾ وهو المتكبر عن طاعة الله تعالى ﴿عَنِيدٍ﴾ معاند للحق متكبر عن قول: لا إله إلا الله.

﴿مِنْ وَرَائِهِ﴾ [إبراهيم: 16] من أمامه ﴿جَهَنَّمُ﴾ يدخلها ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ وهو ما يسيل من أبدان الكفار مختلطًا بالقيح والدم.

﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ [إبراهيم: 17] يتحسّاه فلا بمرة في دفعه، بل جرعة بعد أخرى؛ لشدة حرّه أو مرارته ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ أي: لا يوصله لجوفه بالازدراد، وقيل: هو على بابه؛ أي: لا يكاد يوصله؛ لشدة الغليان، وتقطّع الأمعاء منه ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ﴾ أي: أسبابه المقتضية له من أنواع العذاب ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ من الجهات الست، ومن تحت كل شعرة في بدنه ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ فيستريح ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ﴾ أمامه بعد ذلك العذاب ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ شديد قوي متصل.

﴿مَثَلُ﴾ [إبراهيم: 18] صفة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ﴾ الصالحة كصلة الأرحام، وصدقة في عدم الانتفاع بها ﴿كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ شديد هبوب الريح، فجعله ﴿هَبَاءً مَّنثُوراً﴾ [الفرقان: 23] لا يقدر عليه، ووصف اليوم بعاصف؛ لأن الريح تكون فيه ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ أي: الكفار ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ عملوا في الدنيا ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ لا يجدون له ثوابًا؛ لعدم شرطه ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ﴾ الهلاك ﴿الْبَعِيدُ﴾ أي: عملهم هو الضلال البعيد.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾[1] [إبراهيم: 19] تنظر يا مخاطب، استفهام تقرير ﴿أَنَّ الله خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف «خالق» بالألف وكسر اللام ورفع القاف، «السماوات والأرض» بالخفض، وكذلك ﴿خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ [النور: 45] في النور، والباقون: بفتح اللام والقاف، ونصب «السماوات» بالكسر، و«الأرض» بالفتح.

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ [إبراهيم: 20] أيها الناس ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بدلكم يطيعونه ﴿وَمَا ذَلِكَ﴾ الإذهاب والإتيان ﴿عَلَى الله بِعَزِيزٍ﴾ بممتنع.

﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعًا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

(1) قرأ السلمي ﴿أَلَمْ تَرْ﴾ بسكون الراء، ووجهه أنه أجرى الوصل مجرى الوقف، وتوجيه آخر وهو أنْ ترى حذفت العرب ألفها في قولهم: قام القوم ولو تر ما زيد، كما حذفت ياء لا أبالي في لا أبال، فلما دخل الجازم تخيل أنّ الراء هي آخر الكلمة فسكنت للجازم كما قالوا في: لا أبالي لم أبل، تخيلوا اللام آخر الكلمة، والرؤية هنا بمعنى العلم، فهي من رؤية القلب، وقرأ الإخوان: خالق اسم فاعل، والأرض بالخفض، قرأ باقي السبعة: خلق فعلاً ماضيًا، والأرض بالفتح، ومعنى بالحق قال الزمخشري: بالحكمة، والغرض الصحيح، والأمر العظيم، ولم يخلقها عبثًا ولا شهوة، وقال ابن عطية: بالحق أي بما يحق من جهة مصالح عباده، وإنفاذ سابق قضائه، وليدل عليه وعلى قدرته، وقيل: بقوله وكلامه، وقيل: بالحق حال أي محقًا، والظاهر أن قوله: يذهبكم، خطاب عام للناس، وعن ابن عباس: خطاب للكفار، ويأت بخلق جديد: يحتمل أن يكون المعنى: إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بناس آخرين من جنسكم آدميين، ويحتمل من غير جنسكم، والأول قول جمهور المفسرين.

جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢١ - ٢٤].

﴿وَبَرَزُوا﴾ [إبراهيم: 21] أي: الخلائق خرجوا من قبورهم ﴿لِله جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا وطلبوا الكبر وهم: القادة والرؤساء ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع: تابع ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ الله مِنْ شَيْءٍ﴾؟ ولو قل ما صدق عليه الاسم ﴿قَالُوا﴾: أي: القادة ﴿لَوْ هَدَانَا الله لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ أي: دعوناكم للهدى؛ أي: وقد أضلهم فدعوهم للضلالة ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ مهرب، والمراد: استواء الأمرين؛ لدوام العذاب.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ [إبراهيم: 22] إبليس الرجيم ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، واجتمعوا عليه ﴿إِنَّ الله وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ بالبعث والجزاء فصدقكم ﴿وَوَعَدْتُكُمْ﴾ أنه غير كائن، أو بأن أنفعكم ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ أي: لم يوف بذلك، ويقال: ينصب له فيلومه الكفار ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ ولاية فأقهركم على متابعتي ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ﴾ أجبتم ﴿لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ بإجابتي بلا برهان ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ بمغيثكم ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾ بمغيثي، قرأ حمزة بكسر الياء، والباقون: بفتحها ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي﴾ بإشراككم إياي مع الله ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ [إبراهيم: 23] مقيمين ﴿فِيهَا﴾ أبدًا ﴿بِإِذْنِ﴾ إرادة وقضاء ﴿رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا﴾ من الله ومن الملائكة وفيما بينهم ﴿سَلَامٌ﴾ فيسلم بعضهم على بعض، وتسلم عليهم الملائكة ويسلم عليهم الله ﷻ.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ [إبراهيم: 24] تنظر، استفهام تقرير ﴿كَيْفَ ضَرَبَ الله مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ هي: لا إله إلا الله ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ هي النخلة، وقيل: شجرة في الجنة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا﴾ أعلاها ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ فكلمة: لا إله إلا الله أصلها في قلب العبد، وثوابها وذكرها واصل للسماء لا يحجبها شيء.

﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ
ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ
﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾
جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦۗ
قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟
ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا
خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٥ - ٣١].

﴿تُؤْتِي﴾ [إبراهيم: 25] تعطي ﴿أُكُلَهَا﴾ ثمرها ﴿كُلَّ حِينٍ﴾ وقت ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ بإرادته، فكذلك كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن، وعمله يصعد للسماء، وثوابه وبركته يصل له كل وقت ﴿وَيَضْرِبُ﴾ يبيّن ﴿الله الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون فيؤمنون.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [إبراهيم: 26] وهي الشرك ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ وهي الحنظل، أو الثوم، أو الكشوت ﴿اجْتُثَّتْ﴾ اقتلعت أو استؤصلت ﴿مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾[1] مستقر وثبات، كذلك كلمة الكفر لا ثبات لها، ولا فرع، ولا بركة، والكافر لا خير فيه، ولا يصعد له ريح طيب، ولا عمل صالح.

﴿يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: 27] كلمة التوحيد، وهي: لا إله إلا الله ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قبل الموت ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي: القبر، والمراد: إن المؤمنين يثبتون على الإيمان عند سؤال الملكين عن ربهم ودينهم ونبيهم، فيجيبون بالصواب

---

(1) والشجرة الخبيثة هي الشِّرْكُ اجتُثَّت من فوق الأرض؛ لأن الكفر متناقض متضاد، ليس له أصل صحيح، ولا برهان موجب، ولا دليل كاشف، ولا علة مقتضية، وإنما شُبَهٌ وأباطيل وضلال، تقتضي وساوسَ وتسويلاتٍ ما لها من قرار، لأنها حاصلة من شُبَهٍ واهية وأصول فاسدة.

﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين والمنافقين، فلا يهديهم للصواب في الجواب فيقولون: لا ندري في القبر ﴿وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ [إبراهيم: 28] استفهام تقرير، تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ﴾ أي: شكرها، والنعمة: محمد ﷺ ﴿كُفْرًا﴾ وهم قريش بكفرهم به ﷺ ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ﴾ أنزلوا من تابعهم على كفرهم ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ الهلاك.

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ [إبراهيم: 29] يدخلونها ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ أي: المستقر هي.

﴿وَجَعَلُوا﴾ [إبراهيم: 30] أي: كفار مكة ﴿لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ أمثالاً، ولا ندّ له ﴿لِيُضِلُّوا﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «**ليضلوا عن سبيله**» وفي الحج: «ليضل عن سبيل الله» وفي لقمان: «**ليضل عن سبيل الله**»، وفي الزمر: «**عن سبيله**» بفتح الياء في الأربعة؛ أي: ليضل هو، واختلف عن رويس فروى الثمار من غير طريق أبي الطيب كذلك هنا، وفي الحج والزمر، ومن طريق إلى الطيب بالعكس، فيفتح في لقمان، ويضم في الباقي، والباقون بالضم في الأربعة؛ أي: ليضل غيره عن سبيله، دينه الحق وهو دين الإسلام ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿تَمَتَّعُوا﴾ في الدنيا قليلاً ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ﴾ مرجعكم ﴿إِلَى النَّارِ﴾ في الآخرة.

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [إبراهيم: 31] والمراد: الصلوات الخمس، والزكوات الواجبة ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ مخالة وصداقة تنفعه يوم القيامة.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٦].

﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ﴾ [إبراهيم: 32] السفن ﴿لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ﴾ بالركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإذنه.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ [إبراهيم: 33] ذللها لمنافعكم، فيجرونها حيث شئتم ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ أي: جريانهما في فلكهما لا ينقطع لمصالح العباد ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ ذللهما لمنافعكم من سكنكم في الأول، وقضاء حوائجكم في الثاني.

﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾(1) [إبراهيم: 34] أي: آتاكم من كل شيء سألتموه شيئًا على حسب مصالحكم ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ لا تحصروها ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ الكافر ﴿لَظَلُومٌ﴾ لنفسه بالمعاصي ﴿كَفَّارٌ﴾ بالنعم؛ أي: كثير الكفر بها؛ إذ لم يصرفها في وجوهها.

﴿وَ﴾ [إبراهيم: 35] اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾ مكة ﴿آمِنًا﴾ ذا أمن يؤمن فيه، وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرمًا آمنًا، وحرّم صيده، ولا يُختلى خلاه، وجعل الظلم فيه أقبح منه في غيره ﴿وَاجْنُبْنِي﴾ بعّدني ﴿وَبَنِيَّ﴾ عن ﴿أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ والمراد ببني: ولده من صلبه، ولم يعبد أحد منهم الأصنام، أو المراد: المؤمنون.

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ﴾ [إبراهيم: 36] أي: الأصنام ﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ بعبادتهم؛

---

(1) إن الله تعالى أعطاك أكبر ما في خزانته وأجله وأعظمه من غير سؤال وهو التوحيد؛ فكيف يمنعك ما هو دونها من الثواب والعافية بسؤال؛ فاجتهد أيها العبد أن لا يكون سؤالك إلا منه، ولا رغبتك إلا به، ولا رجوعك إلا إليه؛ فإن الأشياء كلها له فمَنْ شغله بغيره عنه فقد قطع عليه طريق الحقيقة، ومَنْ شغله به جعل الأشياء كلها طلوع يديه؛ فتنقلب له الأعيان ويقرب له البعد؛ فيمشي حيث أحب، ويخبر عمّا أراد، وهذا من مقامات العارفين. وقال بعضهم: وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها عد نعمة من نعمه يعجز عن الإحصاء؛ فكيف إذا تتابعه النعم. قيل: أجلّ النعمة استواء الخلقة، وإلهام المعرفة، والذكر من بين سائر الحيوان، ولا يطيق القيام بشكرها أحد. وقيل: إن الإنسان لظلوم لنفسه، حيث ظن أن شكره يقابل نعمة كفّار محجوب عن رؤية الفضل عليه في البدء والعافية. وقال سهل: وإن تعدوا نعمة الله عليكم بمحمد ﷺ لا تحصوه، بأن جعل السفير فيما بينكم وبينه السفير الأعلى والواسطة الأدنى.

أي: كن سببًا في ذلك، أو المراد: ضل بهن كثير من الناس ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي﴾ على إخلاص عبادتك ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ أي: من أهل ديني ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ﴾ له ﴿رَحِيمٌ﴾ به، هذا قبل أنه تعالى: ﴿لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: 48].

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٤٢ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ٤٣ ﴾ [إبراهيم: ٣٧ - ٤٣].

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾[1] [إبراهيم: 37] أي: بعضها وهو إسماعيل وأمه

---

(1) فيها مسائل: **المسألة الأولى**: يروى أن أول من سعى بين الصفا والمروة أم إسماعيل، وأن أول من جرت الذيل هاجر أم إسماعيل، وذلك أن هاجر لما فرت من سارة، أرخت ذيلها، لتخفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم، وبابنها إسماعيل، وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس هناك ماء، ثم تركهما هنالك وذهب، ثم أنه ثَمَّ استقبل، ثم قال رافعًا يديه: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ الآية. ثم عطشت هاجر، بعد ذلك، ثم ذهبت تلتمس الماء، فإذا بملك عند زمزم، فبحث بعقبه حتى ظهر الماء، فشربت وأرضعت ولدها، وأقامت هنالك إلى أن نزلت بها رفقة من جُرهم مقبلين من طريق كداء، فسكنت هنالك، ولما شب إسماعيل وتعلم العربية منهم وأدرك، زوجوه جارية منهم، وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم فلم يجد إسماعيل، فسأل زوجه عنه، فقالت له: نحن في شر وضيق، فقال: إذا جاء إسماعيل، فسلمي عليه. وقولي له غير عتبتك، فجاء إسماعيل، فأخبرته الخبر، فطلقها، وتزوج سواها، فجاء إبراهيم بعد ذلك، فسأل الزوجة عن زوجها، فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت على الله، ثم قال لها: إذا جاء زوجك، فأقرئيه السلام، ومريه أن يثبت عتبة بابه.
=

هاجر ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ مكة ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ وقيل: كان قبل الطوفان، وسُمّي المحرم؛ لأنه يحرّم عنده ما لا يحرّم عند غيره ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: أسكنتهم لإقامتها ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً﴾ جمع فؤاد، وهو: القلب، روى هشام باختلاف عنه «أفئيدة» بياء بعد الهمز خاصة، والباقون: بغير ياء ﴿مِنَ النَّاسِ تَهْوِي﴾ أصله النزول من علو قاله مبالغة في النزوع إلى ذلك المكان، وهو أبلغ من تحنّ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لو قال: أفئدة الناس لحنت إليه فارس والروم والناس كلهم ﴿إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ لما قاله أمر الله جبريل ﷺ أن يحمل الطائف من فلسطين من الشام ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾.

=

فلما جاء إسماعيل أخبرته الخبر. فقال لها: ذاك أبي. وقد أمرني بإمساكك، ثم جاء إبراهيم بعد ذلك، فبنى البيت هو وإسماعيل، ورفعا قواعده.

وقال: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(1) .

المسألة الثانية: لا يجوز لأحد أن يتعلق بهذه الآية في طرح ولده، وعياله في أرض مضيعة اتكالاً على الله تعالى، واقتداء بفعل إبراهيم، كما يقوله غلاة الصوفية في حقيقة التوكل؛ لأن ماء زمزم له مزية على غيره. وقد قال، ﷺ: ((ماء زمزم لما شرب له)). وقد اجتزأ به أبو ذر ليالي حتى سمن.

فائدة: قال القاضي أبو بكر: كنت مقيمًا بمكة، وكنت أشرب ماء زمزم كثيرًا، وكلما شربته نويت به العلم والإيمان، حتى فتح الله ببركته في المقدار الذي يسره لي من العلم. وليتني شربته للعلم والعمل. ليفتح الله علي فيهما، لكن كان ميلي للعلم أكثر منه للعمل.

المسألة الثالثة: قوله تعالى: ﴿لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾. إنما خصها بالذكر من سائر العبادات لفضلها. قال رسول الله: ((خمس صلوات كتبهن الله على العباد في اليوم والليلة فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئًا استخفافً بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة(1))).

وقوله: ﴿عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ كان المسجد الحرام ليس عليه جدار، فلما ولي عمر،وضاق المسجد بالناس وسعه عمر واشترى دورًا فهدمها، وأدخلها فيه، وهدم على الناس ما قرب من المسجد، حين أبوا أن يبيعوا، ووضع الأثمان حتى أخذوها، ثم بنى عليه حائطًا قصيرًا دون القامة، ثم أن عثمان، لما وُلي، وسع المسجد الحرام، واشترى من قوم، وأبى قوم أن يبيعوا فهدم عليهم، فصاحوا به، فأمر بهم إلى الحبس، حتى كلم فيهم، ووجد في المقام كتابًا، فلم يقدر أحد أن يقرأه حتى جاء حبر من اليمن فقرأه، فإذا فيه: «أنا الله ذو بكة صُغتها يوم صغت الشمس والقمر، وباركت لأهلها في اللحم واللبن وأول من يحلها أهلها». [الأحكام الصغرى 394].

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي﴾ [إبراهيم: 38] نسر ﴿وَمَا نُعْلِنُ﴾ من أمورنا، ومن جملتها الوجد بإسماعيل وأمه حيث أسكنتهما بواد غير ذي زرع ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى الله مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ يحتمل أن يكون من كلامه تعالى، أو كلام إبراهيم عليه السلام.

﴿الْحَمْدُ لِله الَّذِي وَهَبَ لِي﴾ [إبراهيم: 39] أعطاني ﴿عَلَى﴾ مع ﴿الْكِبَرِ﴾ في السن ﴿إِسْمَاعِيلَ﴾ ولد وله تسع وتسعون سنة ﴿وَإِسْحَاقَ﴾ ولد وله مائة وثنتا عشرة سنة ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ أي: مجيبه لمن أراد.

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾ [إبراهيم: 40] محافظًا عليها على الوجه التام ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ يعني: اجعل منهم من يقيل الصلاة، وأتى بمن لإعلام الله تعالى له أن منهم كفارًا ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ المذكور لنفسي ولهم.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [إبراهيم: 41] أي: إن آمنا، وقيل: أراد أمه؛ لأنها أسلمت، وقيل: هو قبل علمه بموتهما على الكفر ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ أي: يبدوا ويظهر ويقوم الناس له ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ لا تظنن ﴿الله غَافِلًا﴾ الغفلة شيء يمنع الإنسان من الوقوف على حقيقة الأمور ﴿عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون من أهله مكة.

﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ [إبراهيم: 42] بلا عذاب، بالنون في أوله لأبي العلاء عن رويس، والباقون بالياء ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ فلا تغمض من هوله، وقيل: تزول عن مكانها.

﴿مُهْطِعِينَ﴾ [إبراهيم: 43] مسرعين ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ رافعها مع النظر إلى ما أمامهم، قال الحسن: وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء لا ينظر أحدٌ إلى أحد ﴿لَا يَرْتَدُّ﴾ لا يرجع ﴿إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ بصرهم من شدة النظر فهي شاخصة ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ﴾ قلوبهم ﴿هَوَاءٌ﴾ خالية من العقل؛ لفزعهم.

﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (44) وَسَكَنتُمْ فِى مَسَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ

وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟
مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ
﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ
تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى
ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ
وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ
ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ
أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٤ - ٥٢].

﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ﴾ [إبراهيم: 44] الكفار؛ أي: خوفهم يا محمد ﷺ ﴿يَوْمَ﴾ بيوم ﴿يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ وهو يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أشركوا ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا﴾ أمهلنا ﴿إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ الرد إلى الدنيا ﴿نُجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ بالتوحيد ﴿وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ فينادون ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ﴾ حلفتم ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل هذا اليوم وأنتم في الدنيا ﴿مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ عن الدنيا إلى الآخرة فهو توبيخ لهم.

﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [إبراهيم: 45] بالكفر قوم عاد وغيرهم ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ أي: في القرآن أو علمتم في الأخبار ﴿كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ من العقوبات فلم تنزجروا ﴿وَضَرَبْنَا﴾ بيّنا ﴿لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ أي: بيّنا أن مثلكم كمثلهم في القرآن فلم تعتبروا.

﴿وَقَدْ مَكَرُوا﴾ [إبراهيم: 46] بالنبيِ ﴿مَكْرَهُمْ﴾ حيث أرادوا قتله أو إخراجه ﴿وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي: جزاء مكرهم أو علمه ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ وإن عظم ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ بمعنى: لا يعبأ به ولا يضر إلا أنفسهم، والمراد بالجبال هنا قيل: حقيقتها، وقيل: شرائع الإسلام المشبهة بها في القرار والقوة، وقرأ الكسائي «لتزول» بفتح اللام الأولى وضم الثانية، والمراد: تعظيم مكرهم، والباقون بكسر الأولى، ونصب الثانية ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ [إبراهيم: 47] في نصره أوليائه وإهلاك أعدائه ﴿إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾ لا يغالب ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ ممن عصاه.

واذكر ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم: 48] هو يوم القيامة، فيحشر الناس على أرض بيضاء نقية، أو تكون الناس؛ إذ ذاك على الصراط ﴿وَبَرَزُوا﴾ خرجوا من قبورهم ﴿لِله الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

﴿وَتَرَى﴾ [إبراهيم: 49] يا محمد تبصر ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ﴾ مشدودين بعضهم ببعض مع شياطينهم ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾ القيود والأغلال.

﴿سَرَابِيلُهُمْ﴾ [إبراهيم: 50] قمصهم وأحدها: سربال ﴿مِنْ قَطِرَانٍ﴾[1] لأنه أبلغ لاشتعال النار، وفي بعض طرق يعقوب «قطرًا» بفتح القاف وكسر الطاء وتنوين الراء؛ أي: بالمد والتنوين، والمراد بالقطر: النحاس المذاب والآن الذي انتهى حرّه ذكرها في «المستنير» و«البغوي» ﴿وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ﴾ أي: تعلوها ﴿النَّارُ﴾.

﴿لِيَجْزِيَ﴾ [إبراهيم: 51] متعلق ببرزوا ﴿الله كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ من خيرًا أو شرًا ﴿إِنَّ الله سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا، فيصير المؤمن للجنة، والكافر للنار.

﴿هَذَا﴾ [إبراهيم: 52] القرآن ﴿بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾ أي: أنزل؛ لتبليغهم ﴿وَلِيُنْذَرُوا﴾ يخافون ﴿بِهِ وَلِيَعْلَمُوا﴾ بما فيه من الحجج ﴿أَنَّمَا هُوَ﴾ أي: الله ﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ﴾ يتعظ ﴿أُولُو﴾ أصحاب ﴿الْأَلْبَابِ﴾ العقول.

---

(1) قرأ علي، وأبو هريرة، وابن عباس، وعكرمة، وابن جبير، وابن سيرين، والحسن، بخلاف عنه، وسنان بن سلمة بن المحبق، وزيد بن علي، وقتادة، وأبو صالح، والكلبي، وعيسى الهمداني، وعمرو بن فائد، وعمرو بن عبيد «من قطر» بفتح القاف وكسر الطاء وتنوين الراء، أنّ اسم فاعل من أني صفة لقطر، قيل: وهو القصدير، وقيل: النحاس، وعن عمر ﷺ أنه قال: ليس بالقطران، ولكنه النحاس يصير بلونه، والآني الذائب الحار الذي قد تناهى حره، قال الحسن: قد سعرت عليه جهنم منذ خلقت، فتناهى حره، وقال ابن عباس: أي آن أن يعذبوا به يعني: حان تعذيبهم به، وقال الزمخشري: ومن شأنه، أي: القطران، أن يسرع فيه اشتعال النار، وقد يستسرج به، وهو أسود اللون منتن الريح، فيطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص، لتجتمع عليهم الأربع: لذع القطران وحرقته، وإسراع النار في جلودهم، واللون الوحش، ونتن الريح، على أنّ التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين، وكل ما وعده الله، أو أوعد به في الآخرة، فبينه وبين ما يشاهده من جنسه ما لا يقادر قدره، وكأنه ما عندنا منه إلا الأسامي والمسميات ثمة، فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق فيما ينجينا من عذابه، وقرأ عمر بن الخطاب، وعليّ بن أبي طالب: من قطران بفتح القاف وإسكان الطاء.

سورة الحجر(1)

مكية تسع وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ
فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ
مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ
لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ
لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ
إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾
[الحجر: ١ - ١٢].

﴿الر تِلْكَ﴾(2) [الحجر: 1] أي: ما نزل من القرآن ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن

---

(1) سميت بها لاشتمالها على قوله ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الحِجْرِ المُرْسَلِينَ﴾ إلى قوله: ﴿مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الدال على مؤاخذتهم لمجرد تكذيب الرسل والإعراض عن آيات الله بأدنى وجوه المؤاخذة مع غاية تحصنهم ففيه غاية تعظيم الرسل والآيات وهو من أعظم مقاصد القرآن.

(2) ﴿الر﴾ فهم النقد بما يرى من فلق الإلهام إخبارًا كَبِر بصورة الألف واللام والراء، إن الله سبحانه بيّن كالألف بحر الإثبات؛ لأنه خير عن الأولية، ألا ترى كيف قدمها على أول اسمه الله، وبيّن باللام بحر النفي؛ لأنها شقيقة لام لا، وبين بالراء بحر كشف الربوبية، وظهور أنوار الرؤية، وهذه من شرائط المعرفة، فمَنْ لم يسبح في بحر النفي بنعت الفناء لوجدان عين الحقيقة، وحق البقاء لا يبلغ إلى بحر الربوبية، ولا يدرك لطائفها، ولا يصل إلى عيان كشف الرؤية بحقائقها، وقد انقلبت هذه الحروف من أماكنها إبهامًا، وإشارة لفهوم الفهماء، وإدراك العلوم والعلماء، ألا =

﴿وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ مظهر للحق من الباطل.

﴿رُبَمَا﴾[1] [الحجر: 2] بتخفيف الباء لعاصم والمدنيين، وبالتشديد للباقين ﴿يَوَدُّ﴾ يتمنى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يوم القيامة ﴿لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ وهل هو حالة المعاينة، أو حالة إخراج المؤمنين من النار؟ قولان: **أصحهما:** الثاني، ورب للتكثير؛ لكثرة ذلك منهم، أو للتقليل؛ لأنهم لدهشتهم من العذاب لا يفيقون.

﴿ذَرْهُمْ﴾ [الحجر: 3] يا محمد ﷺ؛ أي: اترك الكفار ﴿يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ في الدنيا بلذاتها ﴿وَيُلْهِهِمُ﴾ يشغلهم ﴿الْأَمَلُ﴾ بطول العمر وغيره عن الأخذ بالإيمان والطاعة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ أي: إذا رأوا القيامة عاقبة أمرهم، وهي منسوخة بآية القتال.

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ [الحجر: 4] أي: أهلها ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ لا تتأخر عنه.

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ [الحجر: 5] وقت موتها ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه.

﴿وَقَالُوا﴾ [الحجر: 6] أي: مشركو مكة للنبي ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ القرآن في زعمه ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ قالوه استهزاء.

﴿لَوْ مَا﴾ [الحجر: 7] هلا ﴿تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ﴾ شاهدين بصدقك ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في أنك رسول، وإن هذا القرآن من عند الله تعالى.

﴿مَا نُنَزِّلُ﴾ [الحجر: 8] قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص بنونين الأولى: مضمومة، والثانية: مفتوحة وكسر الزاي ﴿الْمَلَائِكَةَ﴾ بالنصب، وروى أبو بكر بالتاء مضمومة وفتح النون والزاي؛ أي: ما تتنزل الملائكة بالرفع، والباقون كذلك إلا أنهم

=

تراها في نص صورة الإيمان، كيف كانت أولها لا إله، ثم ذكر محل الإثبات بالألف إلا الله، ولم يذكر الزاي؛ لأن الأكثرين استغرقوا في البحرين ولم يصلوا إلى البحر الثالث، لأجل ذلك لم يذكر الراء في هذه الكلمة، وهذا سر عجيب لا يعرفه إلا أهل السر من أهل التوحيد، وهي أصل الكتاب؛ لأن الكتاب جاء مخبرًا بمجموعة عن أسرار ما بلسان صاحب الواقعة ﷺ.

(1) اعلم أن (رُبَّ) مثقلة أو مخفَّفة إذا دخلت على المضارع تكون للتقليل، فقال المفسرون: معنى قلة، وداوتهم أنهم كالسكارى من ورود الشدائد الكثيرة المتعاقبة، فإذا صاروا إلى أنفسهم، ورجعوا إلى عقولهم، تمنوا ذلك، وإلا كان من شأنهم أن يتمنوا ذلك في جميع أوقاتهم، لا في بعض الأحيان.

فتحوا التاء في أوله، والبزي شدد التاء ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ العذاب ﴿وَمَا كَانُوا إِذًا﴾ أي: إلى حين نزول الملائكة بالعذاب ﴿مُنْظَرِينَ﴾ ممهلين.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ [الحجر: 9] القرآن ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ من الشياطين والتبديل.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ رسلاً ﴿فِي شِيَعِ﴾ [الحجر: 10] أمم أو فرق ﴿الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَمَا﴾ [الحجر: 11] كان ﴿يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ كاستهزاء قومك بك ذكره تسلية له ﷺ.

﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ﴾ [الحجر: 12] أي: مثل إدخالنا التكذيب في قلوب أولئك ندخل ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ
﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ
شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ
مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ
فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا
نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً
فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ
﴿٢٣﴾ ﴾ [الحجر: ١٣ - ٢٣].

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الحجر: 13] أي: بمحمد ﷺ أو بالقرآن ﴿وَقَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: وقائع الله فيهم من تعذيبهم بتكذيب أنبيائهم وأهل مكة مثلهم.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحجر: 14] أي: على طالبي الملائكة لصدقك ﴿بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا﴾ أي: الملائكة ﴿فِيهِ﴾ أي: في الباب ﴿يَعْرُجُونَ﴾ يصعدون

والكفار تراهم.

﴿لَقَالُوا﴾ [الحجر: 15] أي: الكفار ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ﴾ بتخفيف الكاف؛ أي: حبست ومنعت النظر لابن كثير، والباقون بالتشديد؛ أي: سدَّت ﴿أَبْصَارُنَا﴾ أو أخذت ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ أي: عمل فينا سحر محمد ﷺ فخيّل إلينا ذلك.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ [الحجر: 16] وهي النجوم الكبار: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، وهذه تنزلها الشمس، والقمر، والكواكب السيارة المريخ وله الحمل، والعقرب، والزهرة، ولها الثور، والميزان، وعطارد وله الجوزاء، والسنبلة، والقمر وله السرطان، والشمس ولها الأسد، والمشترى وله القوس، والحوت، وزحل وله الجدي، والدلو؛ أي: هذه بيوت الكواكب المذكورة ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ أي: السماء ﴿لِلنَّاظِرِينَ﴾ بالنجوم.

﴿وَحَفِظْنَاهَا﴾ [الحجر: 17] بالشهب ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾[1] مرجوم ملعون، ومنعت الشياطين من كل السماوات بمجرد ولادة محمد ﷺ، وكانوا قبل يصعدون لكلها، ثم منعوا من ثلاث بولادة عيسى عليه السلام، ثم من الباقي بنبينا ﷺ.

﴿إِلَّا﴾ [الحجر: 18] لكن ﴿مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ من خطفه من الشياطين ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ﴾ وهو كوكب مثل الشعلة من النار ﴿مُبِينٌ﴾ مضيء ظاهر يحرقه، أو يثقبه،

---

(1) منع كشف جمال صفاتها وجلال ذاتها عن أبصار البطَّالين والمدَّعين والمبطلين الزائغين عن الحق المقبلين على الخلق، هذا من أعالي دقائق الإشارات، وإشارة الأدنى أنه تعالى جعل في سماء الأرواح أبراج أنوار تجلي صفاته وذاته، فسيارات أنوار الصفات والذات تسير في أبراج همها، وجعل تلك الأبراج منورة مزينة بزينة نور الصفات والذات لسكان أرض القلوب من أنظار العقول؛ لترى العقول في ترائيها أقمار الصفات وشموس الذات من حيث التجلي لا من حيث كينونة الحلول، فتستشرف على أسرار معارف جوده ووجوده، فلكل نظر منها فائدة في القلوب من المواجيد والحالات والمعاملات والمقامات، مثل الوجل والخشية والندم والرهبة والرغبة والمراقبة والمحاضرة والخطاب والشهود والوقوف بأسرار العبودية والربوبية، فنعت تلك القلوب بما رأت تلك العقول من أبراج سماء الأرواح الوجد والهيجان والهيمان والوله والزفرات والعبرات، صواحبها أوتاد الأرض ونقباء الأولياء وأصفياء الحضرة شمائلهم أنوار جود الله، يظهر من وجوههم سنا وجود الله، سبحان الله، من هم وأين مأواهم؟ طوبى لهم، ثم طوبى لهم ثم بفضله وجوده وحفظ تلك البروج من هواجسات النفوس ووساوسات الشياطين.

أو يخبله.

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ [الحجر: 19] بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالاً لئلا تتحرك بأهلها ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا﴾ في الأرض ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ مقدر، وقيل: الضمير للجبال، ونابتها كزرنيخ وذهب.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ [الحجر: 20] جمع: معيشة، وهي ما يعيش به المرء؛ إمَّا مقيمًا لبنيته كالطعام والشراب، أو متمتعًا به كالملابس ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ﴾ أي: وجعلنا لكم فيها من لستم ﴿لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ من العبيد والدواب والأنعام، فإنما يرزقهم الله.

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: 21] أي: مفاتيح خزائنه، وأراد المطر ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ على حسب المصالح.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر: 22] جمع لاقحة؛ أي: حامل؛ لأنها تحمل الماء إلى السحاب فتلحقه فيمتلئ ماء ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ السحاب ماء هو المطر ﴿مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ أي: جعلناه لكم سقيًا لمواشيكم وأرضكم ﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ﴾ أي: للمطر ﴿بِخَازِنِينَ﴾[1] فليست خزائنه بأيديكم.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ [الحجر: 23] أي: كما أحيينا الأرض الميتة بالمطر نفعل بالإنسان ذلك فنبعثه بعد موته ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ الباقون نرث كل الخلائق.

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ

---

(1) غرس في قلوب أوليائه أشجار المعرفة التي هي من بساتين غيب ملكوته وجبروته، ثم أرسل عليها رياح لطفه بكشف جماله لها؛ فتلقح بشمال جماله أشجار معرفتهم ثمار محبته وشوقه وعشقه، ثم سقاها بمطر عنايته من بحر كرمه حتى أثمرت كل غصن منها حكمة من حكمه وعلمًا من علومه، وخبرًا من غيبه، وسرًّا من أسراره، وحقيقة من حقائقه بها نسائم الأنس، ونورها لطائف القدس، وزهرها من لوائح إنصاف، ووردها من لوامع الذات، وفواكهها حياة مرضي المريدين تشفيهم من داء الفراق، وتربيهم بترياق الوفاق، فكل سالك عارف عاشق محب واله سقاه الحق من مطر لطفه من بحار كبريائه شربات مفرحات الأفراح بأقداح الأرواح؛ فيصير سكران جماله من حب جلاله هائمًا من شوقه إلى وصاله، فلا العاشق الشائق يسكن من سكره، ولا من سقي شرابه، ولا ينقص بحر وصاله من شرب عاشق جماله وكمال جلاله.

يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾
وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ
بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟
لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ
مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ
أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ
رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الحجر: ٢٤ - ٣٤].

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ [الحجر: 24] المتقدمين﴿مِنْكُمْ﴾ من الأموات وغيرهم﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ المتأخرين من الأحياء وغيرهم.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ [الحجر: 25] للبعث﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ [الحجر: 26] أي: آدم﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾ طين يابس إذا نقر سمع له صوت وهو الصلصلة﴿مِنْ حَمَإٍ﴾ طين أسود﴿مَسْنُونٍ﴾ متغيرًا، أو مبتل متن.

﴿وَالْجَانَّ﴾ [الحجر: 27] أبو الجن وهو إبليس﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل آدم﴿مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ من ريح حارة إذا دخلت مسام الإنسان قتلته، أو نار لا دخان لها تنفذ من المسام.

﴿وَ﴾ [الحجر: 28] اذكر﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ﴾ أي: سأخلق﴿بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ .

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ [الحجر: 29] عدلت صورته تامة﴿وَنَفَخْتُ﴾ أجريت﴿فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ فصار حيًا، وإضافة الروح إليه تشريف لآدم﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ سجود تحية بالانحناء.

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ [الحجر: 30 - 31] امتنع من﴿أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ .

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ﴾ [الحجر: 32] ما منعك﴿أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ ؟

﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ﴾ [الحجر: 33] لا ينبغي لي أن أسجد ﴿لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ وأراد الفخر على آدم، فإن النار تأكل الطين.

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ [الحجر: 34] أي: الجنة، وقيل: من السماوات ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ طريد.

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ
يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ
بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ
ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ
عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾
لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ
وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا
عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾
۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ
﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الحجر: ٣٥ - ٥١].

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر: 35] الجزاء.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾ [الحجر: 36] آخر مدة حياتي ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: الناس أراد ألَّا يموت.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: 37 - 38] وقت النفخة الأولى، فمدة موته مقدار ما بين النفختين وهو أربعون سنة، وإجابته لذلك للزيادة في شقائه.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: 39] بسبب إضلالك لي، أو بإغوائك لي ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ المعاصي وحب الدنيا ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ أضلنهم ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ﴾ [الحجر: 40] أي: من أولاد آدم ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾[1] بالكسر في «الدين والطاعة»، وبالفتح الذين أخلصهم الله للتوحيد والإخلاص.

﴿قَالَ﴾ [الحجر: 41] الله تعالى: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي: المخلص على صراط مستقيم إلى الله، فعليّ بمعنى: إليّ، أو المراد: بالصراط المستقيم.

قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ [الحجر: 42] المؤمنين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ قوة وهم المخلصون، والمراد أنه لا قوة له على إغوائهم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ وهم الذين لم يوفقهم الله.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾ [الحجر: 43] أي: إبليس ومن معه ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ [الحجر: 44] طباق بعضها فوق بعض ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ﴾ أي: لكل منزل منها ذنب، أو نصيب يليق به ﴿مَقْسُومٌ﴾ معلوم هي جهنم للموحدين العصاة، ثم لظى للنصارى، ثم الحطمة لليهود، ثم السعير للصائبين، ثم سقر للمجوس، ثم الجحيم لأهل الشرك، ثم الهاوية للمنافقين، أجارنا الله من الجميع آمين.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾ [الحجر: 45] بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ أنهار تجري فيها.

ويقال لهم: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ [الحجر: 46] سلامة، أو سالمين من كل مخوف، أو مع سلام، أو سلِّموا وادخلوا ﴿آمِنِينَ﴾ من كل ضار الموت وغيره، وروى رويس بخلاف عنه «وعيون ادخلوها» بضم النونين وبكسر الخاء على ما لم يسم فاعله، والباقون: بضم الخاء وكسر النونين.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ [الحجر: 47] شحناء وعداوة لحقد وحسد ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ﴾ جمع: سرير ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ أي: وجوههم بعضًا لبعض لا ينظر واحد لقفا صاحبه؛ لدوران الأسرة بهم.

---

(1) الحاصل: إن عباد الله منهم المخلِصون بكسر اللام؛ وهم الصادقون؛ بمعنى إنهم تخلَّصوا عن شوائب النفسانية في أعمالهم وأحوالهم، وهم على خطر في الجملة لبقاء شيء من نفوسهم، ومنهم المخلَصون بالفتح؛ وهم الصدّيقون؛ بمعنى أنهم تخلَّصوا عن شوائب الغيرية، كما تخلَّصوا عن شوائب النفسانية، فهم فَانون عن نفوسهم، باقون بربهم لا يد للشيطان عليهم أصلاً؛ لأن الشيطان إنما يخدم النفس؛ لأنها الأصل في الفساد، فإذا كانت حركات عن صفاتها الرذيلة؛ عزل الشيطان نفسه عن تلك النفس المطمئنة؛ لأن النور والظلمة لا يجتمعان.

﴿لَا يَمَسُّهُمْ﴾ [الحجر: 48] لا يصيبهم﴿فِيهَا نَصَبٌ﴾ تعب﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ أبدًا.

﴿نَبِّئْ﴾ [الحجر: 49] خبِّر﴿عِبَادِي﴾ التائبين﴿أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ﴾ لهم﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم.

﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾ [الحجر: 50] لمن لم يتب﴿هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾.

﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾ [الحجر: 51] أخبرهم﴿عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ وهم الملائكة اثنا عشر أو ثلاثة منهم جبريل، وهم الذين بشروه وأهلكوا قوم لوط.

﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا
نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ
﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن
رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ
أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا
ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ
بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا
يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ
هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الحجر: ٥٢ - ٦٦].

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ [الحجر: 52] أي: هذا اللفظ﴿قَالَ﴾ إبراهيم لمَّا عرض عليهم الأكل فأبوه﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ خائفون لعدم أكلهم من طعامه.

﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ [الحجر: 53] تخف﴿إِنَّا﴾ رسل ربك﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾ في صغره﴿عَلِيمٍ﴾ أي: ذي علم كثير في كبره وهو إسحاق كما ذُكر في هود فلما عجب.

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي﴾ [الحجر: 54] أي: بالولد﴿عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ أي: مع مسّه إياي قاله تعجبًا﴿فَبِمَ﴾ فبأي شيء﴿تُبَشِّرُونَنِي﴾ ؟ استفهام تعجب بكسر النون لنافع

وابن كثير، والباقون بفتحها، وابن كثير شددها، والباقون خففوها.

﴿قَالُوا﴾: [الحجر: 55] أي: الملائكة إنَّا ﴿بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ الآيسين.

﴿قَالَ وَمَنْ﴾ [الحجر: 56] أي: لا ﴿يَقْنَطُ﴾ و«يقنطون» و«يقنطوا» بكسر النون للبصريين وخلف والكسائي، والباقون بفتحها ﴿مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ الكافرون؛ أي: وأنا لست منهم فلا أقنط.

﴿قَالَ﴾: [الحجر: 57] إبراهيم ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾؟

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ [الحجر: 58] كافرين؛ أي: قوم لوط لإهلاكهم.

﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ [الحجر: 59] من آمن معه، أو من كان من أهله مؤمنًا ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: من العذاب.

﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ [الحجر: 60] استثناء من الناجين، فكانت من الهالكين دل له قوله: ﴿قَدَّرْنَا﴾ بتخفيف الدال هنا، وفي النمل في: ﴿قَدَّرْنَاهَا﴾ لأبي بكر، والباقون بالتشديد ﴿إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الباقين في العذاب بكفرها.

﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ﴾ [الحجر: 61] أي: قومه، أو لوطًا ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ الملائكة.

﴿قَالَ﴾ [الحجر: 62] لوط لهم ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أي: لا أعرفكم.

﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ﴾ [الحجر: 63] أي: قومك ﴿يَمْتَرُونَ﴾ يشكون وهو العذاب؛ إذ كان يوعدهم فيكذبونه.

﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: 64] باليقين من عذابهم ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في قولنا.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ﴾ [الحجر: 65] طائفة ﴿مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ امش خلفهم ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ لئلا يخافوا ويرتاعوا من نزول العذاب بقومكم، أو جعل عدم الالتفات لمن سلم ﴿وَامْضُوا﴾ اذهبوا ﴿حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ إلى الشام.

﴿وَقَضَيْنَا﴾ [الحجر: 66] أوحينا ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: إلى لوط ﴿ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ أي: عذاب قومه، والمراد: فرغنا من الحكم بهلاكهم وأخبرناه ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ﴾ أصلهم ﴿مَقْطُوعٌ﴾ مستأصل ﴿مُصْبِحِينَ﴾ داخلين في الصبح؛ أي: يتم استئصالهم في الصباح.

﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ
﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ
بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ
مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ
﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾
وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾
وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ
أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا
بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الحجر: ٦٧ - ٨٥].

﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾ [الحجر: 67] هي سدوم وهم قوم لوط لما أُخبروا أن في بيت لوط مردًا حسانًا وهم الملائكة ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بأضياف لوط طمعًا في الفاحشة بهم.

﴿قَالَ﴾ [الحجر: 68] لوط ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ في أمرهم.

﴿وَاتَّقُوا الله وَلَا تُخْزُونِ﴾ [الحجر: 69] تخجلون بقصدكم إياهم بفعل الفاحشة.

﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [الحجر: 70] أي: عن ضيافة أحد منهم، أو عن إدخال الغرباء بالمدينة.

﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الحجر: 71] ما تريدون من قضاء الشهوة فتزوجوهن.

قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ [الحجر: 72] إقسام من الله بحياة نبيه محمد ﷺ ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون ويلعبون في ضلالتهم.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ [الحجر: 73] صيحة جبريل ﴿مُشْرِقِينَ﴾ عند ابتداء إشراق الشمس، وكان ذلك تمام العذاب وابتداؤه حين أصبحوا.

﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا﴾ [الحجر: 74] أي: قراهم ﴿سَافِلَهَا﴾ بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ طين طبخ بالنار.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ [الحجر: 75] أي: العذاب أو الفعل ﴿لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ المعتبرين، أو الناظرين، أو المتفكرين، أو المتفرسين.

﴿وَإِنَّهَا﴾ [الحجر: 76] أي: قرى قوم لوط ﴿لَبِسَبِيلٍ﴾ طريق ﴿مُقِيمٍ﴾ واضح لا يخفى عن أحد من قريش عند وفودهم إلى الشام لم تندرس.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: 77] أي: عبرة لمن تفكر منهم فينزجر خشية من العذاب.

﴿وَإِنْ﴾ [الحجر: 78] أي: إنه ﴿كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾[1] هي الشجر الملتف وهو موضع بقرب مدين وهم قوم شعيب ﴿لَظَالِمِينَ﴾ لكافرين بتكذيبهم شعيبًا.

﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الحجر: 79] بالعذاب فسلط عليهم الحر سبعة أيام، ثم جاءتهم سحابة، فالتجئوا إليها يلتمسون منها روحًا، فخرجت النار منها عليهم ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ أي: قرية قوم لوط وأصحاب الأيكة ﴿لَبِإِمَامٍ﴾ طريق ﴿مُبِينٍ﴾ واضح أفلا يعتبر بهم أهل مكة؟

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ﴾ [الحجر: 80] هي مدينة ثمود قوم صالح بين الشام والمدينة ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: الذين أرسل لهم رسول وهو صالح عليه السلام وقال المرسلين؛ لأن من كذب رسولاً كمكذب لباقي الرسل؛ لاشتراكهم في التوحيد.

﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا﴾ [الحجر: 81] الناقة وغزارة لبنها وشربها الماء في يومها

---

(1) الأيك: الشجر الملتف الكثير الواحدة أيكة، ومن قرأ: «أصحاب الأيكة» فهي الغيضة، ومن قرأ: «ليكة» فهو اسم القرية، ويقال: هما مثل بكة ومكة، قاله الجوهري، وقال النحاس: وقرأ أبو جعفر ونافع «كذب أصحاب ليكة المرسلين» وكذا قرأ: في ص، وأجمع القراء على الخفض في التي في سورة الحجر والتي في سورة ق فيجب أن يرد ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه إذ كان المعنى واحدًا، وأما ما حكاه أبو عبيد من أن «ليكة» هي اسم القرية التي كانوا فيها وأن «الأيكة» اسم البلد فشيء لا يثبت ولا يعرف من قاله فيثبت علمه، ولو عرف من قاله لكان فيه نظر؛ لأن أهل العلم جميعًا من أهل التفسير والعلم بكلام العرب على خلافه.

﴿فَكَانُوا عَنْهَا﴾ عن الآيات ﴿مُعْرِضِينَ﴾ لا يتفكرون.

﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ [الحجر: 82] من خرابها ووقوع عنهم.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ [الحجر: 83] أي: صحية العذاب ﴿مُصْبِحِينَ﴾ وقت الصبح.

﴿فَمَا أَغْنَى﴾ [الحجر: 84] دفع ﴿عَنْهُمْ﴾ شيئًا ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يعملون من الأعمال.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ [الحجر: 85] لا محالة، فيجازي كل بعمله ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ اعف العفو الحسن الذي لا جزع فيه نسخت بآية القتال.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٨٦ - ٩٩].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ﴾ [الحجر: 86] لكل شيء ومنهم فعلهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بحال كل خلقه فيجازيهم عليه.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ﴾ [الحجر: 87] أعطيناك ﴿سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾[1] هي فاتحة الكتاب

(1) اختلف العلماء في السبع المثاني، فقيل: الفاتحة، قاله علي بن أبي طالب وأبو هريرة والربيع بن أنس وأبو العالية والحسن وغيرهم، وروي عن النبي ﷺ من وجوه ثابتة، من حديث أبي بن كعب =

على الأصح؛ لأنها تثنى في كل ركعة ﴿وَ﴾ آتيناك ﴿**الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**﴾.

﴿**لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ**﴾ [الحجر: 88] يا محمد ﷺ ﴿**إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا**﴾ أصنافًا ﴿**مِنْهُمْ**﴾ أي: من الكفار متمنيًا لها ﴿**وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ**﴾ إن لم يؤمنوا ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ**﴾ أي: جانبك ﴿**لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ والمراد: لِن لهم وارفق بهم.

﴿**وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ**﴾ [الحجر: 89] من عذاب الله ﴿**الْمُبِينُ**﴾ للحق من غيره.

﴿**كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ**﴾ [الحجر: 90] أي: أنذركم عذابًا كعذابهم وهم اليهود والنصارى.

﴿**الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ**﴾ [الحجر: 91] أي: كتبهم المنزلة ﴿**عِضِينَ**﴾ أجزاء حيث آمنوا ببعض وكفروا ببعض، أو هم قوم قال بعضهم: القرآن سحر، وبعضهم كهانة، وبعضهم شعر، وبعضهم أساطير الأولين، وهم قوم اقتسموا طريق؛ ليصدون الناس عن الإسلام بذلك.

﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الحجر: 92 - 93] يوم القيامة سؤال توبيخ فقوله: ﴿**لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَانٌّ**﴾ [الرحمن: 39] أراد به سؤال الاستعلام؛ لأنه أعلم، وقيل: في القيامة مواقف ففي موقف: يسألون، وفي آخر: لا يسألون، كما أنهم في موقف لا ينطقون، وفي موقف يختصمون، فما اختلف في القرآن شيء، وإن ورد ما ظاهره ذلك فهو محمول على اختلاف مواقف القيامة قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿**فَاصْدَعْ**﴾ [الحجر: 94] يا محمد ﷺ ﴿**بِمَا تُؤْمَرُ**﴾ أي: أظهره ﴿**وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾ نسخت بآية القتال.

﴿**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**﴾ [الحجر: 95] بك بأن أهلكنا كلاً منهم بآفة وهم خمسة: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل السهمي، والأسود بن عبد بعوث، وأبو

=

وأبي سعيد بن المعلى، وخرج الترمذي من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «**الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني**»، قال: هذا حديث حسن صحيح، وقال ابن عباس: هي السبع الطول: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال والتوبة معًا، إذ ليس بينهما التسمية.

زمعة، والحارث بن عيطلة، وقيل بدل الأخير: ابن عدي بن قيس، والأسود بن عبد المطلب ماتوا في أيام قليلة بعوارض خطرة، وبشر جبريل ﷺ بذلك نبينا محمد ﷺ قبل حدوثه.

﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: 96] عاقبة أمرهم تهديدًا لهم ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر: 97] من الاستهزاء والتكذيب.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الحجر: 98] أي: قل: سبحان الله وبحمده ﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ أو المراد: صلِّ بأمر ربك وكن من المتواضعين.

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99] الموت[1].

---

(1) قال النيسابوري (1/5): أي إلى الأبد لأن كل مقام يحصل فيه اليقين بالعيان بعد العرفان فإنه يحصل فوقه مقام آخر مشكوك فيه إلى أن يحصل برد اليقين فيه أيضاً، فهناك مراتب لا تتناهى فاليقين يكون إشارة إلى الأبد والله أعلم.

سورة النحل(1)

مكية سوى ثلاث آيات من قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ....﴾ [النحل: 126] إلى آخر السورة، نزلت بالمدينة في قصة حمزة على ما سيأتي - إن شاء الله تعالى - وقيل: بين مكة في منصرفه ﷺ من أحد، وقال قتادة: في أول السورة.....إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ [النحل: 41] مكي وباقيها مدني، ووافقه جابر بن زيد وهي مائة آية وثمانٍ وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

---

(1) سميت بها لاشتمالها على قوله ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ المشير إلى أنه لا يبعد أن يلهم الله ﷻ بعض خواص عباده أن يستخرجوا الفوائد الحلوة الشافية من هذا الكتاب بحمل كلماته على مواضع الشرف وعلى المعاني المثمرة وعلى التصرفات العالية مع تحصيل الأخلاق الفاضلة وسلوك سبيل التصفية والتزكية وهذا أكمل ما يعرف به فضائل القرآن ويدرك به مقاصده، قال الحسن، وعطاء، وعكرمة، وجابر: هي كلها مكية، وقال ابن عباس: إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة بعد حمزة وهي قوله: ﴿وَلاَ تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ إلى قوله: ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وقيل: إلا ثلاث آيات ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ الآية نزلت في المدينة في شأن التمثيل بحمزة وقتلى أحد، وقوله: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ﴾ وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ وقيل: من أولها إلى قوله: ﴿يُشْرِكُونَ﴾ مدني وما سواه مكي، وعن قتادة عكس هذا، ووجه ارتباطها بما قبلها أنه تعالى لما قال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ كان ذلك تنبيهًا على حشرهم يوم القيامة، وسؤالهم عما أجرموه في دار الدنيا، فقيل: أتى أمر الله وهو يوم القيامة على قول الجمهور، وعن ابن عباس المراد بالأمر: نصر رسول الله ﷺ وظهوره على الكفار، وقال الزمخشري: كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة، أو نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبًا بالوعد، وهذا الثاني قاله ابن جريج قال: الأمر هنا ما وعد الله نبيه من النصر وظفره بإعدائه، وانتقامه منهم بالقتل والسبي ونهب الأموال، والاستيلاء على منازلهم وديارهم، وقال الضحاك: الأمر هنا مصدر أمر، والمراد به: فرائضه وأحكامه، قيل: وهذا فيه بعد؛ لأنه لم ينقل أنّ أحدًا من الصحابة استعجل فرائض من قبل أن تفرض عليهم، وقال الحسن وابن جريج أيضًا: الأمر عقاب الله لمن أقام على الشرك، وتكذيب الرسول، واستعجال العذاب منقول عن كثير من كفار قريش وغيرهم، وقريب من هذا القول قول الزجاج: هو ما وعدهم به من المجازاة على كفرهم، وقيل: الأمر بعض أشراط الساعة.

﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٤ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨ ﴾ [النحل: ١ - ٨].

لمَّا استعجل المشركون العذاب نزل ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ﴾ [النحل: 1] أي: الساعة وعبّر بالماضي مكان المستقبل؛ لتحقق وقوعه، أو المراد: دنا وقرب، أو أتى وعد الله بذلك ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ وقوعًا قبل وقته ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى﴾ تعاظم بأوصافه الحميدة ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به غيره.

﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾ [النحل: 2] بتاء من فوق مفتوحة وفتح الزاي ونصب الملائكة على إسناد الفعل لله، والملائكة مفعول، والأول أسنده للملائكة وهم فاعل ﴿بِالرُّوحِ﴾ وهو القرآن، أو النبوة، أو الرحمة، أو مع الروح وهو جبريل ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ بإرادته ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ وهم الأنبياء ﴿أَنْ أَنْذِرُوا﴾ خوفوا الكفار بالعذاب وأعلموهم ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ فخافون.

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: 3] أي: محق ﴿تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به من الأصنام وغيرها.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ [النحل: 4] شديد الخصومة جدل بالباطل ﴿مُبِينٌ﴾ والمراد به: بيّن الخصومة، وهل هو كل كافر، أو أُبي بن خلف الجمحي؛ لأنه أنكر البعث حيث قال: ﴿مَن يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: 78]؟ قولان.

﴿وَالْأَنْعَامَ﴾ [النحل: 5] الإبل، والبقر، والغنم ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ من جملة الناس ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ من وبر، وشعر، وصوف ﴿وَمَنَافِعُ﴾ بالركوب والأكل ونحوه ﴿وَمِنْهَا

﴿تَأْكُلُونَ﴾ اللحوم.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ﴾ [النحل: 6] وهو ردها بالعشي إلى المنازل ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ وهو ذهابها من منازلكم بكرة.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ [النحل: 7] أحمالكم الثقيلة ﴿إِلَى بَلَدٍ﴾ هو مكة، أو كل بلد ﴿لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ﴾ واصلين إليه على غير الإبل ﴿إِلَّا بِشِقِّ﴾ بفتح الشين لأبي جعفر، والباقون بكسرها ﴿الْأَنْفُسِ﴾ نقصان قوتها ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَ﴾ [النحل: 8] خلق و﴿الْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَ﴾ جعلها ﴿زِينَةً﴾ وثبت أن النبي ﷺ أرخص في لحوم الخيل ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الأشياء الغريبة[1].

---

(1) في الآية مسائل:

المسألة الأولى: قال مالك: جعل الله هذه الدواب للركوب، وللزينة، ولم يجعلها للأكل.

وقال الشافعي: تؤكل الخيل. وتمسّك بحديث جابر. قال: «نحرنا على عهد رسول الله ﷺ، فرسًا فأكلناه، وقد أذن، عليه الصلاة والسلام، في لحوم الخيل، وحرم لحوم الحمير».

وقال علماؤنا: هذه حكاية حال وقضية، ويحتمل أن يكون نحروه للضرورة. ولا يحتج بقضايا الأحوال. وأما الحُمُر. ففي الصحيح، أنه، عليه الصلاة والسلام، حرمها يوم خيبر، فقيل: حرمت شرعًا، وقيل: لأنها كانت جوال القرية أي: تأكل النجاسة، وأما البغال، فكالحمير، وهي متولدة بين ما يؤكل وهو الخيل، وبين ما لا يؤكل وهو الحمر. ولما ترددت بين أصلين اختلف فيها.

المسألة الثانية: اعلم أن مدار التحليل والتحريم في المطعومات يدور على ثلاث آيات، وخبر الواحد. أما الآي، فقوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾. وقوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾. الآية. وأما الخبر، فقوله ﷺ: «أكل كل ذي ناب من السباع حرام». وفي رواية: «نهى رسول الله، ﷺ، عن أكل كل ذي ناب، ونهى عن لحم الحمر الأهلية». وآخر آية نزلت: قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ الآية.

المسألة الثالثة: اختلف العلماء في الخيل هل تزكى أم لا؟ فقال جمهور العلماء: لا زكاة فيها.

وقال أبو حنيفة: تزكى شرعًا؛ لقوله ﷺ: «الخيل لثلاثةٍ، لرجل أجر، ولرجل ستر، ولرجل وزر». الحديث، وفيه: «ولم ينس حق الله في رقابها وظهورها»، ولقوله ﷺ: «في الخيل السائمة، في كل فرس دينار». واحتج الجمهور بقوله ﷺ: «ليس على المسلم في عبده وفرسه صدقة». بقوله ﷺ: «عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق»، إلا أن، في صدقة الرقيق صدقة الفطر، ولأن عمر وعثمان قضيا بذلك. [الأحكام الصغرى ص405].

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾
هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ
تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن
كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ
ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟
مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ
فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النحل: ٩ - ١٤].

﴿**وَعَلَى اللهِ قَصْدُ**﴾ [النحل: 9] بيان ﴿**السَّبِيلِ**﴾ طريق الهدى ﴿**وَمِنْهَا**﴾ أي: من السبيل ﴿**جَائِرٌ**﴾ مائل عن الحق، وهو دين الكفر، والأهواء، والبدع ﴿**وَلَوْ شَاءَ**﴾ هدايتكم ﴿**لَهَدَاكُمْ**﴾ لقصد السبيل ﴿**أَجْمَعِينَ**﴾ فتهتدون إليه باختيار منكم.

﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ**﴾ [النحل: 10] تشربونه ﴿**وَمِنْهُ**﴾ أي: من الماء ﴿**شَجَرٌ**﴾ نبت بسببه ﴿**فِيهِ**﴾ أي: في الشجر ﴿**تُسِيمُونَ**﴾ ترعون المواشي.

﴿**يُنْبِتُ لَكُمْ**﴾ [النحل: 11] بالياء من أسفل لكل القراء إلا عاصمًا في رواية أبي بكر فبالنون بدل الياء في أوله ﴿**بِهِ**﴾ أي: بالماء ﴿**الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ**﴾ المذكور ﴿**لَآيَةً**﴾ دالة على وحدانيته تعالى ﴿**لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾.

﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ**﴾ [النحل: 12] مذللات ﴿**بِأَمْرِهِ**﴾ بإذنه وقرأ ابن عامر برفع «الشمس» و«القمر» و«النجوم مسخرات» وافقه حفص في الأخيرين وهما: «النجوم مسخرات»، والباقون بنصبها ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾.

﴿**وَمَا ذَرَأَ**﴾ [النحل: 13] خلق ﴿**لَكُمْ**﴾ أي: سخّر ما خلق لأجلكم ﴿**فِي الْأَرْضِ**﴾ من الدواب والأشجار وغيرهما ﴿**مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ**

﴿يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون بالاعتبار.

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ﴾ [النحل: 14] ذلك لكم ﴿الْبَحْرَ﴾ للغوص فيه والركوب في السفن ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً﴾ هي: اللؤلؤ والمرجان ﴿تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى﴾ تبصر ﴿الْفُلْكَ﴾ السفن ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ جواري مقبلة ومدبرة بريح واحدة تمخر الماء؛ أي: تشقه ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ وهي التجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ صنع الحق فيما سخر لكم.

﴿ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ
شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾
إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾
لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ
﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النحل:
١٥ - ٢٤].

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ [النحل: 15] هي: الجبال ﴿أَنْ تَمِيدَ﴾ لئلا تميد، أو كراهة أن تميد؛ أي: تتحرك وتضطرب ﴿بِكُمْ وَ﴾ جعل فيها ﴿أَنْهَارًا﴾ كالنيل ﴿وَسُبُلًا﴾ طرقًا ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى مقاصدكم.

﴿وَعَلَامَاتٍ﴾ [النحل: 16] هي معالم الطرق ومنها الجبال؛ إذ يُهتدى بها في النهار، ثم ابتدأ ﴿وَبِالنَّجْمِ﴾ يعني: النجوم ﴿هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أي: في الليل في المسير، والقبلة كالثريا وبنات نعش والفرقدين والجدي يهتدى بها إلى القبلة.

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ﴾ [النحل: 17] وهو الله تعالى ﴿كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ وهم الأصنام، والمراد: إنكار استوائهما ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ذلك فتؤمنون.

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ الله لَا تُحْصُوهَا﴾[1] [النحل: 18] تضبطوها فضلاً عن أن تطيقوا شكرها ﴿إِنَّ الله لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ [النحل: 19 - 20] يعبدون بياء في أوله من أسفل لعاصم، ويعقوب والباقون بالتاء من فوق ﴿مِنْ دُونِ الله﴾ وهم الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ يصورون من الحجارة وغيرها.

﴿أَمْوَاتٌ﴾ [النحل: 21] لا روح فيهم ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: الأصنام ﴿أَيَّانَ﴾ أي: متى ﴿يُبْعَثُونَ﴾ أي: الخلق فكيف تعبد؛ إذ لا يكون إلهًا إلا الخالق المحيي العالم بالغيب، أو أيان تبعث هي فيه دليل على أن الأصنام تُبعث، ويخلق الله لها أزواجًا فتتبرأ من عابديها.

﴿إِلَهُكُمْ﴾ [النحل: 22] أيها الناس المستحق للعبادة منكم ﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ﴾ جاحدة لذلك ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ متكبرون عن الإيمان.

﴿لَا جَرَمَ﴾ [النحل: 23] حقًّا ﴿أَنَّ الله يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فيجازيهم بذلك ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ أي: إنه يعاقبهم، والكبر: ازدراء الناس وعدم العمل بالحق، ونزلت في النضر بن الحارث.

---

(1) إشارة إلى أن النعمة نعمتين: أعطاف إعطائه ونعمة ألطافه، فنعمة أعطاف إعطائه ما يتعلق بوجود النعمة وهو على ضربين: نعمة ظاهرة، ونعمة باطنة، ونعمة ألطافه ما يتعلق بوجود المنعم وهو على ضربين: نعمة ذاته بالألوهية، ونعمة صفاته بالربوبية، وهي بلا نهاية فلا تعد ولا تحصى، وقال ابن عطاء: إن لك نفسًا وقلبًا وروحًا وعقلاً ومحبةً ودينًا ودنيا وطاعةً ومعصيةً وابتداءً وانتهاءً وحينًا وأصلًا وفصلًا. فنعمة النفس: الطاعات والإحسان والنفس فيهما تتقلب، ونعمة الروح: الخوف والرجاء وهو فيهما يتقلب. ونعمة القلب: اليقين والإيمان وهو فيهما يتقلب.

ونعمة العقل: الحكمة والبيان وهو فيهما يتقلب. ونعمة المعرفة: الذكر والقرآن وهو فيهما يتقلب.

ونعمة المحبة: الألفة والمواصلة والأمن من الهجران وهو فيهما يتقلب، وهذا تفسير قوله: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ﴾ [النحل: 18] لمن عجز عن شكر نعمة وجوده ﴿رَّحِيمٌ﴾ [النحل: 18] لمن عجز عن شكر نعمة وجوده.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ [النحل: 24] أي: لمن لا يؤمن بالآخرة ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا﴾: هو ﴿أَسَاطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ أو أحاديثهم.

﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [النحل: ٢٥ - ٢٩].

﴿لِيَحْمِلُوا﴾ [النحل: 25] في عاقبة أمرهم ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾ ذنوبهم ﴿كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فلا يخفف عنهم منها بشيء ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ﴾ ذنوب ﴿الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حجة وبرهان ﴿أَلَا سَاءَ﴾ بئس ﴿مَا يَزِرُونَ﴾ يحملون حملهم هذا، أو المراد: أعمال الذين أضلوهم بسبب إضلالهم فهم لا يحملوا ذنوبهم، وإنما حملوا مثلها لكونها صدرت بإضلالهم ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وهو نمرود بن كنعان بنى الصرح، وهو بناء عال ليصعد إلى السماء ليقاتل أهلها، فأخربه الله ورمى رأسه بالبحر وباقيه عليهم، وخرَّب سقوف بيتهم من فوقهم عليهم، فذلك قوله: ﴿فَأَتَى﴾ [النحل: 26] قصد ﴿الله بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ أي: الأصول، فأرسل عليه الريح والزلزلة فهدمته ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ﴾ وهو أعلى البيوت ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ وهم تحته ﴿وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ إذ أتاهم من مأمنهم، وقيل: هو لفساد ما صمموا عليه من مكرهم برسل الله تعالى.

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ [النحل: 27] بذلهم ﴿وَيَقُولُ﴾ لهم الله على لسان الملائكة توبيخًا: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ بشرككم ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ﴾ تخالفون المؤمنين ﴿فِيهِمْ﴾ في شأنهم قرأ نافع بكسر النون، والباقون بفتح النون ﴿قَالَ﴾ أي: يقول ﴿الَّذِينَ

أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ هم المؤمنون ﴿إِنَّ الْخِزْيَ﴾ الهوان ﴿الْيَوْمَ وَالسُّوءَ﴾ العذاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يقولونه شماتة بهم.

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [النحل: 28] بالتذكير في الموضعين لحمزة وخلف، والباقون بالتأنيث ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ بالشرك ﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾ استسلموا وانقادوا عند الموت قائلين ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ شرك، فقالت لهم الملائكة: ﴿بَلَى﴾ أي: عملتم ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قبل هذا فيجازيكم به، ويقال لهم: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى﴾ [النحل: 29] مأوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ هي.

﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل: ٣٠ - ٣٦].

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [النحل: 30] الشرك ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ أي: أنزل خيرًا، ثم وعدهم فقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالإيمان ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ كرامة من الله بالنصر، والغنيمة، وسعة الرزق في الدنيا، والثواب في الآخرة، والحسنة بعشر

أمثالها ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ أي: الحال الآخرة في الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا وما فيها، قال تعالى فيها: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ هي ﴿جَنَّاتُ﴾ [النحل: 31] أي: هي جنات ﴿عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ﴾ مثل هذا الجزاء ﴿يَجْزِي اللهُ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [النحل: 32] بالإيمان ظاهرين من الخبائث على وجه سهل بالنسبة لغيرهم ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: الملائكة لهم عند الموت ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمُ﴾ إمَّا من عند الله وهو أعظم، أو من عند أنفسهم، ويقال لهم في الآخرة: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: بسببه.

﴿هَلْ﴾ [النحل: 33] ما ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ينتظرون المشركون ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم، بالتاء في «تأتيهم» من فوق للكل، ولحمزة وخلف والكسائي بالياء من أسفل ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ وهو الساعة المشتملة على العذاب أو العذاب ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كفعلهم ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم كذبوا رسلهم فأهلكوا ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ﴾ بإهلاكهم بلا ذنب ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ إذا أشركوا فعذبوا.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ﴾ [النحل: 34] عقوبات ﴿مَا عَمِلُوا وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: العذاب.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [النحل: 35] من أهل مكة ﴿لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ كالبحيرة فهو راض بذلك، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كقولهم وفعلهم ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: كذبوا رسلهم فيما جاءوا به ﴿فَهَلْ﴾ فما ﴿عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ الإبلاغ ﴿الْمُبِينُ﴾ البيّن لا الهداية.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ [النحل: 36] كما بعثناك في هؤلاء ﴿أَنِ﴾ بأن ﴿اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الأوثان أن تعبدوها، وهي: كل معبود سوى الله تعالى ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ﴾ وجبت بالقضاء السابق عليه ﴿الضَّلَالَةُ﴾ الكفر فمات على كفره ﴿فَسِيرُوا﴾ يا كفار مكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ رسلهم؛ أي: آخر أمرهم من خراب منازلهم وهلاكهم بالعذاب.

﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن

نَٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا
عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ
وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن
نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي
ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْأٓخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ
رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ
أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ
لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن
يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [النحل: ٣٧ - ٤٥].

﴿إِنْ تَحْرِصْ﴾ [النحل: 37] يا محمد ﷺ ﴿عَلَى هُدَاهُمْ﴾ إيمانهم وقد أضلهم الله لا نقدر على ذلك ﴿فَإِنَّ الله لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ للكوفيين بفتح الياء وكسر الدال؛ أي: لا يهدي الله أحد ممن أضله؛ أي: لا يقدر أحد على دفع مراده ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ مانعين من عذاب الله تعالى.

﴿وَأَقْسَمُوا﴾ [النحل: 38] أي: كفار مكة ﴿بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي: غاية اجتهادهم فيها ﴿لَا يَبْعَثُ الله مَنْ يَمُوتُ بَلَى﴾ يبعثهم ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ [النحل: 39] أي: يبعثهم؛ ليظهر لهم الحق ﴿الَّذِي يَخْتَلِفُونَ﴾ مع المؤمنين ﴿فِيهِ﴾ في الدنيا من أمر الدين بتعذيبهم وإثابة المؤمنين ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ في إنكار البعث.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ [النحل: 40] أي: أردنا إيجاده ﴿أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ [النحل: 41] من مكة إلى الحبشة، أو إلى المدينة ﴿فِي اللهِ﴾

لإقامة دينه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ ومنهم: خباب، وبلال، وعمّار بن ياسر، وصهيب، وأبو جندل بن سهيل، أو النبي ﷺ وأصحابه ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ ننزلهم فيها دار حسنة هي المدينة ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: الكفار، أو المخلفون عن الهجرة ما للمهاجرين من الكرامة لو أفتوهم.

هم ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [النحل: 42] في الدنيا على المكروه من الهجرة وأداء الطاعات ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكة ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ مؤمني أهل الكتاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فإنهم يعلمونه وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [النحل: 44] أي: أرسلناهم بالحجج الواضحة ﴿وَالزُّبُرِ﴾ الكتب ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ منه من الحلال والحرام ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فيعتبرون ﴿أَفَأَمِنَ﴾ ما آمن ﴿الَّذِينَ مَكَرُوا﴾ عملوا، أو التقدير مكروا المكرات ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ من الكفار في دار الندوة من قبله، أو غير ذلك مما مرّ.

﴿أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ [النحل: 45] كقارون ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: من جهة لا يعلمونها ولا يخطر ببالهم، وقد أهلكوا ببدر ولم يكونوا قدروا ذلك.

﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾

ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النحل: ٤٦ - ٥٥].

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ﴾ [النحل: 46] بالعذاب ﴿فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ تصرفهم في حوائجهم ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين العذاب.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: 47] تنقص شيئًا فشيئًا حتى يهلك الكل ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ [النحل: 48] بالتاء من فوق لحمزة والكسائي وخلف ولغيرهم بالياء من أسفل ﴿إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ المراد به: جسم قائم على ظل ﴿يَتَفَيَّأُ﴾[1] يتمايل، وقرأ البصريان بالياء من أسفل في أوله، والباقون بالتاء من فوق ﴿ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِله﴾ والسجود الميل، يقال: سجدت النخلة إذا مالت ﴿وَهُمْ﴾ أي: الظلال ﴿دَاخِرُونَ﴾ صاغرون نزلوا منزلة العقلاء؛ لفعلهم مثلهم.

﴿وَلِلهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾ [النحل: 49] هي كل حيوان يدب؛ أي: يخضع له بما يراد منه، وقد يحمل السجود على الانقياد فيما لا يعقل، والسجود على الحقيقة من العاقل جمع بين الحقيقة والمجاز ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ أي: وتسجد الملائكة خاضعين ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يتكبرون عن عبادة الله.

﴿يَخَافُونَ﴾ [النحل: 50] أي: الملائكة ﴿رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ في القوة والقهر ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ به.

﴿وَقَالَ اللهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل: 51] خافونِ دون غيري.

---

(1) قرأ أبو عمرو ويعقوب وغيرهما بالتاء لتأنيث الظلال، الباقون بالياء، واختاره أبو عبيد، أي يميل من جانب إلى جانب، ويكون أول النهار على حال ويتقلص ثم يعود في آخر النهار على حالة أخرى، فدورانها وميلانها من موضع إلى موضع سجودها، ومنه قيل للظل بالعشي: فيء، لأنه فاء من المغرب إلى المشرق، أي رجع، والفيء الرجوع، ومنه ﴿حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ﴾ روى معنى هذا القول عن الضحاك وقتادة وغيرهما، وقد مضى هذا المعنى في سورة الرعد، وقال الزجاج: يعني سجود الجسم، وسجوده انقياده وما يرى فيه من أثر الصنعة، وهذا عام في كل جسم.

﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النحل: 52] ملكًا وخلقًا ﴿وَلَهُ الدِّينُ﴾ الطاعة والإخلاص ﴿وَاصِبًا﴾ دائمًا، أو واجبًا ﴿أَفَغَيْرَ الله تَتَّقُونَ﴾؟ وهو الإله الحق، والاستفهام للتوبيخ.

﴿وَمَا بِكُمْ﴾ [النحل: 53] أي: والذي بكم ﴿مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ الله﴾ لا يأتي بها إلا هو ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ القحط والشدة ﴿فَإِلَيْهِ﴾ لا إلى غيره ﴿تَجْأَرُونَ﴾ تصيحون برفع الصوت بالدعاء.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: 54] فيجعلون له أندادًا.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ [النحل: 55] أي: ليجعلوا النعمة سببًا للكفر، أو هي لام العاقبة؛ أي: كان عاقبتهم الكفر به ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ عيشوا في الدنيا، أو باجتماعكم على عبادة الأصنام فهو تهديد ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمركم.

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ
تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ
أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا
بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ
يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا
جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا
يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ
وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٦ - ٦٣].

﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ [النحل: 56] أي: المشركون ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنها تضر ولا تنفع وهي الأصنام ﴿نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الحرث والأنعام كما سبق في الأنعام ﴿تَاللَّهِ

لَتُسْأَلُنَّ﴾ يوم القيامة سؤال توبيخ ﴿عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ تكذبون على الله في الدنيا من أنه أمركم بذلك.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِله الْبَنَاتِ﴾ [النحل: 57] وهم خزاعة وكنانة، قالوا عن الملائكة هم بنات الله ﴿سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ أي: البنون.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى﴾ [النحل: 58] تولد له ﴿ظَلَّ﴾ صار ﴿وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ متغيرًا من كراهة ذلك ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ممتلئ حزنًا فهو يكظم حزنه بمعنى: يمسكه، فلا يظهره فكيف ينسب البنات إليه تعالى؟

﴿يَتَوَارَى﴾ [النحل: 59] يتخفى ﴿مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي: قومه ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ خوفًا من الخزي والعار مترددًا فيما يفعل به، ثم يتفكر ﴿أَيُمْسِكُهُ﴾ يتركه بلا قتل ﴿عَلَى هُونٍ﴾ هوان وذل يحصل له ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ يخفيه فيه فيصيره موءودة، وكان الرجل منهم إمَّا أن يقتل بنته بأن يدفنها في بئر، أو يبقيها ويلبسها مسوح الشعر ترعى له الإبل في البادية ما عاشت ﴿أَلَا سَاءَ﴾ بئس ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم هذا حيث جعلوا لهم البنين ولله غيرها، أو المراد: بئس حكمهم في البنات.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [النحل: 60] أي: الكفار ومنهم جاعل البنات ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾ أي: الصفة السوأى بمعنى: القبيحة وهي الاحتياج للولد، وكراهة الآيات، وقتلهن خوف الفقر ﴿وَلِله الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ الصفة العليا وهي التوحيد وصفات الكمال ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغالب ﴿الْحَكِيمُ﴾.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ الله النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النحل: 61] معاصيهم عاجل بتعجيل العقاب ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ أي: على الأرض ﴿مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ﴾ يمهلهم ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ وهو انتهاء آجالهم ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ عليه.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِله مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل: 62] لأنفسهم وهو البنات والشريك في الرئاسة وإهانة الرسل ﴿وَتَصِفُ﴾ تقول ﴿أَلْسِنَتُهُمُ﴾ مع ذلك ﴿الْكَذِبَ﴾ وهو ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾ أي: الجنة في المعاد إن كان محمد صادقًا كقوله: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى﴾ [فصلت: 50] قال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقًا أو بلى ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ في الآخرة ﴿وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾ بكسر الراء للمذنبين أو مسرفون، والباقون بفتح الراء

وتخفيفها؛ أي: متركون فيها، أو مقدمون إليها، لكن أبو جعفر شدد الراء وكسرها؛ أي: مضيعون لأمر الله.

﴿تَاللهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [النحل: 63] رسلاً أرسلنا إلى هذه الأمة ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ القبيحة فرأوها حسنة فكذبوا الرسل ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ﴾ متولي أمرهم ﴿الْيَوْمَ﴾ أي: في الدنيا؛ لطاعتهم له ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة فلا يطيعونه، ثم ولا ينصرهم.

﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى
وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٥ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ
مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ٦٦ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ
تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٦٧ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ
إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ٦٨ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ
شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٦٩ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم
مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٧٠ ﴾ [النحل:
٦٤ - ٧٠].

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ [النحل: 64] يا محمد ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ للناس ﴿الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ من الشرائع والأحكام ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَاللهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ [النحل: 65] فأنبتت ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ جفائها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً﴾ دالة على البعث ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ أي: يَعون بقلوبهم.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ [النحل: 66] عظة واعتبار ﴿نُسْقِيكُمْ﴾ بيان للعبرة قرئ هنا، وفي المؤمنون: بياء من تحت مفتوحة لأبي جعفر، والباقون بالنون وفتحها ابن عامر ونافع ويعقوب وأبو بكر، والباقون بضمها ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ﴾ هو

ما في الكرش من الثقل ما دام فيه ﴿وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا﴾ من الدم والفرث لا لون الأول، ولا رائحة الثاني، ولا طعمهما فيه ﴿سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ سهل المرور في حلوقهم لا يغص به.

﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ [النحل: 67] أي: ولكم عبرة مما نسقيكم من ثمراتهما، أو ومن ثمراتهما ثمر ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ وهو الخمر وهذا قبل تحريمه ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ كالتمر والزبيب والخل وغيره مما يحل الآن، أو المراد بالسكر: الخل، وبالباقي عصيره الجائز شربه ونحوه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً﴾ على قدرته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتذكرون.

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: 68] زنابير العسل واحدتها نحلة، والمراد: ألهمها ﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ تأوين إليها ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ﴾ بيوتًا ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ يبنون لك من الأماكن وإلا لم تأوِ إليها.

﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [النحل: 69] التي تصلح لها وتأكل منها ﴿فَاسْلُكِي﴾ ادخلي ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾ أي: طريقه في طلب الرعي ﴿ذُلُلًا﴾ مطيعة منقادة لك فلا تعسر عليك ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾[1] هو العسل ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ أبيض وأصفر وأحمر ﴿فِيهِ﴾ أي: في العسل ﴿شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ من الأوجاع، قيل: لكلها بضمه إلى غيره، وقيل: لبعضها، وقيل: للكل النية وهو أقرب للفظ الآية، وقد أمر به ﷺ دواء

---

(1) شراب معرفته بقدم جلال وعز بقائه، وأنوار ذاته، فاختلاف ألوانه باختلاف رؤيتها أنوار كل صفة، فعلى قدر رؤية الصفات يكون ألوانها، فمن لون المحبة، ومن لون العشق، ومن لون الأنس، ومن لون الفكر، ومن لون القبض والبسط، ومن لون الخوف والرجاء، ومن لون البسط والانبساط في هذه المقامات شفاء لكل مريض المحبة، وسقيم الألفة، وملدوغ الشوق، وسليم المعرفة، ومن شأن ذلك العسل لون نوري من بهاء الله وطعم حلاوة من حلاوة وصلة الله، فإذا حصل ذلك العسل من مشاهدة الله في حواصل تلك النحل، يحصل من ذلك العسل الذي صدر من تجلي الربوبية لها شمع العبودية، فإذا قهر عليه نيران المحبة تتميز بين الربوبية والعبودية، فيصير عسل الربوبية موضع ذوق مقام الأنس، كقوله ﷺ: «**أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني**»؛ فمن شرب قطرة منه بنعت الجذب، ومتابعته بنعت المحبة، يشفيه من كل سقم من علل الشهوات النفسانية، ولسقم الشيطانية ويصير مربي صحيحًا بأنوار الربوبية، فحالاته شراب الوصال يليق بالمخمورين بخمار الإرادة، ويكون شمعه أوصاف العبودية الخالصة بسرجه من نور كواشفه ومعارفه، فيضيء لكل سالك طريقه، وكل سائلٍ رشده.

لمن استطلق بطنه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنعه تعالى فيعتبرون.

﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ﴾ [النحل: 70] ولم تكونوا شيئًا ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿وَمِنْكُمْ﴾ من يتوفى من قبل أو منكم ﴿مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ وهو إرداءه، والمراد به: الهرم والخرف ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ أي: لا يعقل شيئًا بعد عقله الأول، قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾.

﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًاۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [النحل: ٧١ - ٧٥].

﴿وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ [النحل: 71] فلو أحد كثير ولو أحد قليل ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾ أي في الرزق من الموالي ﴿بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: بأن يشركوهم في فراشهم، وملابسهم، ونسائهم، وأولادهم ﴿فَهُمْ﴾ أي: المماليك والموالي بسبب الرد ﴿فِيهِ سَوَاءٌ﴾ أي: لا يعقل أحد ذلك فكيف يشركون بالله خلقه وملكه، ويرضون له تعالى ما لا يرضونه لأنفسهم؟ ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ بالإشراك به بالتاء من فوق في أوله لرويس وأبي بكر، والباقون بالياء من أسفل.

﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [النحل: 72] من جنسكم ﴿أَزْوَاجًا﴾ فخلق حواء من ضلع آدم، وسائر النساء من نطف الرجال والنساء[1] ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ

---

(1) فيها مسائل:

=

بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ أولاد الأولاد ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ من أنواع الثمار والحبوب

=

المسألة الأولى: المراد بأنفسكم: الجنس، أي: جعل لكم من جنسكم أزواجًا آدميين، وفيه الرد على العرب، فإنها كانت تعتقد أنها تتزوج الجن وتباضعها وإلى أن هذا جائز في العقل. وأما الفلاسفة فينكرون الجن ويحلون طعامهم ونكاحهم. وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾. لا شك أن الولد متكون من الأب والأم، ولكنه نسب هنا إلى الزوجة؛ لأن وجود تصويره فيها وانفصاله عنها.

تنبيه: قال القاضي أبو بكر: سمعت أبا الوفا إمام الحنابلة ببغداد يقول: إنما تبع الولد الأم في المالية والرق والحرية؛ لأنه انفصل عن الأب نطفة لا قيمة له، ولا مالية فيه، ولا منفعة، وإنما اكتسب ذلك بها وفيها، فلذلك تبعها، كما لو أكل رجل ثمرة في أرض رجل، ولفظ نواتها في تلك الأرض، فأنبتت نخلة، فإنها لرب الأرض إجماعًا، لأنها انفصلت ولا قيمة لها.

المسألة الثانية: الحفدة: أعوان الرجل وخدامه، وقيل: هم ولد الرجل وولد ولده. قال الأصمعي: الأختان: هم الرجال من قبل المرأة، والأصهار من قبل الزوجين جميعًا، وقد قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾. فالنسب ما دار بين الزوجين، والصهر ما يتعلق بهما، ويقال أختان المرأة وأصهار الرجل عرفًا ولغة، ويقال لولد الولد الحفيد، ويقال: حفد يحفد بفتح العين في الماضي وكسرها في المستقبل. ويقال في الدعاء: «وإليك نسعى ونحفد» وظاهر الآية أن المراد ولد الصلب وولد الولد، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾. وليس في قوة اللفظ أكثر من هذا.

تنبيه: قال علماؤنا: يستخدم الرجل زوجته فيما خف من الخدمة ويعينها، وقالوا: ينفق على خادم واحدة من خدمها. وفي رواية على أكثر من واحدة، على قدر منزلتها. وهذا أمر دائر على العرف والعادة، الذي هو أصل من أصول الشريعة، فإن نساء الأعراب وسكان البوداي يخدمن أزواجهن، حتى في استعذاب الماء وسياسة الدواب. وأما نساء الحواضر فيستخدم المُقِلُّ زوجه ويعينها. وقال الخليل بن أحمد: الحفدة عند العرب، الخدم. وقاله مالك، وكفى به.

المسألة الثالثة: روى البخاري عن أبي أسيد الساعدي أنه دعا رسول الله، ﷺ، لعرسه فكانت العروس تخدمهم، وفي الترمذي أنه ﷺ: «كان يعود المريض ويشهد الجنازة ويركب الحمار، ويجيب دعوة العبد، وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم».

المسألة الرابعة: قال ابن عباس: بت ليلة عند النبي ﷺ في بيت خالتي ميمونة، فأوى رسول الله ﷺ إلى فراشها، فلما كان جوف الليل، قام فخرج إلى الحجرة، فقلب في أفق السماء وجهه. ثم قال: «نامت العيون، غارت النجوم، وأنت حي قيوم. ثم عمد إلى قربة في جانب الحجرة، فحل شِناقَها، ثم توضأ، فأسبغ الوضوء». ومن أفضل ما يخدم الرجل فيه نفسه، العبادات التي يتقرب بها إلى الله تعالى، فليعملها، ويعمل شروطها وأسبابها. ويباشر جميع مقدماتها بنفسه، إن قدر، فهو أفضل. [الأحكام الصغرى ص410].

والحيوان ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ وهم الأصنام، أو ما حرم عليهم من البحيرة ونحوها ﴿وَبِنِعْمَةِ اللهِ﴾ وهي الإسلام ﴿هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ يجحدون.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ﴾ [النحل: 73] غير ﴿الله مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ﴾ هو المطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ هو النبات ﴿شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: لا يقدرون على شيء وهم الأصنام أن يملكوا.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِله الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: 74] لا تجعلوا له أشباهًا تشركوهم به ﴿إِنَّ الله يَعْلَمُ﴾ ألَّا مثل له ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿ضَرَبَ الله مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ [النحل: 75] لعدم ملكه ﴿وَمَنْ﴾ أي: حرًا ﴿رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ حلالاً ﴿فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ أي: يتصرف منه كيف شاء، والأول مثل الأصنام، والثاني مثله، يقال: أو الأول مثل للكافر فلا يقدر على خير، والثاني مثل للمؤمن لفعله له، أو المراد بالكافر أبو جهل وبالمؤمن الصديق - كرَّم الله وجهه - ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾؟ أي: العبيد العجزة والحر المتصرف، والاستفهام للإنكار ﴿الْحَمْدُ لِله﴾ وحده ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: الكفار من أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون.

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ
كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ
بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ
ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾
وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ
وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ
فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ
جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ
ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ
﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا

وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ [النحل: ٧٦ - ٨١].

﴿وَضَرَبَ الله مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ [النحل: 76] ولد أخرس ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ لأنه لا يفهم ولا يفهم غيره ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾ وبال وثقل ﴿عَلَى مَوْلَاهُ﴾ قريبه، ومن كان من أهل ولايته أو سيده ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ﴾ يرسله ﴿لَا يَأْتِ﴾ منه ﴿بِخَيْرٍ﴾ ينجح لعدم فهمه هذا مثل الأصنام؛ إذ لا يفهم ولا ينفع، وهو كل على من يعبده يحتاج إلى حمله ونحو ذلك، أو للكافر ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ﴾ أي: الأبكم المذكور ﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ أي: ومن هو ناطق نافع للناس حيث يأمر به ويحث عليه ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو مثل لله على الأول؛ لأنه تعالى دال على الحق، وعلى الثاني هو مثل للمؤمنين وعليه، فقيل الكافر: أُبي بن خلف، والمؤمن: حمزة، وعثمان بن عفان، وعثمان بن مظعون، وقيل الكافر: مولى عثمان بن عفان، والمؤمن: عثمان، وقيل المؤمن: الرسول ﷺ، والكافر: هاشم بن عمرو بن الحارث بن ربيعة القرشي، أو الأبكم أسيد بن العاصي، والآمر بالعدل عثمان، أو الآمر بالعدل سيدنا أبو بكر الصديق - كرم الله وجهه ورضي عنه - وكان له مولى كافر، والاستفهام للإنكار.

﴿وَلِله غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النحل: 77] أي: علم ما غاب فيهما ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾[1] في قرب مجيئها ﴿إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾ مثل به؛ لأنه يلمح السماء من بعدها من الأرض، والمراد: أنه قادر على الإتيان بها في أسرع من ذلك أو شبهه ﴿أَوْ هُوَ﴾ تمثل للقرب أو هو ﴿أَقْرَبُ﴾ منه، وأو إمَّا بمعنى: الواو، أو بمعنى: بل ﴿إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

---

(1) الساعة هي الوقت الذي تقوم فيه القيامة، سميت ساعة لأنها تفجأ الناس في ساعة فيموت الخلق بصيحة، واللمح النظر بسرعة، يقال لمحه لمحًا ولمحانًا، ووجه التأويل أن الساعة لما كانت آتية ولا بد جعلت من القرب كلمح البصر، وقال الزجاج: لم يرد أن الساعة تأتي في لمح البصر، وإنما وصف سرعة القدرة على الاتيان بها، أي يقول للشيء كن فيكون، وقيل: إنما مثل بلمح البصر لأنه يلمح السماء مع ما هي عليه من البعد من الأرض، وقيل: هو تمثيل للقرب، كما يقول القائل: ما السنة إلا لحظة، وشبهه، وقيل: المعنى هو عند الله كذلك لا عند المخلوقين، دليله قوله: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾.

﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا[1] وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ [النحل: 78] بمعنى: الأسماع ﴿وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ القلوب ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ بالطاعة.

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ [النحل: 79] بالياء من فوق لابن عامر ويعقوب وحمزة وخلف، والباقون بالياء من أسفل ﴿إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ﴾ مذللات للطيران ﴿فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ هو الهواء بين السماء والأرض، قيل: ولا يزيد ارتفاعها عن اثني عشر ميلاً ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عن قبض أجنحتهن وبسطها في الهواء أن يَقَعْن ﴿إِلَّا اللهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ والآيات خلقها بحيث يمكنها الطيران، وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وإمساكها.

﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ [النحل: 80] الحجر والمدر، وهو الطين الذي لا رمل فيه، أو المدن، أو الحضر ﴿سَكَنًا﴾ موضعًا تسكنون فيه ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ كالخيام ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ في الحمل ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ سفركم راحلين، وهو ساكن العين لابن عامر والكوفيين، والباقون بفتحها ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ في محالكم فلا تثقل عليكم فيهما ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ راجع للغنم ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ راجع للإبل ﴿وَأَشْعَارِهَا﴾ للمعز والكنايات للأنعام ﴿أَثَاثًا﴾ ما يتمتع به ﴿وَمَتَاعًا﴾ بلاغًا.

﴿إِلَى حِينٍ﴾ [النحل: 81] موت الإنسان، أو فناء الأثاث والمتاع ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ جمع ظل، وهي: ظلال الأبنية والأشجار والغمام يستظل بها في الحر ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ جمع: كن، وهو ما يستكن فيه كالفأر ونحوه ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ﴾ قمصًا من صوف وغيره ﴿تَقِيكُمُ﴾ تمنع عنكم ﴿الْحَرَّ﴾ أي: والبرد، فحذفه لدلالة ضده عليه ﴿وَسَرَابِيلَ﴾ هي: دروع الحرب ﴿تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾ وهو

---

(1) أخبر تعالى أنه أخرج الكل من بطون الأقدار، وأرحام العدم، وأصلاب المشيئة، على نعت الجهل به والإشراف على ذاته وصفاته بنعت المعرفة، لا يعلمون شيئًا من أحكام الربوبية، وأمور العبودية، والعلم بأوصاف الأزل، فألبسكم أسماعًا من نور سمعه، وكساكم أبصارًا من نور بصره، وأودع في قلوبكم علوم غيبه، بأن حلاها بحلية فطرة الإسلام والإيمان والإيقان، فتسمعون بسمعه كلامه، وتبصرون ببصره جماله، وتعقلون بنوره ذاته وصفاته ونعوته وأسمائه، وتشرب أرواحكم من سواقي قلوبكم شراب محبته وشوقه وعشقه، حين ترد أنوار المواجيد عليها من بحار كشف وحدانيته وسرمديته.

السلاح؛ أي: تمنعه من الوصول ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ما خلق ذلك ﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُ﴾ في الدنيا ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بخلق ما يحتاجون إليه ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تُسْلِمُونَ﴾ توحدونه.

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٨٢ - ٩٠].

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ [النحل: 82] أعرضوا عن الإسلام فلا عتب عليك؛ لأنك لم تقصر ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿الْبَلَاغُ﴾ الإبلاغ ﴿الْمُبِينُ﴾ البيّن الواضح، وهذا قبل الأمر بالقتال.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ﴾ [النحل: 83] أي: يقرون بأنها من عنده، أو هي محمد ﷺ، أو الإسلام ﴿ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ يكذبونها بها ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ الجاحدون، والمراد بالأكثر هنا: الكل.

﴿وَ﴾ [النحل: 84] اذكر ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ هو رسولها يشهد عليها ولها وهو يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار والكلام ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ الاستعتاب: العذر لطلب الرضا.

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [النحل: 85] أي: كفروا ﴿الْعَذَابَ﴾ أي: النار ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يمهلون عنه إذا رأوه.

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ [النحل: 86] من الشياطين وغيرها يوم القيامة ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا﴾ نعبدهم ﴿مِنْ دُونِكَ﴾ في الدنيا أربابًا ﴿فَأَلْقَوْا﴾ أي: الشركاء كالأوثان ﴿إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾ أي: قالوا لهم: ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في تسميتكم لنا آلهة، أو في عبادتكم لنا ولسنا بآلهة، أو قالوه لتظهر فضيحتهم حيث عبدوا من لا يعلم بعبادتهم.

﴿وَأَلْقَوْا﴾ [النحل: 87] أي: الكفار ﴿إِلَى اللهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ أي: استسلموا وانقادوا له ﴿وَضَلَّ﴾ زال وغاب ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من أن آلهتهم تشفع فلم تغن عنهم.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾ [النحل: 88] منعوا الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ دين الإسلام ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ الذي استحقوه بكفرهم، قال ابن مسعود: عقارب أنيابها كالنحل الطوال ﴿بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ أي: بسبب إفسادهم في الدنيا بالصد المذكور.

﴿وَ﴾ [النحل: 89] اذكر ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ هو نبيهم؛ إذ كان كل نبي يبعث من قومه ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي: قومك الذي بعثت إليهم ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿تِبْيَانًا﴾ بيانًا ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من أمور الدين ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً وَبُشْرَى﴾ بالجنة ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ الموحدين.

﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل: 90] التوحيد والإنصاف ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾ إلى الناس، أو أداء الفرائض، وأن تعبد الله كأنك تراه ﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ صلة الرحم وخص بالذكر اهتمامًا به ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ بالزنا ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ ما لم يُعرف في كتاب ولا سنة ﴿وَالْبَغْيِ﴾ الكبر والظلم للناس خصه بالذكر اهتمامًا كما بدأ بالفحشاء كذلك ﴿يَعِظُكُمْ﴾ بالأمر والنهي ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1] تتعظون، وهذه أجمع آية في

---

(1) إنَّ الله سبحانه دعا العباد إلى الاتصاف بصفته، منها العدل والإحسان والشفقة والرحمة والقدس والطهارة عما لا يليق به، فهو العادل والمحسن والرحمن والرحيم غير ظالم جائز، وهو منزَّه عن جميع العلل، فمن كسي أنوار هذه الصفات بنعت الذوق والمباشرة، وحلاَّه بزينتها يخرج عادلاً =

القرآن للخير والشر.

﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩١ - ٩٧].

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ﴾ [النحل: 91] من البيع والأيمان وغيرهما ﴿إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ حلفتم ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ بتشديدها منكم، أو تشديد شأنها في الدين

=

محسنًا، رءوفًا رحيمًا، طاهرًا مطهرًا، صادقًا مصدقًا، وليًا، حبيبًا محبوبًا، مريدًا مرادًا، مراعئ محفوظًا، يعدل بنفسه فيدفعها عن الشرك والشك ورؤية الغير وطلب العوض في العبودية، ويأخذ منها الاتصاف بينها وبين عباد الله بألا يرى عيب غيرها، بل يرى عيبها في جميع الأوقات، وينصف بين عباد الله، ويحسن إلى من أساء إليه، ويعبد الله بوصف الرؤية وشهود غيبه، ويراعي ذوي القرابة في المعرفة والمحبة من المريدين الصادقين، ويرحم الجهال من المسلمين وينهى نفسه عن مباشرة فواحش دعاوى الأنائية، ومباشرة الهوى والشهوة، ويدفعها عن الظلم باستكباره عن العبودية، ويأمرها بإذعانها عند تراب أقدام أولياء الله؛ ليكون مطمئنًا في عبودية الحق ذاكرة لسلطان ربوبيته، وقهر جبروته وملكوته، وإحاطته بكل ذرة وفناء الخليقة.

﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ شهيدًا بالوفاء حيث حلفتم به ﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ فهل نزل في أمر من تابعه ﷺ بالوفاء، أو في حلف الجاهلية؟ قولان.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ﴾ [النحل: 92] أفسدت ﴿غَزْلَهَا﴾ ما غزلته بأن حلَّته ﴿مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ إبرام وإحكام وهي ريطة امرأة حمقاء في الجاهلية كانت تغزل طول النهار، ثم تنقضه ﴿أَنْكَاثًا﴾ أنقاضًا، جمع نكث وهو ما يحل إحكامه ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا﴾ دغلاً وفسادًا ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بأن تنقضوها ﴿أَنْ﴾ أي: لأن ﴿تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿هِيَ أَرْبَى﴾ أكثر وأعلى ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ نزلت؛ لأنهم كانوا إذا حالفوا قومًا ثم وجدوا أكثر منهم وأعز نقضوا عهد الأولين لأجل محالفة الأكثر ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ﴾ يختبركم ﴿اللهُ بِهِ﴾ بما أمر من الوفاء ليظهر المطيع منكم والعاصي، أو بكون أُمَّة أربى لينظر أتفون بالعهد أو لا؟ ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا من أمر العهد وغيره بأن يعذب الناكث ويثيب الوافي.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [النحل: 93] على دين الإسلام فقط ﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ بالخذلان عدلاً ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ بالتوفيق فضلاً ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ﴾ يوم القيامة سؤال تبكيت ﴿عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لتُجازوا عليه.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا﴾ [النحل: 94] خديعة وفسادًا ﴿بَيْنَكُمْ﴾ لتؤمنوا الناس بها، ثم تأتوا بالنقض ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ﴾ تهلك أقدامكم عن محجة الإسلام ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ أمنها واستقامتها ﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ﴾ العذاب ﴿بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: بصدكم عن الوفاء بالعهد، أو صدكم غيركم عنه ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ بالنار في الآخرة.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِ﴾ [النحل: 95] اليمين به ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي: لا تنقضوا لنيل الدنيا الحقيرة، ولكن أوفوا باليمين ﴿إِنَّمَا﴾ أي: فإنما ﴿عِنْدَ اللهِ﴾ من الثواب على الوفاء لمن وفى ﴿هُوَ﴾ أي: الذي عنده لا غيره ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من الدنيا ولو جمعت لكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فلا تنقضوا.

﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾ [النحل: 96] من الدنيا ﴿يَنْفَدُ﴾ يزول ويفرغ ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ﴾ دائم ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الوفاء بالعهد في السراء والضراء ﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ﴾ بمعنى: حسن ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قرأ ابن كثير وأبو جعفر وعاصم وابن عامر بخلاف عنه «لنجزين» بالنون، والباقون بالياء.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[1] [النحل: 97] بالرزق الحلال والقناعة والعيش في الطاعة ووجدان حلاوتها، ثم نصيره إلى أطيب من ذلك في الجنة برؤية وجه الله الكريم، وقيل: المراد حياة الجنة ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ
سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى
ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ
ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ
بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ
﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾
إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [النحل: ٩٨ - ١٠٥].

---

(1) معنى الآية أن العمل الصالح ثلاثة أشياء: التَّبرُّؤ من الكون وما فيه بنعت تصاغره في عين من يرى القدم، وبذل الوجود لتصاريف الربوبية بنعت الرضا واللذة في البلاء، ورفع النظر عن الجزاء، والأعواض بكل حال، وهو مؤمن أي موقن مشاهد في حاله وعلمه قبول الحق وإقباله إليه بوصف الرضا عنه، وأيضًا هو مشاهد ما وعده الله له من أحكام الغيب بنور البصيرة، وأيضًا وهو مخلص عن النظر إلى غير الله، وهو مؤمن بما يقول هاتف الغيب في قلبه، وأيضًا هو مؤمن بأن وجوده وطاعته لا يليق بحضرة القدم، من كان هكذا يلبس الحق سره وروحه وقلبه وعقله بركة حياته الأزلية، فيحييه بحياته، ويريه بهاء جماله، ويصيره مستأنسًا بوصله، معافًا من فضله، فيكون ملبسًا في ظاهره وباطنه بلباس لطفه، محروسًا من قهره برعايته، فمقامه مقام العافية خارجًا من امتحان البلاء، وهذا جزاء من أقبل عليه له لا لنفسه ولا لغيره، فيبقى عيشه مع الحق بلا كدورة ولا فترة، وفي جميع أنفاسه مشاهدة مكاشف خارج من نعوت التغاير النفسانية بحوادث الشهوات وخطوات الشيطان، ما أطيب حاله وما أحلى شأنه وما ألذ حاله، طوبى له ثم طوبى له.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ [النحل: 98] أي: أردت القرآن ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ولفظه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قيل: القراءة، واستحب ذلك الشافعي ﷺ في الصلاة في كل ركعة قبل قراءة الفاتحة.

﴿إِنَّهُ﴾ [النحل: 99] أي: الشيطان ﴿لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ﴾ حجة وطريق ولاية ﴿عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: لا يوقعهم في ذنب لا يغفر.

﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ﴾ [النحل: 100] ولايته ﴿عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ يطيعونه بالدخول في ولايته ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ﴾ أي: بالله تعالى ﴿مُشْرِكُونَ﴾ أو الضمير للشيطان؛ أي: الذين هم من أجله مشركون بالله.

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ [النحل: 101] حكمًا مكان آخر بالنسخ لمصلحة العباد ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا﴾ أي: الكفار للنبي ﴿إِنَّمَا أَنْتَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿مُفْتَرٍ﴾ مختلق، قالوا: محمد يسخر بأصحابه يأمرهم بشيء اليوم، ثم ينهي عنه غدًا ما بقوله: إلا من تلقاء نفسه، فقال تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة أمر الله تعالى وحكمته في ذلك.

﴿قُلْ﴾ [النحل: 102] لهم ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ جبريل ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: قلوبهم فيزدادوا يقينًا بأعمالهم ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ المنقادين.

﴿وَلَقَدْ﴾ [النحل: 103] للتحقيق ﴿نَعْلَمُ أَنَّهُمْ﴾ أي: كفار قريش ﴿يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ﴾ القرآن ﴿بَشَرٌ﴾ كانوا يقولون: هذا الذي يقوله محمد يتعلمه من غيره فقال تعالى: ردًا عليهم ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ يميلون ويشيرون إليه أنه يعلمه ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾ لا بفصيح الكلام وإن كان من العرب والذي أشاروا به غلام يقرأ التوراة، أو الإنجيل، أو غيره كما في الأصل ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ﴾ أي: بلغة العرب ﴿مُبِينٌ﴾ فصيح فكيف يعلمه أعجمي.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللهُ﴾ [النحل: 104] أي: لا يوفقهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بالنار والخلود.

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾ [النحل: 105] وهي القرآن بقولهم: هذا من قول البشر ﴿وَأُولَئِكَ﴾ أي: المفترون الذي لا يؤمنون ﴿هُمُ

الْكَاذِبُونَ﴾.

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ
بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ
عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ
وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ
قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٠٨ لَا جَرَمَ
أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٠٩ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ
هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا
لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠ ۞ يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١١١﴾ [النحل: ١٠٦ - ١١١].

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾(1) [النحل: 106] فعليهم غضب ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾

---

(1) فيها مسائل:

المسألة الأولى: نزلت الآية في المرتدين، واستثنى الله تعالى من تكلم بالكفر بلسانه عن إكراه، ولم ينو ذلك بقلبه، ثم الإكراه يكون بالقول والفعل، فالقول هو التهديد والفعل هو أخذ المال، أو الضرب أو السجن. وقد اختلف الناس في التهديد، هل هو إكراه أم لا؟ والصحيح أنه إكراه، فإن الظالم إذا قال لإنسان: إن لم تفعل كذا قتلتك، أو ضربتك، أو سجنتك، أو أخذت مالك، ولم يكن له من يحميه إلا الله، فله قدوم على الفعل، ويسقط عنه الإثم، إلا في القتل، فإنه لا يحل له الإقدام عليه، وإن أكره بالقتل بل يصير الأمر إليه تعالى، ولا يجوز له فداء نفسه بقتل غيره، وهذا مجمع عليه، بين الأمة، وأما الزنا، فالصحيح أنه يجوز له الإقدام عليه مع الإكراه، ولا يُحَد. وقال ابن الماجشون: يحد؛ لأنها شهوة خلقية لا يتصور الإكراه عليها. وأما الكفر بالله، فيجوز له الإقدام عليه مع الإكراه، لكن بلسانه دون قلبه. قال علماؤنا: وإذا تلفظ بالكفر إكراهًا أتى به على معنى المعاريض، وإلا كان كافرًا، ومثاله: أن يقال له: اكفر بالله. فيقول: أنا كافر باللهِ، أي باللاهي، ويحذف الياء كما تحذف في القاضي. وكذلك، إن قيل له: اكفر بالنبي ﷺ. فيقول: أنا كافر بالنبيء. ويريد الموضع المرتفع.

فائدة: يحكى عن بعض العلماء أنه دعي إلى القول بخلق القرآن، فقال القرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور، فعدهن بأصابعه، ثم قال هذه الأربعة مخلوقة. وقصد بقلبه الأربعة الأصابع

=

على التلفظ بالكفر فتلفظ به ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ﴾ ساكن ثابت ﴿بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ له؛ أي: قلبه، أو اختاره، أو فتحه ووسعه له فطابت به نفسه ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ [النحل: 107] أي: الغضب والعذاب لهم ﴿بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ﴾ اختاروها ﴿الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ فكفروا بعد الإيمان ﴿وَأَنَّ﴾ أي: وبأن ﴿اللهَ لَا يَهْدِي

=

التي عدد بها، وفهم الذي أكرهه أنه أراد الكتب الأربعة، فخلص من يده بذلك، وقد ألف شيخ اللغة أبو بكر بن دريد كتاب «الملاحن» للمكرهين، فجاء فيه ببديع الأمر المستبين.

المسألة الثانية: هذا يدل على أن الكفر ليس قبيحًا لذاته، إذ لو كان كذلك لما حسنه الإكراه، ولكن الأمر كما قال أهل السنة: إن الأشياء لا تقبح ولا تحسن لذاتها، وإنما تحسن وتقبح بالشرع، فالحسن ما أمر الشرع به. والقبيح ما نهى الشرع عنه.

المسألة الثالثة: نزلت الآية في قوم أسلموا بمكة، ففتنهم قوم عن دينهم فثبت بعضهم، وارتد الآخرون، فنزلت الآية، وقال مجاهد: أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله، وأبو بكر، وبلال، وخباب، وعمار، وصهيب، وسمية، فأما رسول الله فمنعه أبو طالب، وأما أبو بكر فمنعه قومه، وأما الباقون فعذبتهم قريش، وأتى أبو جهل بحربة إلى سمية فأدخلها في فرجها حتى خرجت من فمها، فهي أول شهيدة في الإسلام، وأما بلال فجعلوا حبلاً في عنقه، ودفعوه إلى صبيانهم يعذبونه، وهو يقال: أحد أحد، وهانت عليه نفسه، ولم يرجع إلى الكفر، وأما الباقون فعادوا إلى الكفر، فنزلت الآية. قال القاضي: والصحيح أن أبا بكر اشترى بلالاً فأعتقه.

المسألة الرابعة: لما سمح الله في الكفر، ولم يؤاخذ به مع الإكراه. حمل العلماء عليه فروع الشريعة. فإذا وقع الإكراه عليها، لم يؤاخذ أحد بها، ولا يترتب عليه حكم، ولذلك قال ﷺ: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه».

وقد اختلف الناس في مسائل، فقال أبو حنيفة: طلاق المكروه لازم. إذ لا يعدم فيه سوى الرضا، وليس وجوده شرطًا، في الطلاق كالهازل، والفرق أن الهازل قاصد، والمكره لا قصد له. وقد قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى». وأما القاتل مكرهًا فإنه يقتل؛ لأنه قتل من يكافئه ظلمًا. وقال أبو حنيفة: لا يقتل، وجوابه قوله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه». وقال ﷺ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا. قلنا: يا رسول الله، هذا ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا، قال تكفه عن الظلم، فذلك نصرك إياه». واختلف في الإكراه على الحنث هل يقع به أم لا؟

المسألة الخامسة: إذا كان الإكراه بحق عند الإباية من الانقياد إليه جاز شرعًا، ونفذت به الأحكام اتفاقًا.. [الأحكام الصغرى 417].

﴿الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: الذين كتب كفرهم فلا يؤمنون.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ﴾ [النحل: 108] ختم ﴿الله عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فلا يدخلها خير ﴿وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ المعنوية ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ عن عذاب الله.

﴿لَا جَرَمَ﴾ [النحل: 109] حقًا ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ بمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم لا غيرهم من المؤمنين في الآخرة، نزلت الآيات في عمار بن ياسر ﷺ حبسه المشركون في بئر وأمروه بالكفر بمحمد ﷺ فأعطاهم ما أرادوا بلسانه.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ [النحل: 110] للمدينة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ عذبوا على إسلامهم من الكفار فتلفظوا بالكفر، قرأ ابن عامر «فتنوا» بفتح التاء إشارة إلى من أسلم من المشركين الذين فتنوا المسلمين، والباقون بضم الفاء وكسر التاء إشارة لما مرّ ﴿ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا﴾ على إيمانهم وهجرتهم وجهادهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي: الفتنة ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بهم حيث لم يؤاخذهم، نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل من الرضاعة، وفي أبي جندل بن سهيل، وفي الوليد بن الوليد بن المغيرة، وسلمة بن هشام وعبد الله بن أسد الثقفي فتنهم المشركون ليرجعوا عن دينهم فأعطوهم بعض ما أرادوا باللسان، ثم هاجروا وجاهدوا، أو في عبد الله بن أبي سرح افتتن ثم رجع إلى الإسلام ﷺ.

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل: 111] تخاصم وتحتج فلا تتفرغ لغيرها وهو يوم القيامة ﴿وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاء ﴿مَا عَمِلَتْ﴾ من خير، أو شر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يزاد في عقابهم ولا ينقص من ثواب أعمالهم.

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا

عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [النحل: ١١٢ - ١١٨].

﴿وَضَرَبَ الله مَثَلًا قَرْيَةً﴾ [النحل: 112] هي مكة، والمراد: أهلها ﴿كَانَتْ آمِنَةً﴾ من الغارات لا تهاج ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾ لا تحتاج إلى الانتقال عنها لضيق، أو خوف ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ واسعًا ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: في البر والبحر ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ الله﴾ كفروا بشريعة محمد ﷺ ﴿فَأَذَاقَهَا الله لِبَاسَ الْجُوعِ﴾ شدته التي غيرت أبدانهم، وكان جوعهم سبع سنين لم يحمل لهم شيء حتى أكلوا الكلاب والميتات ﴿وَالْخَوْفِ﴾ ببعوث النبي ﷺ وسراياه ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ [النحل: 113] أي: أهل مكة ﴿رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ هو محمد ﷺ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ الجوع والخوف ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ كافرون.

﴿فَكُلُوا﴾ [النحل: 114] أيها المؤمنون ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ الله حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا﴾ بالطاعة ﴿نِعْمَةَ الله إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ[1] وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ الله بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ

---

(1) قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ «إنما» كلمة موضوعة للحصر، تتضمن النفي والإثبات، فتثبت ما تناوله الخطاب وتنفي ما عداه، وقد حصرت ها هنا التحريم، ثم عقبها بذكر المحرم بكلمة «إنما» الحاصرة، فاقتضى ذلك الإيعاب للقسمين، فلا محرم يخرج عن هذه الآية ﴿الْمَيْتَةَ﴾ نصب بـ «حرم» و«ما» كافة، ويجوز أن تجعلها بمعنى الذي، منفصلة في الخط، وترفع «الميتة والدم ولحم الخنزير» على خبر «إن» وهي قراءة ابن أبي عبلة، وفي «حرم» ضمير يعود على الذي، ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ وقرأ أبو جعفر «حرم» بضم الحاء وكسر الراء ورفع الأسماء بعدها، إما على ما لم يسم فاعله، وإما على خبر إن، وقرأ أبو جعفر بن القعقاع أيضًا «الميتة» بالتشديد، الطبري: وقال جماعة من اللغويين: التشديد والتخفيف في ميت، وميت لغتان، وقال أبو حاتم وغيره: ما قد مات فيقالان فيه، وما لم يمت بعد فلا يقال فيه «ميت» بالتخفيف، دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾.

غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمْ﴾ [النحل: 115 - 116] أي: لوصف ألسنتكم ﴿الْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَالٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ﴾ لما لم يحله الله ولم يحرمه ﴿لِتَفْتَرُوا عَلَى الله الْكَذِبَ﴾ لنسبة ذلك إليه لقولكم: إنه تعالى أمر بهذا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى الله الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: 117] لا ينجون من عذاب الله تعالى لهم ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ [النحل: 118] أي: اليهود ﴿حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ وهو المذكور في الأنعام في قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: 146] إلى آخره ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بتحريم ذلك ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب المعاصي الموجبة لذلك.

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل: ١١٩ - ١٢٨].

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ﴾ [النحل: 119] الشرك ﴿بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا﴾

رجعوا ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي: الجهالة، أو التوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: 120] إمامًا قدوة جامعًا لخصال الخير ﴿قَانِتًا﴾ مطيعًا ﴿لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ مائلاً إلى الدين القيم، أو مخلصًا ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾ [النحل: 121] أي: لأنعم الله بالطاعة ﴿اجْتَبَاهُ﴾ اختاره للخلة ﴿وَهَدَاهُ﴾ أرشده ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الحق.

﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [النحل: 122] هي الثناء الحسن من كل أهل الأديان ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ﴾ أي: لمع، أو هي على بابها ﴿الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى من آبائه كنوح وآدم.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [النحل: 123] يا محمد ﷺ ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ﴾ دين ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ فيما لم ينسخ في شرعك ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً للخير ملخصًا، وفسر بالحاج ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كرر ذلك ردًا على زعم اليهود والنصارى إنهم على دينه.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾ [النحل: 124] أي: لعنة، أو فرض تعظيمه ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ على نبيهم، وهم اليهود أُمروا بالتفرغ للعبادة يوم الجمعة فقالوا: لا نريده واختاروا السبت فشدد عليهم فيه، واستحله بعضهم، وحرمه بعضهم، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمره بأن يثيب الطائع ويعذب العاصي بانتهاك حرمته.

﴿ادْعُ﴾ [النحل: 125] الناس يا محمد ﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ وهي القرآن ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ مواعظ القرآن والترغيب والترهيب ولين القول فيهما، أو القول الرقيق ﴿وَجَادِلْهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿بِالَّتِي﴾ أي: بالمجادلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته والدعاء إلى حججه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دينه دين الإسلام ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ إلى الدين فيجازيهم ونسخ هذا بآية السيف.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: 126] قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: نزلت لما رأى النبي ﷺ عمه حمزة يوم أحد ممثلاً به بجدع أنفه وأذنه

وجب مذاكيره وبقر بطنه فقال النبي ﷺ: «**لأمــثلن بــثلاثين من قريش**»[1] قيل: قال: بسبعين جزعًا عليه فهي عن ذلك ﴿**وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ**﴾ عن انتقام ﴿**لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ**﴾ فقال ﷺ عند ذلك: «**بل اصبر وامسك عما أراد من ذلك**»[2]، وروى البزار أنه ﷺ لما نزلت كفّ عن ذلك وكفر عن يمينه.

﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ**﴾ [النحل: 127] يا محمد ﷺ ﴿**إِلَّا بِاللَّهِ**﴾ أي: بمعونته ﴿**وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ**﴾ في إعراضهم عنك بترك الإيمان وإن حرصت على إيمانهم ﴿**وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ**﴾[3] لا تغتم بمكرهم فإنا ناصروك عليهم، وقرأ ابن كثير «ضيق» هنا وفي النمل بكسر الضاد، والباقون بفتحها.

﴿**إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا**﴾ [النحل: 128] المناهي ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ**﴾ باتّباع الأوامر بالعون والنصر.

---

(1) رواه ابن عساكر (340/26).

(2) لم أقف عليه.

(3) كان النبي ﷺ لم يكن يضيق بهم صدرًا، ولَكِنَّ الله تعالى حذَّره ما هو موهوم في البشرية، وإنْ كان هو منزَّهًا عنه. قال الأستاذ: طالع التقدير فيما لا تجعله حظرًا عندنا، لا ينبغي أن يوجب أثرًا فيك، ومن أسقطنا قدره فاستصغر قدره وأمره، ثم تسلَّى قلب نبيه ﷺ بأنه تعالى مع مُتَّقٍ صادقٍ شاهدٍ محسنٍ.

سورة بني إسرائيل

ويقال لهـــا الإسراء(1)

مكيّة إلَّا ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: 73] الآيات الثمان مائة آية، وعشر آيات، أو إحدى عشرة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾
ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا
جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ
وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ

(1) سبب نزول ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ ذكر رسول الله ﷺ لقريش الإسراء به وتكذيبهم له، فأنزل الله ذلك تصديقًا له، وهذه السورة مكية قال صاحب الغنيان بإجماع وقيل: إلا آيتين ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ وقيل: إلا أربع هاتان وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ وقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ وزاد مقاتل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِن قَبْلِهِ....الآية﴾ وقال قتادة إلا ثماني آيات أنزلت بالمدينة وهي من قوله: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ إلى آخرهن، ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها أنه تعالى لما أمره بالصبر ونهاه عن الحزن عليهم وأن يضيق صدره من مكرهم، وكان من مكرهم نسبته إلى الكذب والسحر والسعر وغير ذلك مما رموه به، أعقب تعالى ذلك بذكر شرفه وفضله واحتفائه به وعلو منزلته عنده، وتقدّم الكلام على سبحان في البقرة، وزعم الزمخشري أنه علم للتسبيح كعثمان للرجل، وقال ابن عطية: ولم ينصرف؛ لأن في آخره زائدتين وهو معرفة بالعلمية وإضافته لا تزيده تعريفًا.

وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ [الإسراء: ١ - ٦].

﴿سُبْحَانَ﴾ [الإسراء: 1] تنزيه ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿لَيْلًا﴾ في جزء يسير من الليل ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وهو مسجد مكة من بيت أم هانئ ووقع في اليقظة تارة وفي النوم أخرى ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ مسجد إيلياء وهو بيت المقدس ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ بالأنهار والثمار ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾[1] عجائب قدرتنا ﴿إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وثبت أنه ﷺ رأى ربه بعين رأسه وسمع كلامه، ولا يلزم منه مشاركة موسى عليه السلام على سيدنا محمد وعليه في خاصيته؛ لأن ذلك وقع في الأرض، وكان الإسراء بمكة في رجب، وقيل: في رمضان قبل الهجرة بسنة، وورد أنه ﷺ لمَّا أخبر بذلك تعجبت قريش فصدَّقه جدنا الصديق، قيل: فمن ثمَّ سُمي الصديق كرم الله وجهه.

قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [الإسراء: 2] التوراة ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿أَ﴾ أن ﴿لَّا﴾ أي: بأَلَّا، أو لئلا ﴿تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ ربًّا يكفل أمرهم، أو شريكًا، أو كافرًا، قرأ أبو عمرو: «يتخذوا» بالغيبة، والباقون بالخطاب؛ أي: وقلنا لهم لا تتخذوا.... إلى آخره.

---

(1) ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ للتعجب فيها يشير إلى أعجب أمرٍ من أموره جرى بينه وبين أفضل خلقه، وأخص عبيده، وأحبهم إليه، وأقربهم لديه، وأعظمهم قدرًا، وأكملهم مقامًا، وأرفعهم درجة، وأعلاهم رتبة، وأجلهم منصبًا، وأكرمهم مثوى، وأعزهم منزلة، وأوفاهم قربة، وأفناهم عن أنانيته، وأبقاهم بهويته، وأخلصهم لعبوديته، وأوحدهم بوحدانيته، وأفردهم بفردانيته، وأوليهم بتجلي جماله، وأعظميهم من كشف جلاله، وهو العبد المطلق من بين سائر عباده، والحبيب المختص المخلص من أحبابه، والنبي المفضل على أنبيائه، وهو الحر المعتق عن عبودية الموجودات ورق وجوده، فلهذا سماه الله ﴿بِعَبْدِهِ﴾ عند فناء اسمه ورسمه اسمًا ما سُمِي به أحد من خلقه إلا عند بقاء اسمه ورسمه، كما قال ﴿عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: 2] ومن هنا يقول كل نبي يوم القيامة: نفسي نفسي لبقاء وجودهم وهو ﷺ يقول: «أمتي أمتي» لفناء وجوده في وجوده. وفي قوله تعالى: ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ إشارة إلى أن الحكمة في إسرائه إراءته آيات مخصوصة بذاته تعالى تقديرًا له ما شرف بما راءها أحدًا من الأولين والآخرين إلا سيد المرسلين وخاتم النبيين، فإنه تبارك وتعالى أرى خليله عليه السلام وهو أعز الخلق عليه بعد حبيبه الملكوت كما قال: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: 75] وأرى حبيبه آيات ربه الكبرى، كما قال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى﴾ [النجم: 18] ليكون من المحبين المحبوبين.

﴿ذُرِّيَّةَ﴾ [الإسراء: 3] أي: يا ذرية ﴿مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة فنجا من الغرق ﴿إِنَّهُ﴾ أي: نوح عليه السلام ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ كثير الشكر لنا حامدًا في جميع أحواله.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الإسراء: 4] أعلمناهم ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض الشام ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ بالمعاصي ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ تبغون بغيًا عظيمًا.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ [الإسراء: 5] أي: أولى المرتين وهي إفسادهم بتبديل أحكام التوراة، أو قتلهم لشعيبٍ أو زكريا فبعث عليهم جالوت وجنوده فقتلوهم وسبوا أولادهم وخرَّبوا بيت المقدس ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾ هو جالوت كما مرّ ﴿أُولِي بَأْسٍ﴾ بطش ﴿شَدِيدٍ فَجَاسُوا﴾ طافوا وترددوا لطلبكم ﴿خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ وسطها ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ قضاء كائنًا لا بدّ منه.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾ [الإسراء: 6] الرجعة والدولة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بعد مائة سنة فقتل جالوت ﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ وهو من نفر مع الإنسان من عشيرته وأصحابه.

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٧ - ١٢].

وقلنا: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ﴾ [الإسراء: 7] بالطاعة ﴿أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ أي: ثوابها

راجع إليكم ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ أي: عليها العقاب ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ﴾ المرة ﴿الْآخِرَةِ﴾ وهي قصدهم ثانيًا قتل عيسى ﷺ حين رفع وقتل يحيى فسلط الله عليهم الفرس والروم وبُخْت نصَّر قتل منهم ألوفًا وسبى ذريتهم وخرَّب بيت المقدس وحذف جواب إذ؛ لدلالة الأول عليه؛ أي: فإذا جاء وعد الآخرة بعثناهم ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ قرأ ابن عامر وحمزة وخلف وأبو بكر: «ليسوءوا» بالياء والنصب؛ أي: ليسوء الله وجوههم؛ أي: بحرقها حزنًا يظهر عليها بإدخال الهمّ والغم، وكذا الكسائي لكن بالنون؛ أي: لنسوء نحن، والباقون بالياء وضم الهمزة وبعدها واو؛ أي: ليسوءوا العباد المبعوثين وجوههم ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ وهو بيت المقدس فيخرِّبوه ﴿كَمَا دَخَلُوهُ﴾ وخرَّبوه ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا﴾ يهلكوا ﴿مَا عَلَوْا﴾ غلبوا عليه من بلادكم ﴿تَتْبِيرًا﴾ هلاكًا.

﴿عَسَى رَبُّكُمْ﴾ [الإسراء: 8] يقدر قتله، وقلنا في الكتاب ﴿أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ أي: يا بني إسرائيل بعد المرة الثانية إذا تبتم ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ﴾ للمعصية ﴿عُدْنَا﴾ لعقوبتكم، وقد عادوا بتكذيب محمد ﷺ فسلط بقتل قريظة، ونفي النضير، وضرب الجزية عليهم فهم يعطون الجزية ﴿عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: 29] ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ حبسًا.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي﴾ [الإسراء: 9] أي: الطريقة، أو للحال ﴿هِيَ أَقْوَمُ﴾ أصوب وأعدل من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ﴾ بأن ﴿لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ بالخلود في الجنان ورضا الرحمن.

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء: 10] وهو النار.

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ﴾ [الإسراء: 11] على أهله وماله عند غضبه ﴿دُعَاءَهُ﴾ أي: دعاء مثل دعائه ﴿بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾ الجنس ﴿عَجُولًا﴾ بذلك وعدم النظر في عاقبته، أو ضجرًا لا صبر له على البلايا.

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ [الإسراء: 12] علامتين دالتين على وجود الله تعالى ووحدانيته وقدرته ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ هي القمر؛ أي: نقصنا ضوءها عن ضوء الشمس لتسكنوا فيه ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ منيرة مضيئة؛ أي: مبصرًا فيها ﴿لِتَبْتَغُوا﴾ فيه ﴿فَضْلًا﴾ رزقًا ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بالكسب ﴿وَلِتَعْلَمُوا﴾ بها ﴿عَدَدَ السِّنِينَ

﴿وَالْحِسَابَ﴾ للأوقات؛ إذ لو تركا على حالهما من الضوء لم يعرف ليل من نهار ولا وقت عبادة وحلول أجل ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾ بيَّناه ﴿تَفْصِيلًا﴾ تبيينًا.

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإسراء: ١٣ - ٢٢].

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾ [الإسراء: 13] عمله وما قدر عليه ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ خص؛ لأنه موضع القلائد وما من ولد يولد إلا في عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد ﴿وَنُخْرِجُ﴾ قرأ أبو جعفر بالياء مضمومة وفتح الراء، ويعقوب بالياء مفتوحة وضم الراء، والباقون بنون مضمومة وكسر الراء؛ أي: نخرج نحن ﴿لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا﴾ هو كتاب أعماله ﴿يَلْقَاهُ﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر «يلقاه» بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف؛ أي: يُلَقَّاه، والباقون بفتح الياء وإسكان اللام وتخفيف القاف؛ أي: يراه ﴿مَنْشُورًا﴾ أي: غير مطوي.

ويقال له: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: 14] محاسبًا فيقرأه وإن لم يكن قارئًا في الدنيا.

﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ [الإسراء: 15] أي: ثواب ذلك له ﴿وَمَنْ ضَلَّ

﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ أي: عليه العقاب ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ تحمل نفس ﴿وَازِرَةٌ﴾ حاملة، أو آثمة ﴿وِزْرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَى﴾ فلا يؤاخذ أحد بذنب أحد ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ أحدًا ﴿حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ لينذر الناس.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا﴾ [الإسراء: 16] بالمد للهمزة ليعقوب؛ أي: أكثرنا، والباقون بالقصر أي: أمرناهم بالطاعة فعصوا ﴿مُتْرَفِيهَا﴾ أغنياءها المتنعمين فيها وهم الرؤساء بالطاعة على لسان الرسل ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ بمخالفة الأمر ﴿فَحَقَّ﴾ وجب ﴿عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ العذاب ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ أخربناها وأهلكنا من فيها.

﴿وَكَمْ﴾ [الإسراء: 17] كثيرًا ﴿أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ بسبب ذنوبهم ومخالفتهم، ففيه تخويف لأهل مكة ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ عالمًا ﴿بَصِيرًا﴾ بها باطنًا ظاهرًا.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ [الإسراء: 18] بعلمه ﴿الْعَاجِلَةَ﴾ في الدنيا ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾ من بسط الرزق وغيره ﴿لِمَنْ نُرِيدُ﴾ التعجيل له في الدنيا ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ﴾ في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا﴾ يدخلها ﴿مَذْمُومًا﴾ ملومًا ﴿مَدْحُورًا﴾(1) مطرودًا عن الرحمة مبعدًا ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾ عمل عملها اللائق بها.

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: 19] عند الله تعالى بإثابتهم.

﴿كُلًّا﴾ [الإسراء: 20] من الفريقين ﴿نُمِدُّ﴾ نعطي ﴿هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ في الدنيا ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ ممنوعًا من عباده، والمراد به هنا الرزق في الدنيا؛ إذ لاحظ للكافر في الآخرة.

﴿انْظُرْ﴾ [الإسراء: 21] يا محمد ﷺ ﴿كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي: في

---

(1) اعلم أن فيها إشارة إلى أن الله تعالى خلق الإنسان مركبًا من الدنيا والآخرة، ولكل جزء منهما ميل وإرادة إلى كله ليتغذى منه ويتقوى ويتكمل به، وإن في جزئه الدنيوي وهو النفس طريق إلى دركات النيران، وفي جزئه الأخروي وهو الروح طريق إلى درجات الجنان، وخلق القلب في هذين الجزءين، وله طريق إلى بين إصبعي الرحمن إصبع اللطف وإصبع القهر، فمن يرد الله أن يكون مظهر قهره أزاغ الله قلبه، وحول وجهه إلى الدنيا فيريد العاجلة ويربي بها نفسه إلى أن يبلغه إلى دركات جهنم البعد وتصلى نار القطعية، ومن يرد الله أن يكون مظهر لطفه أقام قلبه وحول وجهه إلى عالم العلو فيريد الآخرة.

الرزق والجاه وطلب الدنيا ﴿وَلَلْآخِرَةُ﴾ والآخرة ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ من الدنيا بنفي الاعتناء بها دونها؛ إذ الباقي أعظم من الفاني.

﴿لَا تَجْعَلْ﴾ [الإسراء: 22] أيها الإنسان، أو هو خطاب لمحمد ﷺ، والمراد غيره ﴿مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ﴾ تبقى ﴿مَذْمُومًا﴾ معيبًا بلا حمد ﴿مَخْذُولًا﴾ بالناصر.

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٣٢].

﴿وَقَضَى﴾ [الإسراء: 23] أمر ﴿رَبُّكَ﴾ ﴿أَ﴾ أن، بيان ﴿لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾(1) وأن

---

(1) فيها مسائل:

المسألة الأولى: قضى هنا، بمعنى: أمر الله تعالى بعبادته وببر الأبوين. وفي الصحيح: أنه ﷺ قال: «ألا أخبركم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الشرك بالله، وعقوق الوالدين». وفي الصحيح: أنه ﷺ قال: «من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل أباه. قالوا: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل أباه؟ قال: يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه».

المسألة الثانية: قوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ﴾. الآية. اعلم أن طول المدى يوجب الاستثقال عادة. فيظهر ملل الولد، فنهاه تعالى عن التأفيف، وهو ما يظهر بتنفسه عن الضجر.

=

تحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ بالبر والعطف وعدم الإيذاء ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ، والمراد غيره، قرأ حمزة والكسائي وخلف: «إمَّا يبلغان» بألف ممدودة بعد الغين وكسر النون على التثنية، والباقون بغير ألف وفتح النون ﴿الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب هنا والأنبياء والأحقاف بفتح الفاء بلا تنوين، والمدنيان وحفص بكسر الفاء منونة، والباقون بالكسر من تنوين، ومعناها: قبحًا ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ تزجرهما ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ حسنًا لينًا كقول العبد المذنب لسيده الفظ قاله ابن المسيب.

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ [الإسراء: 24] أراد به لين الجانب حتى لا يمتنع مما أحبَّاه ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ الشفقة؛ أي: لرقتك عليهما ﴿وَقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا﴾ إن كان مسلمين ﴿كَمَا﴾ رحماني حين ﴿رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ [الإسراء: 25] من إضمار بر الوالدين، أو عقوقهما ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ أبرارًا مطيعين الله ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ﴾ الرجاعين الطاعة بعد المعصية ﴿غَفُورًا﴾ لما صدر منهم في حق الوالدين من بادرة، وهم لا

وأمر أن يعاشرهما بالمعروف، وأن يقابلهما بالخير وبالتذلل لهما.

المسألة الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا﴾.أمر الله تعالى بأن يدعو لهما بالرحمة في الحياة، وبعد الممات. وفي الصحيح، أنه ﷺ قال: «لن يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه».

وفي الصحيح أن رسول الله، ﷺ، قال: «بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر فأووا إلى غار، فانطبق عليهم» الحديث بكماله.

ومن تمام بر الأبوين صلة أهل ودهما؛ لقوله ﷺ: «إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه». أخرجه الترمذي، وفي الترمذي، أيضًا قال: «رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد». ولذلك جعل عقوقهما عديل الإشراك بالله في الإثم، وهذا يدل على أن برهما قرين الإيمان في الأجر. «ويروى أن رجلاً من الأنصار جاء إلى رسول الله، ﷺ، فقال: يا رسول الله، هل بقي من بر والدي من بعد موتهما شيء أبرهما به. قال: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما، فهذا هو الباقي عليك)). وكان ﷺ يهدي لصديقات خديجة برًا بها، فما ظنك بالأبوين؟ وذكر الأستاذ أبو بكر أن البرامكة لما حبسوا أجْنَبَ الأب، فاحتاج إلى غسل، فقام ابنه بالإناء على السراج ليلة حتى دفئ، فاغتسل به أبوه. [الأحكام الصغرى ص 422].

يضمرون عقوقًا.

﴿وَآتِ﴾ [الإسراء: 26] أعط ﴿ذَا الْقُرْبَى﴾ القرابة ﴿حَقَّهُ﴾ هي صلة الرحم ﴿وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ بإخراج المال في غير حقه.

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء: 27] أي: على طريقهم ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ﴾ دائمًا ﴿لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ جحودًا للنعم، أو لله فكذلك إخوة المبذر.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ﴾ [الإسراء: 28] يا محمد ﷺ ﴿عَنْهُمُ﴾ عن المذكورين من ذي القربى وما بعده فلم تعطهم، نزلت في مهجع وبلال وصهيب وخباب كانوا يسألون النبي ﷺ وربما لا يجدون عنده شيئًا فيعرض عن طلبهم ﴿ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ أي: لطلب رزق تنتظره يأتيك لتعطيهم منه ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ لينًا سهلاً، وهو العِدَة الحسنة بالإعطاء عند مجيء الرزق.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾ [الإسراء: 29] مضمومة ﴿إِلَى عُنُقِكَ﴾ بترك الإنفاق كالتي غلت يده، والمعنى: لا تمسكها كل المسك ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ في الإنفاق ﴿كُلَّ الْبَسْطِ﴾ بأن تنفق ما عندك بأسره ﴿فَتَقْعُدَ﴾ تبقى ﴿مَلُومًا﴾ عند نفسك وعند الناس ﴿مَحْسُورًا﴾ منحسرًا نادمًا على ما فرطت قيل: والأول راجع للأول، والثاني للثاني.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ [الإسراء: 30] يوسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ فيفعل لكل ما ناسبه عنده، قيل نزلت؛ لأنه ﷺ طلب منه صبي لأمه قميصًا وكرر فأعطاه قميصه، ولم يخرج للصلاة على العادة.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ [الإسراء: 31] بالوأد ﴿خَشْيَةَ﴾ مخافة ﴿إِمْلَاقٍ﴾ فقر ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ نزلت؛ لأن أهل الجاهلية كانوا يقتلون البنات خشية الفقر ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا﴾ لابن كثير بكسر الخاء وفتح الطاء والفاء ممدودة بعدها، ولأبي جعفر وابن ذكوان وهشام بخلاف عنه بفتح الخاء والطاء من غير ألف ولا مد، والباقون بكسر الخاء وإسكان الطاء، والكل بمعنى واحد؛ أي: إثمًا ﴿كَبِيرًا﴾ عظيمًا.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ [الإسراء: 32] قبحًا ﴿وَسَاءَ﴾ من السوء؛ أي: بئس ﴿سَبِيلًا﴾ طريقًا هو.

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ

جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟
مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ
مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ
تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ
كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ
ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ
رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾
أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾
[الإسراء: ٣٣ - ٤٠].

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وحقها كفر بعد إيمان، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس ومن الحق الصائل[1] إذا لم يدفع إلا بالقتل وله العفو.

﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ﴾ [الإسراء: 33] لوارثه ﴿سُلْطَانًا﴾ تسلطًا على قاتله ﴿فَلَا يُسْرِفْ﴾ يتجاوز الحد ﴿فِي الْقَتْلِ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف: «فلا تسرف» بالتاء من فوق، والباقون بالياء من أسفل، والإسراف أن يقتل غير قاتله، أو أزيد منه كالاثنين بالواحد، أو يمثل بالقاتل، أو يقتله بالنار، وكان ضرب بالسيف ونحوه مما منع الشرع منه ﴿إِنَّهُ﴾ أي: المقتول ﴿كَانَ مَنْصُورًا﴾ بإيجاب القَوَد على قاتله في الدنيا وغفران ذنبه في الآخرة، وإيجاب النار لقاتله إن لم يعف الله عنه، أو إن الولي كان منصورًا لتمكينه من القاتل.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ [الإسراء: 34] بما يضره ﴿إِلَّا﴾ لكن أقربوه ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ فيصير رشيدًا ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ إذا عاهدتم الله، أو الناس ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ عنه.

(1) الصائل: اسم فاعل من صال، وثب، وهو من سطا عاديًا على غيره يريد نفسه، أو عرضه، أو ماله.

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ [الإسراء: 35] أتموه ﴿إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ﴾ بكسر القاف لحمزة وحفص وخلف هنا وفي الشعراء، والباقون بالضم وهو الميزان ﴿الْمُسْتَقِيمِ﴾ السوي ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مالاً، أو عاقبة.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: 36] لا سعة بالظن ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾ القلب ﴿كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ صاحبه ماذا فعل به؟

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: 37] أي: ذا كبر وخيلاً ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ تقطعها، أو تنقبها بكبرك حتى تبلغ آخرها ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ المعنى إنك لا تبلغ هذا فكيف تحتال؟

﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾ [الإسراء: 38] المذكور ﴿كَانَ سَيِّئُهُ﴾ قرأ ابن عامر بضم الهمزة والهاء ووصلها بواو لفظًا ﴿عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾[1] فلا تفعل، والباقون بفتح الهمزة وتاء

(1) أخبر عن آداب العبودية على وفق أوامر الربوبية بقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ﴾ إلى هذا الموضع وهو عشر آيات إشارة إلى تبديل عشر خصال مذمومة بعشر خصال محمودة.
أما المذمومات: فأولها: البخل، وثانيها: الأمل، وهما في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ﴾ فإن البخل وطول الأمل حملهما على قتل أولادهم فدلهم على تبديلهما بالسخاء والتوكل بقوله تعالى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ وثالثهما: الشهوة، وهي في قوله: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ فإن غلبة الشهوة يورث الزنا فبدلها بالعفة حين نهاهم عن الزنا، ورابعها: الغضب، وهو في قوله: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ فإن استيلاء الغضب يورث القتل بغير الحق فبدله بالحلم في قوله: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ وخامسها: الإسراف، وهو في قوله: ﴿فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ فإن الإفراط في كل شيء يورث الإسراف فبدله بالقوام، وسادسها: الحرص، وهو في قوله: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ فإن التصرف في مال اليتيم من الحرص فبدله بالقناعة بقوله: ﴿إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ وسابعها: نقض العهد فبدله بالوفاء بقوله: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ وثامنها: الخيانة، فبدلها بالأمانة ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ وتاسعها: الظلم وهو وضع الشيء في غير موضعه باستعمال الجوارح والأعضاء على خلاف ما أمره وذلك في قوله: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ فبدله بالعدل بقوله: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾ فظلم السمع باستعماله في استماع الغيبة واللغو، والرفث والبهتان والقذف والملاهي والفواحش، وعدله استعماله في استماع القرآن والأخبار والعلوم والحكم والمواعظ والنصيحة والمعروف وقول الحق، وظلم البصر النظر إلى المحرمات والشهوات وإلى من فوقه في دنياه وإلى متاع
=

تأنيث منصوبة منونة.

﴿ذَلِكَ﴾ [الإسراء: 39] المذكور ﴿مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ المواعظ، أو العلم ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ خطاب للنبي ﷺ، المراد منه: الأمة ﴿فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا﴾ عند نفسك وعند الناس ﴿مَدْحُورًا﴾ مبعدًا من رحمة الله.

﴿أَفَأَصْفَاكُمْ﴾ [الإسراء: 40] اختاركم، أو اختصكم يا أهل مكة ﴿رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ أي: اختاركم بها ﴿وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا﴾ بناتًا لنفسه بزعمكم، نزلت لقول كفار مكة: الملائكة بنات الله؛ أي: لم يفعل فلا ولد له لا ذكر ولا أنثى ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿لَتَقُولُونَ﴾ بذلك ﴿قَوْلًا عَظِيمًا﴾.

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ
مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ
عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ
بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ
جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ
أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ
أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ

=

الدنيا وزينتها وزخارفها، وعدله النظر في القرآن والعلوم وإلى وجه العلماء والصلحاء، ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: 50] وإلى الأشياء بنظر الاعتبار، وإلى من دونه في دنياه، وإلى من فوقه في دينه، وظلم الفؤاد قبول الحقد والحسد والعداوة وحب الدنيا والتعلق بما سوى الله، وعدله تصفيته عن هذه الأوصاف الذميمة وتحليته بالأوصاف الحميدة وتبديل هذه الصفات والتخلق بأخلاق الله، **وعاشرها**: الكبر وهو في قوله: ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: 37] فإن المشية بالخيلاء من الكبر فبدله بالتواضع بقوله: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: 37] أي: من الكبر فألزمه التواضع.

ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٤١ - ٤٩].

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ [الإسراء: 41] بيَّنا ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ من الأمثال وغيرها ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ يتعظوا قرأ حمزة والكسائي وخلف هنا، وفي الفرقان بإسكان الذال وضم الكاف مخففة، والباقون بفتح الذال والكاف مع تشديدهما ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ ذلك التصريف والتذكير ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ تباعدًا عن الحق.

﴿قُلْ﴾ [الإسراء: 42] يا محمد ﷺ للمشركين ﴿لَوْ كَانَ مَعَهُ﴾ أي: الله ﴿آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ بالياء في أوله من أسفل لابن كثير وحفص، والباقون بالتاء من فوق ﴿إِذًا﴾ أي: إذا كان ذلك ﴿لَابْتَغَوْا﴾ طلبوا؛ أي: الآلهة ﴿إِلَى ذِي الْعَرْشِ﴾ إلى الله ﴿سَبِيلًا﴾ طريقًا ليقاتلوه.

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ﴾ [الإسراء: 43] من الشركاء بالخطاب لحمزة والكسائي وخلف ورويس من طريق أبي الطيب، والباقون بالغيب ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ﴾ [الإسراء: 44] قرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر وأبو بكر وأبو الطيب عن رويس بالياء من أسفل في أوله، والباقون بالتاء من فوق؛ أي: ينزهه ﴿السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ﴾ من المخلوقات ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ﴾ ملتبسًا ﴿بِحَمْدِهِ﴾ أي: يقول سبحان الله وبحمده ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ﴾ تعلمون، أو تفقهون ﴿تَسْبِيحَهُمْ﴾ لأنه ليس بلغتكم ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ إذ لم يعاجلكم بالعذاب.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [الإسراء: 45] وهم الكفار ﴿حِجَابًا﴾ مانعًا لهم عن الفهم ﴿مَسْتُورًا﴾ عن الأعين الظاهرة، أو ساترًا لك عن أبصارهم فلا يرونك، نزلت فيمن أراد الفتك به ﷺ.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ [الإسراء: 46] أغطية ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ أي: القرآن فلا يفهمونه ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ثقلاً فلا يسمعونه ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾ أي: قلت: لا إله إلا الله في تلاوة القرآن ﴿وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ عنه جمع نافر؛

أي: نافرين.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ [الإسراء: 47] أي: بسببه من الهزء أوله ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ قراءتك ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ أي: ذووا نجوى، والمراد يتناجون في أمرك؛ لأنهم كانوا يسمعونه ويتحدثون، فالبعض منهم يقول: ساحر، والبعض يقول: شاعر، والبعض يقول: مجنون ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ المراد هنا: الوليد بن المغيرة وأصحابه كانوا يقولون في تناجيهم: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ مخدوعًا مغلوبًا على عقله.

قال تعالى: ﴿انْظُرْ﴾ [الإسراء: 48] يا محمد ﷺ ﴿كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ الأشباه وهو قولهم: ساحر وكاهن وشاعر ﴿فَضَلُّوا﴾ عن الهدى بذلك؛ أي: جاروا ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ وصولاً إلى طريق الحق.

﴿وَقَالُوا﴾ [الإسراء: 49] منكرين للبعث ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا﴾ أي: بعد الموت، والرفات: التراب، أو الحطام وهو كل ما تكسر وبلى ﴿أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ قالوه إنكارًا لذلك.

﴿ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٠ - ٥٦].

﴿قُلْ﴾ [الإسراء: 50] يا محمد ﷺ لهم ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ أي: في شدة أمر تعجيز.

﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ﴾ [الإسراء: 51] يعظم ﴿فِي صُدُورِكُمْ﴾ عن قبول الحياة فضلاً عن العظام والرفات، ولا بدّ من بعثكم بعد الموت ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾ أي: يبعثنا بعد الموت ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ﴾ خلقكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ من قدر على الابتداء أقدر على العود ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾ يحركون ﴿إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ يفعلونه استهزاءً بذلك، أو تعجبًا ﴿وَيَقُولُونَ﴾ استهزاء ﴿مَتَى هُوَ﴾ أي: البعث أو القيامة ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ أي: هو قريب.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ [الإسراء: 52] يناديكم من القبور على لسان إسرافيل عليه السلام ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ تجيبون من القبور ﴿بِحَمْدِهِ﴾ أي: حامدين أو يأمره ﴿وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ﴾ فيما قبل البعث من الدنيا والقبور ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لهول ما يرون.

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي﴾ [الإسراء: 53] المؤمنين ﴿يَقُولُوا﴾ لهم الكلمة ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وكان قبل الإذن في الجهاد، أو نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه بعض الكفار فأمر بالعفو أو المؤمنين، وأريد به قول: لا إله إلا الله، أو ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ...﴾ [الإسراء: 25] إلى آخره، أو أريد به فعل ما هو الأحسن في شرعهم من العفو ونحوه وإن جاز غيره ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ﴾ يفسد ﴿بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ ظاهر العداوة.

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ [الإسراء: 54] يوفقكم لتؤمنوا ﴿أَوْ إِنْ يَشَأْ﴾ تعذيبكم ﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾ بالبقاء على الكفر ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ حفيظًا وكفيلاً فتخيرهم على الإيمان نسخت بآية القتال.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الإسراء: 55] أي: هو العالم باختلاف أحوالهم فيخصهم بما شاء على قدر حالهم ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ بتخصيص كل منهم بفضيلة فلموسى الكلام، ولسليمان الملك، ولإبراهيم الخلة، فإذا كان كذلك فلم تنكروا تفضيل محمد ﷺ بتخصيصه بالمحبة والإسراء ﴿وَآتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿دَاوُدَ زَبُورًا﴾ كتابًا فيه مائة وخمسون سورة، ولم يبدل، وليس فيه إلا المواعظ والثناء على الله تعالى.

﴿قُلِ﴾ [الإسراء: 56] يا محمد ﷺ للمشركين لما أصابهم القحط وأتوك للاستغاثة بك ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أنهم آلهة ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره كالملائكة وعيسى وعزير ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ﴾ القحط ﴿عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ للحال عنكم

إلى غيركم أو من العسر لليسر.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٠﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴿٦١﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٧ - ٦١].

﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ**﴾ [الإسراء: 57] آلهة ﴿**يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ**﴾ القربة بالطاعة ﴿**أَيُّهُمْ أَقْرَبُ**﴾ إنهم ينظرون أيهم أقرب إليه فيتوسلون به ﴿**وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ**﴾ كغيرهم فكيف يدعو لهم آلهة؟ ﴿**إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا**﴾ يحذر منه.

﴿**وَإِنْ**﴾ [الإسراء: 58] ما ﴿**مِنْ قَرْيَةٍ**﴾ أريد أهلها ﴿**إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا**﴾ مخربوها ومهلكو أهلها ﴿**قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا**﴾ بالقتل وغيره بسبب الكفر والعصيان ﴿**كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ**﴾ أي: اللوح المحفوظ ﴿**مَسْطُورًا**﴾ مكتوبًا.

﴿**وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ**﴾ [الإسراء: 59] التي سأل الكفار من أهل مكة وجودها كجعل الصفا ذهبًا كما سبق ﴿**إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ**﴾ لما أرسلناها فأهلكناهم، ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكذبوا بها واستحقوا الإهلاك، وقد حكمنا بإمهالهم لإتمام أمر محمد ﷺ ﴿**وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ**﴾ آية ﴿**مُبْصِرَةً**﴾ دالة مضيئة بيّنة ﴿**فَظَلَمُوا**﴾ كفروا ﴿**بِهَا**﴾ وقالوا: ليست من عند الله وقتلوها فأهلكوا ﴿**وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ**﴾ العبر والمعجزات والدلالات ﴿**إِلَّا تَخْوِيفًا**﴾ للناس ليؤمنوا.

﴿**وَ**﴾ [الإسراء: 60] اذكر ﴿**إِذْ قُلْنَا لَكَ**﴾ يا محمد ﷺ ﴿**إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ**﴾

علمًا وقدرة فبلغهم ولا تخف ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ يقظة ليلة المعراج ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ أهل مكة ليظهر المصدق والمكذب ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ﴾ أي: وما جعلنا الرؤية والشجرة ﴿فِي الْقُرْآنِ﴾ وهي شجرة الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم، وكانت الفتنة فيها أن أبا جهل لعنه الله قال: كيف يقول: محمد إن النار تذيب الحديد، ثم يقول: ينبت فيها شجر؟ ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بها ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ التخويف ﴿ إِلَّا طُغْيَانًا﴾ تمردًا ﴿كَبِيرًا﴾ عظيمًا.

﴿وَ﴾ [الإسراء: 61] اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾.

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٢ - ٦٨].

﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ﴾ [الإسراء: 62] أخبرني ﴿هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ أي: فضلته عليَّ بالأمر بالسجود له لم كرمته ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ حيًا ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾ أي: استأصلهم بالإضلال ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم، وهم المعصومون الذي استثناهم الله تعالى بقوله ﷻ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الإسراء: 65].

﴿قَالَ﴾ [الإسراء: 63] الله تعالى له: ﴿اذْهَبْ﴾ منظرًا إلى النفخة الأولى ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾ أي: أنت ومن تبعك ﴿جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ وافر مكملاً.

﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾ [الإسراء: 64] استخفف واستنزل واستجهل ﴿مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ﴾ من ذرية آدم ﴿بِصَوْتِكَ﴾ بدعائك إلى المعصية ﴿وَأَجْلِبْ﴾ أجمع أو صِحْ ﴿عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ أي: جنودك الركبان والمشاة، وقرأ بكسر الجيم: «من رجلك» والباقون بإسكانها ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ وهو كل مال أصيب من حرام أو أنفق فيه ﴿وَالْأَوْلَادِ﴾ ومنهم أولاد الزنا ﴿وَعِدْهُمْ﴾ إمَّا بأنه يمنيهم الجميل في طاعته، أو يقول لهم: لا بعث ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ بذلك ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلاً، والأمر هنا للتهديد.

﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ [الإسراء: 65] المؤمنين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ تسلط ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ حافظًا لهم.

﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي﴾ [الإسراء: 66] يسوق ويجري ﴿لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ الرزق بالتجارة ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ في تسخيرها لكم.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾ [الإسراء: 67] الشدة وخوف الغرق ﴿ضَلَّ﴾ بطل وذهب عنكم ﴿مَنْ تَدْعُونَ﴾ تعبدون من آلهتكم فلا تدعوه ﴿إِلَّا إِيَّاهُ﴾ أي: إلا الله تعالى، فإنكم تدعونه وحده؛ لأنكم في شدة لا يكشفها إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ﴾ من الغرق وأوصلكم ﴿إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ توليتم عن الإيمان وأشركتم ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾[1] جحودًا للنعم؛ أي: من شأنه ذلك.

﴿أَفَأَمِنْتُمْ﴾ [الإسراء: 68] أيها الخائفون في البحر ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ أي: ناحيته؛ أي: يغورها بكم وهي الأرض كقارون ﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾ يُمطر ﴿عَلَيْكُمْ

(1) لما ذكر تعالى وصف المشركين في اعتقادهم آلهتهم وأنها تضر وتنفع، وأتبع ذلك بقصة إبليس مع آدم، وتمكينه من وسوسة ذريته وتسويله ذكر ما يدل من أفعاله على وحدانيته، وأنه هو النافع الضار المتصرف في خلقه بما يشاء، فذكر إحسانه إليهم بحرًا وبرًا، وأنه تعالى متمكن بقدرته مما يريده، وإزجاء الفلك سوقها من مكان إلى مكان بالريح اللينة والمجاديف، وذلك من رحمته بعباده وابتغاء الفضل طلب التجارة أو الحج فيه أو الغزو، والضر في البحر الخوف من الغرق باضطرابه وعصف الريح، ومعنى «ضل» ذهب عن أوهامكم من تدعونه إلهًا فيشفع أو ينفع، أو «ضل» من تعبدونه إلاّ الله وحده فتفردونه إذ ذاك بالالتجاء إليه والاعتقاد أنه لا يكشف الضر إلاّ هو ولا يرجون لكشف الضر غيره، ثم ذكر حالهم إذ كشف عنهم من إعراضهم عنه وكفرانهم نعمة إنجائهم من الغرق، وجاءت صفة ﴿كَفُورًا﴾ دلالة على المبالغة، ثم لم يخاطبهم بذلك بل أسند ذلك إلى الإنسان لطفًا بهم وإحالة على الجنس إذ كل أحد لا يكاد يؤدّي شكر نعم الله.

حَاصِبًا﴾ حجارة من السماء أو الريح التي ترمي بالحصا، وهي الحصا الصغار كقوم لوط ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ مانعًا يحفظكم من ذلك.

﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٩ - ٧٥].

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ [الإسراء: 69] أي: في البحر ﴿تَارَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ﴾ وهو الشديد أو الريح التي تقصف كل شيء فتدقه وتحطمه فتكسر فلككم ﴿فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بسبب كفركم ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ﴾ أي: بالإغراق ﴿تَبِيعًا﴾ ناصرًا متبعًا بالثأر، أو الإنكار، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «ونخسف، ونرسل، ونعيدكم، ونرسل، فنغرقكم» بالنون في الخمسة، والباقون بالياء من أسفل، وقرأ أبو جعفر ورويس بالتاء في: «فتغرقكم» على إرادة الريح، وانفرد الشطوي عن الفضل عن ابن وردان فشدد الراء.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾ [الإسراء: 70] فضَّلنا ﴿بَنِي آدَمَ﴾ بالأكل بالأيدي، والمشي على الاستواء، والعقل والنطق، وحسن الهيئة، والرجال باللحاء، والنساء بالذوائب وبتسخير الأشياء لهم، وبأن منهم ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110] ومنه طهارتهم بعد الموت ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ﴾ على الدواب ﴿وَالْبَحْرِ﴾ على السفن ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ هي لذيذ الأطعمة ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا﴾ كالدواب ﴿تَفْضِيلًا﴾ وعوام المؤمنين أفضل من عوام الملائكة، وخواص الملائكة أفضل من عوام المؤمنين،

وخواص المؤمنين أفضل من خواص الملائكة، والمراد بالخواص: الأنبياء.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: 71] وهو يوم القيامة يُدعى فيه الناس بالأنبياء فيقال: يا أمة فلان أو بعمله فيقال: يا صاحب الخير ونحوه ﴿فَمَنْ أُوتِيَ﴾ منهم ﴿كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ وهم أولوا البصائر في الدنيا ﴿فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ أي: لا ينقص من حقهم قدر قشرة النواة.

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ﴾ [الإسراء: 72] أي: الدنيا أو النعم ﴿أَعْمَى﴾ أي: القلب عن الحق، فإن كان كافرًا أو لم يعتبر ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ عن طريق النجاة، وقراءة الكتاب لا عذر ولا حجة له وأشد خطأ باعتبار وقوع العذاب؛ أي: أشد معرفة بخطأ نفسه ﴿وَأَضَلُّ﴾ أبعد ﴿سَبِيلًا﴾ طريقًا عن الصواب لدخول النار مخلدًا فيها.

﴿وَإِنْ كَادُوا﴾ [الإسراء: 73] قاربوا ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾ يميلونك أو يستنفرونك ﴿عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ وهو القرآن ﴿لِتَفْتَرِيَ﴾ تكذب ﴿عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾ نزلت؛ لأن بعض الكفار أراد أن يمس النبي ﷺ آلهتهم ويمكنهم من التمتع بالأصنام سنة، أو في ثقيف أرادوا أن يحرم النبي ﷺ واديهم فلم يفعل ولم يرد الفعل ﴿وَإِذًا﴾ لو فعلت ذلك ﴿لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ صاحبًا.

﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ﴾ [الإسراء: 74] على الحق حتى لم يقع منك شيء من ذلك ﴿لَقَدْ كِدْتَ﴾ قاربت ﴿تَرْكَنُ﴾ تميل ﴿إِلَيْهِمْ شَيْئًا﴾ ركونًا ﴿قَلِيلًا﴾ لشدة احتيالهم وإلحاحهم، وهو صريح في أنه ﷺ لم يقارب الركون.

﴿إِذًا﴾ [الإسراء: 75] لو ركنت ﴿لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ﴾ وعذابها ﴿وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ عذابه؛ أي: مثل ما يعذب غيرك دنيا وأخرى ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ مانعًا يمنعك من عذابنا.

﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا
يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا
تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ
ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ
عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى

مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٦ - ٨٢].

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ [الإسراء: 76] أرض المدينة، وقيل: أرض مكة، أو أرض العرب كلها ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا﴾ أي: وإذا لو أخرجوك ﴿لَا يَلْبَثُونَ﴾ لا يقيمون قرأ ابن العلاء منفردًا عن طريق روح: «يلبثون» بضم الياء وفتح اللام وتشديد الموحدة؛ أي: لا يتركهم الله مقيمين ﴿خِلَافَكَ﴾ قرأ المدنيان وابن كثير وأبو بكر وأبو عمرو «خلفك» بفتح الخاء وإسكان اللام بلا ألف، والباقون بكسر الخاء وفتح اللام وألف بعدها؛ أي: بعدك ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ حتى يهلكوا، أو كان ذلك ما بين خروجه ﷺ إلى المدينة إلى أن قتلوا ببدر، وهذه الآية مدنية، المراد مدة حياتهم، نزلت؛ لأن اليهود قالوا له ﷺ: إن كنت نبيًا فألحق بالشام فإنها روض الأنبياء.

﴿سُنَّةَ﴾ [الإسراء: 77] أي: السنة ﴿مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ أي: لا نعذبهم ما دام نبيهم بين أظهرهم أو من إهلاك من أخرجهم ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا﴾ يا محمد ﷺ ﴿تَحْوِيلًا﴾ تبديلاً.

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ [الإسراء: 78] أمر له ﷺ ولأمته ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ زوالها وهو متناول للظهر والعصر ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ ظهور ظلمته فتناول مع ذلك صلاة المغرب والعشاء ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ صلاة الصبح ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار؛ إذ ملائكة الليل تبقى إلى بعد فراغه، وملائكة النهار تنزل قبل الشروع فيه.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ [الإسراء: 79] قيل: بالقرآن ﴿نَافِلَةً﴾ زيادة ﴿لَكَ﴾ فريضة عليك دون أمتك، ونسخ وجوب قيام الليل في حقه ﷺ على الأخير ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ﴾ يقيمك ﴿رَبُّكَ﴾ في الآخرة ﴿مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ وهو الشفاعة العظمى في فصل القضاء، ونزلت لمّا أمر بالهجرة.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي﴾ [الإسراء: 80] المدينة ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ أي: إدخالاً مرضيًا لا أرى فيه ما أكره ﴿وَأَخْرِجْنِي﴾ من مكة ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ أي إخراجًا لا ألتفت بقلبي إليها ﴿وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿سُلْطَانًا﴾ حجة بيّنة أو ملكًا قويًا لدفع

الأعداء ﴿نَصِيرًا﴾ ناصرًا لي أو منصورًا من عندك.

﴿وَقُلْ﴾ [الإسراء: 81] عند دخول مكة ﴿جَاءَ الْحَقُّ﴾ القرآن أو الإسلام ﴿وَزَهَقَ﴾ ذهب ﴿الْبَاطِلُ﴾ الشرك والشيطان وعبادة الأصنام ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ذاهبًا مضمحلاً زائلاً، وقد دخلها ﷺ وحول البيت ثلاثمائة وستون صنمًا فجعل يطعنها بعود ويقول ذلك حتى سقطت.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ [الإسراء: 82] من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ بعدم انتفاعهم به وتجدد كفرهم بتجدد نزول الآيات.

﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ
كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ
قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ
بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ
فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟
بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ
صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾
وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٣ - ٩٠].

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ [الإسراء: 83] الكافر ﴿أَعْرَضَ﴾ عن ذكره وشكره ﴿وَنَأَى﴾ قرأ أبو جعفر وابن ذكوان بتقديم الألف على الهمزة هنا، وفي فصلت على وزن جاء، والباقون بتقديم الهمزة على الألف؛ أي: أعرض ﴿بِجَانِبِهِ﴾ أي: ثنى عطفه مفتخرًا ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الشدة والضر ﴿كَانَ يَئُوسًا﴾ أي: آيسًا قنوطًا.

﴿قُلْ كُلٌّ﴾ [الإسراء: 84] منّا ومنكم ﴿يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ نيته ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ أوضح وأرشد طريقًا فيثيبه.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ [الإسراء: 85] يا محمد ﷺ؛ أي: اليهود ﴿عَنِ الرُّوحِ﴾ الذي يحيي

به البدن ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ﴾ علم ﴿رَبِّي﴾ لا تعلمونه يقال: إن اليهود سألوه ﷺ عن ذي القرنين وأهل الكهف والروح إجمالاً وقالوا: إن أجاب عن الأولين وترك الثالث كان نبيًا، فوقع ذلك كذلك، والروح مخلوقة ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ﴾ يا بني آدم ﴿مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ بالنسبة لما فاتكم.

﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: 86] وهو القرآن بإذهابه من الصدور والمصاحف ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾أي: من توكله لرده منَّا إليك.

﴿إِلَّا﴾ [الإسراء: 87] لكن أبقيناه ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ﴾ دائمًا ﴿كَبِيرًا﴾ عظيمًا.

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: 88] في الفصاحة والبلاغة ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ عونًا معينًا، نزلت تكذيبًا للكفار بمثله في قولهم: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [الأنفال: 31].

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ [الإسراء: 89] بيّنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ مثلاً ﴿مِنْ﴾ جنس كل مَثَل من الأحكام والمواعظ والقصص، والوعد والوعيد، والأمثال ﴿كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ جحودًا للحق.

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ [الإسراء: 90] نصدقك ﴿حَتَّى تَفْجُرَ﴾ بفتح التاء وإسكان الفاء وضم الجيم للكوفيين ويعقوب، والباقون بضم التاء وفتح الفاء وكسر الجيم مشددة ﴿لَنَا مِنَ الْأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿يَنْبُوعًا﴾[1] عيونًا قال ذلك وما بعده له

(1) الآية نزلت في رؤساء قريش مثل عتبة وشيبة ابني ربيعة، وأبي سفيان والنضر بن الحارث، وأبي جهل وعبد الله بن أبي أمية، وأمية بن خلف وأبي البختري، والوليد بن المغيرة وغيرهم، وذلك أنهم لما عجزوا عن معارضة القرآن ولم يرضوا به معجزة، اجتمعوا - فيما ذكر ابن إسحاق وغيره - بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد ﷺ فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليكلموك فأتهم، فجاءهم رسول الله ﷺ وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بدو، وكان رسول الله ﷺ حريصًا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم، حتى جلس إليهم فقالوا له: يا محمد! إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء وعبت الدين وشتمت الآلهة وسفهت الأحلام وفرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك، أو كما قالوا له، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا
=

=

لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا تراه قد غلب عليك - وكانوا يسمون التابع من الجن رئيًا - فربما كان ذلك بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ما بي ما تقولون ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولاً وأنزل علي كتابًا وأمرني أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم**» أو كما قال ﷺ قالوا: يا محمد، فإن كنت غير قابل منا شيئًا مما عرضناه عليك، فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلدًا ولا أقل ماء ولا أشد عيشًا منا، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به، فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، وليبسط لنا بلادنا وليخرق لنا فيها أنهارًا كأنهار الشام، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا قصي بن كلاب، فإنه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول، أحق هو أم باطل، فإن صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك، وعرفنا به منزلتك من الله تعالى، وأنه بعثك رسولاً كما تقول، فقال لهم صلوات الله عليه وسلامه: «**ما بهذا بعثت إليكم إنما جئتكم من الله تعالى بما بعثني به وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم**» قالوا: فإذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك! سل ربك أن يبعث معك ملكًا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك، وأسأله فليجعل لك جنانًا وقصورًا وكنوزًا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمس، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم، فقال لهم رسول الله: «**ما أنا بفاعل وما أنا بالذي يسأل ربه هذا وما بعثت بهذا إليكم ولكن الله بعثني بشيرًا ونذيرًا - أو كما قال - فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم**» قالوا: فأسقط السماء علينا كسفًا كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإنا لن نؤمن لك إلا أن تفعل، قال فقال رسول الله ﷺ: «**ذلك إلى الله ﷻ إن شاء أن يفعله بكم فعل**» قالوا: يا محمد، فما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألنا عنه ونطلب منك ما نطلب، فيتقدم إليك فيعلمك بما تراجعنا به، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذ لم نقبل منك ما جئتنا به، إنه قد بلغنا إنما يعلمك هذا رجل من اليمامة يقال له الرحمن، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدًا، فقد أعذرنا إليك يا محمد، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا، وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله، وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً، فلما قالوا ذلك لرسول الله ﷺ قام عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وهو ابن عمته، هو لعاتكة بنت عبد المطلب، فقال له: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أمورًا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك

=

عتبة وشيبة بن ربيعة والنضر بن الحارث وأبو جهل وغيرهم من كفار قريش.

﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا
(٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا
(٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ
عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا (٩٣) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ
أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا (٩٤) قُل لَّوْ كَانَ فِي
الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا
رَّسُولًا (٩٥) قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا
بَصِيرًا (٩٦) وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ
وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ
زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا
وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨) ﴾ [الإسراء: ٩١ - ٩٨].

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ [الإسراء: 91] بستان ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا﴾ وسطها ﴿تَفْجِيرًا﴾ تشقيقًا.

﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ﴾ [الإسراء: 92] أن الله قادر على ذلك ﴿عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ بفتح السين للمدنيين وابن عامر وعاصم، وكذا حفص في الشعراء وسبأ، وكذا

=

من الله فلم تفعل ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل - أو كما قال له - فوالله لا أؤمن بك أبدًا حتى تتخذ إلى السماء سلمًا، ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها، ثم تأتي معك بصك معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وايم الله لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك ثم انصرف عن رسول الله ﷺ وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينًا أسفًا لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه، ولما رأى من مباعدتهم إياه، كله لفظ ابن إسحاق، وذكر الواحدي عن عكرمة عن ابن عباس: فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾.

أبو جعفر وابن عامر بخلاف عن هشام في الروم؛ أي: قطعًا، والباقون بإسكان السين في الثلاثة؛ أي: طبقًا أو جانبًا ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ كفيلاً يكفلون بصدقك أو مقابلة وعيانًا لنراهم.

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ﴾ [الإسراء: 93] ذهب ﴿أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ﴾ تصعد بسلم هذا أو الذي قبله قول عبد الله بن أمية ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ لو رقيت فيها ﴿حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا﴾ منها ﴿كِتَابًا﴾ فيه تصديقك ﴿نَقْرَؤُهُ قُلْ﴾ بالأمر لغير ابن كثير وابن عامر ولهما، قال لهم: ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تعجب ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ كسائر الرسل، ولم يكونوا يأتوا بآية إلا بإذن الله.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾ [الإسراء: 94] أراد بهم الكفار ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ محمد ﷺ بالقرآن ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ أي: قولهم جهلاً منهم وإنكارًا ﴿أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ فامتنعوا من الإيمان بسبب أن الرسل من البشر وكانوا يقولون: هلا بعث ملائكة.

فقال عز من قائل: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الإسراء: 95] بدل البشر ﴿مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾ مقيمين استيطانًا للأرض ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ أي: على الملائكة المستوطنين؛ إذ لا يرسل لقوم رسول إلا من جنسهم ليمكنهم مخاطبته والفهم عنه.

﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الإسراء: 96] إني رسوله إليكم وقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ﴾ دائمًا ﴿بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾.

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الإسراء: 97] يهدونهم ﴿مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ماشيين ﴿عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا﴾ لا يرون ما يسرهم ﴿وَبُكْمًا﴾ لا ينطقون بحجة ﴿وَصُمًّا﴾ لا يسمعون ما يسرهم، وقيل: بل ذلك على ظاهره ﴿مَأْوَاهُمْ﴾ سكنهم ﴿جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ﴾ سكنت بلا انطفاء ولا زوال ألم ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ تلهبًا واشتعالاً.

﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا﴾ [الإسراء: 98] منكرين للبعث ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

﴿ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ

مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ
تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾
وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ
فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن
يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ
اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ
نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٩ - ١٠٥].

فأجابهم الله ﷻ بقوله: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا﴾ [الإسراء: 99] يعلموا ﴿أَنَّ الله الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي: الأناسي في الصغر ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا﴾ للموت والبعث ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ جحودًا أو عنادًا للحق.

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ [الإسراء: 100] أي: نعمته ورزقه ﴿إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ﴾ بخلتم وحسبتم المال ﴿خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ أي: خشية ذهاب الإنفاق بالأموال فيفتقروا ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾ بطبعه ﴿قَتُورًا﴾ أي: بخيلاً إلا أن يؤيد بالتوفيق ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات وهي: العصا، واليد البيضاء، والعقدة التي حلها من لسانه، وفلق البحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، وقيل غير ذلك مما في الأصل.

﴿فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الإسراء: 101] عنه سؤال تقرير للمشركين عن صدقك أو فقلنا له: اسأل ﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾ موسى بآياتنا ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ مخدوعًا أو مصروفًا عن الحق، أو معطى علم السحر فالعجائب التي معك من ذلك.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ [الإسراء: 102] يا فرعون وقرأ الكسائي بضم التاء؛ أي: علمت الحق أو عنادك فلا أبالي به ﴿مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ﴾ الآيات التسع ﴿إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ جمع بصيرة؛ أي: بصير بها أو عبر قد نظرت نظرًا صحيحًا

ولكنك تعاند خشية من فوات دعوى الإلهية ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ هالكًا أو مصروفًا عن الخير.

﴿فَأَرَادَ﴾ [الإسراء: 103] فرعون ﴿أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ﴾ يخرج موسى وقومه ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ أرض مصر والشام ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾.

﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ [الإسراء: 104] المذكورة ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أي: يوم القيامة ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾[1] جميعًا للموقف، واللفيف: الاختلاط من كل نوع؛ إذ في الموقف المؤمن والكافر، والإنس والجن، والبهائم وغير ذلك ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن ﴿وَبِالْحَقِّ﴾ المشتمل عليه ﴿نَزَلَ﴾ كما أنزل لم يغيره تبديل.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ [الإسراء: 105] يا محمد ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ للطائع بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ للعاصي بالنار.

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ

---

(1) أخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن عليّ بن أبي طالب، قال: افترقت بنو إسرائيل بعد موسى إحدى وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة، وافترقت النصارى بعد عيسى على اثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة، ولتفترقن هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة، فأما اليهود فإن الله يقول: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحق وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ فهذه التي تنجو، وأما النصارى فإن الله يقول: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾ فهذه التي تنجو، وأما نحن فيقول: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحق وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ فهذه التي تنجو من هذه الأمة، وقد قدّمنا أن زيادة «كلها في النار» لم تصح لا مرفوعة ولا موقوفة.

تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٦ - ١١١].

﴿وَقُرآنًا فَرَقْنَاهُ﴾ [الإسراء: 106] نزلناه منجمًا ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ مهل تؤده ليفهموه، ونزلت في ثلاث وعشرين سنة، أو عشرين فقط ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ شيئًا بعد شيء على حسب المصالح.

﴿قُلْ﴾ [الإسراء: 107] لكفار مكة ﴿آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ هو تهديد لهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ قبل نزوله وهم مؤمنو أهل الكتاب ﴿إِذَا يُتْلَى﴾ يقرأ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿يَخِرُّونَ﴾ يسقطون ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾ أي: على الأذقان؛ أي: الوجوه ﴿سُجَّدًا﴾ إنابة كذلك؛ إذ أول ما يلقى الأرض من المساجد ذقنه.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ [الإسراء: 108] بنزوله وبعث النبي ﴿لَمَفْعُولًا﴾.

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ [الإسراء: 109] يقعون على الوجوه ﴿يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ﴾ القرآن ﴿خُشُوعًا﴾ تواضعًا لله وبكاء.

﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: 110] أي: يسموه بأيهما، أو نادوه بأن تقولوا: يا الله، يا رحمن، ﴿أَيًّا مَا﴾ أي: هذين ﴿تَدْعُوا﴾ فهو حسن دل على هذا ﴿فَلَهُ﴾ فلمسماهما ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ نزلت؛ لأن النبي ﷺ كان يقول في سجوده وغيره: يا الله، يا رحمن، فسمعه أبو جهل فقال: نهانا أن نعبد إلهين وهو يدعوا إلهًا آخر معه ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أي: ترفع الصوت كثيرًا بالقراءة فيها فيسمعك المشركون فيسبوك ويسبوا القرآن ومن أنزله ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ بخفض الصوت جدًا ﴿وَابْتَغِ﴾ اقصد ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الجهر والمخافتة ﴿سَبِيلًا﴾ طريقًا وسطًا لينتفع أصحابك.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ [الإسراء: 111] الألوهية ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ﴾ ينصره ﴿مِنَ﴾ أجل ﴿الذُّلِّ﴾ أي: لم يذل فيحتاج إلى ذلك ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ عظِّمه عظمة تامة عن الذل والشريك والولد والناصر، وقد سمَّى النبي ﷺ هذه الآية: آية العز، وكان يعلمها الغلام من بني عبد المطلب إذا أفصح.

سورة الكهف

مكية إلا قوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ [الكهف: 28] وعددها مائة آية وخمس، أو ست، أو عشر آيات، أو إحدى عشر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا
لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ
لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ
وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن
يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا
ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ
عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ
ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ ﴾ [الكهف: ١ - ٩].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الكهف: 1] محمد ﷺ ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ﴾ فيه ﴿عِوَجًا﴾[1] هو الاختلاف والتناقض.

(1) حمد نفسه سبحانه في الأزل، وكان موصوفًا بحمده الأزلي قبل حمد الحامدين له حمدًا يكافئ كتابه الذي أنزل على عبده، ولو وكل حمده إلى عبده لإنزال كتابه عليه؛ لذهب بحمده عن وجود الكون، ولم يطق أن يحمل وارد حمده بحكمة واستحقاق حمده، فشكر نفسه لما منَّ على عبده؛ ليسهل على عبده طريق عبوديته؛ لأن حمد القديم لا يحتمل إلا القديم، شرف على الأنام لما منَّ عليه من العرفان، وسماه عبده، وأي: تكرمة أكرم من هذا، ولا يليق الحدثان بعبودية الذي يفنى أول سطوات عظمته الكون كان مسألة تعليم لعبادة أي: احمدوا الله الذي عرف عبده الكلام الأزلي بعد أن وهبه استعداد سماع كلامه، وقبول وحيه قوة رؤيته من يعبر عنه بلسان غير معوج، وغير مفهوم ولو أنزل عليهم باللسان الأزلي من يفهم ذلك من العرش =

﴿قَيِّمًا﴾ [الكهف: 2] مستقيمًا أو قيمًا على الكتب السابقة ﴿لِيُنْذِرَ﴾ الكتاب الكافرين ﴿بَأْسًا﴾ عذابًا ﴿شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ﴾ من عند الله، روى أبو بكر: «من لدنه» بإسكان الدال وإشمامها الضم وكسر النون والهاء وصلتها بياء، وفي بعض طرق أبي بكر: كسر الهاء بلا صلة، والباقون بضم الدال وإسكان النون ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾.

﴿مَاكِثِينَ﴾ [الكهف: 3] مقيمين ﴿فِيهِ أَبَدًا﴾ هو الجنة.

﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا * مَا لَهُمْ بِهِ﴾ [الكهف: 4 - 5] بما قالوه ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ يقين ﴿وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ القائلين به قبلهم ﴿كَبُرَتْ﴾ عظمت ﴿كَلِمَةً﴾ مقالتهم ﴿تَخْرُجُ﴾ تظهر ﴿مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ﴾ ما ﴿يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ في قولهم ذلك.

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ﴾ [الكهف: 6] قاتل ﴿نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ﴾ من بعد توليهم ﴿إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿أَسَفًا﴾ حزنًا.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾ [الكهف: 7] حتى الحيَّات والعقارب لدلالتها على وحدانية الله تعالى ﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾ نختبرهم ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فيه بطاعتنا.

﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾ [الكهف: 8] ترابًا ﴿جُرُزًا﴾ يابسًا لا ينبت شيئًا.

﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ [الكهف: 9] أي: ظننت ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾ الغار في الجبل ﴿وَالرَّقِيمِ﴾ هو لوح من رصاص، وقيل: من حجر كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصصهم، وسئل ﷺ عنها ﴿كَانُوا﴾ في قصتهم ﴿مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾[1] ليس الأمر كذلك.

=

إلى الثرى إلا متصف بصفاته، فالحمد وجب عل الجمهور؛ حيث شاهدوا بصفاته وكلامه على عبده، وأنطقه بمراده من كتابه.

(1) ذكر سبحانه من بسط قدرته، وعظيم آياته، وعجائب شأنه أي: إيش معجب من أصحاب الكهف والرقيم من لبثهم في الكهف ثلاثمائة سنين وزيادة فإنهم في مراقد أنسنا، وبساتين قدسنا، غائبون فينا عن غيرنا، فإن في سعة قدرتنا، إنا نحن لو نشق وردة من بساتين غيبنا لمشامِ العالمين، يهيمون في البوادي والقفار أبدًا، وما أظهرنا فيك من الآيات الكبرى أعجب من حالهم ألف مرة، وليس في عالم القدرة القديمة عجز عن إيجاد كل موهوم ومعدوم. وقال الجنيد: لا تتعجب منهم فشأنك أعجب من شأنهم، حيث أسري بك في ليلة من المسجد الحرام

=

﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا
مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾
ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم
بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ
قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا
شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم
بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا
يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ
أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ
وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن
يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ
أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ
بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾
[الكهف: ١٠ - ١٨].

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ﴾ [الكهف: 10] جمع: فتى وهو الشاب الكامل ﴿إِلَى الْكَهْفِ﴾ خائفين من قومهم على إيمانهم ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿رَحْمَةً﴾ هداية في الدين ورزقًا ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ هداية.

=

إلى المسجد الأقصى، وبلغ بك سدرة المنتهى، وكنت للقربى كقاب قوسين أو أدنى، ثم رددت عند انقضاء الليلة إلى مضجعك، وقال بعضهم: أصحاب الكهف كالنومى لا علم لهم بوقت، ولا زمان ولا معرفة بمحل، ولا مكان، أحياء موتى صرعى مفيقون، نومى منتبهون، لا إليهم سبيل، ولا لهم إلى غيرهم طريق، ورددت عليهم خلع الهيبة، وأظلهم بنور التعظيم، وأحدقت بهم حجب العظمة، واستناروا بنور العرش الكريم.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ [الكهف: 11] إيمانهم ﴿فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ معدودة.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ [الكهف: 12] من نومهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ علم مشاهدة ﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ الطائفتين المختلفتين في مدتهم ﴿أَحْصَى﴾ أحفظ ﴿لِمَا لَبِثُوا﴾ أقاموا في الكهف ﴿أَمَدًا﴾ غاية.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ﴾(1) [الكهف: 13] خبرهم ﴿بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ شبان ﴿آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ إيمانًا وبصيرة ﴿وَرَبَطْنَا﴾ شددنا ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بالصبر.

﴿إِذْ قَامُوا﴾ [الكهف: 14] بين يدي ملكهم، وقد أمرهم بالسجود للأصنام ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾ قالوه؛ لأن قومهم كانوا يعبدون الأوثان ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذًا﴾ إذا دعونا غيره ﴿شَطَطًا﴾ أي: قولاً ذا شطط وهو الجور.

﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا﴾ [الكهف: 15] أهل البلد ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ هي الأوثان ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ﴾ على عبادتهم ﴿بِسُلْطَانٍ﴾ بحجة ﴿بَيِّنٍ﴾ ظاهر ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ فزعم الشريك والولد لا أظلم منه.

ثم قال بعضهم لبعض: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ [الكهف: 16] أي: قومهم ﴿وَ﴾ جميع ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ﴾ فلم يعتزلوه ﴿فَأْوُوا﴾ صيروا وأُلجئوا ﴿إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ﴾ يبسط ﴿رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ﴾ يسهل ﴿لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا﴾ قرأ المدنيان وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء، والباقون بكسر الميم وفتح الفاء وهو ما يرتفق به.

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ﴾ [الكهف: 17] قرأ ابن عامر ويعقوب بإسكان الزاي وتشديد الراء بلا ألف، والكوفيون بفتح الزاي مخففة وألف بعدها وتخفيف الراء، والباقون كذلك، ولكنهم يشددون الزاي؛ أي: يميل ﴿عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾

---

(1) ليس شيء أطيب عند الحبيب من ذكر أحبائه لأحبائه، ذكر الحبيب الأول، ما الحبيب عند الحبيب استطاب الحق ذكر قصة فتيان محبته ومعرفته لحبيبه الأكبر؛ ليعرف منازل المحبين والعارفين الذين هاموا بوجوههم في بيداء شوقه وعشقه؛ ليزيد رغبته في شوقه ومعرفته أي: أنا أحقق خبر أسرارهم لك؛ لتعرفهم أين تاهوا في مفاوز القيومية، وأين استغرقوا في بحار الديمومية؟

جانبه ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ﴾ تتركهم تميل عنهم ﴿ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ فلا تصيبهم البتة، وكان باب كهفهم يستقبل بنات نعش فلا تقع فيه الشمس ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ﴾ متسع ﴿مِنْهُ﴾ ينالهم برد الريح ونسيمها ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ موصلاً للحق.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾ [الكهف: 18] تظنهم لو رأيتهم ﴿أَيْقَاظًا﴾ منتبهين ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾[1] نيام، وكانوا مفتحين الأعين يتنفسون ولا يتكلمون ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ مرة للجنب الأيمن، ومرة للأيسر؛ لئلا يأكل الأرض لحومهم ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ موضع باب الكهف، وكانوا إذا انقلبوا انقلب وهو مثلهم نومًا ويقظة ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ لما هم عليه من الهيبة ﴿وَلَمُلِئْتَ﴾ قرأ المدنيان وابن كثير بتشديد اللام، والباقون بتخفيفها؛ أي: امتلأت ﴿مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ لفتح أعينهم وتحركهم، أو لكثرة شعرهم وطول أظفارهم، أو لوحشة المكان، ومنعهم الله بالرعب من دخول أحد عليهم.

﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ

---

(1) في الآية إشارة إلى حال الغفلة؛ فإنهم نائمون في صورة المنتبهين، فمَن نظر إليهم ممَن هو مثلهم في الغفلة عن الله تعالى يراهم متيقِّظين، ومَن نظر إليهم من أهل المكاشفة والمشاهدة؛ يراهم نائمين، فإن الاعتبار بحال الباطن لا بحال الظاهر، وإمَّا إلى حال أهل اليقظة، فإنهم لا إحساس لهم بما يتعلَّق بعالم الملك؛ لفنائهم عنه، وبقائهم بالله، والباقي بالله لا ينظر إلا إلى الله تعالى، والجاهل المحجوب يظن أنهم منغمسون في الحسِّ، وأنهم مشتركون معه في ذلك، وليس الأمر كذلك بل فرق كثير بين مَن حضر مع الحق في كل حاله، وبين مَن غفل عنه في كل حاله، أو في بعض حاله، فمَن حضر مع الحق، يشمُّ منه رائحة المسك في صورة الدَّم كدم الشهداء، ومَن لم يكن كذلك، كان صورته ومضاء دمًا.

لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًاۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْۚ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الكهف: ١٩ - ٢٣].

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الكهف: 19] كما أنمناهم وحفظناهم ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾ من النوم ﴿لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ يسأل بعضهم بعضًا ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ هو رأسهم ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا﴾ لأنهم دخلوا الكهف غدوة وانتهوا عشية، ثم نظروا وقد بقيت من الشمس بقية فقالوا: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ فلما نظروا إلى شعورهم وأظفارهم علموا أنهم لبثوا أكثر من يوم فعند ذلك ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾ بإسكان الراء لأبي عمرو وحمزة وخلف وأبي بكر وروح، والباقون بكسرها وهي الفضة ضربت أم لا؟ ﴿هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ قيل: هي طرسوس بفتح الراء ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى﴾ أجل ﴿طَعَامًا﴾ أو أرخص.

﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ﴾ [الكهف: 20] قوت تأكلونه ﴿مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ بأن يكون في ستر وكتمان ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ﴾ يعلمن ﴿بِكُمْ أَحَدًا﴾ من الناس ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: أهل المدينة ﴿إِنْ يَظْهَرُوا﴾ يغلبوا أو يطلعوا ﴿عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ إلى أن تموتوا بالحجارة، أو المراد: الشتم أو القتل ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ وهي الكفر ﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا﴾ إذا عدتم فيها ﴿أَبَدًا﴾.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الكهف: 21] كما أخفيناهم وبعثناهم ﴿أَعْثَرْنَا﴾ اطلعنا ﴿عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا﴾ أي: قوم الملك الذي في القرية ﴿أَنَّ وَعْدَ اللهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ﴾ إذ القادر على إنامتهم المدة الطويلة بلا غذاء ثم إقامتهم قادر على بعث الموتى ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ فيقول: المؤمنون بنينا مسجد عليهم، ويقول غيرهم: بنينا كنيسة ﴿فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا﴾ يسترهم ﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ أمر الفتية المؤمنون ﴿لَنَتَّخِذَنَّ﴾ لنبنين ﴿عَلَيْهِمْ﴾ حولهم ﴿مَسْجِدًا﴾ للصلاة

فيه، وجعل على باب الكهف.

﴿سَيَقُولُونَ﴾ [الكهف: 22] أي: المتنازعون في عددهم وهم من نصارى نجران في زمن النبي ﷺ ﴿ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ قاله السيد من نجران ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ هو قول العاقب ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ قذفًا بالظن ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ﴾ هو قول المسلمين وهو الأصح: إنه لم يعقب ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾ عددهم ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وأنا منهم كانوا سبعة ﴿فَلَا تُمَارِ﴾ تجادل ﴿فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ إلا بظاهر ما قصصنا عليك ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ﴾ في أهل الكهف ﴿مِنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب ﴿أَحَدًا﴾.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ﴾ [الكهف: 23] لأجل شيء عزمت على فعله ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ أراد به ما يستقبل من الزمان، وخص الغد لخصوص الواقعة؛ إذ سأله أهل مكة عن أهل الكهف فوعدهم بالجواب غدًا، ولم يقل: إن شاء الله فلبث الوحي أيامًا.

﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴿٢٧﴾ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف: ٢٤ - ٢٩].

ثم نزلت هذه الآية ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ [الكهف: 24] أي: متلبسًا بالمشيئة بأن يقول: إن شاء الله ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ التعليق بالمشيئة؛ أي: أذكرها معلقًا بها ما

دمت في المجلس أو مطلقًا وهو أقرب؛ إذ المراد التبرك ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا﴾ الذي سألتموني عنه من خبر أهل الكهف من الدلالة على النبوة ﴿رَشَدًا﴾ وقد فعل الله تعالى ذلك، ثم أخبر عن مدة لبثهم.

فقال: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾ [الكهف: 25] قرأ حمزة والكسائي وخلف بلا تنوين في ثلاثة مائة، والباقون به ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ قبل ذكره كذلك؛ لأن الثلاثمائة الشمسية تزيد تسعًا قمرية.

﴿قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ [الكهف: 26] في الكهف وهو ما تقدم ذكره؛ أي: إذا نازعوك فقل: الله أعلم ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ علم ما غاب فيهما ﴿أَبْصِرْ بِهِ﴾ أي: بالله ﴿وَأَسْمِعْ﴾ به؛ يعني: ما أسمعه وما أبصره، والمراد: إن سمعه ليس كسمع غيره، ولا بصره كبصر غيره؛ إذ هو يدرك الخفي كالجلي ﴿مَا لَهُمْ﴾ لأهل السماوات والأرض ﴿مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ ناصر ﴿وَلَا يُشْرِكُ﴾ قرأ ابن عامر: «ولا تشرك» بالخطاب والجزم، والباقون بالغيب والرفع ﴿فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ من خلقه.

﴿وَاتْلُ﴾ أقرأ ﴿مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ [الكهف: 27] يا محمد ﷺ ﴿مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ لا مغير للقرآن من الشرك وإلا فالله يبدلها بالنسخ ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ﴾ من غيره ﴿مُلْتَحَدًا﴾ ملجأ أو مهربًا.

﴿وَاصْبِرْ﴾ [الكهف: 28] احبس ﴿نَفْسَكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ﴾ أي: بكرة النهار ﴿وَالْعَشِيِّ﴾ ما بعد الزوال إلى آخره ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ ذاته ﴿وَلَا تَعْدُ﴾ تصرف وتجاوز ﴿عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ عبَّر بهما عن صاحبهما ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ من مجالسة الأغنياء والأشراف ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أي: جعلناه عنه غافلاً وهو: عيينة بن حصن، وقيل: أمية بن خلف قال للرسول الله ﷺ اجعل لنا مجلسًا خاصًا؛ إذ يؤذينا ما يحصل من روائح الفقراء وأعراقهم ورثة ثيابهم ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ خاطر نفسه في الشرك ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ هلاكًا.

﴿وَقُلِ﴾ [الكهف: 29] يا محمد ﷺ لعيينة وصحبه هذا القرآن ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ فنحن نتبعه ونعمل به ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ هو تهديد لهم ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ﴾ بالكافرين ﴿سُرَادِقُهَا﴾ هي الحجرة التي تحيط بالفسطاط ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا﴾ من شدة العطش ﴿يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ كعكر الزيت إذا قرب إليه سقطت فروة وجهه ﴿يَشْوِي﴾ ينضج ﴿الْوُجُوهَ﴾ من حرّه ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾

هو ﴿وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ النار؛ أي: مجتمعًا أو منزلاً.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الكهف: ٣٠ - ٣٧].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ [الكهف: 30 - 31] إقامة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ لكل واحد، كما قال سعيد بن جبير: سوار من ذهب، وآخر من فضة، وآخر من يواقيت ولؤلؤ، جمع بين الذي هنا وفي سورة الإنسان ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ﴾ وهو ما رَقّ من الديباج ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غلظ منه، وهو بطائن لها كما في سورة الرحمن؛ لإرادة الجمع بين النوعين ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ خصه؛ لأنه جلوس الملوك ﴿فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ جمع أريكة وهي: السرر في الحِجال ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ﴾ الجزاء الجنة ﴿وَحَسُنَتْ﴾ الجنة ﴿مُرْتَفَقًا﴾ مجلسًا ومقرًا.

﴿وَاضْرِبْ﴾ [الكهف: 32] اجعل ﴿لَهُمْ﴾ للكفار مع المؤمنين ﴿مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾ وكانا أخوين من بني إسرائيل ورثا مالاً فأحدهما أنفقه في الطاعة، والآخر في الجنتين المذكورتين وكان كافرًا، أو نزلت في أخوين من مكة من بني مخزوم المؤمن منهما: أبو سلمة زوج أم سلمة قبل رسول الله ﷺ والآخر كافرًا وهو الأسود بن عبد الأسد ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا﴾ الكافر ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ بستانين ﴿مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا﴾ أطفناهما من

جوانبهما ﴿بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا﴾ بين الجنتين ﴿زَرْعًا﴾ فلم يكن بينهما موضع خرب.

﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ﴾ [الكهف: 33] أعطت ﴿أُكُلَهَا﴾ ثمرها تامًا ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ﴾ تنقص ﴿مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا﴾ شققنا ﴿خِلَالَهُمَا﴾ وسطهما ﴿نَهَرًا﴾.

﴿وَكَانَ لَهُ﴾ [الكهف: 34] أي: لصاحب البستان ﴿ثَمَرٌ﴾ قرأه أبو جعفر وعاصم وروح، «فأحيط بثَمَره» بفتح المثلثة والميم، جمع: ثمرة وافقهم رويس في الأول وقرأ أبو عمرو بضم الثاء وإسكان الميم، وأراد الأموال الكثيرة ﴿فَقَالَ﴾ الكافر ﴿لِصَاحِبِهِ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ يفاخره ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ حشمًا.

﴿وَدَخَلَ﴾ [الكهف: 35] الكافر ﴿جَنَّتَهُ﴾ أخذ بيد أخيه المسلم ليريه ما فيها ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ بالكفر ﴿قَالَ﴾ الكافر ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ﴾ تفنى وتهلك ﴿هَذِهِ أَبَدًا﴾ أي: ما بقي الدهر لما راقه من حسنها وأعجبه من زهرتها.

﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ [الكهف: 36] كائنة ﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ﴾ على سبيل الفرض ﴿إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا﴾ قرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر: «خيرًا منهما» بميم بعد الهاء على التثنية، وكذلك هو في مصاحفهم، والباقون على الإفراد بإسقاطها؛ أي: من الجنة التي دخلها ﴿مُنْقَلَبًا﴾ مرجعًا.

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ﴾ [الكهف: 37] المسلم ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ يجاوبه ﴿أَكَفَرْتَ﴾ استفهام إنكار ﴿بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ إذ آدم منه ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ مني ﴿ثُمَّ سَوَّاكَ﴾ عدَّلك ﴿رَجُلًا﴾ بشرًا سويًا ذكرًا.

﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ
قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ
رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ
صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ
بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ
أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾
هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴿٤٤﴾ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا
كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝٤٥﴾ [الكهف: ٣٨ - ٤٥].

﴿لَكِنَّا﴾ بإثبات وصلاً بعد النون لأبي جعفر وابن عامر ورويس، والباقون بغير ألف ولا خلاف في الوقف بألف، وأصله: لكن أنا.

﴿هُوَ﴾ [الكهف: 38] أي: ضمير الشأن، قولي: ﴿الله رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

﴿وَلَوْلَا﴾ [الكهف: 39] هلا ﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ﴾ عند إعجابك بها ﴿مَا شَاءَ الله﴾ أي: الأمر ما شاء الله أو أي شيء شاء الله كان ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله﴾ وفي الحديث: «**من أُعطي خيرًا من أهل أو مال فيقول عند ذلك: ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم ير فيه مكروهًا**»[1] ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾.

﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ [الكهف: 40] في الآخرة ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾ جنتك ﴿حُسْبَانًا﴾ صواعق ﴿مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا﴾ أرضًا جُرُزًا ﴿زَلَقًا﴾ لا نبات فيها.

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا﴾ [الكهف: 41] غائرًا منقطعًا لا تناله دلاء ولا أيدي ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ﴾ أي: للماء ﴿طَلَبًا﴾ أي: إن طلبته لم تجده فحقق الله رجاءه بقوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ [الكهف: 42] أي: أحاط العذاب بثمر جنته فاحترقت بالنار وغار ماؤها ﴿فَأَصْبَحَ﴾ الكافر ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ ظهرًا لبطن ويصفق على واحدة بالأخرى من شدة الندم ﴿عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ من المال الذي ورثه ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ سقوفها بأن سقطت أولاً كما مر ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

﴿وَلَمْ تَكُنْ﴾ [الكهف: 43] قرأ حمزة والكسائي وخلف بالياء من أسفل في أوله، والباقون بالتاء من فوق ﴿لَهُ فِئَةٌ﴾ جماعة ﴿يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ الله وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾ بنفسه عند هلاكها.

﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ﴾ [الكهف: 44] المشار إليه وقت الهلاك، أو يوم القيامة ﴿لِله الْحَقِّ﴾ قرأ أبو عمرو والكسائي برفع القاف والباقون بالجر ﴿هُوَ﴾ أي: الله ﴿خَيْرٌ ثَوَابًا﴾

---

(1) ذكره حقي في «تفسيره» (365/7).

من ثواب غيره أو أثاب ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ عاقبة.

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ﴾ [الكهف: 45] أي: الكفار أو للناس ﴿مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ أي: بالماء ﴿نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ امتزج به فحسن ﴿فَأَصْبَحَ﴾ صار عن قرب ﴿هَشِيمًا﴾ يابسًا تفرقت أجزاؤه ﴿تَذْرُوهُ﴾ تفرقه وتنسفه ﴿الرِّيَاحُ﴾ في كل مكان ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ قادرًا، المعنى شبه الدنيا بنبات حسن فيبس فتكسر ففرّقته الرياح.

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الكهف: ٤٦ - ٥٠].

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: 46] وليست من زينة الآخرة ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وزاد بعض الرواة: ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ يأمله الشخص ويرجوه.

﴿وَ﴾ [الكهف: 47] اذكر ﴿يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بضم التاء من فوق وفتح الياء من أسفل، والباقون بالنون بدل التاء وكسر الياء، والجبال نصب من مكانها إلى مكان آخر فتصير ﴿هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ [الواقعة: 6] ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ ظاهرة بلا شجر ولا جبل ولا بناء ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ أي: الناس جميعًا إلى الموقف.

﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ [الكهف: 48] نترك ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾ مصطفين كلامه صفًا أو قيامًا ويقال لهم: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ فرادى بلا مال، وبلا أهل ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حفاة عراة غرلاً، ويقال لمنكري البعث: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ البعث.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ [الكهف: 49] كتاب أعمال العباد في أيمان الناس وشمائلهم ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين وجلين ﴿مِمَّا فِيهِ﴾ من أعمالهم القبيحة ﴿وَيَقُولُونَ﴾ إذا عاينوا ما فيه من الخبائث التي فعلوها ﴿يَا وَيْلَتَنَا﴾ هلكتنا ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ﴾ يترك ﴿صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ من ذنوبهم ﴿إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ ضبطها وحفظها فعجبوا من ذلك ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ مثبتًا في كتابهم ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ فلا يعاقبه بلا ذنب، ولا ينقص من ثوابه.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الكهف: 50] إمّا على ظاهره، أو من نوع من الملائكة يقال لهم ذلك وهو الأصح ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ فلم يسجد ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ﴾ خطاب توبيخ، والهاء لإبليس ﴿وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ﴾ أنصار أو أودّاء ﴿مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ أعداء ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ عن الله إبليس وذريته.

﴿ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [الكهف: ٥١ - ٥٥].

﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾ [الكهف: 51] أي: أحضرت إبليس ولا ذريته ﴿خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ فلم أحضر بعضهم خلق بعض ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ﴾ الشياطين ﴿عَضُدًا﴾ أنصارًا قرأ أبو جعفر: «ما أشهدناهم» والباقون بالتاء

ضمير المتكلم، وقرأ أبو جعفر: «وما كنت» بفتح التاء؛ أي: لا تعتضد بالشياطين يا محمد، وانفرد الهادي عن الهاشمي عن ابن حماز بمثل قراءة أبي جعفر.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ [الكهف: 52] الله للكفار بواسطة الملائكة بالياء في أوله لحمزة والباقون بالنون ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾ الأوثان ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أنهم شركائي يشفعوا لكم بزعمكم ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ استغاثوا بهم ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ لم يجيبوهم ولم ينصروهم ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين الأصنام وعابديها ﴿مَوْبِقًا﴾ مهلكًا قيل: وهو واد في جهنم.

﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ﴾ [الكهف: 53] المشركون ﴿النَّارَ فَظَنُّوا﴾ علموا ﴿أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾ داخلوها ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ معدلاً.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ [الكهف: 54] بيَّنا ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ﴾ مثلاً ﴿مِنْ﴾ جنس ﴿كُلِّ مَثَلٍ﴾ ليتذكر أو يتعظوا ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾ الكافر ﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ خصومًا؛ أي: هذا شأنه، والمعنى: وكان جدل الإنسان أكثر شيء كائن فيه.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾ [الكهف: 55] كفار مكة ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ القرآن والرسول ﷺ ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾ يتوبوا إليه ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ في العذاب والإهلاك لعدم إيمانهم، والمراد: سنتنا فيهم ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ قرأ أبو جعفر والكوفيون بضم القاف والباء، والباقون بكسر القاف وفتح الباء، والأول جمع قبيل؛ أي: أصناف العذاب، والثاني من المعاينة وقد أتاهم يوم بدر.

﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٗاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلٗا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبٗا ﴿٦٠﴾ ﴾ [الكهف: ٥٦ - ٦٠].

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ﴾ [الكهف: 56] يبطلوا بجدالهم ﴿الْحَقَّ﴾ القرآن وذلك قولهم ﴿أَبَعَثَ اللهُ بَشَراً رَّسُولاً﴾ [الإسراء: 94] ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: 31] ونحوه ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾ القرآن ﴿وَمَا أُنْذِرُوا﴾ به ﴿هُزُوًا﴾ استهزاء ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ﴾ تولى ﴿عَنْهَا﴾ فلم يؤمن بها ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ ما عمله من الذنوب في الدنيا؛ أي: لا أظلم منه.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ [الكهف: 57] أغطية ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ لئلا يفقهوا القرآن ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ صممًا وثقلاً عن سماع الحق سماع انتفاع ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ﴾ يا محمد ﷺ ﴿إِلَى الْهُدَى﴾ الإيمان ﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا﴾ أي: إذا دعوتهم ﴿أَبَدًا﴾ هو في قوم علم الله عدم إيمانهم.

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: 58] النعمة على الناس بتأخير العذاب في حق الكفار وتعجيل الرحمة للمؤمنين ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ﴾ يعاقب الكفار في الدنيا ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ فعلوا من الذنوب ﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ فيها ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ هو يوم القيامة ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا﴾ ملجأ.

﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾ [الكهف: 59] كقوم نوح ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ﴾ قرأه عاصم هنا و﴿مَهْلِكَ﴾ [النمل: 49] أوله في النمل بفتح الميم؛ أي: إهلاكهم، والباقون بضمها؛ أي: هلاكهم، وروى حفص بكسر اللام فيهما؛ أي: لوقت هلاكهم، والباقون بالفتح وهو بمعنى إهلاكهم ﴿مَوْعِدًا﴾ هو يوم القيامة.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى﴾ [الكهف: 60] ابن عمران عليه السلام ﴿لِفَتَاهُ﴾ يوشع بن نون وكان يخدمه ويأخذ منه العلم ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ لا أزال أسير ﴿حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ملتقى بحر الروم وفارس مما يلي الشرق المكان الجامع لذلك، وهل هو طنجة أو إفريقية؟ قولان، الثاني لأبي بن كعب ﴿أَوْ أَمْضِيَ﴾ أمشي ﴿حُقُبًا﴾[1] زمنًا طويلاً.

(1) اعلم أن في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى...﴾ [الكهف: 60] إشارات: منها: أن شرط المسافر أن يطلب الرفيق، ثم يأخذ الطريق.

ومنها: أن من شرط الرفيقين أن يكون أحدهما أميرًا، والثاني مأمورًا له ومتابعًا.

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾
فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ
أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ
وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا
﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا
﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن
تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الكهف: ٦١ - ٦٧].

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ [الكهف: 61] أي: بين البحرين ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ هو حوت في مكتل كان معهما، والقصة أن موسى ﷺ قام خطيبًا في بني إسرائيل فسُئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه؛ إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى إليه أن لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: يا رب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتًا فتحمله في مكتل فحيث ما فقدت الحوت فهو ثَمَّ فأخذ حوتًا فجعله في مكتل، ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً﴾ وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغداة ﴿قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا...﴾ [الكهف: 62] إلى قوله ﴿...عَجَبًا﴾ [الكهف: 63] قال: وكان للحوت سربًا ولموسى وفتاه عجبًا إلى آخره، وفيه فلم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمر به، والناسي للحوت يوشع، وموسى ﷺ إنما نسي تذكيره ﴿فَاتَّخَذَ﴾

= ومنها: أن يعلم الرفيق عزيمته ومقصده ويخبره عن مدة مكثه في سفره ليكون الرفيق واقفًا على أحواله، فإن كان موافقًا يرافقه في ذلك. ومنها: أن من شرط الطالب الصادق أن تكون نيته في طلب شيخ يقتدي به وألا يبرح حتى يبلغ مقصوده ويظفر به، وإلا سيكون بقية عمره طالبًا له فإن طلب الشيخ طلب الحق تعالى على الحقيقة.

الحوت ﴿سَبِيلَهُ﴾ طريقه ﴿فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ سلكًا مثل الطاق.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ [الكهف: 62] ذلك المكان بالسير إلى وقت الغداء في اليوم الثاني ﴿قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ وهو ما يؤكل أول النهار ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ تعبًا.

فلما ﴿قَالَ﴾ [الكهف: 63] له ذلك تذكر يوشع قال: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ تنبه ﴿إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ في المكان السابق لنا ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ أي: أنساني ذكره ﴿وَاتَّخَذَ﴾ يوشع ﴿سَبِيلَهُ﴾ أي: الحوت ﴿فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ أو اتخذ الحوت سبيله في البحر شيئًا بتعجب منه.

﴿قَالَ﴾ [الكهف: 64] موسى ﴿ذَلِكَ﴾ أي: فقد الحوت ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ نطلب فإنه علامة لنا على وجود ما نطلبه ﴿فَارْتَدَّا﴾ رجعا ﴿عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ أي: رجعا يقصان الأثر فجاء الصخرة.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الكهف: 65] هو الخضر ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً﴾ نبوة وقيل ولاية فقط ﴿مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ من قبلنا ﴿عِلْمًا﴾ عظيمًا.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[1] [الكهف: 66] أي: صوابًا، وقرأ البصريان: «رشَدًا» بفتح الراء والشين، والباقون بضم الراء وإسكان الشين، وورد أنه قال له: أنا على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه.

﴿قَالَ﴾ [الكهف: 67] الخضر ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

---

(1) فيه مسألتان: الأولى: قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ هذا سؤال الملاطف، والمخاطب المستنزل المبالغ في حسن الأدب، المعنى: هل يتفق لك ويخف عليك؟ وهذا كما في الحديث: هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ؟ وعلى بعض التأويلات يجيء كذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾.

الثانية: في هذه الآية دليل على أن المتعلم تبع للعالم وإن تفاوتت المراتب، ولا يظن أن في تعلم موسى من الخضر ما يدل على أن الخضر كان أفضل منه، فقد يشذ عن الفاضل ما يعلمه المفضول، والفضل لمن فضله الله، فالخضر إن كان وليا فموسى أفضل منه، لانه نبي والنبي أفضل من الولي، وإن كان نبيًا فموسى فضله بالرسالة، والله أعلم، و﴿رُشْدًا﴾ مفعول ثان بـ ﴿تُعَلِّمَنِ﴾.

﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [الكهف: ٦٨ - ٧٦].

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: 68] علمًا.

﴿قَالَ﴾ [الكهف: 69] موسى للخضر ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ الله صَابِرًا وَلَا أَعْصِي﴾ وغير عاصٍ ﴿لَكَ أَمْرًا﴾ مما تأمرني به، قيد بالمشيئة؛ لأن الكامل لا يركن إلى الوثوق بالنفس.

﴿قَالَ﴾ [الكهف: 70] الخضر لموسى ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي﴾ قرأ المدنيان وابن عامر بتشديد النون بعد اللام مفتوحة، والباقون بإسكان اللام وتخفيف النون، واختلف عن ابن ذكوان في حذف يا أيها في الحالين، والباقون بإثباتها فيهما ﴿عَنْ شَيْءٍ﴾ أعلمه مما تنكره ﴿حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي: أبدأ بذكره فأبين لك شأنه، وقيل موسى الشرط رعاية لأدب التعلم مع العالم لا لتجويز منكر عنده.

﴿فَانْطَلَقَا﴾ [الكهف: 71] يمشيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانها فوجدا سفينة فركباها وعرف أهلها الخضر فحملوهما بلا أجرة، ثم كان من أمرهما ما ذكره الله ﷻ بقوله: ﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ﴾ التي وجداها ﴿خَرَقَهَا﴾ الخضر فاقتلع لوحًا أو لوحين منها مما يلي البحر بفأس معه، وهي في وسط البحر ﴿قَالَ﴾ موسى له ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف: «ليغرق» بالياء من أسفل مفتوحة وفتح الراء و﴿أَهْلَهَا﴾ بالرفع، والباقون بضم التاء من فوق وكسر الواو، ونصب أهلها ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ عجبًا؛ لأن الماء لم يدخلها.

﴿قَالَ﴾ [الكهف: 72] الخضر لموسى ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف: 73] أي: غفلت عن التسليم لك قال ﷺ: «**كانت الأولى من موسى نسيانًا**»[1] ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ تكلفني ﴿مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ مشقة في صحبتي لك؛ أي: عاملني بالرفق واللين فيها، ثم خرجا من السفينة.

﴿فَانْطَلَقَا﴾ [الكهف: 74] يمشيان ﴿حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا﴾ لم يبلغ البلوغ يلعب مع الغلمان وضيء الوجه، وكان أحسنهم ﴿فَقَتَلَهُ﴾ باقتلاع رأسه أو ذبحه بالسكين مضطجعًا أو ضرب رأسه بالجدار، وكان يؤذي أبويه وطبع كافرًا، فلا يؤمن البتة ﴿قَالَ﴾ موسى للخضر ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ قرأه الكوفيون وابن عامر وروح: «زكية» بلا ألف وتشديد الياء، والباقون بالألف والتخفيف؛ أي: طاهرة لم تذنب ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: لم يقتل نفسًا فلم يجب عليه قتل ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ منكرًا.

﴿قَالَ﴾ [الكهف: 75] الخضر لموسى ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

﴿قَالَ﴾ [الكهف: 76] موسى للخضر ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ أي: بعد هذه المسألة ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ انفرد هبة الله في بعض طرقه عن روح بفتح التاء وإسكان الصاد وفتح الخاء؛ أي: لا تتركني اتبعك ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ قرأ المدنيان: «من لدني» بضم الدال وتخفيف النون، واختلف عنه في ضم الدال، والجمهور على إشمامها الضمة، يعنون الروم، ويدرك بالسمع، والأول بالبصر، والباقون بضم الدال وتشديد النون فيها، ومثل ذلك حكى: «في، من، وعن» والمعنى: قد اعتذرت فيما بيني وبينك؛ لأنك حذرتني وقد اتضح لك العذر في مفارقتي.

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ

(1) رواه البخاري (12/88)، ومسلم (15/454).

كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا
وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا
ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا
صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا
فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى
ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [الكهف: ٧٧ - ٨٣].

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ هي أنطاكية قاله ابن عباس ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ أي: طلبًا منهم الضيافة.

﴿فَأَبَوْا﴾ [الكهف: 77] امتنعوا ﴿أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا﴾ فورًا ﴿فِيهَا جِدَارًا﴾ مائلاً، قيل: ارتفاعه مائة ذراع ﴿يُرِيدُ﴾ يقرب ﴿أَنْ يَنْقَضَّ﴾ يسقط ﴿فَأَقَامَهُ﴾ مسح الخضر الجدار بيده فاستقام ﴿قَالَ﴾ موسى للخضر ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ﴾ قرأ البصريان وابن كثير: «لتخذت» بضم التاء وكسر الخاء بلا ألف وصل، والباقون بتشديد التاء وفتح الخاء مع ألف وصل ﴿عَلَيْهِ﴾ أي: على عملك ﴿أَجْرًا﴾ جعلا لنأكل به؛ إذ لم يطعمونا.

﴿قَالَ﴾ [الكهف: 78] الخضر لموسى عند ذلك ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ أي: وقت فراق بيني وبينك ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾ أخبر قبل فراقي لك ﴿بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ﴾[1] [الكهف: 79] وهم عشرة إخوة خمسة زمنى، وخمسة يعملون في البحر، والمسكين ملكه لا يزيل عنه اسم المسكنة ﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ أي: المجموع أو يؤاجرون ويكتسبون بها ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ أجعلها ذات عيب ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ﴾ أمامهم في ذهابهم وخلفهم في رجوعهم ﴿مَلِكٌ﴾ كافر يقال له هُدَدُ بن بُدد ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صالحة ﴿غَصْبًا﴾.

---

(1) أي: ضُعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة، فسماهم مساكين؛ لذلهم وضعفهم، ومنه قوله ﷺ: «اللهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وأمِتْنِي مِسْكِينًا، واحْشُرْنِي في زُمرةِ المَسَاكِينِ» فلم يُرد مسكنة الفقر، وإنما أراد التواضع والخضوع، أي: احشرني مخبتًا متواضعًا، غير جبار ولا متكبر.

﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا﴾ [الكهف: 80] علمنا ﴿أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾ يكلفهما ﴿طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ لمحبتهما له فيتبعانه على ذلك.

﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا﴾ [الكهف: 81] قرأ المدنيان وأبو عمرو أن يبدلهما هنا وفي التحريم: ﴿أَنْ يُبْدِلَهُ﴾ [التحريم: 5] وفي نون: ﴿أَنْ يُبْدِلَنَا﴾ [القلم: 32] بتشديد الدال، والباقون بتخفيفها ﴿رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً﴾ صلاحًا بالتقوى ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ بضم الحاء لابن عامر وأبي جعفر ويعقوب، وبإسكانها للباقين؛ أي: عطفًا من الرحمة فأبدلهما الله جارية فولدت سبعين نبيًا في أحد الأقوال.

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ﴾ [الكهف: 82] مال مدفون ﴿لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ فحفظا بصلاحه في نفسهما ومالهما، قيل: كان بينهما وبينه سبعة آباء ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ بالوصول للرشد ﴿وَيَسْتَخْرِجَا﴾ حينئذ ﴿كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ﴾ أي: الذي ذكر من خرق السفينة وما بعده ﴿عَنْ أَمْرِي﴾ بل بوحي من الله تعالى ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ﴾ نطق ﴿عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف: 83] السائل اليهود والمسئول عنه الإسكندر وهذا لقبه ولم يكن نبيًا ﴿قُلْ سَأَتْلُو﴾ أقص ﴿عَلَيْكُمْ مِنْهُ﴾ من حاله ﴿ذِكْرًا﴾ خبرًا.

﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [الكهف: ٨٤ - ٩٣].

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الكهف: 84] بتمهيد أسباب السير فسخر الله تعالى له السحاب فحمله عليها ومد له الأسباب وبسط له النور وجعل الليل والنهار عليه سواء ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿سَبَبًا﴾ يوصله إلى مراده.

﴿فَأَتْبَعَ﴾ [الكهف: 85] سلك ﴿سَبَبًا﴾ طريقًا، قرأ الكوفيون وابن عامر «فأتبع، ثم أتبع سببًا» الثلاثة بقطع الهمزة وإسكان التاء مخففة؛ أي: أدرك ولحق، والباقون بوصل الهمزة وتشديد التاء في الثلاثة ومعناه: سار.

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ [الكهف: 86] محل غروبها ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ قرأ نافع وابن كثير والبصريان وحفص: «حمية» بغير ألف وهمز الياء؛ أي: طينة سوداء، والباقون بالألف وفتح الياء بلا همز؛ أي: جارّه وذلك في: ﴿رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ [آل عمران: 13] وإلا فهي أعظم من الدنيا ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا﴾ أي: عند العين ﴿قَوْمًا﴾ كافرين ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ﴾[1] أراد به الإلهام ﴿إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ﴾ بالقتل من كفر ﴿وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ بالأسر أو العفو والصفح.

﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ [الكهف: 87] بكفر ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ بقتله ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾ في النار.

﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى﴾ [الكهف: 88] قرأ يعقوب والكسائي وحمزة وخلف وحفص: «جزاء الحسنى» بالنصب والتنوين، والباقون بالرفع بلا تنوين ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ فنلين له القول ونعامله باليسر والمعروف.

---

(1) أخبر سبحانه عن ذي القرنين ﷺ أن أعطاه خلقه قدرته، وألبسه تمكين فعل حتى سهل له قلب الأشياء، وكان يفعل ما يشاء بالله، ويحكم بحكمه ما يريد، وكان مجمع عين الجمع من حيث نور تجلي الذات والصفات والفعل فيه معنى ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ من كل ما في الملكوت السفلي له برهانًا، وحكمة، وعلمًا، ومعرفة بالله، وسببًا إلى قرب الله من أن ذلك الشيء له، كان مرآة الحق يرى فيها علوم الغيبية، وحكم القدرية، ويبلغ بها إلى معادنها من أسرار الأزلية فكان مقام تدريج الترقي من عالم الفعل إلى عالم الصفة، ومن عالم الصفة إلى عالم الذات، ولو كان على محل تحقيق الكلي؛ لما أحاله الحق إلى الأسباب من الأشياء، الحدثاني التي هي وسائط الحكمة، وأخرجه من الأشياء إلى معدن الأصل، وهو دنو الدنو كما فعل بحبيبه ﷺ حيث أخرجه من الحدثان وأفرده من جميع الأسباب، وبلغه إلى حقيقة الحقيقة؛ حيث شاهد الحق بالحق وفني الكل فيه، ولم يصرف طرفه إلى الغير؛ حيث لا حيث ولا غير.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: 89] إلى جهة الشرق.

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ [الكهف: 90] موضع طلوعها ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ هم: الزنج لم يكن بينهم وبين الشمس ستر؛ أي: حائل، وكانوا في النهار يدخلون في أسراب أو ماء فإذا غربت ظهروا ورعوا كالبهائم، وكانت أرضهم لا تحمل بناء.

﴿كَذَلِكَ﴾ [الكهف: 91] أي: الأمر كما قلنا ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ بما عنده كالجنود والآلات ﴿خُبْرًا﴾ علمًا.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: 92].

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ [الكهف: 93] بفتح السين لابن كثير وأبي عمرو وحفص، والباقون بضمها، وهما جبلان بمنقطع بلاد الترك، سد ذو القرنين هو الحاجز بينهما، ويأجوج ومأجوج من ورائهما ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا﴾ أي: من أمام السدين وهم الترك ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ بضم الياء وكسر القاف لحمزة والكسائي وخلف، والباقون بفتحهما؛ أي: لا يفهمون كلام غيرهم.

﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الكهف: ٩٤ - ١٠٠].

﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ [الكهف: 94] همزهما عاصم فقط، سموا به لكثرتهم وشدتهم وهم من أولاد يافث بن نوح، قيل: من الترك أو الترك سرية منهم ﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ إمَّا بأكل الناس، أو بأكل النبات والحب وكل شيء للناس ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف: «خراجًا» هنا وفي

المؤمنون: ﴿**أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً**﴾ [المؤمنون: 32] بفتح الراء وألف بعدها، والباقون بإسكان الراء من غير ألف فيهما، وابن عامر ﴿**فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ**﴾ [المؤمنون: 72] في المؤمنون بإسكان الراء، والباقون بألف؛ أي: جزاء معلومًا من مالنا ﴿**عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا**﴾ بفتح السين للكسائي وخلف وحفص وحمزة هنا، وفي موضعين يس وافقهم ابن كثير وأبو عمرو هنا، والباقون بالضم في الثلاثة والمراد: حاجزًا فلا يصلون إلينا.

﴿**قَالَ**﴾ [الكهف: 95] ذو القرنين ﴿**مَا مَكَّنِّي**﴾ بنونين لابن كثير، والباقون بالإدغام؛ أي: ما قوّاني ﴿**فِيهِ**﴾ عليه ﴿**رَبِّي**﴾ بما أتاني من الملك والمال ﴿**خَيْرٌ**﴾ من جعلكم فلا حاجة لي به، وأجعل لكم السد تبرعًا ﴿**فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ**﴾ من أبدانكم فإني لا أريد مالكم ﴿**أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا**﴾ سدًا، فسألوه عن القوة فقال: هي فعله وصنّاع يحسنون البناء والعمل والآلة قالوا: وما تلك الآلة قال: ﴿**آتُونِي**﴾ قرأ أبو بكر بكسر الهمزة بعدها همزة ساكنة، وكذا قال: «ائتوني» بهمزة ساكنة بعد الألف من المجيء والابتداء بهمزة مكسورة بعدها وافقه حمزة في قال: ائتوني، والباقون بقطع الهمزة، ومدها فيهما من الإعطاء.

﴿**زُبَرَ**﴾ [الكهف: 96] قطع ﴿**الْحَدِيدِ**﴾ فأتوه بها على قدر الحجر الذي يبنى به وبالحطب فلم يزل يركب الحديد على الحطب وعكسه ﴿**حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ**﴾ قرأ البصريان وابن كثير وابن عامر بضم الصاد والدال، وأبو بكر بضم الصاد وإسكان الدال، والباقون بفتحهما وهما الجبلان؛ أي: ساوى بين طرفي الجبلين ﴿**قَالَ انْفُخُوا**﴾ قيل: جعل الفحم والحديد في خلال الحطب، ثم قال: ﴿**انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ**﴾ أي: الحديد ﴿**نَارًا**﴾ أي: كالنار ﴿**قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ**﴾ أصب ﴿**عَلَيْهِ قِطْرًا**﴾ هو النحاس المذاب، والمراد: ائتوني قطرًا أفرغه على السد.

﴿**فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ**﴾ [الكهف: 97] يعلوه من فوقه لطوله وملاسته ﴿**وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا**﴾ من أسفله لشدته وصلابته، وقرأ حمزة: «فما استطاعوا» بتشديد الطاء.

﴿**قَالَ**﴾ [الكهف: 98] ذو القرنين ﴿**هَذَا**﴾ السد ﴿**رَحْمَةٌ**﴾ نعمة ﴿**مِنْ رَبِّي**﴾ وإنه مانع من خروجهم ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي**﴾ وهو وقت خروجهم القريب من البعث ﴿**جَعَلَهُ دَكَّاءَ**﴾ مدكوكًا مستويًا أو أرضًا ملساء ﴿**وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي**﴾ بخروجهم وغيره

﴿حَقًّا﴾ كائنًا.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ [الكهف: 99] يوم خروجهم أو في القيامة فالضمير للناس كلهم ﴿يَمُوجُ﴾ يدخل ﴿فِي بَعْضٍ﴾ لكثرتهم ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ القرن النفخة الأخيرة للبعث ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ في صعيد واحد.

﴿وَعَرَضْنَا﴾ [الكهف: 100] أبرزنا وقربنا ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ حتى يشاهدوه عيانًا.

﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ﴿١٠١﴾
أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا
﴿١٠٢﴾ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ
أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا
نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا
﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا
يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ
رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴿١٠٩﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ
فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾
[الكهف: ١٠١ - ١١٠].

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ﴾ [الكهف: 101] غشاء ﴿عَنْ ذِكْرِي﴾ وهو الإيمان ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ للنبي ﷺ إذا تلا عليهم القرآن.

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾ [الكهف: 102] كعيسى والملائكة ﴿مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ يعبدونهم؛ أي: أظنوا ذلك لا يغضبني ولا أعاقبهم عليه كلا ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ منزلاً ومأوى أعد لهم.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [الكهف: 103].

﴿الَّذِينَ ضَلَّ﴾ [الكهف: 104] بطل ﴿سَعْيُهُمْ﴾ عملهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ

﴿يَحْسَبُونَ﴾ يظنون ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ عملاً يجاوزون عليه.

﴿أُولَـئِكَ الَّـذِينَ كَفَـرُوا بِآيَـاتِ رَبِّهِـمْ وَلِقَائِـهِ﴾ هـو البعث ﴿فَحَبِطَتْ﴾ [الكهف: 105] بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ أي: لا نجعل لهم قدرًا.

﴿ذَلِكَ﴾ [الكهف: 106] أي: الأمر ذلك الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وعدم إقامة الوزن لهم كائن، ثم ابتدأ فقال: ﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾ من القرآن وغيره ﴿وَرُسُلِي هُزُوًا﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ﴾ [الكهف: 107] في علم الله قبل خلقهم ﴿جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ وهو وسط الجنة وأعلاها، وسقفه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة ﴿نُزُلًا﴾ جمع نازل أو هو المنزل.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ﴾ [الكهف: 108] لا يطلبون ﴿عَنْهَا حِوَلًا﴾ تحويلاً إلى غيرها ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾ [الكهف: 109] أي: ماؤه ﴿مِدَادًا﴾ وهو ما يكتب به ﴿لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ الدالة على حكمه وإن يكتب به ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ أي: ماؤه في كتابتها ﴿قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ﴾ تفرغ، قرأ حمزة والكسائي وخلف: «أن ينفد» بالياء من أسفل، والباقون بتاء التأنيث ﴿كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ نزلت؛ لأن اليهود قالوا: أوتينا التوراة وفيها كل شيء وأنت تزعم أن ما أوتيناه قليل وقلت: ﴿وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ [البقرة: 296] ثم قلت﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: 85] ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ أي: ماء البحر مددًا.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: 110] أي: فيها ﴿أَحَدًا﴾ وفي الآية النهي عن الرياء، والمرائي لا ثواب لعمله سواء كان الباعث الرياء وحده أو مع غيره، والله أعلم.

سورة مريم

مكيّة، وقيل: سجدتها مدنية، وقيل: فخلف إلى تمام آيتين مدني، وهي تسع أو ثمان وتسعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كٓهيعٓصٓ (١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ (٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا (٧) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا (٩) قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠) ﴾ [مريم: ١ - ١٠].

﴿**كهيعص**﴾[1] [مريم: 1] الكاف: من كريم كبير، والهاء: من هاد، والياء: من

(1) قال روزبهان: أخبر الله سبحانه عن «كاف» كان وجوده الأزلي القدمي الأبدي كقوله تعالى «كان الله»، والإشارة فيها إلى كون وجوده قبل كون الكون، وإشارة الحقيقة بالكاف خبر عن سرّ القدم قد صابها العارفين إلى غيبوبيتهم في قفار الأولية والاستغراق في بحار القدمية ليعرفوا بالأولية الأولية، وأيضًا تجلى من كينونية الأحدية التي قيل كل علة على قلوب الموحدين لتغرقهم في بحار كبريائه، ويفنيهم في أنوار كنه ذاته فأشهدهم كائنة الذات والصفات وبصّرهم بنور كبريائه، فأبصروا بعيون سره نورية مكحولة بنور كبريائه فأبصروا بها مشاهدة كنه ذاته، فذابوا فيه فأغرقتهم أنوار مشاهدة الكنه في بحر كمال الذات والصفات حتى لم يبقوا فيها، وأبقاهم نور كاف الكفاية، وبرز لهم سنا كاف حكمته الأزلية فعرفوا بها فناءهم في بقائه وبقاءهم ببقائه =

رحيم، والعين: من عليم عظيم، والصاد: من صادق، أو معناه: كاف لخلقه، هاد لعباده، يده فوق أيديهم، عالم ببريته، صادق في وعده.

﴿ذِكْرُ﴾ [مريم: 2] أي: هذا القرآن ﴿رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ بإجابة دعائه في هبة الولد.

=

فطلبوا بقاء البقاء بلا فناء ليستوفوا في البقاء حظ مشاهدة البقاء، فانكشف لهم «كاف» بحار الكرم من صفات الكريم، فأوصلهم إلى بساط قربه فظهر من عين عيون الغيب نورها الهوية وغيبهم في غيب الغيب، وهداهم إلى قرب القرب، ثم هداهم إلى دنو الدنو، وهداهم إلى وصل الوصل ثم هداهم بنعت التعريف والمعرفة إلى مشاهدات الصفات، ثم إلى مشاهدات الذات فلما بهتوا في الغيب وتاهوا فيه وادي غيب الغيب، ولم يعرفوا من علم الربوبية ذرة ولم يروا من حقيقة الحقيقة شيئًا فأخذهم «يا» نداء القدم مع أصوات أجراس الوصلة فلما وصلوا وقفوا بنعت الجهل بالحقيقة على الحقيقة، فخرج أنوار عين علم القدم فعرفهم النعوت والأسامي.

ثم أعلمهم الصفات والمعاني، ومكنهم بالحق في الحق مع الحق فطلبوا من الحق ما وجد الحق لهم من عظيم عطايا فيض جلاله وجماله فبان نور «صاد» صبح صدق ظهور أسرار الحق لهم فاكتسبوا بها، وصاروا عارفين بها صادقين في صدق رويتها في دعوى معرفتها ومحبتها، فما أشرنا بهذه المقالة فهو من رموز الحق في مفاتيح كنوز الذات والصفات وهي «الكاف والهاء والياء والعين والصاد»، ففي هذه الحروف الخمسة بيان أسرار القدم والبقاء والأزل والأبد وسر الصفات والذات ولا يعرفها إلا حبيب من حبيب الحبيب مع حبيب غائب في الحبيب حاضر مع الحبيب، سكران في مشاهدته، صاح في شهوده، فيستفيد معنى المعاني من هذه المباني.

قال إبراهيم بن شيبان: أما «الكاف» فالله الكافي لخلقه، و«الهاء» فالله الهادي لخلقه، و«الياء» يد الله على خلقه بالعطف والرزق والعين، فالله عالم بما يصلحهم، و«الصاد» فالله صادق وعده، قيل: «الكاف» معناه الكافي للمسائلين حوائجهم، و«الهاء» هادي الضالين، و«العين» علم معاني إشارات المتعرضين في حوائجهم، و«الياء» النداء بهذه الدعوات، و«الصاد» صادق فيما وعد للمؤمنين. قال بعضهم: كريم بعفوه، هاد بجوده، عالم بمصالح عباده، صادق فيما أخبره.

قال الأستاذ: تعريف الأحباب بأسرار ومعالي، وقد وقع لي من قبيل لطائف الخطاب كافي هم العارفين في طلبهم وصله، وهادي العارفين بنفسه إلى نفسه، ثم إلى ذخائر ما في كنوز قدمه من علومه المجهولة الغيبية ينادي بلابل بساتين ورد وصّاله العارفين حتى يزيد رغبتهم في المسارعة بنعت الشوق المحبة إلى جلال بقائه عليهم بألم فؤاد العارفين في داء فقدان قدمه، ووجدان وجود بقائه صادق بصدق مواعيد قرباته، ومداناته للعارفين، ورفع حجب الاحتشام عن قلوبهم حتى ينظروا إليه بنظر البسط والانبساط لا بنظر القبض والهيبة؛ لأن هناك مقام تمتعهم بجماله وجلاله وصحبته ووصاله، وهذه الحروف عيون رحمة ذاته، وكرم صفاته بأنبيائه وأوليائه.

﴿إِذْ نَادَى﴾ [مريم: 3] دعا ﴿رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ سرًا في جوف الليل؛ لأنه أقرب إلى الإجابة.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ﴾ [مريم: 4] ضعف ﴿الْعَظْمُ﴾ ذكره؛ لأنه عمود البدن، فإذا وهن كان غيره أوهن ﴿مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ﴾ مني ﴿شَيْبًا﴾ أي: اختلط بياضه بسواده، وإني أريد أن أدعوك ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ﴾ أي: بدعائي إياك وبدعائك لي إلى الإيمان والنبوة ﴿رَبِّ شَقِيًّا﴾ خائبًا، فأجبني في الآتي كما وقع في الماضي.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ [مريم: 5] وهم من أدلى له بنسب ﴿مِنْ وَرَائِي﴾ من بعد موتي، أو خفت على الدين منهم التحريف والضياع كما فعل بنو إسرائيل، وقرأ ابن كثير «من ورائي» بفتح الياء مقصورًا، والباقون بالمد.

﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ [مريم: 6] لا تلد ﴿فَهَبْ لِي﴾ أعطني فضلاً منك ﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ وارثًا من أبنائي ﴿يَرِثُنِي﴾ بالجزم لأبي عمرو والكسائي ﴿وَيَرِثُ﴾ كذلك، والباقون بالرفع ﴿مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ جد زكريا العلم والنبوة والحبورة؛ لأن زكريا كان رأس الأحبار ولم يرد المال؛ لأن الأنبياء لا يخلف عليهم ولا يورثون؛ إذ ما خلفوه من المال صدقة ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ بالبر والتقوى.

فأجابه بقوله: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾ [مريم: 7] ذكر يولد ويرثك كما سألت ﴿اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ مثلاً كقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: 65] أي: في أن يحيى لا يأتي النساء مع دواعي الميل إليهن زهدًا، وفي أنه لم تلد العاقر مثله، أو المراد: لم يسم أحد قبله بيحيى.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى﴾ [مريم: 8] من أين أو كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾[1] هو مصدر: عتا يعتو عتوًا، وعتيًا إذا انتهى سنه وصار في حالة اليبس والجفاف؛ أي: وصلت ليبس العظم ونحول البدن بمائة وعشرين سنة، وبلغت امرأته ثماني وتسعين سنة، وقرأ حمزة والكسائي «عتيا» و«جثيا» و«صليا»

(1) حال منه مؤكدة للاستبعاد إثر تأكيد، ومن للابتداء العلي، والعتي من عتى يعتو اليبس والقحول في المفاصل والعظام. وقال الراغب: هو حالة لا سبيل إلى إصلاحها ومداواتها. [تفسير الألوسي (11/ 450)].

و«بكيا» بكسر أوائلهن، وافقهما حفص في غير «بكيا»، والباقون بالضم فيهن، وقول زكريا لذلك ليس لاستبعاده ذلك عن القدرة، بل عن القادة.

﴿قَالَ﴾ [مريم: 9] الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر كذلك من حق غلام منهما فصدقه على ما قال، ثم ابتدأ ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ سهل لا صعوبة فيه بأن خلق فيك قوة الإقبال، وفي زوجتك قوة قبول ذلك ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ﴾ قرأ حمزة والكسائي «خلقناك» بالنون والألف، والباقون بالتاء مضمومة بلا ألف ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل في الزمن الأول ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ قبل خلقك.

ثم لمَّا تاقت نفسه إلى ما بشر به ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً﴾ [مريم: 10] علامة أعرف بها حمل امرأتي ﴿قَالَ آيَتُكَ﴾ على ذلك ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ بكلام المعتاد ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ﴾ أي: بأيامها كما سبق في آل عمران، وذكرت هاهنا والأيام ثمَّ للإشارة إلى التتابع من الليل والنهار في ترك كل كلام إلا ذكر الله تعالى ﴿سَوِيًّا﴾[1] بلا علة تمنعك من الكلام.

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

(1) قال الألوسي (24/3): أي أن لا تقدر على تكليمهم من غير آفة وهو الأنسب بكونه آية والأوفق لما في سورة مريم، وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن جبير بن معتمر قال: ربا لسانه في فيه حتى ملأه فمنعه الكلام، والآية فيه عدم منعه من الذكر والتسبيح، وعلى كلا التقديرين عدم التكليم اضطراري، وقال أبو مسلم: إنه اختياري، والمعنى آيتك أن تصير مأمورًا بعدم التكلم إلا بالذكر والتسبيح ولا يخفى بعده هنا، وعليه وعلى القولين قبله يحتمل أن يراد من عدم التكليم ظاهره فقط وهو الظاهر، ويحتمل أن يكون كناية عن الصيام لأنهم كانوا إذ ذاك إذا صاموا لم يكلموا أحدًا وإلى ذلك ذهب عطاء وهو خلاف الظاهر، ومع هذا يتوقف قبوله على توقيف، وإنما خص تكليم الناس للإشارة إلى أنه غير ممنوع من التكلم بذكر الله تعالى (ثلاثة أَيّامٍ) أي متوالية، وقال بعضهم المراد ثلاثة أيام ولياليها، وقيل: الكلام على حذف مضاف أي ليالي ثلاثة أيام لقوله سبحانه في سورة مريم ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ﴾ والحق أن الآية كانت عدم التكليم ستة أفراد إلا أنه اقتصر تارة على ذكر (ثلاث * أَيّامٍ) منها وأخرى على (ثلاث لَيَالٍ) وجعل ما لم يذكر في كل تبعاً لما ذكر، قيل: وإنما قدم التعبير بالأيام لأن يوم كل ليلة قبلها في حساب الناس يومئذ، وكونه بعدها إنما هو عند العرب خاصة كما تقدمت الإشارة إليه، واعترض بأن آية الليالي متقدمة نزولاً لأن السورة التي هي فيها مكية والسورة التي فيها آية الأيام مدنية، وعليه يكون أول ظهور هذه الآية ليلاً ويكون اليوم تبعاً لليلة التي قبلها على ما يقتضيه حساب العرب فتدبر.

يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍۢ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ [مريم: ١١ - ٢٠].

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ [مريم: 11] المسجد وكانوا يصلون فيه في أول النهار وآخره بأمره، فلمَّا دخل ولم يخرج إليهم فبعدوه ﴿فَأَوْحَى﴾ أشار، أو كتب في الأرض ﴿إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا﴾ صلوا ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أول النهار وآخره، فعلم بذلك حمل امرأته بيحيى وقال له بعد ولادته بسنين: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ﴾ [مريم: 12] التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ خذ واجتهد في القيام بما فيه ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ﴾ النبوة ﴿صَبِيًّا﴾ وهو ابن ثلاث سنين قاله ابن عباس، أو حفظ التوراة وهو صغير.

﴿وَحَنَانًا﴾ [مريم: 13] رحمة ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ من عندنا ﴿وَزَكَاةً﴾ طاعة وإخلاصًا؛ أي: أتيناه الحكم والرحمة والإخلاص، أو المراد: جعلناه رحمة وصدقة على الناس ومنهم أبوه ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ مسلمًا خالصًا لم يعمل خطيئة ولم يَهم بها.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ [مريم: 14] محسنًا إليهما ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا﴾ متكبرًا ﴿عَصِيًّا﴾ عاصيًا لربه.

﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ﴾ [مريم: 15] من الله ﴿يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ وأكثر ما يكون الإنسان وحشة في هذه الأحوال الثلاثة: يوم يولد فيخرج مما كان، ويوم موته فيرى قومًا لم يكن عاينهم، ويوم يبعث يرى نفسه في محشر لم ير مثله، فخصص بالسلامة في هذه المواطن لذلك.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾ [مريم: 16] القرآن ﴿مَرْيَمَ﴾ أي: بخبرها ﴿إِذِ﴾ حين

﴿انْتَبَذَتْ﴾ تنحت واعتزلت ﴿مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا﴾ في الدار ﴿شَرْقِيًّا﴾[1] مما يلي الشرق في يوم شديد البرد وكانت طهرت من الحيض.

﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ [مريم: 17] سترًا؛ لتغتسل حتى تستر عن أبصارهم، أو جلست تغلي رأسها، أو ثيابها ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ وهو جبريل في صورة حسنة ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ بعد لبس ثيابها، والسوي المعتدل الخلق.

﴿قَالَتْ﴾ [مريم: 18] عند رؤيته: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ فتنتهي بتعويذي؛ لأن التقوى تمنع الفجور كما يقال: لا يظلمني إن كنت مؤمنًا.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ﴾ [مريم: 19] بالتاء بعد اللام في قراءة أبي عمرو ويعقوب وورش وقالون بخلاف عنه، والباقون بالهمز ﴿لَكِ﴾ يا مريم ﴿غُلَامًا﴾ ولدًا ذكرًا ﴿زَكِيًّا﴾ صالحًا مباركًا ناميًا في المعارف، والزهد، والعلم، والرسالة.

﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي﴾ [مريم: 20] يطأني ﴿بَشَرٌ﴾ بنكاح ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ زانية.

﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا

(1) قال الشيرازي البقلي: الإشارة الحقيقية هاهنا أن جوهر مريم جوهر فطرة القدس، قرباه الحق بنور الأنس ففي جميع أنفاسها مجذوبة بنعت القرب والأنس إلى معدن الأنوار الإلهية، فصارت كل وقت مراقبة لظهور شمس الجبروت من مشرق الملكوت، فاعتزلت عن الأكوان بالهمة العالية المنعوتة بنور الغيب، فأقبلت إلى مشارق شموس الذات والصفات، واستنشقت نفحات الوصال من عالم الأزل، فوصل إليها نفحة وصال الأزلية، وأشرقت عليها شمس مشاهدة القدسية، فلما شهدت مشاهدة مشرق تجلي الأزل برقت أنواره، ووصلت أسراره إلى روحها فحملت روحها بروح الغيب فصارت حاملة الكلمة الكبرى ونور الروح الأعلى فلما أعظم شانها بعكس جمال تجلي الأزل عليها استترت من الخليقة، واستأنست بعروس الحقيقة.

تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾
فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ
مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ ﴾ [مريم: ٢١ - ٢٨].

﴿قَالَ كَذَلِكِ﴾ [مريم: 21] الأمر كما قال الله من خلق غلام منك بلا أب ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً﴾ علامة ﴿لِلنَّاسِ﴾ على قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ للمؤمنين به ﴿وَكَانَ﴾ خلق عيسى على هذا الوجه ﴿أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ به في علم الله، أو مفروغًا منه لا يُغير ولا يُبدل.

﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ [مريم: 22] بسبب نفخ جبريل عليه السلام في جيب قميصها ﴿فَانْتَبَذَتْ﴾ تنحت ﴿بِهِ﴾ بالحمل ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ بعيدًا من أهلها وهو أقصى الوادي ببيت لحم.

﴿فَأَجَاءَهَا﴾ [مريم: 23] أي: ألجأها ﴿الْمَخَاضُ﴾ وجع الولادة ﴿إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ وكانت يابسة لا سعف لها في شدة الشتاء، وكان حمله وفصاله في ساعة قاله ابن عباس - رضي الله عنهما - وقيل: في ستة أشهر، وقيل: لتسعة، وقيل: ثمانية، وقيل: ثلاث ساعات: واحدة للحمل، وواحدة للتصوير، وواحدة للولادة، وكان سنها عشرين سنة وحاضت قبل حملها حيضتين ﴿قَالَتْ يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ الحال خافت من كلام الناس والفضيحة حياء ﴿وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾ قرأ حمزة وحفص «نسيا» بفتح النون، والباقون بكسرها، والنسي: ما ألقي ونسي لحقارته ولم يذكر، والمنسي: المتروك، أو شيئًا لا يعرف ولا يذكر، أو أخلق قال: جمع تمنت أن تكون ملقاة وكانت مريم على أكمة وجبريل تحتها.

﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ [مريم: 24] قرأ المدنيان وحمزة والكسائي وخلف وحفص وروح بكسر الميم تحتها بخفض التاء؛ أي: ناداها جبريل من المكان الذي تحتها، والباقون بفتح الميم والتاء؛ أي: ناداها الذي هو أسفل منها في ذلك المكان وهو جبريل أيضًا، وقيل: عيسى، **والأصح**: الأول ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ هل هو عيسى عليه السلام؛ أي: عبدًا رفيع القدر، أو هو نهر ماء كان انقطع؟ **قولان**: **الثاني**: أقرب لقوله بعد: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي﴾ [مريم: 26].

﴿وَهُزِّي﴾ [مريم: 25] حركي ﴿إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ﴾ قرأ حمزة «تساقط»

بفتح التاء والقاف وتخفيف السين، ويعقوب والعليمي عن أبي بكر بالياء من أسفل مفتوحة مع تشديد السين وفتح القاف، والباقون كذلك ولكنهم بالتاء من فوق ﴿عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[1] هو المجني المتناول والجيد الذي بلغ الغاية وما للنفساء أفضل من أكله.

﴿فَكُلِي﴾ [مريم: 26] من الرطب ﴿وَاشْرَبِي﴾ من السرى ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ طيبي نفسًا بالولد ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ فيسألك عن ولدك ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ إمساكًا عن الكلام مع الأناسي؛ إذ أصل الصوم في اللغة الإمساك ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ وهل أمرها أن تقول: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ....﴾ إلى آخره بالإشارة، أو أذن لها في ذكره باللفظ ثم تسكت؟ **قولان: الثاني:** أقرب بظاهر الآية.

﴿فَأَتَتْ بِهِ﴾ [مريم: 27] أي: بعد وضعه ﴿قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ فلمّا رأوه ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ عظيمًا منكرًا.

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ [مريم: 28] أي: يا شبيهته عندنا في الصلاح والعبادة والعفة، وهل هو أخو موسى أو غيره؟ قولان، وعلى كلٍ فمريم صديقة لا نبية ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ﴾ وهو عمران ﴿امْرَأَ سَوْءٍ﴾ أي: زانيًا ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ﴾ حنة ﴿بَغِيًّا﴾ زانية فمن أين لك هذا الولد؟

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى
عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى
بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾
وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ
قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ

---

(1) آية عظيمة تطيب النفس وتذهب بالحزن، وتدل على البراءة، والتعبير بصيغة التفاعل في قراءة الجماعة وحمزة للدلالة على أن التمر يسقط منها، ومن حقه أن يكون منتفيًا لأنها غير متأهلة لذلك، فهو ظاهر في أنه على وجه خارق للعادة، وقراءة الجماعة بالإدغام تشير مع ذلك إلى أنه مع شدته يكاد أن يخفي كونه منها ليبسها وعدم إقنائها، وقراءة حمزة بالفتح والتخفيف تشير إلى سهولة تساقطه وكثرته، وقراءة حفص عن عاصم بالضم وكسر القاف من فاعل، تدل على الكثرة وأنه ظاهر في كونه من فعلها. [نظم الدرر (5 /198)].

أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [مريم: ٢٩ - ٣٨].

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾[1] [مريم: 29] إلى الولد لمَّا لم تجد حجة أن كلموه ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ﴾ أي: وجد، وهو ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ حجرها، أو هو على ظاهره ﴿صَبِيًّا﴾ فلمَّا قالوا ذلك ترك الثدي وأقبل عليهم و﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ [مريم: 30] الإنجيل ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ في صغري وهو إخبار عن الواقع، قال الحسن: ألهم التوراة وهو في بطن أمه، وأوتي الإنجيل والنبوة وهو طفل صغير.

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ [مريم: 31] نفاعًا للناس ورحمة لهم ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ في أي محل كنت ﴿ وَأَوْصَانِي﴾ أمرني ﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.

﴿وَ﴾ [مريم: 32] جعلني ﴿بَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ متعاظمًا ﴿شَقِيًّا﴾ عاصيًا لربه، أو هو الذي يذنب ولا يتوب.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ﴾ [مريم: 33] من طعن الشيطان وغيره من السوء الذي يلحق الولد ﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ﴾ من الشرك ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ من أهوال الساعة، فعند ذلك علموا براءتها ثم سكت فلم يتكلم إلا بعد مضي المدة التي يتكلم بها الصبيان.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ﴾ [مريم: 34] بنصب اللام لابن عامر وعاصم ويعقوب، والباقون بالرفع، فالمعنى: إمَّا قلت قول الحق، أو قول ابن مريم قول الحق ﴿الَّذِي فِيهِ﴾ أي: أهل الضلال ﴿يَمْتَرُونَ﴾ يختلفون شكًا، فمن قال:

---

(1) بيَّن الله سبحانه أن مريم علمت بنور الحق نطق عيسى قبل نطقه، وعرفت بإلهام الله أنه نبي مرسل؛ لأن عيسى تكلم في بطنها بتوحيد الله سبحانه، وعلمت أن براءتها من مقالة القوم في نطق ابنها، وهذا غاية حسن اليقين وسماع إلهام الحق بلا واسطة، ولما علمت شأن عيسى آمنت برسالته وعظمته عين أشارت إليه بأنه أهل مكان علم الله موضع معجزته، ولا يجوز عند الكبراء جواب السؤال؛ فهذا من كمال أدبها في حضرة عيسى، ومن هاهنا إشارة العارفين إلى كبرائهم عند حاجاتهم بفهم الحقائق.

ابن الله، ومن قال: هو الله، ومن قال: ساحر ونحوه.

ثم نفى عن نفسه الولد بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا﴾ [مريم: 35] أي: إحداثه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

﴿وَإِنَّ اللهَ﴾ [مريم: 36] قرأ الكوفيون وابن عامر وروح «وإن الله» بكسر الهمزة، والباقون بفتحها ﴿رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا﴾ الذي ذكرته لكم ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ طريق حق يوصل للجنة.

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ [مريم: 37] من النصارى سموا به؛ لتحزبهم في أمر عيسى؛ أي: تفرقهم ثلاث فرق على ما ذُكِر في النساء ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من النصارى، أو هو على العموم ﴿مِنْ مَشْهَدِ﴾ حضور ﴿يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القيامة.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم: 38] بهم أي: ما أسمعهم وما أبصرهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ في الآخرة ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ﴾ أي: في الدنيا ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بيّن عن الحق صموا بسببه عن سماعه، وعموا عن إبصاره، فهو تنبيه على تعجب المخاطب لسمعهم وأبصارهم في الآخرة بعد أن كانوا بخلاف ذلك في الدنيا.

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ
نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا
﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ
إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا
تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ
عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ
لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ
إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ
أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ
إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ ﴾ [مريم: ٣٩ - ٤٩].

﴿وَأَنْذِرْهُمْ﴾ [مريم: 39] أي: كفار مكة ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ شدة الندامة في الآخرة على ترك الإحسان في الدنيا بالطاعة ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ فرغ من الحساب وصار أهل الجنة لها، وأهل النار لها، ومنهم من بقي على كفره للنار وذبح الموت ونودي لكل بالخلود ﴿وَهُمْ﴾ أي: الكفار في الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ [مريم: 40] فنميت أهلها من العقلاء وغيرهم ويبقى الله وحده كما كان ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ فنجزيهم.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [مريم: 41] أي: خبره ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾ كثير الصدق قائمًا بالشرائع ﴿نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ [مريم: 41 - 42] آزر وهو يعبد الأصنام ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾.

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ﴾ [مريم: 43] بالله والمعرفة ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي﴾ على ديني ﴿أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ طريقًا مستقيمًا.

﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ [مريم: 44] لا تطعه في الأمر بالقبيح، كالشرك والمعاصي ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ دائم العصيان.

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ﴾ [مريم: 45] أعلم ﴿أَنْ يَمَسَّكَ﴾ يصيبك ﴿عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ إن مت على الكفر ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ قرينًا في النار.

﴿قَالَ﴾ [مريم: 46] أبوه مجيبًا له: ﴿أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾؟ استفهام إنكار عليه ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ﴾ عن عيبها والتعرض لها ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ أقتلنك بالرجم، أو أكلمنك كلامًا قبيحًا، أو أضربنك بالحجارة فاحذرني ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ طويلاً؛ أي: تجنب كلامي، أو المراد: سالمًا كأنه يقول: اعتزلني سالمًا من شري.

﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ [مريم: 47] أي: أنت سالم لا أنالك بمكروه، أو هو سلام هجران، أو أراد اللين كقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً﴾ [الفرقان: 63]، ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ أسأله أن يتوب عن كفرك فيغفر لك، واستغفر له بقوله في الشعراء: ﴿وَاغْفِرْ لأَبِي﴾ [الشعراء: 86]، ثم لمَّا علم أنه عدو لله تعالى تبرأ منه كما في ﴿بَرَاءَةٌ﴾ [التوبة: 1]، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ مأخوذ من حفي به إذا بره ولطف به.

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ [مريم: 48] للعبادة ﴿مِنْ دُونِ اللهِ وَأَدْعُو﴾ أعبد ﴿رَبِّي

عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ كما شقيتم بعبادة الأصنام.

﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [مريم: 49] وذهب مهاجرًا إلى الأرض المقدسة ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ليتآنس بهما في الهجرة فقرت عينه بكريمين على الله ﴿وَكُلاًّ﴾ من إسحاق ويعقوب ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾.

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ [مريم: ٥٠ - ٥٨].

﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ﴾ [مريم: 50] لإبراهيم وولديه ﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ المال والولد وسعة الرزق، وقيل: النبوة ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ ثناءً حسنًا في الدنيا عند أهل كل دين.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا * وَنَادَيْنَاهُ﴾ [مريم: 51 - 52] بقوله تعالى: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ﴾ [القصص: 30]، ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾[1] اسم الجبل الذي بين مصر ومدين ﴿الْأَيْمَنِ﴾ لأنه كان عن يمين موسى عند

(1) الطور جبل بين مصر ومدين والأيمن صفة لجانب لقوله تعالى في آية أخرى: ﴿جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ﴾ بالنصب؛ أي: ناديناه من ناحيته اليمنى من اليمين المقابل لليسار، والمراد به يمين موسى ﷺ أي الناحية التي تلي يمينه إذ الجبل نفسه لا ميمنة له ولا ميسرة، ويجوز أن يكون الأيمن من اليمن وهو البركة وهو صفة لجانب أيضًا أي من جانبه الميمون المبارك. وجوز على هذا أن يكون صفة للطور والأولى أولى، والمراد من ندائه من ذلك ظهور كلامه تعالى من تلك الجهة، والظاهر أنه عليه السلام إنما سمع الكلام اللفظي، وقال بعضهم: إن الذي سمعه كان بلا =

إقباله من مدين ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ مناجاة، فأسمعه الله تبارك وتعالى كلامه.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ [مريم: 53] نعمتنا حين دعا بقوله: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي﴾ [طه: 29]، ﴿أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ [مريم: 54] لم يعد بشي إلا وفّى به، وانتظر من وعده ثلاثة أيام أو حولاً حتى رجع إليه في مكانه ﴿وَكَانَ رَسُولاً﴾ إلى قومه جرهم ﴿نَبِيًّا﴾ مخبرًا عن الله تعالى.

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾ [مريم: 55] قومه وهم جميع أمته ﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ التي فرضت عليهم ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ قائمًا بطاعة الله، وارتضاه لنبوته ورسالته.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ [مريم: 56] وهو جد أبي نوح اسمه أخنوخ، سُمي بإدريس؛ لكثرة درسه الكتب، وهو أول من كتب بالعلم، واتخذ السلاح وقتل الكفار، ونظر في النجوم، والحساب، وخاط الثياب، ولبس المخيط، وكان من قبله يلبس الجلود ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾.

﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: 57] قيل: هو الجنة فأدخلها حيًّا بعد أن أُذيق الموت ولم يخرج منها، وقيل: السماء الدنيا، وقيل: السادسة، وقيل: الرابعة وهو أقرب.

﴿أُولَئِكَ﴾ [مريم: 58] إشارة إلى المذكورين في السورة من زكريا لإدريس ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهِ عَلَيْهِمْ﴾ بالعلم والنبوة ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ﴾ هي للتبعيض ﴿ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ وهو إدريس ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ أي: من ذرية من حملنا معه وهو إبراهيم بن سام ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ إسماعيل وإسحاق ويعقوب ومن ذرية ﴿وَإِسْرَائِيلَ﴾ وهم: موسى

=

حرف ولا صوت وأنه عليه السلام سمعه بجميع أعضائه من جميع الجهات وبذلك يتيقن أن المنادي هو الله تعالى، ومن هنا قيل: إن المراد ناديناه مقبلاً من جانب الطور المبارك وهو طور ما وراء طور العقل، وفي الاخبار ما ينادي على خلافه ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً﴾ تقريب تشريف مثل حاله عليه السلام بحال من قربه الملك لمناجاته واصطفاه لمصاحبته ورفع الوسائط بينه وبينه، و﴿نَجِيّاً﴾ فعيل بمعنى مفاعل كجليس بمعنى مجالس ونديم بمعنى منادم من المناجاة المسارة بالكلام ونصبه على الحالية من أحد ضميري موسى ﷺ في ناديناه وقربناه أي ناديناه أو قربناه حال كونه مناجيًا، وقال غير واحد، مرتفعًا على أنه من النجو وهو الارتفاع. انظر [تفسير الألوسي (12/11)].

وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ﴿وَمِمَّنْ﴾ أي: كان هؤلاء من جملة من ﴿هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ اخترنا للاصطفاء ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ جمع باك؛ أي: فكونوا مثلهم.

﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ
غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا
﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ
فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ
عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا
بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ
وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ
حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ ﴾ [مريم: ٥٩ - ٦٧].

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [مريم: 59] قوم سوء، وهم كل من أضاع الدين ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ المفروضة بأن أخّروها عن وقتها عمدًا ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ المعاصي ومنها شرب الخمر، ومنهم قوم سيظهرون في آخر الزمان ينزو بعضهم على بعض في الأسواق ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ وادٍ في جهم بعد قعرة، وخبث طعمه، تستقذر منه أودية جهنم يسيل قيحًا ودمًا للزناة وشربة الخمر، وآكلة الربا، وشهود الزور، والعاقين لوالديهم.

﴿إِلَّا مَنْ﴾ [مريم: 60] بمعنى: لكن ﴿تَابَ﴾ من هؤلاء ﴿وَآمَنَ﴾ استمر على إيمانه ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ بالبعض ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ ينقصون ﴿شَيْئًا﴾ من ثوابهم.

﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ [مريم: 61] إقامة ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ فلم يروها ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ﴾ موعودة ﴿مَأْتِيًّا﴾ آتيا، أو المراد: الجنة.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ [مريم: 62] من الكلام وهو الباطل والفحش والفضول

﴿إِلَّا﴾ لكن يسمعون ﴿سَلَامًا﴾ ما هو أمر جامع للخير؛ لأنه يتضمن السلامة من كل شر وهو تسليم بعضهم على بعض، أو الملائكة عليهم إمَّا منهم، أو من الله سبحانه كما سبق ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أي: على مقدارهما في الدنيا، قيل: ويعرفون وقت النهار برفع الحجب، ووقت الليل بإرخائها، وليس فيها ليل ولا نهار، بل هي نور وضوء أبدًا.

﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ﴾ [مريم: 63] نعطي وننزل، وكان للكفار لو آمنوا منازل في الجنة ورثها المؤمنون، وقرأ رويس «نورث» بفتح الواو وتشديد الراء، والباقون بالإسكان والتخفيف ﴿مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: 64] نزلت؛ لأن النبي ﷺ قال: «**يا جبريل مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورَنَا؟**»[1] ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ ما مضى من الدنيا ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ ما يكون من هذا الوقف إلى الساعة فله جميع ذلك، أو المراد غير ذلك مما في الأصل ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ناسيًا لك؛ أي: تاركًا لك بتأخير الوحي عنك.

﴿رَبُّ﴾ [مريم: 65] مالك ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ أي: اصبر على ما أمرك ونهاك ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾؟ أي: مثلاً، أو أحدًا سُمِّي الله سواه.

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾ [مريم: 66] أي: المنكر البعث وهو أُبي بن خلف، أو الوليد بن المغيرة ﴿أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ﴾ من القبر كما يقول محمد ﴿حَيًّا﴾ قاله استهزاءً وتكذيبًا للبعث، فقال الله تعالى ردًا عليه: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ﴾ يتذكر ويتفكر، قرأ نافع وابن عامر وعاصم «يذكر» بإسكان الذال وضم الكاف مخففة، والباقون بتشديدهما وفتح الكاف.

﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: 67] فالعود يستدل عليه بالبداءة.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ

(1) رواه البخاري (416/15)، والترمذي (438/11).

هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ
نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ﴿٧٣﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم
مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ﴿٧٤﴾ قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ
حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا
وَأَضۡعَفُ جُندٗا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ
عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ ﴾ [مريم: ٦٨ - ٧٦].

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ [مريم: 68] أي: المكذبين للبعث ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ فيجمع كل منهم في سلسلة مع شيطانه ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ أي: من خارجها، وقيل: فيها ﴿جِثِيًّا﴾ جمع جاث؛ أي: على الركب.

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ [مريم: 69] فرقة منهم ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ جرأة.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى﴾ [مريم: 70] أحق ﴿بِهَا صِلِيًّا﴾[1] دخولاً واحتراقًا فنبدأ بهم.

﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿مِنْكُمْ﴾ [مريم: 71] أحد ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ أي: يولج في جهنم، والمراد: الدخول ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا﴾ واجب الوقوع ﴿مَقْضِيًّا﴾ عليكم لا بدّ منه، فيدخل الخلق كلهم المؤمن والفاجر.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [مريم: 72] الشرك والكفر ﴿وَنَذَرُ﴾ نترك ﴿الظَّالِمِينَ فِيهَا﴾ أي: في النار ﴿جِثِيًّا﴾ على الركب، وورد أن الحمى حظ المؤمن من النار، وإذا دخلها لم يجد الماء وتصير عليه بردًا وسلامًا حتى ورد عن خالد بن جعد أن أهل

(1) المراد بالذين هم أولى المنتزعون باعتبار الترتيب، وقد يراد بهم أولئك باعتبار المجموع فكأنه قيل: ثم لنحن أعلم بتصلية هؤلاء وهم أولى بالصلى من بين سائر الصالين ودركاتهم أسفل وعذابهم أشد، ففي الكلام إقامة المظهر مقام المضمر. انظر [تفسير الألوسي (38/12)].

الجنة يقولون: ألم يعدنا ربنا أن نرد النار؟ فيقال: بلى، وإنكم مررتم بها وهي خامدة، وورد أنها تقول: جُزْ يا مؤمن إن نورك أطفأ ناري.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [مريم: 73] على المؤمنين والكافرين ﴿آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ النضر بن الحارث، وذويه من قريش ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ الفقراء من الصحابة أصحاب النبي ﷺ وكانت ثيابهم رثة، ومعاشهم حسنة ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾ بضم الميم لابن كثير؛ أي: إقامة، والباقون بالفتح؛ أي: منزلاً وسكنًا ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ مجلسًا؛ أي: نحن أحسن فتكون خيرًا منكم.

فأشار تعالى إلى أن ذلك لا يعتد به بقوله: ﴿وَكَمْ﴾ [مريم: 74] هي للتكثير ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أمة من الأمم الماضية ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا﴾ متاعًا وأموالاً ولباسًا ﴿وَرِئْيًا﴾ منظرًا من الرؤية، وطرح ابن عامر ونافع وأبو جعفر همزة غير قالون وابن ذكوان وهو بمعنى الأول، أو بمعنى الري ضد العطش؛ بمعنى: أن أرتو النعمة، وحُسن أثرها يظهر عليهم.

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم: 75] هذا أمر بمعنى الخبر معناه: يدعه في طغيانه ويمهله في كفره ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ﴾ بالأسر والقتل في الدنيا ﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ فيدخلون النار ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ أي: إذا رأوا ذلك ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ منزلاً ﴿وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ ناصرًا أهم المؤمنون أم الكافرون؟ وهذا رد عليهم، وجند الكفار الشياطين، وجند المؤمنين الملائكة.

﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾ [مريم: 76] بالإيمان ﴿هُدًى﴾ بتجدد إيمانهم بما ينزله من الآيات ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ كل ذكر وعمل صالح سُميت بذلك؛ لبقاء ثوابها ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ عاقبة ومرجعًا بخلاف عمل الكافر، فإنه شر ثوابًا ومردًا.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ [مريم: ٧٧ - ٨٧].

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ [مريم: 77] هو العاص بن وائل كان لخباب عنده مال فجاء يتقاضاه فقال: لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقال له خباب: أما والله حتى تموت ثم تبعث إني مطالبك لذلك الوقت، أو لا أرجع عن الطلب في غير ذلك الوقت ولا فيه، قال: وإني لميت ومبعوث؟ قال خباب: نعم، قال: فإنه سيكون لي ثم ولد فأقضيك فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾ قرأ حمزة والكسائي «ولدًا» أربعة هنا وفي الزخرف: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ [الزخرف: 81]، بضم الواو وإسكان اللام النجل، والباقون بفتح الواو واللام في الخمسة، والأول يحتمل إنه جمع ولد كأسد وأُسد، ويجوز أن يكون واحدًا فيكون الأول والثاني كالنجل والنجل.

﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ [مريم: 78] أي: اعلم الغيب باطلاعه في اللوح المحفوظ، أو غيره حتى يعلم أفي الجنة هو أم في النار؟ ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ بلا إله إلا الله محمدًا رسول الله، أو المراد: عهدًا بأن يؤتي ما قاله.

﴿كَلَّا﴾ [مريم: 79] رد عليه؛ أي: لا يكون ذلك ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ أي: يحفظه لنجازيه عليه، أو نأمر الملائكة بكتابته ﴿وَنَمُدُّ﴾ نزيد ﴿لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ زيادة فهو عذاب فوق عذاب لكفره.

﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ [مريم: 80] من المال والولد فيموت ويتركه، وقيل المراد: نحفظ ما يقول فيجازيه عليه ﴿وَيَأْتِينَا﴾ يوم القيامة ﴿فَرْدًا﴾ بلا مال ولا أهل.

﴿وَاتَّخَذُوا﴾ [مريم: 81] أي: مشركي قريش ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ أي: غيره الأصنام ﴿آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ متعة أي: شفعاء في الآخرة حتى لا يعذبوا.

﴿كَلَّا﴾ [مريم: 82] أي: ليس الأمر كما زعموا ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ أي: الآلهة ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾ والآلهة في الآخرة تجحد عبادة الكفار لهم بقولهم: ﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا

يَعْبُدُونَ﴾ [القصص: 63]، ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ عونًا عليهم في العذاب وأعداء لهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا﴾ [مريم: 83] سلطنا ﴿الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ﴾ تزعجهم من الطاعة إلى المعصية ﴿أَزًّا﴾ إزعاجًا، والأز والهزء لتحريك.

﴿فَلَا تَعْجَلْ﴾ [مريم: 84] يا محمد ﷺ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بطلب العقوبة ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ في الليالي والأيام حتى الأنفاس إلى الأجل الذي أحل لعذابهم فندخلهم النار.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ [مريم: 85] الشرك بإيمانهم ﴿إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾[1] جمع وافد بمعنى: راكب على نوق رحالها الذهب، ونجائب سروجها يواقيت، إن هموا بها سارت، وإن هموا بها طارت.

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [مريم: 86] الكافرين ﴿إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ جمع: وارد، مشاة عطاشًا تقطعت أعناقهم من العطش.

﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ [مريم: 87] أي: أحد من الواردين، أو غيرهم ﴿الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ أي: لا إله إلا الله، وأن يتبرأ من الحول والقوة لله قاله ابن عباس - رضي الله عنهما - وهو معنى: لا حول ولا قوة إلا بالله، وقيل: غير ذلك مما في الأصل.

﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ
وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ

---

(1) الظرف منصوب بفعل مقدّر، أي اذكر يا محمد يوم الحشر، وقيل: منصوب بالفعل الذي بعده، ومعنى حشرهم إلى الرحمن: حشرهم إلى جنته ودار كرامته، كقوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ والوفد جمع وافد، كالركب جمع راكب، وصحب جمع صاحب، يقال: وفد يفد وفدًا إذا خرج إلى ملك أو أمر خطير كذا قال الجوهري. انظر [فتح القدير (4/480)].

ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾ ﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٨].

﴿وَقَالُوا﴾ [مريم: 88] هم اليهود، ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ قال تعالى لهم: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ [مريم: 89] عظيمًا منكرًا.

﴿تَكَادُ﴾ [مريم: 90] بالياء من أسفل هنا، وفي الشورى لنافع والكسائي والباقون بالتاء من فوق ﴿السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ هنا وفي الشورى بالياء من أسفل في أوله، ثم تاء من فوق مفتوحة وتشديد الطاء للمدنيين وابن كثير والكسائي وحفص، وافقهم ابن عامر وحمزة وخلف في الشورى، والباقون بالنون مكان الياء من فوق وكسر الطاء مخففة، يقول: انفطر وتفطر إذا تشقق ﴿مِنْهُ﴾ أي: من ذلك الشيء ﴿وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ﴾ تنخسف بهم ﴿وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ تنكسر وتقطع من طبقة عليهم.

﴿أَنْ﴾ [مريم: 91] أي: من أجل أن ﴿دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ﴾ [مريم: 92] أي: ما يليق به ﴿أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ إضافة الولد إليه بجعله كبعض خلقه من حيث إن الولد بعض أبيه يؤذيه ما يؤذيه، والله سبحانه وتعالى منزّه عن ذلك.

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: 93] ذليلاً خاضعًا كعزير وعيسى وغيرهما.

﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ﴾ [مريم: 94] الإحصاء هنا بمعنى: العلم كقوله: ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾ [الجن: 28]، ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ أي: علم أنفاسهم وأيامهم وآثارهم، فلا يخفى عليه منهم شيء.

﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: 95] وحيدًا ليس معه شيء من مال، ولا أهل، ولا ناصر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: 96] يتواصلون به فيما بينهم، ويحبهم الله تعالى ويحبونه، ويلقي محبتهم في قلوب عباده المؤمنين.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾ [مريم: 97] أي: القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ المؤمنين ﴿وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ شِدادًا في الخصومة بالظلم؛ أي: الباطل يقبلون الحق ويدعون غيره وهم كفار مكة.

﴿وَكَمْ﴾ [مريم: 98] أي: كثيرًا ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أمة من الأمم الماضية المكذبين للرسل ﴿هَلْ تُحِسُّ﴾ ترى، أو تجد ﴿مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ صوتًا خفيفًا؛ أي: بادوا جميعًا فلم يبق منهم عين ولا أثر؛ أي: فكما أهلكهم الله تعالى نهلك هؤلاء الكفار.

سورة طه ﷺ

مكيّة مائة آية واثنان، أو وأربع، أو وخمس وثلاثون، أو أربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ
﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾
لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ
بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾
وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا
لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾
إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ ﴾ [طه: ١ - ١٢].

﴿طه﴾[1] [طه: 1] قيل معناه: يا رجل، وقيل: يا إنسان.

---

(1) قوله: ﴿طه﴾ قرأ بإمالة الهاء وفتح الطاء أبو عمرو وابن أبي إسحاق، وأمالهما جميعًا أبو بكر وحمزة والكسائي والأعمش، وقرأهما أبو جعفر وشيبة ونافع بين اللفظين، واختار هذه القراءة أبو عبيد، وقرأ الباقون بالتفخيم، قال الثعلبي: وهي كلها لغات صحيحة فصيحة، وقال النحاس: لا وجه للإمالة عند أكثر أهل العربية لعلتين: **الأولى**: أنه ليس هاهنا ياء ولا كسرة حتى تكون الإمالة، **والعلة الثانية**: أن الطاء من موانع الإمالة، وقد اختلف أهل العلم في معنى هذه الكلمة على أقوال:
الأول: أنها من المتشابه الذي لا يفهم المراد به، **والثاني**: أنها بمعنى: يا رجل في لغة عكل، وفي لغة عكّ، قال الكلبي: لو قلت لرجل من عك: يا رجل لم يجب حتى تقول: طه، ويروى مزايلاً وقيل: إنها في لغة عكّ بمعنى: يا حبيبي، وقال قطرب: هي كذلك في لغة طيّئ أي بمعنى: يا رجل، وكذلك قال الحسن وعكرمة وقيل: هي كذلك في اللغة السريانية، حكاه المهدوي، وحكى ابن جرير أنها كذلك في اللغة النبطية، وبه قال السديّ وسعيد بن جبير، وحكى الثعلبي: عن عكرمة أنها كذلك في لغة الحبشة، ورواه عن عكرمة، ولا مانع من أن تكون هذه الكلمة =

﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه: 2] لتتعب تطول القيام في صلاة الليل فخفف عن نفسك؛ نزلت لأن الكفار لمَّا رأوه ﷺ كثير العبادة قالوا: ما أنزل عليه القرآن إلا لشقائه فكذبهم الله تعالى.

﴿إِلَّا﴾ [طه: 3] لكن ﴿تَذْكِرَةً﴾ عظة ﴿لِمَنْ يَخْشَى﴾ يخاف الله تعالى ﴿تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا﴾ [طه: 4] جمع: العلياء.

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5] استواء يليق به ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ [طه: 6] التراب الندي، والمراد: الأرضون السبع.

﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ﴾ [طه: 7] تعلن به في أي شي كان ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ ما تحدث به نفسك ﴿وَأَخْفَى﴾ ما يلقيه الله في خاطرك من غير سابقة تأمل، وقيل غير

=

موضوعة لذلك المعنى في تلك اللغات كلها إذا صح النقل، **القول الثالث**: أنها اسم من أسماء الله سبحانه، و**القول الرابع**: أنها اسم للنبي ﷺ، **القول الخامس**: أنها اسم للسورة، **القول السادس**: أنها حروف مقطعة يدل كل واحد منها على معنى، ثم اختلفوا في هذه المعاني التي تدل عليها هذه الحروف على أقوال كلها متكلفة متعسفة، **القول السابع**: أن معناها: طوبى لمن اهتدى، **القول الثامن**: أن معناها: طأ الأرض يا محمد، قال ابن الأنباري: وذلك أن النبيّ ﷺ كان يتحمل مشقة الصلاة حتى كادت قدماه تتورم ويحتاج إلى التروّح، فقيل له: طأ الأرض، أي لا تتعب حتى تحتاج إلى التروّح، وحكى القاضي عياض في «الشفا» عن الربيع بن أنس قال: كان النبيّ ﷺ إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى، فأنزل الله: ﴿طه﴾ يعني: طأ الأرض يا محمد، وحكي عن الحسن البصري أنه قرأ: « طه » على وزن دع، أمر بالوطء، والأصل: طأ، فقلبت الهمزة هاء، وقد حكى الواحدي عن أكثر المفسرين أن هذه الكلمة معناها: يا رجل، يريد النبي ﷺ قال: وهو قول الحسن وعكرمة وسعيد بن جبير والضحّاك، وقتادة ومجاهد وابن عباس في رواية عطاء والكلبي غير أن بعضهم يقول: هي بلسان الحبشة والنبطية والسريانية، ويقول الكلبي: هي بلغة عك، قال ابن الأنباري: ولغة قريش وافقت تلك اللغة في هذا المعنى؛ لأن الله سبحانه لم يخاطب نبيه بلسان غير قريش، وإذا تقرّر أنها لهذا المعنى في لغة من لغات العرب كانت ظاهرة المعنى واضحة الدلالة خارجة عن فواتح السور التي قدّمنا بيان كونها من المتشابه في فاتحة سورة البقرة، وهكذا إذا كانت لهذا المعنى في لغة من لغات العجم واستعملتها العرب في كلامها في ذلك المعنى كسائر الكلمات العجمية التي استعملتها العرب الموجودة في الكتاب العزيز، فإنها صارت بذلك الاستعمال من لغة العرب. امظر [فتح القدير (486/4)].

ذلك مما ذكر في الأصل؛ أي: فلا تجهر نفسك بالجهر.

﴿**اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى * وَهَلْ**﴾ [طه: 8 - 9] بمعنى: قد ﴿**أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى**﴾.

﴿**إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ**﴾ [طه: 10] امرأته ﴿**امْكُثُوا**﴾ في محلكم وكان ذلك في رجوعه من مدين طالبًا مصر ﴿**إِنِّي آنَسْتُ**﴾ أبصرت ﴿**نَارًا لَعَلِّي**﴾ قاله لعدم الجزم بوفاء العهد ﴿**آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ**﴾ شعلة نار ﴿**أَوْ أَجِدُ عَلَى**﴾ بمعنى: عند ﴿**النَّارِ هُدًى**﴾ من يدلني على الطريق وكان أخطأها؛ لظلمة الليل، وأخذ امرأته الطلق فقدح الزند فلم يورَ نارًا.

﴿**فَلَمَّا أَتَاهَا**﴾ [طه: 11] أي: الشجرة، وهل الشجرة العناب، أو العليق، أو العوسج؟ أقوال: **أشهرها:** الثالث، وكانت في خضرتها نارًا بيضاء مطيفة بها، وقد كانت نورًا توهمه موسى نارًا، أو كانت نارًا لكنها غير ضارة قولان: **أشهرها:** الأول، فلمَّا جاءها نأت فدنى فسمع التسبيح من الملائكة فتحير، ثم ﴿**نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ**﴾ [طه: 11 - 12] قرأ بفتح الهمزة من «أني» أبو عمرو وابن كثير وأبو جعفر، والباقون بالكسر ﴿**فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ**﴾[1] أمر به ليباشر تراب الأرض المقدسة بقدميه وكانا من جلد حمار ميت، ويروى غير مدبوغ ﴿**إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ**﴾ المطهر المبارك ﴿**طُوًى**﴾ نوَّنه ابن عامر والكوفيون هنا، وفي النازعات والباقون بلا تنوين، قالوا: وهو واد مستدير عميق كالطوى في استدارته.

---

(1) هذه الآية خاصة بطلبه ﷺ شرح الصدر ليقف على دقائق المعرفة وأسرار الوحي ويقوم بمراسم الخدمة والعبادة على أتم وجه ولا يضجر من شدائد التبليغ. وقيل: إنه ﷺ لما نصب لذلك المنصب العظيم وخُوطب بما خُوطب في ذلك المقام احتاج إلى تكاليف شاقة من تلقي الوحي والمواظبة على خدمة الخالق سبحانه وتعالى وإصلاح العالم السفلي، فكأنه كُلف بتدبير العالمين والالتفات إلى أحدهما يمنع من الاشتغال بالآخر، فسأل شرح الصدر حتى يفيض عليه من القوة ما يكون وافيًا بضبط تدبير العالمين، وقد يقال: إن الأمر بالذهاب إلى فرعون قد انطوى فيه الإشارة إلى منصب الرسالة المستتبع تكاليف لائقة به منها ما هو راجع إلى الحق؛ ومنها ما هو منوط بالخلق، وقد استشعر موسى عليه السلام كل ذلك فبسط كف الضراعة لطلب ما يعينه على أداء ذلك على أكمل وجه فلا يتوقف تعميم شرح الصدر على تعلقه بأول الكلام كما لا يخفى. انظر [تفسير الألوسي (12/137)].

﴿ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي
وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ
بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا
تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ
غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ
تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ
إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾
ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾
وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي
﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا
﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ ﴾ [طه: ١٣ - ٣٥].

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ [طه: 13] بلا تشديد «أنا» و«اخترتك» لكلهم إلا حمزة فقرأ و«أنا اخترناك» بتشديد النون، ولفظ الجمع ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾.

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّه لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: 14] لتذكرني فيها ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: 15] من نفسي مبالغة في إخفائها، ﴿إِنَّ اللَّه لاَ يَخْفَى عَلَيهِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: 5] قاله ابن مسعود وأُبي بن كعب، وهو كذلك في مصحفهما، أو أكاد صلة، والمراد: أخفيها عن الناس، أو أكاد بمعنى: أريد ﴿لِتُجْزَى﴾ بها ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ تعمل من خير أو شر.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾ [طه: 16] يصرفنك ﴿عَنْهَا﴾ عن الإيمان بها ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ مراده في مخالفة أمر الله ﴿فَتَرْدَى﴾ تهلك أن أطعته.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾؟ [طه: 17] سؤال تقرير كقول العرب لمن يعرف شخصًا أتعرفه؟ فيقول: نعم، ليجمع بين الإقرار باللسان والاعتراف بالقلب.

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ﴾ [طه: 18] أعتمد ﴿عَلَيْهَا﴾ بالمشي والوثبة والتعب ﴿وَأَهُشُّ﴾ وهو خبط ورق الشجر اليابس ﴿بِهَا﴾ ليسقط ﴿عَلَى غَنَمِي﴾ فيأكله ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ﴾ جمع: مأربه بفتح الراء؛ أي: حاجات ﴿أُخْرَى﴾ كحمل الزاد بها في السفر ودفع العدو بها.

﴿قَالَ﴾ [طه: 19] الله تعالى: ﴿أَلْقِهَا﴾ اطرحها على الأرض ﴿يَا مُوسَى﴾.

﴿فَأَلْقَاهَا﴾ [طه: 20] فورًا ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ على الفور ﴿حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ صفراء أشد ما يكون من الحيّات تمشي على بطنها وفي بعض جان؛ أي: باعتبار السرعة، وفي بعض ثعبان وهو أكبر الحيَّات، والحية تشمله، وقيل: هي في الأولى: جان، وفي الثانية: حيَّة، وفي الثالثة: ثعبان؛ أي: فتقلب لهذه الأحوال في أسرع وقت.

﴿قَالَ﴾ [طه: 21] الله تعالى: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ منها ولا من غيرها ﴿سَنُعِيدُهَا﴾ أي: العصاة التي صارت حيَّة ﴿سِيرَتَهَا﴾ حالتها ﴿الْأُولَى﴾ فلف يده على كمه، ثم أراد إدخالها في فيها، فقال له الملك: أرأيت لو قضى شيء أكنت تدفعه؟ فقال: لا ولكني ضعيف، ثم كشف عن يده ووضعها في فم الحية، فإذا هي عصا كما كانت وأراد الله تعالى ألَّا يخاف منها إذا ظهرت كذلك عند فرعون.

﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ﴾ [طه: 22] الكف اليمنى ﴿إِلَى جَنَاحِكَ﴾ جنبك الأيسر تحت العضد إلى أصل الإبط وأخرجها ﴿تَخْرُجْ﴾ خلاف ما كانت عليه ﴿بَيْضَاءَ﴾ نيرة مشرقة ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ عيب، وأراد به هنا: البرص وكان ليده - عليه الصلاة والسلام - نور ساطع كالشمس ليلاً ونهارًا ﴿آيَةً أُخْرَى﴾ دلالة ثانية على صدقك غير العصا.

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا﴾ [طه: 23] الآية ﴿الْكُبْرَى﴾ إذا فعلت ذلك مع فرعون، وإذا أراد إلى حالتها الأولى ضمها كما مرّ إلى جناحه.

﴿اذْهَبْ﴾ [طه: 24] يا موسى رسولاً ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ أي: وقومه ذكر وحده؛ لأنهم أتباعه ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ جاوز الحد وتمرد بإدعاء الربوبية.

﴿قَالَ﴾ [طه: 25] موسى ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ وسِّعه للخلق قاله؛ لأن فرعون وجنوده كانت شوكتهم قوية.

﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ [طه: 26] سهّل ما أمرتني من تبليغ الرسالة ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ [طه: 27] التي حصلت فيه لمَّا وضع فرعون له تمرة وجمرة بسبب ضرب

موسى وهو صغير رأس فرعون وقبضه على لحيته وأراد فرعون أن يميز أمره ليعلم هل هو مميز أم لا؟ وكان ذلك بأمر آسية لمَّا همَّ بقتله وأراد أخذ التمرة، فسارع جبريل ﷺ ووضع يده على الجمرة فوضعها فاحترق لسانه وصارت عقدة.

﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾(1) [طه: 28] كلامي ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا﴾ [طه: 29] معينًا وظهيرًا ﴿مِنْ أَهْلِي﴾.

﴿هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ﴾ [طه: 30 - 31] بقطع الهمزة مفتوحة لابن عامر وابن وردان بخلاف عنه ﴿بِهِ أَزْرِي﴾ ظهري ﴿وَأَشْرِكْهُ﴾ [طه: 32] بضم همزته على كونه من كلام موسى ﴿فِي أَمْرِي﴾ وهى النبوة والرسالة إلى فرعون وقومه، والباقون بوصل همزة «اشدد» وابتدائها بالضم على كونه دعاء لله تعالى من موسى، وفتح همزة «أشركه» وجزمها.

﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ﴾ [طه: 33] نصلي لك ﴿كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ﴾ [طه: 33 - 34] بالحمد والثناء عليك ﴿كَثِيرًا﴾ لمَّا أوليتنا من النعم ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: 35] خبيرًا عليمًا.

﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ
أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ
بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾
إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ
عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ

---

(1) قال الألوسي في تفسيره (188/12): كأنه ﷺ طلب قدرة التعبير عن الحقائق الإلهية بعبارة واضحة، فإن المطلب وعر لا يكاد توجد له عبارة تسهله حتى يأمن سامعه عن العثار، وقيل: إنه ﷺ سأل حل عقدة الحياء فإنه استحيا أن يخاطب عدو الله تعالى بلسان به خاطب الحق جل وعلا، ولعله أراد من القول المضاف القول الذي به إرشاد للعباد فإن همة العارفين لا تطلب النطق والمكالمة مع الناس فيما لا يحصل به إرشاد لهم نعم النطق من حيث هو فضيلة عظيمة وموهبة جسيمة، ولهذا قال سبحانه: ﴿الرحمن * عَلَّمَ القرءان * خَلَقَ الإنسان * عَلَّمَهُ البيان﴾ [الرحمن: 1 - 4].

مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٣٦ - ٤٦].

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾ [طه: 36] أعطيت جميع ما سألته ﴿يَا مُوسَى﴾ في أمرك وأمر أخيك هارون ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا﴾ [طه: 37] أنعمنا ﴿عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾.

﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ﴾ [طه: 38] لمَّا ولدتك وخافت قتل فرعون لك من جملة من يقتل ﴿مَا يُوحَى﴾ وحي إلهام أو منام ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ﴾ [طه: 39] ألقيه ﴿فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ﴾ بالتابوت ﴿فِي الْيَمِّ﴾ نهر النيل ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ الشاطئ لفظه أمر، والمراد به: الخبر؛ أي: حتى يلقيه بالساحل ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾ وهو فرعون، فاتخذت تابوتًا وجعلت فيه قطنًا محلوجًا؛ أي: مندوفًا، ثم وضعت فيه موسى وزفتت رأسه وشقوقه، ثم ألقته في النيل، فاحتمله إلى محل منه يدخل إلى دار فرعون، فدخل بحضرته وزوجته آسية فأمر بإحضاره الجواري وفتحوا رأسه فرأوا موسى فأحبَّه حُبًّا شديدًا لم يتمالك معه فهو قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ [طه: 39] فأحبَّه الله وحببه إلى خلقه، وما رآه أحد إلا أحبه ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ تُربى بإسكان اللام وجزم العين لأبي جعفر، والباقون بكسر اللام وفتح العين ﴿عَلَى عَيْنِي﴾[1] بمرأى مني خصصه به

(1) قال أبو حيان: الآية في حق موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، إذ كان طفلاً. قالوا: وفي الآية ضروب من البيان والبديع، منها: تلوين الخطاب، ومعدوله في: (والوالدات يرضعن) فإنه خبر معناه الأمر على قول الأكثر، والتأكيد: بكاملين، والعدل عن رزق الأولاد إلى رزق أمهاتهنّ، لأنهنّ سبب توصل ذلك. والإيجاز في: (وعلى الوارث مثل ذلك) وتلوين الخطاب: في (وإن أردتم أن تسترضعوا) فإنه خطاب للآباء والأمهات ثم قال: (إذا سلمتم) (وهو خطاب للآباء خاصة، والحذف في: (أن تسترضعوا) التقدير: مراضع للأولاد، وفي قوله: (إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف انتهى.
وقد تضمنت هذه الآيات الكريمة أمر الله تعالى الأزواج إذا طلقوا نساءهم فيقاربوا انقضاء العدّة بإمساكهنّ، وهو مراجعتهنّ بمعروف، أو بتخلية سبيلهنّ بانقضاء العدَّة، ثم أكد الأمر بالإمساك بمعروف، بأن نص على النهي عن إمساكهن ضراراً بهنّ، وجاء النهي على حسب ما كان يقع

وإن كان الخلق بمرأى منه لأجل أن له من مزيد العناية ما ليس لغيره؛ أي: تربى على ذلك.

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ [طه: 40] مريم متعرفة الخبر حتى دخلت ببيت فرعون ﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾؟ أي: امرأة ترضعه وتضمه إليها، وكان لا يقبل ثدي أحد، فلمَّا قالت لهم أخته ذلك قالوا: نعم، فلمَّا جاءت أمه قبل ثديها فذلك قوله تعالى: ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائك ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ أي: يذهب عنها الحزن.

﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ [طه: 41] وهو القبطي بمصر وعمرك اثنا عشر سنة ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ غم القتل وكربه ﴿وَفَتَنَّاكَ﴾ اختبرناك ﴿فُتُونًا﴾ اختيارًا ﴿فَلَبِثْتَ﴾ مكثت بعد خروجك من مصر ﴿سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر هرب إليها موسى لبث ثمَّ عشر سنين يرعى غنم شعيب بسبب الزواج، أو لبث ثمان وعشرين سنة منها مهر امرأته صافور ابنة شعيب عشر سنين، والباقي حتى ولد له ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ﴾ تقدير قدره الله تعالى، وكان على رأس أربعين سنة، وهو القدر الذي يوحى فيه إلى الأنبياء، أو على موعد وعدك الله به ﴿يَا مُوسَى * وَاصْطَنَعْتُكَ﴾ اخترتك واصطفيتك ﴿لِنَفْسِي﴾ بوحيي ورسالتي والتصرف على إرادتي ومحبتي.

﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي﴾ [طه: 42] إلى الناس فرعون وقومه ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ لا تضعفا ولا يفترا وتقصرا ﴿فِي ذِكْرِي﴾.

﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ [طه: 43 - 44] أي: دارياه وارفقا به ولا تعنفاه في القول قاله ابن عباس - رضي الله عنهما - وسهيل هو بالكنية؛ أي: أبا الوليد، أو هل لك إلى أن تزكى، أو يوعده بملك وشباب دائمين مع سائر لذات

=

منهم في الجاهلية من الرجعة، ثم الطلاق، ثم الرجعة، ثم الطلاق على سبيل المضارة للنساء، فنهوا عن هذه الفعلة القبيحة تعظيمًا لهذا الفعل السيء الذي هو أعظم إيذاء النساء، ثم ذكر تعالى أن من ارتكب ما نهى الله عنه من ذلك فقد ظلم نفسه، أي: إن إمساك النساء على سبيل المضارة، وتطويل عدّتهنّ، إنما وبال ذلك في الحقيقة على نفسه، حيث ارتكب ما نهى الله عنه، ثم نهى تعالى عن اتخاذ آيات الله هزؤاً، لأنه تعالى قد أنزل آيات في النكاح، والحيض، والإيلاء، والطلاق، والعدّة، والرجعة، والخلع، وترك المضارة. [تفسير البحر المحيط (432/2)].

الشباب إلى الموت، ثم الجنة بعد ذلك ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ أو كونا على رجاء منكما لذلك، أو المراد: يتذكر متذكر والترجي بالنسبة إليهما لعلمه تعالى بأنه لا يرجع.

﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ﴾ [طه: 45] يعجل بالقتل والعقوبة ﴿عَلَيْنَا﴾ يقال: فرط فلان إذا عجل بمكروه ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ يتجاوز الحد في الإساءة إلينا.

﴿قَالَ لَا تَخَافَا﴾ [طه: 46] منه ولا من غيره ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾ بقوتي وحفظي ﴿أَسْمَعُ﴾ دعاءكما وقوله: ﴿وَأَرَى﴾ ما يفعل بكما.

﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْۖ قَدْ
جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ
ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ
أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا
عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا
وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾
كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا
نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾
قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ
فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ
مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ ﴾ [طه: ٤٧ - ٥٩].

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه: 47] إليك ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي: خل عنهم ما كلفتهم به من العمل وأطلقهم معنا إلى الشام، وكان يشق عليهم في تكليفهم أعمالاً شاقة ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ﴾ علامة دالة على صدقنا ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ قال: ما هي؟ فأراه موسى اليد، ثم قال له: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ أي: يسلم من العذاب من أسلم، وليس المراد منه التحية.

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ﴾ [طه: 48] الذي حيينا به

﴿وَتَوَلَّى﴾ أعرض عنه فأتيا وقالا جميع ما ذكر.

﴿قَالَ﴾ [طه: 49] فرعون: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ خصّ موسى؛ لأنه الأصل وهارون تبع له ولا دلالة عليه بالتربية ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [طه: 50] صلاحه من مطعم ومشرب وصورته الخاصة به ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ أُلهم كلامًا جعله له حتى وطئ الذكر من كل شيء الأنثى.

﴿قَالَ﴾ [طه: 51] فرعون: ﴿فَمَا بَالُ﴾ حال ﴿الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ من الأمم الخالية كقوم نوح فيما دعيتموني إليه؛ إذ كانت كافرة به.

﴿قَالَ﴾ [طه: 52] موسى: ﴿عِلْمُهَا﴾ علم حالهم محفوظ ﴿عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾ لا يخطئ ولا يغيب عنه شيء ﴿وَلَا يَنْسَى﴾ أمرهم الذي كان منهم فيجازيهم به.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [طه: 53] بالألف قبل الدال؛ أي: فراشًا، والمهاد: ما يفرش كالبساط اسم لمَّا ينبسط هكذا لكل القراء، وقرأ الكوفيون «مهدًا» بفتح الميم وإسكان الهاء ﴿وَسَلَكَ﴾ أدخل ﴿لَكُمْ﴾ لأجلكم ﴿فِيهَا﴾ في الأرض ﴿سُبُلًا﴾ طرقًا للوصول إلى المعايش لسلوكها ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ هو المطر، قال تعالى تتميمًا لما وصفه به موسى وخطابًا لأهل مكة: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ أي: بذلك الماء ﴿أَزْوَاجًا﴾ أصنافًا ﴿مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ مختلف اللون والطعم والمنفعة، شيء للناس، وشيء للدواب، وشتى جمع شتيت من شتى الأمر: تفرق.

﴿كُلُوا﴾ [طه: 54] أنتم ﴿وَارْعَوْا﴾ أسيموا ﴿أَنْعَامَكُمْ﴾ اتركوها ترعى، والأمر للإباحة، والأنعام: الإبل والبقر والغنم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الذي ذكرناه من الآيات ﴿لَآيَاتٍ﴾ عبر ﴿لِأُولِي﴾ لذوي ﴿النُّهَى﴾ العقل جمع: نُهْية على وزن: غرفة، سُميت بها؛ لأنها تنهى صاحبها عن ارتكاب القبائح، أو هم ذووا الورع والانتهاء عن الحرام.

﴿مِنْهَا﴾ [طه: 55] أي: الأرض ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ أراد آدم، وقال عطاء الخراساني: إن الملك يأخذ ترابًا من محل الدفن فيذره على النطفة فيخلق الإنسان منها ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ عند الموت بالدفن ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَى﴾ عند البعث.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ﴾ [طه: 56] الضمير لفرعون ﴿آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾ هي الآيات التسع ﴿فَكَذَّبَ﴾ بها وزعم سحر ﴿وَأَبَى﴾ أن يسلم.

﴿قَالَ﴾ [طه: 57] فرعون: ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ أرض مصر ﴿بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾ أي: تريد الغلبة على بلادنا فيصير الملك لك ونخرج.

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ﴾ [طه: 58] اضرب ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ أجلاً مؤقتًا ﴿لَا نُخْلِفُهُ﴾ بجزم الفاء لأبي جعفر، والباقون بالرفع ﴿نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ بضم السين لابن عامر ويعقوب وعاصم وحمزة وخلف، والباقون بكسرها[1] والمعنى: مكانًا من جانبك وجانبنا وسطًا بين الطريقين.

(1) قال الألوسي (12/194): الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام واقعة في جواب قسم محذوف كأنه قيل: إذا كان كذلك فوالله لنأتينك بسحر مثل سحرك (فاجعل بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً) أي وعدًا على أنه مصدر ميمي وليس باسم زمان ولا مكان لأن الظاهر أن قوله تعالى: (لاَّ نُخْلِفُهُ) صفة له والضمير المنصوب عائد إليه. ومتى كان زماناً أو مكاناً لزم تعلق الاخلاف بالزمان أو المكان وهو إنما يتعلق بالوعد يقال: أخلف وعده لا زمان وعده ولا مكانه أي لا نخلف ذلك الوعد (نَحْنُ وَلا أَنتَ) وإنما فوض اللعين أمر الوعد إلى موسى عليه السلام للاحتراز عن نسبته إلى ضعف القلب وضيق الحال وإظهار الجلادة وإراءة أنه متمكن من تهيئة أسباب المعارضة وترتيب آلات المغالبة طال الأمد أم قصر كما أن تقديم ضميره على ضمير موسى عليه السلام، وتوسيط كلمة النفي بينهما للإيذان بمسارعته إلى عدم الإخلاف وإن عدم إخلافه لا يوجب عدم إخلافه عليه السلام ولذلك أكد النفي بتكرير حرفه. وقرأ أبو جعفر. وشيبة (لاَّ نُخْلِفْهُ) بالجزم على أنه جواب للأمر أي إن جعلت ذلك لا نخلفه (مَكَاناً سُوًى) أي منصفاً بيننا وبينك كما روي عن مجاهد. وقتادة أي محلاً واقعاً على نصف المسافة بيننا سواء بسواء، وهذا معنى قول أبي علي قربه. منكم كقربه منا. أو محل نصف أي عدل كما روي عن السدي لأن المكان إذا لم يترجح قربه من جانب على آخر كان معدلاً بين الجانبين. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد أنه قال: أي مكاناً مستوياً من الأرض لا وعر فيه ولا جبل ولا أكمة ولا مطمئن بحيث يستر الحاضرين فيه بعضهم عن بعض ومراده مكاناً يتبين الواقفون فيه ولا يكون فيه ما يستر أحداً منهم ليرى كل ما يصدر منك ومن السحرة. وفيه من إظهار الجلادة وقوة الوثوق بالغلبة ما فيه، وهذا المعنى عندي حسن جداً وإليه ذهب جماعة، وقيل: المعنى مكاناً تستوي حالنا فيه وتكون المنازل فيه واحدة لا تعتبر فيه رياسة ولا تؤدي سياسة بل يتحد هناك الرئيس والمرؤوس والسائس والمسوس ولا يخلو عن حسن، وربما يرجع إلى معنى منصفاً أي محل نصف وعدل. وقيل: (سُوًى) بمعنى غير والمراد مكاناً غير هذا المكان وليس بشيء لأن سوى بهذا المعنى لا تستعمل إلا مضافة لفظاً ولا تقطع عن الإضافة، وانتصاب (مَكَاناً) على أنه مفعول به لفعل مقدر يدل عليه (مَّوْعِدًا) أي عد مكاناً لا لموعداً لأنه كما قال ابن الحاجب: مصدر قد وصف والمنصوب بالمصدر من تتمته ولا يوصف الشيء إلا بعد تمامه فكان كوصف الموصول قبل تمام صلته وهو غير سائغ.

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ﴾ [طه: 59] أي: وقت موعدكم ﴿الزِّينَةِ﴾ يوم عيد لهم كانوا يتزينون للاجتماع له ويجتمعون فيه في السنة مرة، أو هو يوم النيروز، أو عاشوراء، **أقـــوال: آخـــرها:** لابن عباس ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ وقت الضحوة في النهار؛ ليكون أبعد من الزينة.

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا
تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟
أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم
مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ
وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ
أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾
فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى
يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ [طه:
٦٠ - ٦٩].

﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ﴾ [طه: 60] أي: أعرض عن كلام موسى ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ ما يكيد به موسى من المكر وذوي المكر وهم السحرة ﴿ثُمَّ أَتَى﴾ الموعد في ذلك اليوم.

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾ [طه: 61] أي: السحرة الذين جمعهم فرعون، وهل كانوا أربعمائة، أو اثنا عشر ألفًا، أو اثنين وسبعين مع كل واحد حبل وعصى؟ **أقوال: أقربها:** الأول ﴿وَيْلَكُمْ﴾ هو دعاء بمعنى: ألزمكم الله الويل ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّه كَذِبًا﴾ بإشراك أو غيره ﴿فَيُسْحِتَكُمْ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص ورويس بضم الياء وكسر الحاء، والباقون بفتحها؛ أي: يهلككم على جهة الاستئصال ﴿بِعَذَابٍ﴾ من عنده ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ كذب على الله.

﴿فَتَنَازَعُوا﴾ [طه: 62] تناظروا ﴿أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ الكلام بينهم في أمر موسى وهارون، وقالوا: إن كان ما جاء به سحر فنقلبه، وإن كان من عند الله فسيكون له أمرًا، وقالوا: ما هذا كلام ساحر لما قال لهم: ﴿وَيْلَكُمْ لاَ

تَفْتَرُوا....﴾ [طه: 61] إلى آخره.

﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ [طه: 63] قرأ ابن كثير وحفص «قالوا إن» بتخفيف النون، والباقون بتشديدها، وقرأ أبو عمرو «وهذين» بالياء، والباقون بالألف، وابن كثير على أصله في التشديد ﴿يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ أرض مصر ﴿بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ أي: بسراة قومكم وأشرافهم، يقال: فلان طريقه قومه؛ أي: أشرفهم، والمثلى: تأنيث الأمثل وهو: الأفضل، وأرادوا ببني إسرائيل؛ لأنهم أكثر القوم إذ ذاك عددًا وأموالاً، أو المراد: سُنتكم ودينكم.

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ [طه: 64] قرأ أبو عمرو بوصل الهمزة وفتح الميم من الجمع؛ أي: لا تدعوا شيئًا زائدًا إلا جئتم به، والباقون بالقطع وكسر الميم، ومعناه: العزم والإحكام؛ أي: اعزموا كلكم بلا اختلاف خشية من انحلال الأمر ﴿ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾ جميعًا؛ لأنه أشد للهيبة ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ غلب فكان الفائز المستعلي موسى.

﴿قَالُوا﴾ [طه: 65] أي: السحرة ﴿يَا مُوسَى﴾ اختر ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ﴾ عصاك أولاً ﴿وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ عصيه.

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ [طه: 66] أنتم أولاً ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾ هو جمع: عصي ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ﴾ روى ابن ذكوان وروح بالتاء في أوله، والباقون بالياء من أسفل ﴿أَنَّهَا﴾ حيَّات ﴿تَسْعَى﴾ تمشي على بطنها.

﴿فَأَوْجَسَ﴾ [طه: 67] وجد أو أحس ولا يضر ذلك مع علمه أنه سحر وإنه هو على الحق؛ لأنه من طباع البشر، أو خاف أن يفتتن الناس به فيظنوا أن فعله من جنسه ﴿فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾.

﴿قُلْنَا﴾ [طه: 68] يا موسى: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ الغالب عليهم ﴿وَأَلْقِ﴾ [طه: 69] اطرح ﴿مَا فِي يَمِينِكَ﴾ هي العصا ﴿تَلْقَفْ﴾ تبتلع برفع الفاء في رواية ابن ذكوان وحفص مخففة القاف، والبزي يشدد التاء على أصلهما، والباقون بالجزم ﴿مَا صَنَعُوا﴾ أي: الذي صنعوه ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ﴾ حيلة ﴿سَاحِرٍ﴾ بألف بعد السين المفتوحة للقراء إلا حمزة والكسائي وخلف فقرءوا «سحر» بكسر السين وإسكان الحاء بلا ألف ﴿وَلَا يُفْلِحُ﴾ لا يسعد ﴿السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ من الأرض.

﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ
ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ
وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ
عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ
وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن
يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ
بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ
فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ
وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى
وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ ﴾ [طه: ٧٠ - ٨١].

فألقى موسى عصاه فتلقفت ما صنعوه ﴿فَأُلْقِيَ﴾ [طه: 70] ﴿السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ خرّوا ساجدين لله تعالى ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾.

﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ﴾ [طه: 71] رئيسكم ومعلمكم ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ أي: اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ أي: عليها ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ أدوم، هل هو أنا على إيمانكم به، أو ربّ موسى على ترك الإيمان به؟

﴿قَالُوا﴾ [طه: 72] أي: السحرة ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾ نختارك ﴿عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ الدلالات من اليد والعصا وفقد حبالهم وعصيهم؛ إذ لو كان فعل موسى سحر لوجدت ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ خلقنا قسم، أو تقدير، ولن نؤثرك على من فطرنا

﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾[1] أي: قاضيه وهو ما ذكرته، أو المراد: اصنع ما أنت صانع ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَـٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فأمرك وسلطانك فيها وهو زائل عن قريب ونُجزى عليه في الآخرة.

﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ [طه: 73] في تعلمه وعلمه لمعارضة موسى ونسبة الإكراه إليه مع مجيئهم باختيارهم؛ لأنه هو الذي استخصهم ولولا دعاءه ما أتوا، أو رأوا عصا موسى تحرسه وهو نائم فأبوا فعل السحر وقالوا: هذا ليس بسحر، فأكرههم فرعون على عمله، أو إكراههم على تعلم السحر لئلا يذهب أصله ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾ منك ثوابًا إن أبقيناه ﴿وَأَبْقَى﴾ عقابًا إن عصيناه.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ [طه: 74] مشركًا بأن مات على الشرك ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَا﴾ حياة ينتفع بها ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا﴾ [طه: 75] بأن مات على الإيمان ﴿قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا﴾ جمع، العليا وهي: تأنيث الأعلى.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ [طه: 76] إقامة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ أي: تطهر من الذنوب وأعطى زكاة نفسه وهي: لا إله إلا الله ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ [طه: 77] بني إسرائيل ليلاً من مصر ﴿فَاضْرِبْ﴾ اجعل ﴿لَهُمْ﴾ بضربك بعصاك البحر ﴿طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ يابسًا لا ماء فيه ولا طين، فأيبس الله لهم الطريق في البحر ﴿لَا تَخَافُ﴾ بجزم الفاء بلا ألف لحمزة، والباقون بضم الفاء وإثبات الألف؛ أي: غير الخائف ولا خائفين ﴿دَرَكًا﴾ من فرعون؛ أي: إن يدركك من ورائك ﴿وَلَا تَخْشَى﴾ الغرق في اليم.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾ [طه: 78] أصابهم؛ أي: لحقهم ﴿بِجُنُودِهِ﴾ وهو معهم

---

(1) هذا جواب منهم لفرعون لما قال لهم: ﴿لأقطعنّ﴾ إلخ، والمعنى: فاصنع ما أنت صانع، واحكم ما أنت حاكم، والتقدير: ما أنت صانعه ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: إنما سلطانك علينا ونفوذ أمرك فينا في هذه الدنيا ولا سبيل لك علينا فيما بعدها، فاسم الإشارة في محل نصب على الظرفية أو على المفعولية و«ما» كافة، وأجاز الفراء الرفع على أن تجعل ما بمعنى الذي، أي: أن الذي تقضيه هذه الحياة الدنيا فقضاؤك وحكمك منحصر في ذلك. انظر: [فتح القدير (5/13)].

﴿فغَشِيَهُمْ﴾ أصابهم ﴿مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ وهو الغرق، فنجي قوم موسى وهلك جند فرعون ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ [طه: 79] ما أرشد، وفيه تكذيب لقول فرعون ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: 29].

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ﴾ [طه: 80] فرعون ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ﴾ لنؤتي موسى التوراة لتعملوا بها ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ وخوطب الكائن بزمنه ﷺ بما أنعم به على جده زمن موسى توطئة لقوله: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [طه: 81] قرأ حمزة والكسائي وخلف «أنجيتكم، ووعدتكم، ما رزقتكم» بالتاء مضمومة بلا ألف في الثلاثة، والباقون بالنون وألف بعدها ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ أي: في الرزق بالتصرف الممنوع منه، أو تظلموا بكفران النعمة بذلك، أو لا تدخروا ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ هلك بالتردي في النار.

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ
أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ
لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ
إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ
عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾
قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا
فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ
إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ
ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ
رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ ﴾ [طه: ٨٢ - ٩٠].

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ﴾ [طه: 82] من الشرك ﴿وَآمَنَ﴾ بالله وبرسوله ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ بأداء الفرائض والتصديق بما ورد به الشرع ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ علم أن توفيقه لهذا

من الله تعالى، أو المراد: تعلم العلم ليهتدي للعمل قاله زيد بن أسلم، قال الشافعي: وكان من العاملين بالقرآن، أو لزم الإسلام حتى الموت، أو علم أن لعلمه ثوابًا، أو أقام على السنة والجماعة، أو استقام، وهي أقوال: **أعمها**: آخرها.

﴿**وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى**﴾ [طه: 83] أي: ما حملك على العجلة عن الذين اخترتهم لميعاد الله وهم السبعون وكان أخذهم معه، فما قرب للطور سبقهم شوقًا لربه.

﴿**قَالَ**﴾ [طه: 84] موسى مجيبًا لربه: ﴿**هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي**﴾ بكسر الهمزة وإسكان الثاء لرويس، والباقون بفتحهما ومعناهما: هم قريب مني يأتون عقبي بلا مكث ﴿**وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى**﴾ عني؛ أي: تزداد رضا، وأتى بالاعتذار قبل الجواب بحسب ظنه، فلا يضر فيه تخلف المظنون.

﴿**قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ**﴾ [طه: 85] ابتليناهم ﴿**مِنْ بَعْدِكَ**﴾ أي: بعد انطلاقك للجبل وكانوا ستمائة ألف عبدوا العجل إلا اثنا عشر ألفًا مع هارون ﴿**وَأَضَلَّهُمُ**﴾ صرفهم ودعاهم ﴿**السَّامِرِيُّ**﴾ إلى عبادة العجل أضيف الإضلال إليه؛ لأنه بسببه.

﴿**فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ**﴾ [طه: 86] من جهتهم ﴿**أَسِفًا**﴾ شديد الحزن ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا**﴾ صدقًا فيه حسنى لكم بأن يعطيكم التوراة ﴿**أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ**﴾ أي: مدة مفارقتي لكم ﴿**أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ بعبادة غيره ﴿**فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي**﴾ بترك المجيء بعدي.

﴿**قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا**﴾ [طه: 87] بفتح الميم لعاصم والمدنيين، وبضمها لحمزة والكسائي وخلف؛ أي: سلطاننا، والباقون بكسرها والفتح كالكسر؛ أي: بطاقتها ﴿**وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا**﴾ قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي وخلف وروح بفتح الحاء والميم مخففة، والباقون بضم الحاء وكسر الميم مشددة ﴿**أَوْزَارًا**﴾ أثقالاً فيها وزر من حيث إن بني إسرائيل استعاروها من القبط فحملوها عند خروجهم من مصر ولم يردوها لهم ﴿**مِنْ زِينَةِ**﴾ حلي ﴿**الْقَوْمِ**﴾ قوم فرعون القبط ﴿**فَقَذَفْنَاهَا**﴾ ألقيناها في حفرة برأي هارون ليأتي ويرى فيها رأيه وكان في الحفرة نار ﴿**فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ**﴾ أي: مثل إلقائنا ألقى ما معه في الحفرة من حُلي فكان فيما معه التراب الذي أخذه من حافر فرس جبريل مصرور أعلى عمامته وألقاه بعد صياغته عجلاً وجعل التراب في فمه.

﴿**فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا**﴾ [طه: 88] له دم ولحم ﴿**لَهُ خُوَارٌ**﴾ صوت، يقال:

خار مرة، ثم بسكت ﴿فَقَالُوا﴾ أي: السامري ومن تبعه ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ أن يذكره لكم، أو نسيه هنا عندكم وذهب لطلبه، أو نسي الطريق إليه.

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا﴾ [طه: 89] أي: أنه لا ﴿يَرْجِعُ﴾ العجل ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلاً﴾ ولا يجيبهم إذا دعوه ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا﴾ أي: دفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أي: جلبه أي: فكيف يُتَّخذ إلهًا؟ ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ [طه: 90] أي: قبل رجوع موسى ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ﴾ ابتليتم ﴿بِهِ﴾ أي: بالعجل ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي﴾ على ديني في عبادة الله وحده ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ في ترك عبادة العجل.

﴿ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا
مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ
بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى
﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ
قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ
فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ
وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ
نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾
كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ
أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ
إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا
يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [طه: ٩١ - ١٠٥].

قالوا: ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ﴾ [طه: 91] لن نزال على عبادته ﴿عَاكِفِينَ﴾ مقيمين عليها ﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ فاعتزلهم هارون ومن معه في اثني عشر ألفًا وهم من

لم يعبد العجل، فلمَّا رجع موسى وسمع الصياح والأصوات وكانوا يرقصون حول العجل ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ [طه: 92] بعبادتهم ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِي﴾ [طه: 93] أي: أن تتبعني إلى الجبل لتخبرني أو تقاتلهم؛ لأنك تعلم إني إذا كنت فيهم قاتلتهم ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ خالفته بإقامتك بين الكفار.

﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ [طه: 94] أي: شعرهما وكان قد أخذ ذوائبه بيمينه ولحيته بيساره، وذكر الأم؛ لأنه أبلغ في العطف ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ إن قاتلتهم ﴿أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ فجعلتهم حزبين يقتل بعضهم بعضًا، أو خشيت أن اتبعك أن يتحزبوا أحزابًا ويتفرقوا بتبعية بعضهم لي ونحوه فتقول ذلك ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ﴾ تحفظ وتتبع ﴿قَوْلِي﴾ وصيتي أراد حين قال: أخلفني وأصلح، ثم أقبل موسى على السامري.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ [طه: 95] أمرك وشأنك ﴿يَا سَامِرِيُّ﴾ الذي حملك على صنعك.

﴿قَالَ بَصُرْتُ﴾ [طه: 96] رأيت وعلمت ﴿بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ بالتاء للخطاب في أوله لحمزة والكسائي وخلف، والباقون بالياء ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ﴾ تراب ﴿أَثَرِ الرَّسُولِ﴾[1] جبريل؛ أي: أثر حافر فرسه ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ طرحها في فم العجل قبل وعرف جبريل دون غيره من الناس؛ لأن أمه وضعته في السنة التي قتل فيها فرعون أبناء الناس،

(1) إن الله سبحانه أراد بقوم من بني إسرائيل فتنة المحبة فأوقعهم في بحر المخائيل حتى عبدوا العجل؛ لأنه تعالى ربما أجرى طوفان عزة جلال ربوبيته فأغرق فيه قومًا، وذلك من كمال فرط محبته إظهار جماله وجلاله ومن كمال ذلك المعنى لا يبالي أن يُري جلال ربوبيته للعوام فخلق طباع عبدة العجل رقيقة مائلة إلى حسن فعله من حركات سره في صميم إرادتهم إلى طلب ما ألقي من نور وجهه إلى الغيب ومن الغيب إلى الأفعال، وذلك جذب عجيب علته محبة الله شوق المشتاقين وحب المحبين فتجلى من قدسه وجلاله وجماله لفعل الخاص، ومن فعله الخاص لفعله العام، وتجلى من فعله العالم فبرز منه روح القدس فآثر به الحياة القدسية في كل من عُكِس عليه نوره فورد على تراب فقبض السامري من أثر فرسه قبضة؛ لأنه سمع من موسى تأثير القدسيين في أشباح الأكوان فنثر على العجل الذهبي فجعل الحق سبحانه لها إكسيرًا من نور فعله فأنور العجل بنور فعله، وجعله حياله خوار فتحركت سر تلك الفطرة المختبئة في قلوبهم فطلبوا المعدن ولم يعرفوا طريقه فوجدوا سكون محبتهم في رؤية العجل الذي ملبوس بنور الفعل فغلطوا وعبدوه من غاية حبه.

فوضعته في كهف جدار، فجاء جبريل ليربيه لمَّا قضى الله على يديه من الفتنة فاستمر على معرفته﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: مثل هذا التسويل﴿سَوَّلَتْ﴾ زيّنت﴿لِي نَفْسِي﴾ فوقع في خاطري إني إذا ألقيت هذا على الحلي حيًّا؛ إذ هو من أثر الحياة، ورأيت قومك طلبوا منك جعل إله لهم فحدثتني نفسي أن يكون هذا العجل إلههم.

﴿قَالَ﴾ [طه: 97] له موسى:﴿فَاذْهَبْ﴾ من بيننا﴿فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ﴾ أي: ما دمت حيًّا﴿أَنْ تَقُولَ﴾ لمن رأيت﴿لَا مِسَاسَ﴾ أي: لا تقربني، أو لا تخالط أحدًا ولا يخالطك أحد، فخرج من بينهم هائمًا مع الوحوش والسباع على تلك الحالة حتى إنه كان إذا مسّ أحدًا هاما جميعًا، بل نسله إذا مس أحد منهم غيرهم حُمَّا جميعًا في الوقت﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ يا سامري﴿مَوْعِدًا﴾ لعذابك﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ قرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام لن تغيب عنه، والباقون بفتحها؛ أي: بل تبعث إليه﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ﴾ العجل﴿الَّذِي ظَلْتَ﴾ دمت﴿عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ مقيمًا على عبادته﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ بالنار، وأخذ موسى العجل وذبحه فسال دمه، ثم حرقه وذراه في اليم، قرأ أبو جعفر «لنحرقنه» بإسكان الحاء وتخفيف الراء، وابن وردان بفتح النون وضم الراء، وابن جماز بضم النون وكسر الراء، والباقون كذلك، لكن بفتح الحاء وتشديد الراء، وانفرد ابن جماز بوجه ابن وردان، وانفرد ابن مهران عن ابن وردان بوجه ابن جماز، ومن ضم الراء أراد: لنبردنه بالمبرد﴿ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ﴾ نذرينه في نهر مصر﴿نَسْفًا﴾ .

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّه الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: 98] أي: وسع علمه كل شيء﴿كَذَلِكَ﴾ [طه: 99] أي: مثل ما قصصنا عليك هذا﴿نَقُصُّ﴾ نتلو ﴿عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ﴾ أخبار﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾ قبلك من الأمور﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ هو القرآن.

﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ [طه: 100] أي: عن القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه ﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ حملاً ثقيلاً من الإثم﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ [طه: 101] مقيمين فيه؛ أي: في عذاب الوزر﴿وَسَاءَ﴾ وزرهم﴿لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً﴾ وزرهم.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ [طه: 102] القَرْن النفخة الثانية، قرأ أبو عمرو بالنون وفتحها وضم الفاء، والباقون بالياء وضمها وفتح الفاء﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ الزرقة: خضرة في سواد العين، فيحشرون زرق العيون سود الوجوه، وقيل المراد: عميًا أو عطاشًا.

﴿يَتَخَافَتُونَ﴾ [طه: 103] يتسارون بالكلام خفية ﴿بَيْنَهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿لَبِثْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾ أي: عشر ليال فيها، أو في القبور، أو ما بين النفختين استقصروا مدة اللبث؛ لهول الموقف، وذكر زرقة العيون؛ لشدة بغض العرب لذلك إذ أعداءهم الروم زرق العيون.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [طه: 104] في سرهم ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أوفرهم عقلاً وأعدلهم ولا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ وسأل رجل من ثقيف رسول الله ﷺ عن الجبال أين تكون يوم القيامة؟ فنزل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: 105] أي: يقلعها من أصلها ويفتتها.

﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ ﴾ [طه: ١٠٦ - ١١٦].

﴿فَيَذَرُهَا﴾ [طه: 106] الرياح فيذرها؛ أي: أماكن الأرض من الجبال ﴿قَاعًا﴾ منبسطًا من الأرض ﴿صَفْصَفًا﴾ أملسًا.

﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾ [طه: 107] انخفاضًا ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ ارتفاعًا ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ﴾ [طه: 108] الناس ﴿الدَّاعِيَ﴾ من القبور؛ أي: صوته والداعي إسرافيل إلى المحشر فيقول: هلموا إلى عرض الرحمن ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ أي: لدعائه، أو لا عوج لاتباعهم

بمعنى: أنهم لا يقدرون على تركه ﴿وَخَشَعَتِ﴾ سكنت وذلت وخضعت ﴿الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ صوتًا خفيفًا؛ لوطئ أقدامهم إلى المحشر كوطئ أخفاف الإبل، أو المراد: تخافت الكلام وخفض الصوت، أو هو تحريك الشفاه بلا نطق قاله ابن عباس.

﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾ [طه: 109] في أحد من الناس ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ أن يشفع له ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ أي: رضي قوله وهو: لا إله إلا الله.

﴿يَعْلَمُ﴾ [طه: 110] الله ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: ما قدّموا في الدنيا ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما خلّفوه فيها، أو الأول: أمر الآخرة، والثاني: أمر الأعمال ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ أي: بالله أو بما بين أيديهم وما خلفهم ﴿عِلْمًا﴾ لا يعلمون ذلك.

﴿وَعَنَتِ﴾[1] [طه: 111] ذلت وخضعت ﴿الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ القائم على كل نفس بما كسبت ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ شركًا ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ﴾ [طه: 112] قرأ ابن كثير بحذف الألف والجزم، والباقون بإثبات الألف والرفع ﴿ظُلْمًا﴾ بزيادة في سيئاته ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ بالنقص في حسناته.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [طه: 113] أي: وكما بيناه في السورة ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ بلسان العرب ﴿وَصَرَّفْنَا﴾ أبينا أو كررنا ﴿فِيهِ﴾ بضروب ﴿مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الشرك ﴿أَوْ يُحْدِثُ﴾ القرآن ﴿لَهُمْ ذِكْرًا﴾ فيتعظوا بذكر عقاب من قبلهم.

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ [طه: 114] أي: بقراءته، أو لا تمله أصحابك قبل تبيين معانيه ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ أي: يفرغ جبريل من إبلاغه وقد انقضى بنون في أوله وكسر ضاده ونصب «وَحْيه» ليعقوب، والباقون بياء مضمومة وفتح الضاد ورفع «وَحْيه» ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ قيل: بالقرآن إنه كلما نزل به من شيء زاد به علمه، وكان ابن مسعود عند قراءة هذه الآية يقول: اللهم زدني إيمانًا ويقينًا، فنبه على أن المراد بالعلم: رسوخ الإيمان وقوة اليقين، وهذا أهم مطلب وإن

---

(1) قال الزجاج: «عَنَتْ» في اللغة: خضعت، يقال: عنا يعنو: إذا خضع، ومنه قيل: أُخِذتْ البلاد عَنْوَةً: إذا أُخذتْ غَلَبة، وأُخذتْ بخضوع من أهلها، والمفسرون: على أن هذا في يوم القيامة، إلا ما روي عن طلق بن حبيب: هو وضع الجبهة والأنف والكفّين والرُّكبتين وأطراف القدمين على الأرض للسجود.

كانت الآية شاملة للزيادة من كل علم نافع.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ﴾ [طه: 115] وصيناه ألَّا يأكل من الشجرة ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل أكله منها، أو قبل هؤلاء ونقضهم ﴿فَنَسِيَ﴾ ترك عهدنا ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ صبرًا ثابتًا على ترك الأكل ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ [طه: 116].

﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [طه: ١١٧ - ١٢٥].

﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ [طه: 117] حواء بالمد ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ فتتعب في الدنيا بطلب المعاش وخصّه بالذكر؛ لأن الرجل يسعى على زوجته ﴿إِنَّ لَكَ﴾ [طه: 118] يا آدم ﴿أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾ أي: في الجنة ﴿وَلَا تَعْرَى﴾.

﴿وَأَنَّكَ﴾ [طه: 119] بكسر الهمزة لنافع وأبي بكر، والباقون بفتحها ﴿لَا تَظْمَأُ﴾ لا تعطش ﴿فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ تبرز للشمس فيصيبك الحر؛ إذ ليس أهل الجنة في شمس، بل في ظل ممدود ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ [طه: 120] أي: شجرة إن أكلت منها بقيت مخلدًا من الآن في الجنة ﴿وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ لا يبيد ولا يفنى.

﴿فَأَكَلَا﴾ [طه: 121] أي: آدم وحوا ﴿مِنْهَا﴾ من الشجرة ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ كما مرَّ في الأعراف ﴿وَطَفِقَا﴾ أخذًا ﴿يَخْصِفَانِ﴾ يلزقان ﴿عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ يستر العورة ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ بأكله من الشجرة؛ أي: فعل ما لم يكن له فعله، أو طلب الخلد بما لم يناله به، ولا يجوز أن يقال: آدم عاصي أو غاوي، بل عصى في غير القرآن يمتعه أيضًا.

﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ [طه: 122] قربه ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قبل توبته ﴿وَهَدَى﴾[1] للتوبة والدوام عليها ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ [طه: 123] هو الكتاب والرسول ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ فمن قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة، ووفاه في القيامة سوء الحساب، وأجاره من الضلالة والشقي قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ [طه: 124] هو القرآن ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ بمعنى: ضيقة، وهل هي عذاب القبر، أو ضمته للإنسان حتى يختلف أضلاعه، أو هو الحرام، أو سلب القناعة، أو الكسب الخبيث؟ **أقوال**: ورد الأول منها عن النبي ﷺ في حديث صححه الحاكم وسُميت معيشة باعتبار إدراك شدة العذاب في القبر كالحي ﴿وَنَحْشُرُهُ﴾ أي: المعرض عن القرآن ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ البصر قاله ابن عباس والجمهور على أنه أعمى عن الحجة ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ﴾ [طه: 125] في الدنيا ﴿بَصِيرًا﴾ وعند البعث.

---

(1) قال الزمخشري عن ابن عباس: لا شبهة في أن آدم صلوات الله عليه لم يمتثل ما رسم الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة، وذلك هو العصيان، ولما عصى خرج فعله من أن يكون رشدًا وخيرًا فكان غيًا لا محالة لأن الغيّ خلاف الرشد، ولكن قوله: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ بهذا الإطلاق وهذا التصريح، وحيث لم يقل وزل آدم وأخطأ وما أشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كافة، وكأنه قيل لهم: انظروا واعتبروا كيف نعتب على النبيّ المعصوم حبيب الله الذي لا يجوز عليه اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع، فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات والصغائر فضلاً عن أن تجسروا عن التورط في الكبائر، وعن بعضهم ﴿فَغَوَى﴾ فسئم من كثرة الأكل، وهذا وإن صح على لغة من يقلب الياء المسكور ما قبلها ألفًا فيقول في فنى وبقى فنا وبقا، وهم بنو طيىء تفسير خبيث. انظر [تفسير البحر المحيط (8 /127)].

﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾[طه: ١٢٦ - ١٣٥].

﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾[طه: 126] أي: الأمر كذلك ﴿أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾تركتها ولم تعمل بها ﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ﴾كما نسيتها ﴿تُنْسَى﴾تترك في النار مخلدًا.

﴿وَكَذَلِكَ﴾[طه: 127] من أعرض عن الذكر ﴿نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾بالشرك ﴿وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾مالك أمره وسيده ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ﴾مما يعذبهم به في الدنيا والقبر ﴿وَأَبْقَى﴾أدوم.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾[طه: 128] يبيّن ﴿لَهُمْ﴾لكفار مكة؛ إذ كانوا يسافرون ويمشون في أماكن الهالكين في الشام، فيرون ديار الحجر وثمود وقرأ قوم لوط: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾أي: كثيرًا أهلكنا من ﴿قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾الأمم الماضية بتكذيب الرسل ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾لعبر ﴿لِأُولِي النُّهَى﴾ذوي العقول.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ﴾[طه: 129] بتأخير العذاب عن الكفار إلى وقته ﴿سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ﴾العذاب ﴿لِزَامًا﴾أي: لازمًا لهم في الدنيا كالقرون الماضية الكافرة

﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ مضروب له؛ أي: ولولا كلمة وأجل مسمى أقبل غير ذلك ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ بنسخها آية القتال.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [طه: 130] فسبِّح: صل حامدًا له ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ الصبح ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ العصر ﴿وَمِنْ آنَاءِ﴾ ساعات واحدها أنى ﴿اللَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ أي: أوله وهو صلاة المغرب والعشاء ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ صلاة الظهر، سُميّت طرفًا؛ لأنها في أوله نصفه الثاني، أو المراد بالآناء: العشاء، وبالأطراف: الظهر والمغرب ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ ثواب عملك في الآخرة، وضم التاء من «ترضى» الكسائي وأبو بكر؛ أي: يعطي الثواب، أو يرضاك الله، أو ترضى منه بالشفاعة، ونزل ضيف على رسول الله ﷺ فأرسل يعترض من يهودي مع أبي رافع، فأبى إلا برهنٍ فرجع فأخبر النبي ﷺ فقال: والله إن باعني أو أسلفني لأقضيه، وإني لأمين من في السماء، وأمين من في الأرض اذهب بدرعي الحديد إليه.

فلما وقع ذلك نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [طه: 131] لا تنظر ﴿إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾ أصنافًا ﴿مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ زينتها وبهجتها وفتح الهاء من «زهرة» يعقوب، والباقون بإسكانها ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: لنجعل ذلك فتنة لهم؛ إذ بزيادة النعمة يزداد طغيانهم ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ مما أتوه في الدنيا ﴿وَأَبْقَى﴾ أدوم وهو رزق الجنة، وقال أُبي بن كعب: من لم يغتر بعزة الله تقطعت نفسه حسرات، ومن تتبع بصره فيما في أيدي الناس بطل حزنه، ومن ظن أن نعمة الله في مطعمه وملبسه ومشربه فقد قلَّ عمله وعلمه وحضر عذابه.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ [طه: 132] قومك ومن كان على دينك ﴿بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ﴾[1] اصبر ﴿عَلَيْهَا﴾ أي: على الصلاة ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ لا نكلفك لك ولا لغيرك ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ﴾ الجميلة المحمودة وهي الجنة ﴿لِلتَّقْوَى﴾ أي: لأهلها.

﴿وَقَالُوا﴾ [طه: 133] أي: الكفار ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿يَأْتِينَا﴾ محمد ﴿بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ﴾ قرأ نافع والبصريان وابن جماز وحفص وابن وردان بخلاف عنه بالتأنيث،

---

(1) قال الحرالي: ويصح أن يراد بها الدعاء، فمن صبر عن الدنايا وعلى المكاره وأنهى صبره إلى الصوم فأزال عنه كدورات حب الدنيا وأضاف إلى ذلك الصلاة استنار قلبه بأنواع المعارف، فإذا ضم إلى ذلك الدعاء والالتجاء إلى الله تعالى بلغ نهاية البر.

والباقون بالتذكير للفظ ﴿بَيِّنَةُ﴾ أي: بيان ﴿مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ وهو القرآن يبيّن ما فيها من أنباء الأمم الماضية، وإهلاك من كذّب الرسل ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: قبل إرسال الرسول، أو إنزال القرآن.

﴿لَقَالُوا﴾ [طه: 134] يوم القيامة: ﴿رَبَّنَا لَوْلَا﴾ هلا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً﴾ يدعونا ﴿فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ﴾ في القيامة ﴿وَنَخْزَى﴾ نفتضح بالعذاب.

﴿قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ﴾ [طه: 135] منتظر ما يؤول إليه الأمر، أو منتظر دوائر الزمان؛ إذ الكفار تربصوا بمحمد ﷺ ﴿رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ [الطور: 30]، قال تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ انتظروا ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ إذا جاء أمر الله وقامت من الساعة ﴿مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ العدل ﴿وَمَنِ اهْتَدَى﴾ نحن أم أنتم قاله توبيخًا لهم وتهديدًا، ومعلوم أن المهتدي وصاحب الطريق العدل: محمد ﷺ ومن اتبعه.

سورة الأنبياء عليهم السلام

مكيّة مائة آية وإحدى أو اثني عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (٣) قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٤) بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ (٥) مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (٦) وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧) ﴾ [الأنبياء: ١ - ٧].

﴿اقْتَرَبَ﴾ [الأنبياء: 1] قرب ﴿لِلنَّاسِ﴾ لمنكري البعث من كفار مكة ﴿حِسَابُهُمْ﴾ أي: وقته وهو يوم القيامة ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾[1] عن التأهب

---

(1) هذه السورة مكية بلا خلاف، وعن عبد الله: الكهف، ومريم، وطه، والأنبياء من العتاق الأول، وهن من تلادي أي من قديم ما حفظت وكسبت من القرآن كالمال التلاد، ومناسبة هذه السورة لما قبلها أنه لما ذكر ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا﴾ قال مشركو قريش: محمد يهددنا بالمعاد والجزاء على الأعمال وليس بصحيح، وإن صح ففيه بعد فأنزل الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾، و﴿اقْتَرَبَ﴾ افتعل بمعنى الفعل المجرد وهو قرب كما تقول: ارتقب ورقب، وقيل: هو أبلغ من قرب للزيادة التي في البناء، والناس مشركو مكة، وقيل: عام في منكري البعث، واقتراب الحساب اقتراب وقته والحساب في اللغة إخراج الكمية من مبلغ العدد، وقد يطلق على المحسوب وجعل ذلك اقترابًا؛ لأن كل ما هو آت وإن طال وقت انتظاره قريب، وإنما البعيد هو الذي انقرض أو هو مقترب عند الله كقوله ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ أو باعتبار ما بقي من الدنيا فإنه أقصر وأقل مما مضى، وفي الحديث: «بعثت أنا =

له بالإيمان.

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: 2] شيئًا فشيئًا من جهة النزول وأراد لفظ القرآن، أو المراد: تذكير النبي ﷺ ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ يستهزؤون معرضين عنه ﴿لَاهِيَةً﴾ [الأنبياء: 3] ساهية ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ بالإعراض عن ذكر الله ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ الكلام بينهما ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا﴾ أي: محمد ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ أنكروا إرساله أن الرسل لا يكون إلا من الملائكة؛ أي: فما يأتي به سحر ﴿أَفَتَأْتُونَ﴾ تحصرون ﴿السِّحْرَ﴾ وتقتلونه ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ تعلمون أنه سحر.

﴿قَالَ﴾: [الأنبياء: 4] يا محمد ﷺ على الأمر للقراء إلا الكسائي وحمزة وخلف وحفص فقرأ قال: ﴿رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ لا يخفى عليه شيء ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوال الخلق ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأفعالهم.

﴿بَلْ قَالُوا﴾ [الأنبياء: 5] أي: كفار مكة فيما جاء به النبي ﷺ من القرآن هو ﴿أَضْغَاثُ﴾ أباطيل وأهاويل ﴿أَحْلَامٍ﴾ رآها محمد في النوم ﴿بَلِ افْتَرَاهُ﴾ اختلقه من عند نفسه ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ والمراد: إن الكفار اقتسموا إلى هذا الفرق، فواحد يقول

=

والساعة كهاتين»، و﴿لِلنَّاسِ﴾ متعلق باقترب، وقال الزمخشري: هذه اللام لا تخلو من أن تكون صلة لاقترب، أو تأكيدًا لإضافة الحساب إليهم كما تقول أزف للحي رحيلهم، الأصل أزف رحيل الحي ثم أزف للحي رحيلهم ونحوه ما أورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيدًا عليك زيد حريص عليك، وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم: لا أبا لك لأن اللام مؤكدة لمعنى الإضافة، وهذا الوجه أغرب من الأول، يعني بقوله صلة أنها تتعلق باقترب، وأما جعله اللام تأكيدًا لإضافة الحساب إليهم مع تقدم اللام ودخولها على الاسم الظاهر فلا نعلم أحدًا يقول ذلك، وأيضًا فيحتاج إلى ما يتعلق به ولا يمكن تعلقها بحسابهم؛ لأنه مصدر موصول ولا يتقدم معموله عليه، وأيضًا فالتوكيد يكون متأخرًا عن المؤكد وأيضًا فلو أخر في هذا التركيب لم يصح، وأما تشبيهه بما أورد سيبويه فالفرق واضح لأن عليك معمول لحريص، وعليك الثانية متأخرة توكيدًا وكذلك فيك زيد راغب فيك يتعلق فيك براغب، وفيك الثانية توكيد، وإنما غره في ذلك صحة تركيب حساب الناس، وكذلك أزف رحيل الحي فاعتقد إذا تقدّم الظاهر مجرورًا باللام وأضيف المصدر لضميره أنه من باب فيك زيد راغب فيك وليس مثله، وأمّا لا أبا لك فهي مسألة مشكلة وفيها خلاف، ويمكن أن يقال فيها ذلك لأن اللام جاورت الإضافة ولا يقاس على مثلها غيرها لشذوذها وخروجها عن الأقيسة، وقد أمعنّا الكلام عليها في شرح التسهيل والواو في ﴿وَهُمْ﴾ واو الحال. انظر [تفسير البحر المحيط (138/8)].

بالأول، وآخر يقول بالثاني، وآخر يقول بالثالث ﴿فَلْيَأْتِنَا﴾ محمد ﴿بِآيَةٍ﴾ علامة دالة على صدقه ﴿كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ من الرسل بالآيات كناقة صالح ونحو ذلك.

فأجابهم الله تعالى بقوله: ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ﴾ [الأنبياء: 6] أي: قبل مشركي مكة ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي: أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ أي: أهلها بالتكذيب ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ إذا جاءتهم الآيات لإيمانهم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: 7] هو جواب عن قولهم هل هذا إلا بشر؟ ﴿فَاسْأَلُوا﴾ يا أهل مكة ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ أهل هم المرسلون قبل محمد ﷺ من البشر، أو رسل الملائكة، أو هم علماء أهل الكتاب المطلعون على التوراة والإنجيل؟ أقوال: **أشهرها:** الثالث ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك وأمروا بسؤالهم؛ لأنهم إلى تصديق من لم يؤمن أقرب منهم إلى تصديق من آمن بمحمد ﷺ.

﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨ - ١٥].

﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ [الأنبياء: 8] أي: الرسل ﴿جَسَدًا﴾ أي: أجسادًا ﴿لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ في الدنيا أراد به أنهم لم يكونوا ملائكة، بل كانوا بشرًا يأكلون الطعام ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ [الأنبياء: 9] في إهلاك أعدائهم ﴿فَأَنْجَيْنَاهُمْ﴾ أي: الأنبياء ﴿وَمَنْ نَشَاءُ﴾ معهم هم المؤمنون الذين صدقوهم ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ المشركين.

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ [الأنبياء: 10] يا معشر قريش ﴿كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾[1] شرفكم إن آمنتم به، أو المراد: جديتكم، وذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فيؤمنون به وهو توبيخ لهم، أو إنكار لفعلهم.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ [الأنبياء: 11] أهلكنا ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي: أهلها ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ كافرة ﴿وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا﴾ بعد إهلاكها ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا﴾ [الأنبياء: 12] أبصروا ﴿بَأْسَنَا﴾ عذابنا ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ يسرعون في الهرب ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾ [الأنبياء: 13] أي: قيل لهم ذلك استهزاء ﴿وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ﴾ نعمتم ﴿فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ﴾ أي: ارجعوا إليها ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ شيئًا من دنياكم على عادة من يريد غيره قتاله لتعتدي منه، نزلت في أهل حضور قرية باليمن كذبت نبيها وقتلته، وأصلها من العرب فسلط الله عليهم بُخْت نَصر فقتلهم فخرجوا هاربين فقالت لهم الملائكة: ﴿لاَ تَرْكُضُوا...﴾ [الأنبياء: 13] إلى آخره استهزاء بهم، ثم سمعوا مناديًا من السماء بأمارات الأنبياء فأقروا بالذنوب.

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾ [الأنبياء: 14] أي: احضر هذا وقتك ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بالكفر ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ﴾ [الأنبياء: 15] أي: تلك الكلمة ﴿دَعْوَاهُمْ﴾ يدعوننا بها ويرددونها ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾ بالسيوف كما تحصد الزرع ﴿خَامِدِينَ﴾ ميتين كالنار لمَّا تطفئ.

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا
لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ
فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ
عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا
يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ

(1) أي: طوال الدهر بالخير إن أطعتم، والشر إن عصيتم، وبه شرفكم على سائر الأمم بشرف ما فيه من مكارم الأخلاق التي كنتم تتفاخرون بها وبشرف نبيكم الذي تقولون عليه الأباطيل، وتكثرون فيه القال والقيل. انظر [نظم الدرر للبقاعي (290/5)].

إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٦ - ٢٤].

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ [الأنبياء: 16] عابثين، بل للدلالة على القدرة ونفع العباد.

﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾ [الأنبياء: 17] يلهي به من زوجة أو ولد ﴿لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ من عندنا من الحور العين لا من عندكم من أهل الأرض، أو المراد: لتركناهم عندنا لا عندكم في الأرض في قول من قال: هو رد على من زعم في المسيح وإنه ما زعم أهل الكتاب ﴿إِنْ﴾ ما ﴿كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ذلك لم نفعله فلم نرده.

﴿بَلْ نَقْذِفُ﴾ [الأنبياء: 18] نرمي ونسلط ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالإيمان ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾ الكفر، أو الحق لا ولد لله، والباطل قول من أثبته، **والأول:** أعم وأحسن ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ فيهلكه، وأصل الدمغ: شج الرأس حتى تبلغ الدماغ ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ ذاهب؛ أي: يبطل كذبهم بإنزال الحق حتى يضمحل ﴿وَلَكُمُ﴾ يا معشر الكفار ﴿الْوَيْلُ﴾ وادٍ في جهنم ﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾ من الكذب على الله.

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنبياء: 19] من الجن والإنس وغيرهم ملكًا له ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ من الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ لا يستعظمون عنها ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ يعيبون ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [الأنبياء: 20] أي: فيهما ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾ لا يسأمون عنه فهو كالنفس لهم ﴿أَمِ اتَّخَذُوا﴾ [الأنبياء: 21] استفهام إنكار من دونه ﴿آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ وهي الأصنام ﴿هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ أي: يحيُون الأموات لا فإذا لم يكن ذلك لم يستحقوا الألوهية.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾ [الأنبياء: 22] أي: في السماء والأرض ﴿آلِهَةٌ إِلَّا﴾ بمعنى: غير ﴿اللَّه لَفَسَدَتَا﴾ بالخروج عن النظام المشاهد، أو العادة اقتضت التمانع بين الاثنين وعدم الاتفاق على شيء واحد ﴿فَسُبْحَانَ اللَّه رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من شريك وولد.

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: 23] فحكمه على خلقه عدل ﴿وَهُمْ﴾ أي:

الخلق ﴿يُسْأَلُونَ﴾[1] عن أعمالهم؛ لأنهم عبيد مملكون ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ [الأنبياء: 24] من سواه ﴿آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ حجتكم، استفهام توبيخ ﴿هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ﴾ من هو على الإيمان ﴿وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾ من الأمم ما فعل بهم في الدنيا، وما يفعل بهم في الآخرة، وليس فيه دليل على زعمكم الكاذب ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ التوحيد ﴿فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن النظر الموصل إليه.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠
فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾
لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا
خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن
يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا
مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ
بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا
مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ
وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ
فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥ - ٣٤].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25] وحدون.

(1) قطع لسان الحدثان بمقراض هيبة الرحمن عن الانبساط في وقت كشوف عظمة الجبروت وشهود جلال الملكوت يفعل الخبير ما يشاء، وليس لهم هناك لهجة سؤال، ولا لهم حجة مقال إذ لا وسمة على فعاله وعزة كماله، وهم معاتبون عما فعلوا؛ لأن أفعالهم وقعت ناقصة عن سنن نظام سنة الأزلية بمشيئة القدمية.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ [الأنبياء: 26] هم خزاعة، قالوا: الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ فنزّه نفسه عن قولهم ﴿بَلْ﴾ هم ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ والعبد لا يكون معبودًا للتنافي ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ﴾ أي: الله ﴿بِالْقَوْلِ﴾ لا يتكلمون إلا بأمره، ولا يتقدمونه في شيء ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأنبياء: 28] ما عملوا ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما هم عاملون، أو ما كان قبل خلقهم وما يكون بعده ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ وهو من قال: لا إله إلا الله ومات على ذلك ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ﴾ خوفه ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون لا يأمنون المكر ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ﴾ [الأنبياء: 29] وقال ذلك إبليس فقط ﴿فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ﴾ مثل جوابه ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنبياء: 30] بإثبات الواو بين الألف واللام للقراء إلا ابن كثير فيحذفها، والمعنى: ألم يعلم الذين كفروا ﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ ملتزقتين ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ فصلنا بينهما بالهواء، فجعلت السماء والأرض كذلك، أو الرتق: عدم المطر والنبات، والفتق: وجودهما ﴿وَجَعَلْنَا﴾ خلقنا ﴿مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ باعتبار الأكثر ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ [الأنبياء: 31] هي الجبال الثوابت ﴿أَنْ تَمِيدَ﴾ لئلا تميد، أو كراهة أن تميد ﴿بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ أي: في الرواسي ﴿فِجَاجًا﴾ طرقًا تسلك للهداية للمقاصد ﴿سُبُلًا﴾ تفسير للفجاج وهو جمع: فج، وهو الطريق الواسع بين الجبلين ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ لمقاصدهم وسفرهم.

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: 32] من السقوط، أو محفوظًا من الشياطين بالشهب ﴿وَهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ لا يعتبرون بها ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: 33] يجرون بسرعة كالسابح في الماء والفلك مدار النجوم الذي يطلق على كل مستدير، وجمعه: أفلاك.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: 34] أي: دوام البقاء في الدنيا، نزلت لمّا قال الكفار نتربص بمحمد ﴿رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ [الطور: 30]، ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ إنكار لخلودهم.

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ
﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى
يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ
عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ
ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ
فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ
فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم
بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ
ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا
يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٥ - ٤٣].

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: 35] قبل الآخرة ﴿وَنَبْلُوكُمْ﴾ نختبركم ﴿بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ اختبار كالمرض، والصحة، والعسر، واليسر مما تحبون وما تكرهون، وقدَّم الشر؛ لأن الاختيار فيه أكثر، ومعنى الاختيار: استعلام حالهم في الشكر وعدمه ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ فهو تهديد؛ لأن الجزاء بعده.

﴿وَإِذَا رَآكَ﴾ [الأنبياء: 36] يا محمد ﷺ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ مهزوًا به، نزلت في أبي جهل ضحك لمَّا مرّ به النبي ﷺ وقال لقومه: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ أي: يعيبها ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ إذ قالوا: ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة.

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ﴾ [الأنبياء: 37] آدم وذريته ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ من العجلة وعليها طبع وعبّر عنه بخلق؛ لأن العرب تجعل المكثر من الشيء مخلوقًا منه للمبالغة، فتقول: خلقت من كرم وشرف ونحوه، وقيل: العجل الطين، وقيل: غير ذلك مما ذُكر في الأصل ﴿سَأُرِيكُمْ آيَاتِي﴾ بالقتل في يوم بدر ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ بالعذاب؛ نزلت لأن

الكفار استعجلوه ويقولون؛ أي: الكفار ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾[الأنبياء: 38] أي: يوم القيامة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾خطاب للنبي ﷺ وصحبه.

فقال تعالى مجيبًا لهم: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ﴾[الأنبياء: 39] لا يدفعون ﴿عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾يمنعون من العذاب؛ أي: لو علموا لمَّا قالوا: متى هذا الوعد ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ﴾[الأنبياء: 40] أي: الساعة ﴿بَغْتَةً﴾فجأة ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾تحيرهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾يمهلون لتوبة أو غيرها.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾[الأنبياء: 41] يا محمد ﷺ ﴿فَحَاقَ﴾نزل ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾أي: جزاء استهزائهم، فكذا نفعل بهؤلاء ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ﴾[الأنبياء: 42] يحفظكم ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾أي: من عذابه إن نزل بكم؛ أي: لا أحد يفعل ذلك ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ﴾أي: القرآن ﴿مُعْرِضُونَ﴾

﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾[الأنبياء: 43] المعنى: ألهم من بمنعهم من العذاب غيرنا لا أحد لهم ووصف الآلهة بقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾أي: الآلهة ﴿نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾فكيف ينصرون غيرهم ﴿وَلَا هُمْ﴾أي: الكفار ﴿مِنَّا﴾من عذابنا ﴿يُصْحَبُونَ﴾ يحفظون، يقال: صحبك الله؛ أي: حفظك.

﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[الأنبياء: ٤٤ - ٥٠].

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ﴾ [الأنبياء: 44] الكفار ﴿وَآبَاءَهُمْ﴾ في الدنيا بالنعم الظاهرة وأمهلناهم ﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ امتد بهم الزمان فاغتروا بالإمهال والنعم ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ أي: أرض الكفار ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بما نريد في أطراف أرض المؤمنين، وأراد ظهور النبي ﷺ وفتحه لديار الشرك ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ أي: ليسوا بغالبين، بل النبي وصحبه.

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ﴾ [الأنبياء: 45] أخوفكم ﴿بِالْوَحْيِ﴾ القرآن من الله لا من نفسي ﴿وَلَا يَسْمَعُ﴾ بتاء من فوق مضمومة وكسر الميم ﴿الصُّمُّ﴾ نصب لابن عامر، والباقون بياء من أسفل مفتوحة وفتح الميم ورفع «الصُّم» ﴿الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾ يخوفون أي: هم بترك عملهم بما سمعوه كالصُّم.

﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ﴾ [الأنبياء: 46] أصابتهم ﴿نَفْحَةٌ﴾ طرف، أو قليل، أو نصب ﴿مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ﴾ أي: الذين كفروا ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ أي: احضر فهذا وقتك ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بالشرك ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾[1] العدل ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أي: فيه ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ لا ينقص لها من ثواب الحسنات، ولا يزاد لها على السيئات.

﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ﴾ [الأنبياء: 47] بضم اللام هنا وفي لقمان للمدنيين، وبفتحها للباقين ﴿حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ أي: زنتها ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ أي: بموزونها للجزاء به ﴿وَكَفَى بِنَا

---

(1) قال روزبهان: الأعمال والموازين شتى، والعدل ميزان الله في الأرض؛ فمن وزن أعماله بميزان العدل؛ فهو من العابدين، ومن وزن حركاته بميزان العدل؛ فهو من المحبين، ومن وزن خطراته وأنفاسه بميزان العدل؛ فهو من العارفين. وميزان العدل في الدنيا ثلاثة: ميزان للنفس والروح، وميزان للقلب والعقل، وميزان للمعرفة والسر؛ فميزان النفس والروح الأمر والنهي، وكفتاه الوعد والوعيد، وميزان القلب والعقل الإيمان والتوحيد وكفتاه الثواب والعقاب وميزان المعرفة والسر الرضا والسخط، وكفتاه الهرب والطلب؛ فمن وزن أفعال النفس والروح بميزان الأمر والنهي بكفة الكتاب والسنة، ينال الدرجات في الجنان، ومن وزن حركات القلب والعقل بميزان الثواب والعقاب بكفة الوعد والوعيد أصاب الدرجات ونجا من جميع المشقات ومن وزن خطرات المعرفة والسر بميزان الرضا والسخط بكفة الهرب والطلب نجا من الذي هرب، ووصل إلى ما طلب فيصير عيشه في الدنيا على الهرب، وخروجه منها على الطلب وعاقبته إلى غاية الطرب؛ فمن أراد الوصول إلى المسبب فعليه بالهرب من السبب؛ فإن السبب حجاب كل طالب.

حَاسِبِينَ﴾ عالمين حافظين ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ [الأنبياء: 48] التوراة الفارقة بين الحلال والحرام ﴿وَضِيَاءً﴾ يستضاء به في ظلم الجهل ﴿وَذِكْرًا﴾ تذكيرًا ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾ [الأنبياء: 49] أي: مع أنهم لم يروه، أو مع غيبتهم عن الناس في انفرادهم ﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ خائفون من أهوالها ﴿وَهَذَا﴾ [الأنبياء: 50] القرآن ﴿ذِكْرٌ﴾ لمن تذكر به ﴿مُبَارَكٌ﴾ يتبرّك به ويطلب الخير منه ﴿أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ جاحدون توبيخ لهم.

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥١ - ٦٢].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيم رُشْدَهُ﴾ [الأنبياء: 51] صلاحه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل موسى وهارون، أو من قبل البلوغ ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ أي: إنه أهل للهداية والنبوة ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾ [الأنبياء: 52] أراد الأصنام ﴿الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا﴾ لأجلها ﴿عَاكِفُونَ﴾ مقيمون على عبادتها.

﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: 53] فاقتدينا بهم ﴿قَالَ﴾ [الأنبياء: 54] إبراهيم: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ بعبادتها ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ خطأ ظاهر في ذلك ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ [الأنبياء: 55] يقول ذلك لنا.

﴿قَالَ بَل رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنبياء: 56] مالكهما ﴿الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ خلقهن ﴿وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ﴾ أي: على أنه لا يستحق العبادة إلا هو ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أو على خلقه لهن ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ [الأنبياء: 57] لأمكرن بها يفعل فيها ﴿بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ تدبروا منطلقين إلى عيدكم، قاله سرًّا من قومه ولم يسمعه إلا رجل واحد منهم فأفشاه عليه.

﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ [الأنبياء: 58] بعد ذهابهم إلى عيدهم ﴿جُذَاذًا﴾ بكسر الجيم للكسائي ونصبها لمن بقي؛ أي: كسرًا وقطعًا ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ فلم يكسره ووضع الفأس الذي كسر به في عنقه وقيل: ربطه بيده، وكانت اثنين وسبعين صنمًا ما بين فضة وذهب ونحاس وغير ذلك ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ إلى الكبير من الأصنام ﴿يَرْجِعُونَ﴾ فيسألونه، أو لعلهم إلى دين إبراهيم يرجعون، فلمَّا رجع القوم ورأوا ذلك.

﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 59] في فعله ﴿قَالُوا﴾ [الأنبياء: 60] أي: من سمع قول إبراهيم ﴿تَاللَّهِ...﴾ إلى آخره ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ وهو الذي يظن به أنه فعل ذلك، فلمَّا سمع بذلك نمرود والملأ من قومه ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ [الأنبياء: 61] أي: ظاهرًا ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ عليه أنه هو الفاعل لذلك كأنهم كرهوا أن يأخذوه بغير بينة، أو المراد: يحضرون عذابه فأرسلوا إليه فحضر فلمَّا جاءوا ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: 62].

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ

وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٣ - ٧٢].

﴿قَالَ﴾ [الأنبياء: 63] إبراهيم ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ غضبًا من أن يعبدوا معه وهم صغار فكسرها لذلك أراد إقامة الحجة عليهم في عبادة غير الله ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ ليتحيروا من فعل ذلك، وقال: ذلك بإذن من الله تعالى لقصد إقامة الحجة.

﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنبياء: 64] بأن تفكروا بعقولهم ﴿فَقَالُوا﴾ ما نراه إلا كما قال: ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بعبادة من لا يتكلم، أو عن سؤال هذا الرجل مع حضور الآلهة فسلوها ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ [الأنبياء: 65] ردوا إلى الفكر بعد أن اعترفوا بالظلم، ثم قالوا: والله ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ أي: فكيف نسألهم؟ فاتضحت لإبراهيم عليه السلام الحجة.

ولمَّا اتضحت ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا﴾ [الأنبياء: 66] إن أطعتموه من رزق ونحوه ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ إن تركتم عبادته ﴿أُفٍّ﴾ [الأنبياء: 67] كلمة ذم؛ أي: ﴿لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ توبيخ لهم وعند لزوم الحجة والعجز عن الجواب ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ [الأنبياء: 68] أي: إبراهيم قاله نمرود، وقيل: غيره ﴿وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ نصرتها، فلمَّا وقع ذلك حفروا له حفيرة وقيل: بنو له بيتًا كالحظيرة، ثم أتوا بالحطب الكثير وأضرموا له النار القوية، ثم وضعوه في منجنيق وألقوه في النار.

ولمَّا ألقوه كان مكتَّفًا قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا﴾ [الأنبياء: 69] وقال: ﴿وَسَلَامًا﴾ لئلا يموت من بردها ﴿عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ وأول كلمة قالها عند الإلقاء: حسبنا الله ونعم الوكيل، ولم يحرق من إبراهيم بها غير وثاقه وذهبت الحرارة وبقيت إضاءتها ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ [الأنبياء: 70] أي: التحريق ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ فخسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم، وكان عمر إبراهيم حين ألقي ست عشرة سنة.

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾ [الأنبياء: 71] ابن أخيه هاران من أرض العراق ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ وهي الشام بورك فيها بكثرة الخصب والأشجار، وإن كان ما عذب يتفجر من تحت الصخرة في بيت المقدس، ونزل إبراهيم فلسطين وهي برية الشام، ونزل لوط المؤتفكة وبينهما وبين محل إبراهيم يوم وليلة أو أقرب، فبعثه الله نبيًا

إلى لوط.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾ أي لإبراهيم إسحاق﴿وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء: 72] عطية من الله وفضلاً وكان سأل الله ولدًا كما في الصافات أو النافلة يعقوب وهو ولد الولد﴿وَكُلاًّ﴾ من إبراهيم وولديه﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ أنبياء.

﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ
ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا
وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ
﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ
فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ
وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ
شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ
ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧٣ - ٧٩].

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾ [الأنبياء: 73] يُقتدى بهم في الخير﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ يدعون الناس إلى ديننا بالوحي﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ وهو العمل بالشرائع﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ﴾ أي: إقامتها بالمحافظة عليها﴿وَإِيتَاءَ﴾ إعطاء﴿الزَّكَاةِ﴾ أي: إن يفعلوا ذلك وأتباعهم﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ موحدين.

﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ [الأنبياء: 74] يفصل به بين الناس الخصوم بالحق ﴿وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾ وهي سدوم كانوا يلوطون ويتضارطون في ناديهم مع أشياء كثيرة منكرة، كالرمي بالبندق، واللعب بالطنبور﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾ أي: أهل تلك القرية﴿قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ بما ذُكِر﴿وَأَدْخَلْنَاهُ﴾ [الأنبياء: 75] أي: لوطًا﴿فِي رَحْمَتِنَا﴾ أي: في أهلها بالنجاة من قومه وغير ذلك﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ .

﴿وَنُوحًا﴾ [الأنبياء: 76] أي: اذكره ﴿إِذْ نَادَى﴾ دعاء ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أن نبتلي إبراهيم ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ الغرق وتكذيب قومه، وكان نوحًا أطول الأنبياء عمرًا، وأشدهم في الصورة بلاء ﴿وَنَصَرْنَاهُ﴾ [الأنبياء: 77] منعناه ﴿مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على رسالته، فلم يصلوا إليه لسوء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿وَ﴾ [الأنبياء: 78] اذكر ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ أي: قصتهما ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ والحرث هنا كرم تدلت عناقيده قاله الأكثر، أو كان زرعًا ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ النفش: الانتشار بالليل للرعي، والهمل بالنهار وهما الرعي بالمراعي ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ﴾ جمع الضمير؛ لأنه أرادهما والمتحاكمين إليهما ﴿شَاهِدِينَ﴾ أي: بمرأى منَّا لا يخفى علينا شيء منه، وكان صاحب الحرث ادَّعى على صاحب الغنم أنها رعت زرعه ليلاً وأفسدته بلا تعمد من مالكها، فملَّكه داود رقاب الأغنام وقضى سليمان بدفع الغنم لصاحب الحرث ينتفع بزوائدها المنفصلة كصوف وولد إلى أن يحرث مالكها له أرضه ويعيدها كما كانت عند الرعي، ثم يأخذ غنمه فذلك قوله: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [الأنبياء: 79] أي: علمناه حكمًا وألهمناه الحق وكان ذلك باجتهاد ولا ملام على داود عليه السلام في ذلك لقوله: ﴿وَكُلًّا﴾ أي: من داود وسليمان عليهما السلام ﴿آتَيْنَا حُكْمًا﴾ نبوة ﴿وَعِلْمًا﴾ للأنبياء الاجتهاد، ورجع داود لسليمان باجتهاد منه، وقيل: بوحي ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ قيل: كانت تذكرة إذا افتر ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ما ذكر من التفهم، وإيتاء الحكم، والعلم، والتسخير، وإن كان عجبًا عندكم معجزة له.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٦) وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨)﴾ [الأنبياء: ٨٠ - ٨٨].

﴿وَعَلَّمْنَاهُ﴾ [الأنبياء: 80] أي: داود ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ دروع ﴿لَكُمْ﴾ في جملة الناس سُميت بذلك؛ لأنها تلبس، وأصله في اللغة: أن يستعمل لكل ملبوس، ثم غلب في الأسلحة كلها وهو بمعنى: الملبوس، وهو أول من صنع ذلك وزرده، وكانت قبل من صفائح ﴿لِتُحْصِنَكُمْ﴾ بالنون بعد اللام لأبي بكر عن عاصم ورويس وأبو جعفر وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء من فوق، والباقون بالياء من أسفل؛ أي: لنحصنكم نحن، أو يحصنكم داود، أو لتحصنكم اللبوس ﴿مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ حربكم مع أعدائكم ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ أي: اشكروا أمر لداود وأهل بيته، أو خطاب لأهل مكة.

﴿وَ﴾ [الأنبياء: 81] سخرنا ﴿لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ شديدة الهبوب، وفي موضع آخر قال: ﴿رُخَاءً﴾ [ص: 36]، وهي اللينة والمعنى: إنها كانت تحت أمره، فإن شاء اشتدت. وإن شاء لانت ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ هي الشام، وكان منزل سليمان، فكانت تذهب به وأصحابه إلى حيث شاء، ثم تعود للشام ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾.

﴿وَ﴾ [الأنبياء: 82] سخرنا له ﴿مِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ﴾[1] أي: يدخلون

---

(1) قال الألوسي (12/445): فمن في موضع نصب لسخرنا، وجوز أن تكون في موضع رفع على الابتداء وخبره ما قبله، وهي على الوجهين على ما استظهره أبو حيان موصولة وعلى ما اختاره جمع نكرة موصوفة، ووجه اختيار ذلك على الموصولية أنه لا عهد هنا، وكون الموصول قد يكون للعهد الذهني خلاف الظاهر، وجيء بضمير الجمع نظراً للمعنى، وحسنه تقدم جمع قبله، والغوص الدخول تحت الماء وإخراج شيء منه، ولما كان الغائص قد يغوص لنفسه ولغيره قيل (لَهُ) للإيذان بأن الغوص ليس لأنفسهم بل لأجله عليه السلام. وقد كان عليه السلام يأمرهم فيغوصون في البحار ويستخرجون له من نفائسه (وَيَعْمَلُونَ) له (عَمَلاً) كثيراً (دُونَ ذَٰلِكَ) أي غير =

تحت الماء﴿لَهُ﴾ لأجله، فيخرجون له الجواهر﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: سوى الغوص وهو ما ذكر بقوله:﴿مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ....﴾ [سبأ: 13] إلى آخره ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ حتى لا يخرجوا عن أمره، أو لئلا يفسدوا ما عملوا قبل، وكانوا إذا فرغوا من عمل أفسدوه إن لم يشتغلوا بغيره.

﴿وَ﴾ [الأنبياء: 83] اذكر﴿أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ﴾ دعا﴿رَبَّهُ أَنِّي﴾ أي: بأني﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ شدة البلاء من ذهاب المال والولد وشدة ضعف الجسد﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ .

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: 84] كما سيأتي من أنه قال: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ...﴾ [ص: 42] إلى آخره﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ والأهل أولاده الذكور والإناث، وكان له سبع بنين وسبع بنات، أو سبع بنات وثلاث بنين، فرد الله عليه من مات منهم بأن أحياه وأعاد إلى زوجته شبابها فولدت مثلهم، وكان له

=

ما ذكر من بناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة لقوله تعالى (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن محاريب وتماثيل) [سبأ: 13] الآية. قيل: إن الحمام والنورة والطاحون والقوارير والصابون من أعمالهم، وذكر ذلك الإمام الرازي في «التفسير»، لكن في كون الصابون من أعمالهم خلافاً. ففي التذكرة الصابون من الصناعة القديمة قيل وجد في كتب هرمس وأندوخيا وهو الأظهر. وقيل: من صناعة بقراط وجالينوس انتهى؛ وقيل هو من صناعة الفارابي وأول ما صنعه في دمشق الشام ولا يصح ذلك. وما اشتهر أن أول من صنعه البوني فمن كذب العوام وخرافاتهم، ثم هؤلاء أما الفرقة الأولى أو غيرها لعموم كلمة (مِنْ) كأنه قيل: ومن يعملون، والشياطين أجسام لطيفة نارية عاقلة، وحصول القدرة على الأعمال الشاقة في الجسم اللطيف غير مستبعد فإن ذلك نظير قلع الهواء الأجسام الثقيلة. وقال الجبائي: إنه سبحانه كثف أجسامهم خاصة وقواهم وزاد في عظمهم ليكون ذلك معجزة لسليمان عليه السلام فلما توفي ردهم إلى خلقتهم الأولى لئلا يفضي أبقاؤهم إلى تلبيس المتنبي وهو كلام ساقط عن درجة القبول كما لا يخفى. والظاهر أن المسخرين كانوا كفاراً لأن لفظ الشياطين أكثر إطلاقاً عليهم، وجاء التنصيص عليه في بعض الروايات ويؤيده قوله تعالى: (وَكُنَّا لَهُمْ حافظين) أي من أن يزيغوا عن أمره أو يفسدوا؛ وقال الزجاج: كان يحفظهم من أن يفسدوا ما عملوه بالنهار، وقيل حافظين لهم من أن يهيجوا أحداً؛ والأنسب بالتذييل ما تقدم وذكر في حفظهم أنه وكل بهم جمعاً من الملائكة عليهم السلام وجمعاً من مؤمني الجن، هذا وفي قصتي داود وسليمان عليهما السلام ما يدل على عظم قدرة الله تعالى.

أندران: واحد للقمح، وآخر للشعير، فبعث الله سحابتين لكل واحد، فأمطر على الأول الذهب، وعلى الآخر الفضة حتى فاضا وطارت واحدة من جراد الذهب فردها فقال له الملك: ألم يكفيك ما في يدك؟ فقال: هذا بركة من بركات ربي ولا أشبع من بركته ﴿رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى﴾ عظة ﴿لِلْعَابِدِينَ﴾ ليصبروا فيثابوا.

﴿وَ﴾ [الأنبياء: 85] اذكر ﴿إِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ﴾ وهو أخنوخ هل هو نبي، أو رجل صالح؟ **قولان: أشهرهما**: الأول ﴿وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ على امتثال الأمر ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ [الأنبياء: 86] أي: النبوة ﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَ﴾ [الأنبياء: 87] اذكر ﴿ذَا النُّونِ﴾ وهو يونس بن متى صاحب الحوت وهو النون ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾ لقومه لطول ما قاساه منهم ولم يؤذن له في ذلك الذهاب وظن هو أن ذهابه لا يضر؛ لأنه لم يفعله إلا غضبًا لله وكان عليه مصابرتهم ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: نضيق، قرأ يعقوب بالياء من أسفل مضمومة وفتح الدال، والباقون بالنون وكسر الدال، فلمَّا ذهب ركب في سفينة، ثم سارت به إلى وسط البحر فأخذتها الأمواج فقال لهم: اطرحوني، فنجوا ففعلوا فأمر الله الحوت فابتلعه وكان ساهمهم؛ أي: قارعهم، فخرجت القرعة عليه ثلاثًا وإنما ساهموه؛ لأنهم قالوا: إن أمسكناك نجونا، فاختلفوا ففعلوا وأوحى الله إلى الحوت ألَّا تخدش له جلدًا، أو لا تكسر له عظمًا، وقيل: غير ذلك ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: في ذهابي عن قومي فلا إذن، وبهذه الكلمات دعا واعترف.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ [الأنبياء: 88] بتلك الظلمات ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: كما انجيناه ﴿نُنْجِي﴾ القوم ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ إذا استغاثوا بنا في كربهم فنزيله عنهم، وقرأ ابن عامر وأبو بكر بنون واحدة وتشديد الجيم، والباقون بنونين أولهما مضمومة وثانيهما ساكنة، وعن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ قال: دعوة ذي النون؛ إذ هو في بطن الحوت ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87] لم يدع بها في شيء قط إلا استجاب له.

﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ

كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا
خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا
وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ
فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن
يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ
﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ
يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا
هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ
كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ
أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٩ - ٩٨].

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ [الأنبياء: 89] بلا ولد وارزقني وارثًا ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ الباقين بعد فناء الخلق ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ [الأنبياء: 90] وكانت سيئة الخلق، أو طويلة اللسان، أو عاقرًا، فأزال الله عنها الجميع ﴿إِنَّهُمْ﴾ من ذكر من الأنبياء في هذه السورة ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ﴾ يبادرون ﴿فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾ طمعًا في الرحمة ﴿وَرَهَبًا﴾ خوفًا من العذاب ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ متواضعين في عبادتهم.

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [الأنبياء: 91] منعته من الحرام وهي: مريم بنت عمران ﴿فَنَفَخْنَا فيهَا﴾ أي: في جيب درعها، ولهذا ذُكر الضمير في التحريم فقال: ﴿فَنفَخْنَا فيهِ﴾ [التحريم: 12]، ﴿مِنْ رُوحِنَا﴾ أي: أمرنا جبريل بذلك فحملت بالمسيح عليه السلام ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ دلالة على كمال القدرة في خلق ولد بلا أب.

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الأنبياء: 92] أراد ملة الإسلام، وأصل الأمة الجماعة على مقصد واحد، فجعل الشريعة أمة لاجتماع أصلها على ذلك ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ وحدون ﴿وَتَقَطَّعُوا﴾ [الأنبياء: 93] أي: الفرق الضالة كاليهود والنصارى

﴿أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾[1] أي: اختلفوا في الدين فصاروا فرقًا وأحزابًا يلعن بعضهم بعضًا ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ فنجازيه بعمله ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ﴾ [الأنبياء: 94] لا جحود ﴿لِسَعْيِهِ﴾ بل يُشكر ويثاب عليه ﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ بأمر الكتبة بذلك لنجاز به عليه.

﴿وَحَرَامٌ﴾ [الأنبياء: 95] قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر «وحرم» بكسر الحاء وإسكان الراء بلا ألف، والباقون بفتح الحاء والراء وألف بعدها ﴿عَلَى قَرْيَةٍ﴾ أي: أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ لا زائدة إن كان الحرام بمعنى: الواجب؛ أي: واجب رجوعهم وإلا فالمعنى: إنهم لا يرجعون عن الكفر للإيمان، أو لا يرجعون بعد إهلاكهم إلى الدنيا ﴿حَتَّى﴾ [الأنبياء: 96] غاية لامتناع رجوعهم ﴿إِذَا فُتِحَتْ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ بالهمز وتركه؛ أي: فتح السد وذلك قرب القيامة ﴿وَهُمْ﴾ أي: يأجوج ومأجوج في الدنيا، أو كل الخلائق في الآخرة ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾ مكان مرتفع ﴿يَنْسِلُونَ﴾ يسرعون بالنزول.

﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ [الأنبياء: 97] يوم القيامة ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ أي: القصة ﴿شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بشدته يقولون: ﴿يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ اليوم ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بوضع العبادة في غير موضعها فيقال لهم: ﴿إِنَّكُمْ﴾ [الأنبياء: 98] أيها المشركون ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ وهم الأصنام ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ﴾ وقود

---

(1) أخبر تعالى أنهم بعد ذلك اختلفوا ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾ وقرأ الجمهور ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ بالرفع خبر ﴿إِنَّ﴾ و﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ بالنصب على الحال، وقيل بدل من ﴿هَذِهِ﴾ وقرأ الحسن ﴿أُمَّتَكُمْ﴾ بالنصب بدل من ﴿هَذِهِ﴾، وقرأ أيضًا هو وابن إسحاق والأشهب العقيلي وأبو حيوة وابن أبي عبلة والجعفي وهارون عن أبي عمرو والزعفراني ﴿أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ برفع الثلاثة على أن ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ و﴿أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ أو ﴿أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ بدل من ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ بدل نكرة من معرفة، أو خبر مبتدأ محذوف أي هي ﴿أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ والضمير في ﴿وَتَقَطَّعُوا﴾ عائد على ضمير الخطاب على سبيل الالتفات أي وتقطعتم، ولما كان هذا الفعل من أقبح المرتكبات عدل عن الخطاب إلى لفظ الغيبة كأن هذا الفعل ما صدر من المخاطب؛ لأن في الإخبار عنهم بذلك نعيًا عليهم ما أفسدوه، وكأنه يخبر غيرهم ما صدر من قبيح فعلهم ويقول ألا ترى إلى ما ارتكب هؤلاء في دين الله جعلوا أمر دينهم قطعًا كما يتوزع الجماعة الشيء لهذا نصيب ولهذا نصيب، تمثيلاً لاختلافهم ثم توعدهم برجوع هذه الفرقة المختلفة إلى جزائه.

﴿جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ أي: فيها داخلون.

﴿ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ
فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ
أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ
أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ
لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾
[الأنبياء: ٩٩ - ١٠٤].

﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ﴾ [الأنبياء: 99] الأصنام ﴿آلِهَةً﴾ على الحقيقة ﴿مَا وَرَدُوهَا﴾ أي: ما دخل عابدوها النار ولا هي ﴿وَكُلٌّ﴾ منها ومن عابديها ﴿فِيهَا﴾ أي: في النار ﴿خَالِدُونَ﴾.

﴿لَهُمْ﴾ [الأنبياء: 100] للعابدين ﴿فِيهَا زَفِيرٌ﴾ وشهيق ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ شيئًا؛ لشدة غليانها، أو كل لا يسمع الآخر، وعن ابن مسعود: إن كل مخلد يجعل في تابوت في بطن آخر ثم آخر، ويطبق عليه ويعذب، فيظن أنه ليس في النار سواه إن قيل: هي بمعنى: إلا، أو هي على بابها من الاستئناف، نزلت لمَّا قال ابن الزبعرى عبد عزير والمسيح والملائكة: وهؤلاء ليسوا في النار، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ [الأنبياء: 101] وهي: الجنة، والمراد: عزير ومن بعده ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء: 102] صوتها وحركة تلهبها إذا نزلوا إلى الجنة، أو مروا عليها في الورود والحس والحسيس الصوت الخفي ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ مقيمون في النعيم ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: 103] وهو النفخة الأخيرة، أو حين يؤمر بالعبد إلى النار، أو حين تطبق جهنم للخلود، أو حين يذبح الموت وينادي بالخلود: **أقوال: أولها:** لابن عباس ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ تستقبلهم للتهنئة على أبواب الجنة، أو عند خروجهم من القبور قائلين: ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ

﴿الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا.

واذكر ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ﴾ [الأنبياء: 104] ملك يكتب أعمال العباد واللام زائدة ﴿لِلْكُتُبِ﴾ وهو الصحيفة التي فيها عمل ابن آدم عند موته؛ أي: فنطوي السماء كطي الصحيفة لأجل ما فيها من الكتب، وقرأ أبو جعفر بضم التاء من فوق في أوله وفتح الواو، و«السماء» بالرفع، والباقون بنون مفتوحة وكسر الواو ونصب «السماء»، وقرأ حمزة والكسائي وخلف للكتب، والباقون بالإفراد ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ من العدم ﴿نُعِيدُهُ﴾ من العدم ﴿وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ قادرين على الإعادة فاعلين لها.

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥ - ١١٢].

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ [الأنبياء: 105] وهو هنا جميع الكتب المنزلة ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ هو أم الكتاب، والمراد به هنا: اللوح المحفوظ، أو الزبور والتوراة، والذكر ما نزل بعدها، أو الزبور كتاب داود والذكر التوراة، أو القرآن وبعد بمعنى: قبل، كـ«وراء» بمعنى: إمام ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: 30] أي: قبل ذلك ﴿أَنَّ الأَرْضَ﴾ أرض الجنة ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ المسلمون هنا والصالحون شرعًا العالم بحقوق الله وحقوق العباد.

﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾ [الأنبياء: 106] القرآن ﴿لَبَلاغًا﴾ وصولاً إلى البغية من الثواب والنظر إلى وجه الله تعالى الكريم في الجنة ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ مؤمنين أو عالمين، ويكفي في ذلك القيام بالواجبات وترك المنهيات ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:

107] خطابًا للنبي ﷺ رحم الله به المؤمنين في الدنيا والآخرة والكفار في الدنيا بتأخير العذاب.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الأنبياء: 108] أي: لا يوحى إلي في شأن إلا له إلا وحدانيته ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي: اسلموا ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ [الأنبياء: 109] أعرضوا بالكفر ﴿فَقُلْ آذَنْتُكُمْ﴾ أعلمتكم بالحرب ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ أي: مستويين لا أستبد به دونكم ولا بعضكم دون بعض لتتأهبوا ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾ أي: يوم القيامة؛ أي: لا أعلمه على التحقيق المعين في وقت وإنما قرب من قوله: اقتربت باعتباراته لا بدّ من وقوعه وإنه أقرب لهذا مما قبله من الأزمان.

﴿إِنَّهُ﴾ [الأنبياء: 110] الضمير لله تعالى ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ﴾ والفعل ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾[1] ﴿وَإِنْ﴾ [الأنبياء: 111] ما ﴿أَدْرِي لَعَلَّهُ﴾ أي: تأخير العذاب ﴿فِتْنَةٌ لَكُمْ﴾ اختبار لكم من الله ليرى صنيعكم وهو أعلم ﴿وَمَتَاعٌ﴾ تمتع ﴿إِلَى حِينٍ﴾ وهو انقضاء الأجل.

﴿قَالَ رَبِّ﴾ [الأنبياء: 112] وقرأ جعفر عن عاصم «قال» بالماضي، والباقون على الأمر، وضم يا «رب» أبو جعفر وهو جائز على لغة، والباقون بكسرها ﴿احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي: بحكمك الحق، أو العذاب على من خالف الشرع يعذبهم الله ببدر والأحزاب وحنين وغير ذلك ونصره ﷺ ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ من كذبكم عليه بزعمكم أنه اتخذ ولدًا ونحوه وعلى رسوله بأنه شاعر ونحو ذلك، وقرأ ابن ذكوان من طريق الصوري «يصفون» بالياء من أسفل، والباقون بالتاء من فوق.

---

(1) قال الإمام الحسين: كيف يخفى على الحق من الخلق خافية، وهو الذي أودع الهياكل أوصافها من الخير والشر والنفع والضر؟! فما يكتمونه أظهر عنده مما يبدونه وما يبدونه مثل ما يكتمونه جل الحق أن يخفي عليه خافية من عباده مُحال، والله أعلم.

سورة الحج

مكية إلا: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّه﴾ [الحج: 11] الآيتين، أو الثلاث آيات من قوله: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ [الحج: 19] فإنهن نزلت بالمدينة، أو قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ....﴾ [الحج: 52] إلى ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الحج: 57] وهي أربع، أو خمس، أو ست، أو سبع، أو ثمان وسبعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ ﴾ [الحج: ١ - ٤].

﴿يا أَيُهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾(1) [الحج: 1] أي: قيامها، أو زلزلة تكون معه، أو زلزلة تكون بقرب قيامها وهي من أشراطها، وهذا هو الذي عليه الأكثر،

---

(1) قال الشيخ الألوسي (495/12): تعليل لموجب الأمر بذكر أمر هائل فإن ملاحظة عظم ذلك وهوله وفظاعة ما هو من مباديه ومقدماته من الأحوال والأهوال التي لا ملجأ منها سوى التدرع بلباس التقوى مما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته وملازمته لا محالة. والزلزلة التحريك الشديد والازعاج العنيف بطريق التكرير بحيث يزيل الأشياء من مقارها ويخرجها عن مراكزها، وإضافتها إلى الساعة إما من إضافة المصدر إلى فاعله لكن على سبيل المجاز في النسبة، كما قيل في قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ اليل والنهار﴾ [سبأ: 33] لأن المحرك حقيقة هو الله تعالى والمفعول الأرض أو الناس أو من إضافته إلى المفعول لكن على أجرائه مجرى المفعول به اتساعاً.

والزلزلة والزلزال: شدة الحركة على حالة هائلة ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ في إزعاج الناس الذي هو نوع من العذاب.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ [الحج: 2] أي: الزلزلة، أو الساعة ﴿تَذْهَلُ﴾ بسببها ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ هي التي ألقمت الثدي الولد وبلا هاء التي من شأنها ذلك، وعبّر بالأول؛ لأنه أبلغ ﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ فينزع الثدي ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ وهذا يدل على أن الضمير للزلزلة؛ لأن الساعة لا حمل فيها ولا ولد، وقيل: هو كناية عن شدة الهول؛ أي: إنه لو كان هناك مرضعة، أو حامل لوقع ذلك من باب قولهم: هذا يوم يشيب فيه الوليد ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾ بألف قبل الراء ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾ للقراء إلا حمزة والكسائي فأسقطاهما منهما وهما لغتان، والمراد: ذاهلين ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّه شَدِيدٌ﴾ فهم يخافونه.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّه بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الحج: 3] وهو النضر بن الحارث أنكر البعث وقال: الملائكة بنات الله تعالى، والقرآن أساطير الأولين، ووافقه جماعة ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ أي: في جداله في الله بلا علم ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ يتمرد مستمر في الشرك.

﴿كُتِبَ﴾ [الحج: 4] قضي ﴿عَلَيْهِ﴾ أي: على الشيطان ﴿أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ﴾ اتبعه ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾ أي: الشيطان يضل من تولاه ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: يدعوه للنار.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج: ٥ - ٧].

ثم أقام الحجة على منكري البعث بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ [الحج: 5] خطاب لأهل مكة ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ أصلكم آدم ﴿مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ﴾ ذريته ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ وهي المنيّ أصلها الماء القليل، وجمعها: نطاف ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ وهي الدم العبيط المتجمد، وجمعها: علق ﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ﴾ وهي لحمة قدر ما مضغ فأولاً تصير النطفة وماء غليظًا ثم لحمًا ﴿مُخَلَّقَةٍ﴾ تامة ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ غير تامة؛ أي: ناقصة الخلق، أو مصورة وغير مصورة، وأراد السقط، أو المخلقة ما ولدته المرأة لوقته، والثاني السقط ﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ كمال قدرتنا؛ لتستدلوا بها في ابتداء الخلق على إعادته ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ﴾ نثبت في البطون ﴿مَا نَشَاءُ﴾ فلا يمحي ولا يسقط ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ وهو وقت الخروج من الرحم مع تمام الخلق والمدة ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ﴾ من بطون أمهاتكم ﴿طِفْلاً﴾ أي: أطفالاً؛ أي: صغارًا ﴿ثُمَّ﴾ نعمركم ﴿لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ هو الكمال والقوة وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى﴾ يموت قبل بلوغ الكبر، أو قبل بلوغ الأشد ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ﴾ أخس﴿الْعُمُرِ﴾ وهو الكبر والخرف ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ فيبلغ من السلم ما يتغير فيه عقله ولا يعقل شيئًا.

قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ يابسة بلا نبات ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ﴾ المطر ﴿اهْتَزَّتْ﴾ تحركت بالنبات؛ وذلك لارتفاعها به وهو التحرك ﴿وَرَبَتْ﴾ زادت وارتفعت، قرأ أبو جعفر «وربأت» هنا وفي فصلت بهمزة مفتوحة بعد الباء، والباقون بغير همزة فيهما ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ صنف ﴿بَهِيجٍ﴾ يبتهج به الناظر ويسره، والقادر على ذلك من العدم قادر على إعادتكم.

﴿ذَلِكَ﴾ [الحج: 6] المذكور مدبر الخلق ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[1].

---

(1) قال المهائمي: كما أخرج المذكورات بعضها من بعض فهذه جهة عامة بينها للعوام وما ذكرنا جهة خاصة اطلع عليها الخاصة، والسر في هذا الترتيب هو أن كمال الأفعال برعاية الحكمة فيها وأجلها في حق الله الظهور بالكمالات، ولا يتم إلا بإيجاد الأحياء المطلعين على كمال قدرة الله، وهي إنما تظهر بالساعة فلا بدّ منها والساعة وإن أمكن كونها بالحشر الروحاني، فلا يتم إلا بالجسماني.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾
ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ
ٱلۡحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ
خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ
مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ
يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ
فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحج: ٨ - ١٥].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّه بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ [الحج: 8] معه في ذلك ﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ له نور يدل لما قاله ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ [الحج: 9] يلوي عنقه تكبرًا عن الإيمان جانباه على يمين وشمال وهو الموضع الذي يعطفه الإنسان؛ أي: يلويه ويميله عند الاعتراض عن الشيء ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّه﴾ دين الإسلام ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ عذاب وهوان بالقتل يوم بدر، فقتله أبو جهل والنضير بن الحارث وعقبة بن أبي مُعِيط صبرًا ﴿وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ [الحج: 10] أي: يقال له ذلك الخزي والعذاب بسبب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ بما أسلفت من الذنوب ﴿وَأَنَّ اللَّه لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾ ظالم ﴿لِلْعَبِيدِ﴾ فيعذبهم بلا ذنب تعالى عن ذلك ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّه عَلَى حَرْفٍ﴾ هم قوم من الأعراب يؤمن أحدهم، فإن زاد ماله وصح جسمه ونحو ذلك قال: هذا دين حسن وإلا ذمه ورجع عنه، والحرف: الشك، وأصله الطرف، فسمي الشاك بذلك؛ لأنه لم يدخل الدين على ثبات، بل هو كالقائم على حرف الجبل فهو غير مستقر يوشك أن يقع في أحد الجانبين، ولو دخل الدين على الشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكن على

حرف، وقيل: الآية في المنافق يعبد بلسانه دون قلبه.

﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾ [الحج: 11] من نحو صحة وسلامة مال وولد ﴿اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ محنة بسقم ونحوه ﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ ارتد ورجع إلى الوجه الذي كان عليه من الكفر ﴿خَسِرَ﴾ هذا الفاعل ﴿الدُّنْيَا﴾ بفوات ما أمِلَه من وقاية شوكة المسلمين ﴿وَالْآخِرَةَ﴾ بدوام العذاب، وانفرد ابن مهران عن روح فقرأ «خاسر الدنيا» على وزن فاعل، «والآخرة» بالخفض ﴿ذَلِكَ﴾ أي: خسران هذا ﴿هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

﴿يَدْعُو﴾ [الحج: 12] يعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الصنم ﴿مَا لَا يَضُرُّهُ﴾ أن ترك عبادته ﴿وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾ أن عبده ﴿ذَلِكَ﴾ الدعاء ﴿هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ عن الحق وهو دين الإسلام ﴿يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ﴾ [الحج: 13] أي: ضر عبادته ونفيه في قوله: ما لا يضره باعتبار ترك عبادته ﴿أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ أي: لو كان له نفع وهو ضرب مثل للبعيد الذي لا يقع كقول العرب فيما لا يكون أصلاً هذا بعيد فنفع الصنم كذلك وضره أقرب؛ لأنه كائن ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ المخالط المصاحب هو والعرب تسمي الزوج عشيرًا لمخالطته.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج: 14] فيكرم الطائع ويهين العاصي ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ [الحج: 15] الهاء لمحمد ﷺ؛ أي: من كان يظن أن الله لن ينصر محمدًا ﷺ ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ بحبل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ سقف البيت فيشده في السقف، ثم في عنق نفسه ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ أي: يختنق له بأن يقطع نفسه من الأرض، أو ليقطع الحبل بعد الاختناق ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ﴾ في عدم نصره النبي ﷺ ﴿مَا يَغِيظُ﴾ أي: ما يكيد، والمعنى: إن هذا لا يذهب هذا فيموت بغيظه من وقوع النصرة وليس هو على سبيل حتم الفعل، بل ضرب مثل؛ إذ لا يمكنه النظر والقطع بعد الاختناق والموت، وقيل: الآية في الرزق؛ أي: من ظن أن الله لا يرزقه فليختنق ليقتل نفسه؛ إذ لا خير في حياة تخلو من عون الله ﷻ قاله ابن عباس، وقرأ ابن عامر وأبو عمرو وورش ورويس «ثم ليقطع ثم ليقضوا» بكسر اللام فيهما، ووافقه قنبل في «ليقضوا»، والباقون بإسكان اللام فيهما، وانفرد ابن مهران عن روح بالكسر فيهما، ورُوي عن ابن جماز وقرأ ابن ذكوان «وليوفوا وليطوفوا» بكسر اللام، والباقون

بإسكانها فيهما، وأبو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء من «وليوفوا».

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحج: ١٦ - ٢٢].

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الحج: 16] مثل هذا الإنزال ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ ظاهرات ﴿وَأَنَّ اللَّه يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [الحج: 16 - 17] في عبادة الأوثان ﴿إِنَّ اللَّه يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بإدخال المؤمنين الجنة وغيرهم النار ﴿إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1] يعلمه علم مشاهدة، فهو عدو للمؤمن ووعيد لغيره.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ [الحج: 18] تعلم ﴿أَنَّ اللَّه يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ﴾ تسجد حين تغيب ﴿وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ بالطاعة ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ تسجد لله وهم المؤمنون ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ أي: وجب له وهم الكفار ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّه﴾ أي: ومن يهنه الله؛ أي: يشقيه ﴿فَمَا لَهُ مِنْ

---

(1) قال المهائمي: فلا يبعد أن يظهرها في كتابه، ويشهد عليها بعض خواصه المطلعين على إعجازه وهو نصرة في الآخرة ونوع من النصر في الدنيا يجر سائر وجوهه، فإن زعموا أن الكل متفقون على عبادته فلا حاجة إلى هذا الفصل قيل لهم: العبادات مختلفة في استيجاب الثواب والعقاب والخلو عنهما.

﴿مُكْرِمٍ﴾ مسعد ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ الخصم يطلق على الواحد وغيره فلذا جمعه بقوله: ﴿اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ وهم علي - كرم الله وجهه - وحمزة وعُبيدة - بضم العين - ابن الحارث ﷺ وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة من الكفار؛ لأنهم يوم بدر تبارزوا وكان علي ﷺ يقول: أنا أول من يجثو للخصومة يوم القيامة، أو نزلت في المسلمين والكفار قاله ابن عباس، فالمؤمنون خصم واليهود ومن ذكر معهم من أهل الأديان الأربعة خصم؛ لكن أهل الكتاب هم المراد بالخصومة، قالوا للمسلمين: نحن أولى بالله منكم آمنا قبلكم، فقال لهم المسلمون: نحن الأولى؛ لأنكم كفرتم وحسدتم أهل الإسلام، ونحن آمنا بكتابكم ونبيكم وبكتابنا ونبينا.

ثم بيَّن ما يقع لكل خصم بقوله: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ [الحج: 19] وهي من نحاس مذاب ليس شيء أشد حرًّا منه، وسميت ثيابًا؛ لإحاطتها بهم ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ وهو الماء الحار الذي انتهت حرارته ﴿يُصْهَرُ بِهِ﴾ [الحج: 20] يذاب به؛ أي: بالحميم ﴿مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ من الشحوم والأمعاء والأحشاء ﴿وَالْجُلُودُ﴾ أي: تشوى به فتسقط.

﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ﴾ [الحج: 21] سياط ﴿مِنْ حَدِيدٍ﴾ لضرب رءوسهم لو جمع أهل الثقلين على واحد منها ما أقلوه من الأرض ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ [الحج: 22] أي: من النار ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ يلحقهم ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾ أي: في النار بالمقامع ﴿وَ﴾ قيل لهم: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ والقائل: الملائكة، والحريق: المحرق هذا لأحد الخصمين وهو الكافر.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا
حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ
سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ

لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج: ٢٣ - ٢٧].

ثم بيَّن ما للمؤمن بقوله: ﴿إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ [الحج: 23] جمع: سوار ﴿مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ بالخفض هنا للقراء إلا عاصمًا والمدنيين ويعقوب فبالنصب، وفاطر كذلك لعاصم والمدنيين فقط، والباقون بالخفض فيها ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، وإن دخل الجنة لبسوه أهل الجنة ولم يلبسه، ويحمل على من مات ولم يتب من لبسه**»[1].

﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الحج: 24] في الدنيا وهو: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والمعنى: ألهموا ذلك، وهو قولهم: الله مولانا ولا مولى لكم ﴿وَهُدُوا﴾ في الدنيا أيضًا ﴿إِلَى صِرَاطِ﴾ طريق ﴿الْحَمِيدِ﴾ دين الإسلام، والحميد: المحمود في أفعاله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: 25] دين الإسلام ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ مكة؛ أي: ويصدون عنه ﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ﴾ منسكًا ومتعبدًا لهم ﴿سَوَاءً﴾ بالرفع لكل القراء إلا حفصًا فبالنصب؛ أي: مستويًا ﴿الْعَاكِفُ فِيهِ﴾ المقيم ﴿وَالْبَادِي﴾ الطارئ فيه من غيره في تعظيم حرمته وقضاء المناسك فيه والطواف فيه ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ﴾ أي: في المسجد الحرام ﴿بِإِلْحَادٍ﴾ أي: إلحادًا ﴿بِظُلْمٍ﴾ أي: بسببه، هل الإلحاد الشرك، أو كلها حرم ومنه شتم الخادم، أو ألهم بالخطيئة؟ **أقوال: أقربها:** أوسطها ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ في النار ويوجد مما ذكر أن المعنى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ [البقرة: 6] إلى آخره ﴿نُذِيقُهُمْ....﴾ [يونس: 70] إلى آخره نذيقهم من عذاب أليم.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ [الحج: 26] ليبنيه؛ لأنه رفع إلى السماء في الطوفان، ثم أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يبني البيت فلم يدر أين محله، فأرسل الله ريحًا

---

(1) رواه البخاري (330/19).

خجوجًا كشفت له ما حول البيت من الأساس، أو سحابة على قدره فبنى على ذلك ﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ أي: أمرناه بذلك ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ من الأوثان وما لا يليق به ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ الذين يطوفون بالبيت ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ المقيمين فيه ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ المصلون.

﴿وَأَذِّنْ﴾ [الحج: 27] اعلم ونادِ ﴿فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لمَّا فرغ إبراهيم من بناء البيت قال: رب قد فرغت فقال: ﴿أَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج: 27] قال: رب وما يبلغ صوتي؟ قال: أذن وعلي البلاغ، قال: رب كيف أقول؟ قال: أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق، فسمعه من في السماوات ومن في الأرض ألا ترى أنهم يجيبون من أقصى البلاد يلبون؟! وقيل: قال: يا أيها الناس إن ربكم بنى بيتًا وأوجب عليكم الحج إليه فأجيبوا ربكم، والتفت بوجهه يمينًا وشمالاً وشرقًا وغربًا فأجابه كل من كتب له أن يحج من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات لبيك اللهم لبيك، واختلف في المحل الذي صعد عليه للنداء فقيل: هو أبو قبيس، وقيل: المقام، ويطاول به حتى صار كأعلى جبل في الأرض ﴿يَأْتُوكَ رِجَالاً﴾ مشاة على أرجلهم، جمع: راجل ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي: ركبانًا، والضامر: البعير المهزول يطلق على الذكر والأنثى ﴿يَأْتِينَ﴾ أي: الضوامر ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ﴾ طريق ﴿عَمِيقٍ﴾ بعيد.

﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ
مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ
لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ
وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمُ
إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ
ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ
شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ

مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الحج: ٢٨ - ٣٤].

﴿لِيَشْهَدُوا﴾ [الحج: 28] ليحضروا ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ هل هو العفو والمغفرة، أو التجارة في مواسم الحج، أو منافع الدنيا والآخرة؟ **أقوال: أصحها:** الثالث ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّـهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ هو عشر ذي الحجة على الأصح، أو يوم عرفة، أو يوم النحر.... إلى آخر أيام التشريق ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ الهدي، والضحايا من الإبل والبقر والغنم في آخر الأيام المعلومات من العشر وما بعده تبع له ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ أمر إباحة وذكره؛ لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون منها شيئًا، وإنما يؤكل منها إذا كانت مستحبة ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ﴾ الزمن ﴿الْفَقِيرَ﴾ والبؤس شدة الفقر.

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ [الحج: 29] أي: ليزيلوا وسخهم من قص شارب، وحلق شعر، وقلم ظفر، ونتف إبط، وحلق عانة، ولبس ثياب بعد إنها الإحرام، أو المراد: قضاء مناسك بالحج، أو رمي الجمار ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ من الهدايا والضحايا فيتموها بقضائها ويخرجوا عن كل شيء نذروه من الطاعات ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[1] هو

---

(1) أفاد سيدنا البيطار في هذه الآية المباركة بقوله: وارد: البيت العتيق لكل مؤمن وصدِّيق.

بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: 29].

اعلم - رحمك الله - أن بيت الله عين ساكن؛ لأن الله هو وجود كل شيء أحد لا يتجزأ، وحقيقة مطلقة يندرج بها كل صورة في الوجود، فليس لله محل يسكنه؛ إذ ليس مع وجوده شيء آخر يحل فيه أو يتحد فيه أو يمتزج فيه، بل هو الله الواحد الأحد من جميع الوجوه كما قال: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3]، فأين البيت وأين الساكن؟ بل البيت عين الساكن والساكن عين البيت، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 115]. غاية الأمر أن الوجوه الإلهية منها العالي ومنها الأعلى، ومنها الكريم ومنها الأكرم، ومنها الرحيم ومنها الأرحم، ومنها القريب ومنها الأقرب، ومنها العظيم ومنها الأعظم، ولما كان هذا البيت أول بيت لله تعالى، أي: أول صورة إلهية شهادية تجلى الله بها من حضرة ذاته الغيبية المطلقة سمي عتيقًا، أي: قديمًا، لا يعلم له أولية فهو مجلي اسم الله القديم، ولهذا كانت تربة الجسم المحمدي ﷺ من هذا البيت، الذي هو =

طواف الإفاضة الواجب على الحاج، وسُمي البيت عتيقًا؛ لأن الله أعتقه من أيدي الجبابرة ولم يظهر عليه جبارًا، وتقدمه؛ لأنه أول بيت وضع للناس ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك المذكور من أعمال الحج.

﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾ [الحج: 30] يطلق على ما حرم فعله، أو واجب القيام به، أو تعظيمه ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ من ترك تعظيمها ﴿عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ﴾ أن تأكلوها إذا ذبحتموها وهي: الإبل والبقر والغنم ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ في سورة المائدة من ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ.....﴾ [المائدة: 3] إلى آخرها.

﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ﴾ [الحج: 31] أي: الذي هو ﴿الْأَوْثَانِ﴾ أي: عبادتها فإنها رجس؛ أي: سبب للعذاب ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ البهتان والكذب وشهادة الزور كقول المشركين في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكًا تملكه وما ملك ﴿حُنَفَاءَ﴾ مخلصين ﴿لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾ سقط ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ إلى الأرض ﴿فَتَخْطَفُهُ﴾ تسلبه ويذهب به بسرعة ﴿الطَّيْرُ﴾ قرأ المدنيان بفتح الخاء وتشديد الطاء، والباقون بإسكان الخاء وتخفيف الطاء ﴿أَوْ تَهْوِي﴾ تميل وتذهب ﴿بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ بعيد شبه الكافر لكونه هالكًا لا محالة بالساقط من السماء فهو إمَّا مخطوف بالطير، أو هالك بالريح.

﴿ذَلِكَ﴾ [الحج: 32] أي: الأمر ما ذكرت ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا﴾ أي: فإن تعظيمها ﴿مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ من المعظم لها، وهل المراد أعلام الدين، أو البدن التي تشعر بصفحة سنامها بحديدة ونحره للهدي؟ **قولان: أولهما:** أعم، **وثانيهما:** لابن عباس - رضي الله عنهما - ومعنى التعظيم عليه: استسمانها واستحسانها.

﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ [الحج: 33] أي: في الشعائر ﴿مَنَافِعُ﴾ في الثواب، أو نحوه، أو المراد: ما فيها من در، ونسل، وصوف، وركوب، وحمل عليها ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ عند الله وهو في الهدايا ذبحها ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا﴾ مكان حل نحرها ﴿إِلَى الْبَيْتِ﴾ أي: عند البيت

= وجه الله القديم، وقد طافت به الأمم السابقة على أبينا آدم الأقرب إلينا بأربعين ألف عام أو أكثر، وطافت به الملائكة قبل الجنس الإنساني، فحاز رتبة الأولية في مظاهر الحق بالنسبة لبيوته.

﴿الْعَتِيقِ﴾ والمراد: الحرم جميعه.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ [الحج: 34] جماعة مؤمنة سلفت قبلكم ﴿جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ بكسر السين في الموضعين لحمزة وخلف والكسائي، والباقون بالفتح؛ أي: مكان، أو إراقة دم ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّه عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ عند ذبحها ﴿فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ انقادوا وأطيعوا ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ هل المخبت المتواضع والمطمئن، أو الخاشع، أو المخلص، أو رقيق القلب، أو الذي لا يظلم الناس وإن ظلم لم ينتصر لنفسه؟ أقوال: أولها: لابن عباس رضي الله عنهما.

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحج: ٣٥ - ٤٢].

﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ﴾ [الحج: 35] خافت ﴿قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾ من البلاء ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ في أوقاتها تامة ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾

يتصدقون ﴿وَالْبُدْنَ﴾ [الحج: 36] جمع: بدنه، يطلق على الإبل والبقر ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أعلام دينه ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ في الدنيا: بالحمل والأكل ونحوهما، وفي الآخرة: بالثواب إذا فعل بها قربة ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ الله عَلَيْهَا﴾ عند نحرها ﴿صَوَافَّ﴾ أي: قيامًا على ثلاث قوائم ويدها اليسرى معقولة ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ﴾ سقطت بعد النحر ﴿جُنُوبُهَا﴾ إلى الأرض ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ أمر إباحة ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ﴾ الجالس في بيته متعففًا ولا يسأل ولا يتعرض ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ السائل أو المعترض هذا ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما وصف من نحرها قيامًا ﴿سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾ بما ذكر وإلا لم تطق ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ إنعام الله عليكم.

﴿لَنْ يَنَالَ اللهَ﴾ [الحج: 37] قرأ يعقوب «تنال» بالتاء من فوق في أوله، وكذلك «تناله التقوى» بالتأنيث، والباقون بالياء من أسفل ﴿لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾ أي: لن يرفع إليه ذلك ﴿وَلَكِنْ يَنَالُهُ﴾ يرفع إليه ﴿التَّقْوَى﴾ العمل الصالح بالإخلاص ﴿مِنْكُمْ كَذَلِكَ﴾ أي: مثل تسخيرها للشكر ﴿سَخَّرَهَا﴾ أي: البدن ﴿لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا الله عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ الموحدين ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ﴾ بفتح التاء والفاء وإسكان الدال لابن كثير والبصريان، والباقون بضم الياء وفتح الدال وألف وكسر الفاء، والمراد: دفع غائلة المشركين.

﴿عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: 38] بإيمانهم ﴿إِنَّ الله لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ في أمانة الله ﴿كَفُورٍ﴾ لنعمه ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ﴾ [الحج: 39] ضم همزته المدنيان والبصريان وعاصم، ورُوي عن إدريس والباقون بفتحها ﴿يُقَاتَلُونَ﴾ قرأ المدنيان وابن عامر وحفص «يقاتلون» بفتح الياء؛ لأن المشركين قاتلوهم، والباقون بكسر التاء على معنى: يريدون، فقال المشركين: وهذه أول آية نزلت في إباحة قتالهم ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ أي: بسبب ظلم المشركين لهم؛ وذلك لأنهم كانوا يؤذونهم فيشكون إلى النبي ﷺ فيأمرهم بالصبر حتى نزلت: ﴿وَإِنَّ الله عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الحج: 40] في الإخراج ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ﴾ ما أخرجوا من ديارهم إلا لقولهم: ﴿رَبُّنَا اللهُ﴾ [الحج: 40]، وهذا حق، فالإخراج به إخراج بغير حق ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ الله النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ بالجهاد وإقامة الحدود ﴿لَهُدِمَتْ﴾ بتخفيف الدال لابن كثير والمدنيين، والباقون بالتشديد ﴿صَوَامِعُ﴾ هي للرهبان أو الصابئين ﴿وَبِيَعٌ﴾ للنصارى، جمع: بيعة، وهي الكنيسة لهم

﴿وَصَلَوَاتٌ﴾ هي كنائس اليهود اسمها بالعبرانية: صلوتًا ﴿وَمَسَاجِدُ﴾ للمسلمين من أمة محمد ﷺ ﴿يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ الله كَثِيرًا﴾ وتنقطع عبادات أهلها فيها بها، فالامتنان على أهل الأديان لا على المؤمنين خاصة ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ الله مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أي: ينصر أهل دينه على عدوهم ﴿إِنَّ اللَّه لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ﴾ [الحج: 41] بنصرهم على عدوهم ﴿فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ أي: آخر أمر الخلق في الدنيا والآخرة ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ [الحج: 42] تسلية للنبي ﷺ ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودُ﴾ قوم صالح.

﴿ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ ﴾ [الحج: ٤٣ - ٥١].

﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ [الحج: 43 - 44] قوم شعيب ﴿وَكُذِّبَ مُوسَى﴾ كذبه القبط لا قومه بنو إسرائيل؛ أي: كذب من ذكر رسلهم فتسل بذلك ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ أمهلت ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ بتأخير العذاب ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ عاقبتهم﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: إنكاري، تقديره: إن إنكاره واقع موقعه.

﴿فَكَأَيِّنْ﴾ [الحج: 45] بمعنى: كم ﴿مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ للبصريين بتاء مضمومة

بلا ألف، والباقون بنون مفتوحة وإثبات الألف ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ أي: أهلها بكفرهم ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ سقوفها فيها ﴿وَبِئْرٍ﴾ وكم من بئر ﴿مُعَطَّلَةٍ﴾ متروكة بلا أهل ﴿وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ أي: وكم من قصر رفيع طويل من شاد بناؤه إذا رفعه أو مجصص، وهما في اليمن بقرية في حضرموت القصر على قلة الجبل والبئر في سفحه خلا كل من أهله بعد إن كانوا في نعمة فزالت وزالوا بسبب المعاصي.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ [الحج: 46] أي: كفار مكة توبيخ لهم ﴿فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ يعلمون بها مصارع ومال المكذبين ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أحبارهم بخراب ديارهم فيعتبروا ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ﴾ قوله: ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ أي: العمى الضار في الدين هو عمى القلب لا عمى البصر؛ إذ البصر بلغة ومتاع، وبصر القلب هو النافع.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [الحج: 47] نزلت في النضر بن الحارث قال: ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ....﴾ [الأنفال: 32] إلى آخره ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ﴾ بإنزاله فأنجز ذلك يوم بدر ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾ هو من أيام عذاب الآخرة، وقيل: غير ذلك مما في الأصل ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ بالياء من أسفل لابن كثير وحمزة والكسائي وخلف، والباقون بالتاء من فوق.

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [الحج: 48] أي: أهلها بالكفر ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ أي: أهلها ﴿وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ مرجع الخلق ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الحج: 49] مظهر الإنذار، والمعنى: بشير للمؤمنين ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الحج: 50] وهو الجنة.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ [الحج: 51] أي: عملوا في إبطالها ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ بضم الميم وشد الجيم مكسورة لأبي عمرو وابن كثير من غير ألف هنا، وفي موضعي سبأ والباقون بالتخفيف، والألف في الثلاثة على معنى: معاندين، أو مقدرين عجزنا عنهم ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾ [الحج: ٥٢ - ٥٥].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: 52] والرسول: من أوحي إليه بالعمل والتبليغ، والنبي: من أُوحي إليه بالعمل فقط ﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّى﴾ قرأ ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾[1] تلاوته للقرآن ما ليس منه؛ نزلت لأن النبي ﷺ كان حريصًا على إيمان قومه، وكان يحب أن يأتيهم بما يتآلفهم به، فلمّا نزلت عليه النجم وقرأ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾ [النجم: 19 - 20] ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، ثم سجد النبي ﷺ في آخر النجم فسجد

(1) يروى أن رسول الله ﷺ، جلس في ناد من أندية قومه، فتمنى ألا ينزل عليه في ذلك وحي لئلا يفر عنه قومه، فأنزل الله. ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾. فقرأ حتى إذا بلغ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾. فألقى عليه الشيطان كلمتين، وهما: «تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى»، فتكلم بهما، ثم مضى فقرأ السورة كلها، ثم سجد في آخرها، وسجد القوم معه، ورفع الوليد بن المغيرة ترابًا إلى وجهه فسجد عليه، فلما أمسى جاءه جبريل فعرض عليه السورة، فلما بلغ الكلمتين قال: ما جئتك بهما. فأوحى الله إليه. ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾. الآية. فما زال مغمومًا حتى نزلت الآية. والمراد: ما يتمنى نبي ولا رسول قبلك مثل ما تمنيت، إلا والشيطان قد زاد في تلاوته، كما زاد على لسانك. اعلم: أن هذه الرواية لا تصح، فإن النبي معصوم، ولا يبلغ عن الله إلا ما أوحى إليه، فإن الله يخلق عنده علمًا ضروريًا أن الملك هو جبريل، وأن ما ألقى إليه هو من الله، فكيف يقال إن الشيطان ألقى إليه هذه الكلمات حتى تلاها قرآنا؟ ولو كان الأمر كذلك لما كان لنا وثوق بما جاء به من عند ربه، لأمكن أن يكون الشيطان ألقى ذلك إليه. قال القاضي: ومعنى الآية، إن من سنة الله في رسله وأنبيائه أنهم إذا قالوا عن الله قولاً زاد الشيطان فيه من قبل نفسه، وذلك أنه، عليه الصلاة والسلام، كان إذا أقرأه تلا قرآنا قطعًا، وسكت في مقاطع الآية، فيزيد الشيطان في تلك السكتات كلمات ليست من القرآن، ويحاكي كلماته ﷺ ولما زاد الشيطان هنا الكلمة، توهم الكفار أنهما من القرآن، فتلوهما ونسبوهما له ﷺ. [الأحكام الصغرى ص 447].

معه كل من كان في المسجد من مشرك ومؤمن إلا الوليد بن المغيرة، وأبا أحيحة سعيد بن العاصي كان شيخين كبيرين، فأخذ كل كفًا من تراب وضعه على جبهته، ثم وقعت هذه الكلمة في لسان وسمع كل مشرك وفرحوا بذكر محمد ﷺ آلهتهم وقالوا: ذكرها بأحسن الذكر فنحن نوافقه، وبلغ ذلك من هاجر إلى أرض الحبشة فظنوا إسلام أهل مكة فرجعوا، ثم تبيّن لهم الحال فلم يدخلوا مكة إلا بجوار أو خفية، وأتى جبريل عليه السلام النبي ﷺ وقال له ما وقع على لسانه وكان ذلك من غير علمه ﷺ، فحزن حزنًا شديدًا فسلاه الله بهذه الآية والأكثرون على أن هذا وقع منه ﷺ على سبيل السهو والنسيان، فلم يلبث أن نبهه الله تعالى عليه ﴿فَيَنْسَخُ الله مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ أي: يبطله ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ﴾ يثبت ﴿الله آيَاتِهِ وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ومن حكمته يمكّن الشيطان من ذلك.

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً﴾ [الحج: 53] محنة وبلية ﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك ونفاق ﴿وَالْقَاسِيَةِ﴾ الجافية ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ عن قبول الحق وهم الكفار ازدادوا عتوًا بعد إبطاله ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾ خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحق ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [الحج: 54] التوحيد والفرقان، أو التصديق بنسخ ذلك ﴿أَنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ﴾ تطمئن وتسكن ﴿لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الله لَهَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو الإسلام.

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ﴾ [الحج: 55] شك ﴿مِنْهُ﴾ أي: مما ألقى الشيطان فيقولون ذكرها ثم تركها، أو من القرآن، أو الدين، أو الصراط المستقيم ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ القيامة أو الموت ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ أي: لا ليلة له وهو يوم القيامة، أو الأكثر على أنه يوم بدر وسمّاه عقيمًا؛ لأن الكفار لم يروا فيه خيرًا كالريح العقيم لا تأتي بخير. والعقيم والعقم: المنع.

﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ

عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ
غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى
ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [الحج: ٥٦ - ٦١].

﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِله﴾ [الحج: 56] وحده ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ بفضله وعدله ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [الحج: 56 - 57] مذل لهم.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ الله﴾ [الحج: 58] من مكة إلى المدينة ﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ الله رِزْقًا حَسَنًا﴾ هو الجنة وما فيها ﴿وَإِنَّ الله لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أفضل من أعطى ﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ﴾ [الحج: 59] وهو الجنة ﴿وَإِنَّ الله لَعَلِيمٌ﴾ عنهم ذلك؛ أي: الأمر ﴿حَلِيمٌ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ [الحج: 60] الذي قصصنا عليك ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ جازى الظالم بمثل ما ظلمه ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ أي: ظلم بإخراجه من منزله أو غيره ﴿لَيَنْصُرَنَّهُ الله إِنَّ الله لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ ونزلت في قوم من الكفار أتوا آخرين من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقاتلوهم، فكره المسلمون ذلك وسألوا كفهم لأجل الشهر الحرام، فأبى المشركون فخرج المسلمون لقتالهم فنصروا عليهم.

﴿ذَلِكَ﴾ [الحج: 61] النصر ﴿بِأَنَّ الله يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ أي: يدخل كلا في الآخر ﴿وَأَنَّ الله سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ
وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً
فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا
فِى ٱلْأَرْضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى
ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا
بِإِذْنِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ

ﱡ ... ثُمَّ يُحْيِيكُمْۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِۚ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٦٧﴾ ﱠ [الحج: ٦٢ - ٦٧].

﴿ذَلِكَ﴾ [الحج: 62] النصر أيضًا ﴿بِأَنَّ الله هُوَ الْحَقُّ﴾ لا غيره ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ يعبدون بالياء من أسفل في أوله لحمزة والكسائي، وخلف وحفص والبصريين هنا، وفي لقمان والباقون بالتاء ﴿مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ الزائل ﴿وَأَنَّ الله هُوَ الْعَلِيُّ﴾ العالي على كل شيء بقدرته ﴿الْكَبِيرُ﴾ الذي يصغر كل شيء سواه[1].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ [الحج: 63] تعلم ﴿أَنَّ الله أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ هو المطر ﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ بالنبات ﴿إِنَّ الله لَطِيفٌ خَبِيرٌ * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ الله لَهُوَ الْغَنِيُّ﴾ [الحج: 63 - 64] عن عباده ﴿الْحَمِيدُ﴾ المحمود في أفعاله.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الحج: 65] من الدواب وغيرها ﴿وَالْفُلْكَ﴾ السفن ﴿تَجْرِي﴾ بكم ﴿فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ بإرادته ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ﴾ أي: من أن تسقط، أو لئلا تسقط ﴿عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ فيهلك من كان عليها ﴿إِنَّ الله بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ﴾ [الحج: 66] بعد عدمكم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انقضاء أجلكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يوم البعث بفضله وعدله ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ أنعم الله بترك التوحيد ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [الحج: 67] أي: شريعة هم عاملون بها، وقيل: غير ذلك مما ذُكر في الأصل ﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ﴾ أمر الرياح، والمراد: لا تنازعهم، كما يقال: لا يخاصمنك فلان؛ أي: لا يخاصمه، ونزلت في بديل بن ورقاء ومن معه قالوا للنبي ﷺ: ما بالكم تأكلون مما تقتلون بأيديكم، ولا تأكلون مما قتل الله ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ إلى دينه ﴿إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى﴾ دين ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾.

---

(1) قال المهايمي: فالظلم على من ظلم من أجله أعلى، والشدة على الظالم لأجل الباطل حقيرة، وكيف لا ينصر المظلوم من أجله مع أن حق من كان معه أن يعلو على غيره، ويعظم قدره على قدره؟! فإن زعموا أن الله لا يبالي بالمظلوم لحقارتة، فكيف يعتني بنصره؟! أجيبوا بأن غاية حقارة المظلوم أن يكون كالأرض الميتة، والله يعتني بها.

﴿ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ
وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧٠﴾ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ
عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ يَكَادُونَ
يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۗ ٱلنَّارُ
وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ
لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن
يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾
[الحج: ٦٨ - ٧٣].

﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ﴾ [الحج: 68] في الله أو في الدين ﴿فَقُلِ الله أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه وهذا قبل أمره بالقتال ﴿الله يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الحج: 69] أيها المؤمنون والكافرون ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ فتعرفون الحق حينئذ، والاختلاف ذهاب كل خصم إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ [الحج: 70] استفهام تقرير ﴿أَنَّ الله يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ﴾ أي: ما فيهما ﴿فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ أي: علمه بجميع ما ذُكر ﴿عَلَى الله يَسِيرٌ﴾ سهل ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ [الحج: 71] أي: الكفار ﴿مِنْ دُونِ الله مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ﴾ هي الأصنام ﴿سُلْطَانًا﴾ حجة ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مِنْ نَصِيرٍ﴾ مانع من عذاب الله.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ [الحج: 72] هي القرآن ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾ أي: الإنكار من الكراهية والعبوس ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ يعفون ويبسطون أيديهم بالسوء ويبطشون ﴿بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ والتالي محمد ﷺ ﴿قُلْ﴾ أمر للنبي ﷺ أن يقول لهم: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُمْ﴾ أخبركم ﴿بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمْ﴾ أي: بشرا

أكره لكم من هذا القرآن الذي تسمعون ﴿النَّارُ﴾ أي: هو النار ﴿وَعَدَهَا الله الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: وعدهم مصيرهم إليها ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ هي.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا﴾ [الحج: 73] أنصتوا ﴿لَهُ﴾ والمثل مجعول لسان حال من عبد من دون الله وبيان أن الله هو المستحق للعبادة ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ بالياء من أسفل ليعقوب، وغيره بالياء من فوق ﴿مِنْ دُونِ الله لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ واحدًا في صغره وقلته، والذباب واحد، وجمعه القليل: أذبة، والكثير: ذباب، وهو اسم جنس، ومفرده: ذبابة ﴿وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ أي: لخلقه ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ﴾ لا يستردوه لعجزهم ﴿مِنْهُ﴾ إنما ذُكِر؛ لأنهم كانوا يطلبون الأصنام بزعفران بسلبه منها الذباب؛ أي: فكيف يجعلون شركًا لله تعالى؟ ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ العابد والمعبود، أو الطالب: الصنم، والمطلوب: الذباب، أو الطالب: الذباب يطلب ما سلبه من الصنم، والمطلوب: الصنم، وهذا الأخير لابن عباس رضي الله عنهما.

﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤) ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ (٧٥) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ (٧٦) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧) وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ (٧٨) ﴾ [الحج: ٧٤ - ٧٨].

﴿مَا قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الحج: 74] أي: ما عظموه، ولا عرفوه، ولا وضعوه حق عظمته ومعرفته ووصفه حيث أشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصر منه ﴿إِنَّ الله لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ فكيف يعبدون معه الضعيف الذليل الذي لا يمتنع من ذبابه؟

﴿الله يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: 75] لمحمد ﷺ نزلت لمَّا قالوا: ﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [ص: 8]، ﴿إِنَّ الله سَمِيعٌ بَصِيرٌ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ

أَيْدِيهِمْ﴾ [الحج: 75 - 76] ما قدَّموا ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما خلفوا ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ [الحج: 77] أي: صلوا؛ لأن الصلاة لا تكون إلا بركوع وسجود ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ هو كل مأمور به ولو ندبًا، وقيل المراد: صلة الرحم، ومكارم الأخلاق ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تسعدون وتفوزون بالجنة.

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ﴾ [الحج: 78] أي: في سبيله ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ باستفراغ طاقتكم فيه ﴿وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ [المائدة: 54]، ودخل فيه جهاد النفس والهوى وهو الجهاد الأكبر قاله ابن المبارك، وغيره قيل ونسخت بقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16]، وليس بصحيح؛ لأن معنى حق الجهاد أن يطيعه ما استطاع، وأخرج الترمذي وقال: حسن صحيح عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله**»[1]، ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ اختاركم لدينه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: ضيق، بل وسعه في الذنوب بالتوبة، وفي أوقات السفر بالقصر، والتيمم، وأكل الميتة للمضطر، والسلم بدل الربا، وفطر المسافر والمريض ونحو ذلك، وأمَّا ما أوجب من الحدود ونحوها فلتكفير العقوبة الأخروية مع أنها طارئة بسبب عصيان المكلف ﴿مِلَّةَ﴾ الزموا ملة ﴿أَبِيكُمْ﴾ يا أيها العرب أو المؤمنون، إمَّا في النسب، أو في الحرمة ﴿إِبْرَاهِيمَ هُوَ﴾ أي: الله أو إبراهيم لقوله ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾ [البقرة: 128]، ﴿سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل نزول القرآن.

﴿وَفِي هَذَا﴾ أي: وفي القرآن ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة أنه بلغكم ﴿وَتَكُونُوا﴾ أنتم ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أن رسلهم بلغتهم ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ بالمداومة عليها ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا﴾ اتقوا ﴿بِاللهِ﴾ وتوكلوا عليه ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ وليكم وناصركم وحافظهم ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى﴾ هو ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ ناصركم الناصر لكم.

---

(1) رواه البخاري (21/388).

سورة المؤمنون

مكيَّة مائة آية وتسع عشر أو ثمان عشر آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١) وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ﴾ [المؤمنون: ١ - ١٣].

﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ [المؤمنون: 1] فاز ﴿الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: 1 - 2] أذلاء متواضعون، أو خائفون، أو هو غض البصر وخفض الصوت[1] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾ [المؤمنون: 3] هل هو الشرك، أو المعاصي، أو كل

---

(1) فيها مسائل: المسألة الأولى: في سبب نزولها، روى الترمذي أن: «رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل، فنزل عليه يومًا، فمكثنا ساعة فسري عنه، فاستقبل القبلة، ورفع يديه، وقال: اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا، ثم قال: «أُنزل عليّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة»، ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ العشر آيات.

المسألة الثانية: الخشوع: هو الخضوع والاستكانة. وقد كان، ﷺ يقول في دعائه: «خضع لك سوادي وآمن بك فؤادي».

وحقيقته السكون، فقد كان ﷺ لا يلتفت في صلاته خاشعًا خاضعًا، وقد كان ابن الزبير، إذا قام

باطل ولهوٍ وما لا يحل من القول والفعل، أو معارضة الكفار بالسّب؟ **أقوال: أقربها:** الثاني ﴿**مُعْرِضُونَ**﴾.

﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ**﴾ [المؤمنون: 4] الواجبة ﴿**فَاعِلُونَ**﴾ مؤدون ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ**﴾ [المؤمنون: 5] جمع: فرج، وهو شامل لسوءتي الرجل والمرأة ﴿**حَافِظُونَ**﴾ عن الحرام ﴿**إِلَّا عَلَى**﴾ [المؤمنون: 6] أي: من ﴿**أَزْوَاجِهِمْ**﴾ أو ما معناه ﴿**أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ**﴾ والمراد: إجماع الرجل؛ إذ المرأة لا تملك الاستمتاع بفرج مملوكها ﴿**فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ**﴾ إذ كان إتيان الرجل لها في المأتى في طهرها.

﴿**فَمَنِ ابْتَغَى**﴾ [المؤمنون: 7] أي: طلب ﴿**وَرَاءَ ذَلِكَ**﴾ وهو سوى الأزواج والإماء المملوكة ﴿**فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**﴾ الظالمون بالتجاوز من الحلال إلى الحرام، ودل على أن الاستمناء باليد حرام.

﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ**﴾ [المؤمنون: 8] قرأ ابن كثير «**لأماناتهم**» هنا وفي المعارج بالتوحيد، والباقون بالجمع ﴿**وَعَهْدِهِمْ**﴾ فيما بينهم وبين الناس، كالودائع والعقود التي عاقدوا الناس عليها وما بينهم وبين الله كفعل الجنابة والصوم ﴿**رَاعُونَ**﴾ حافظون.

﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ**﴾ [المؤمنون: 9] بالإفراد لحمزة، والباقون بالجمع ﴿**يُحَافِظُونَ**﴾ فيؤدونها في أوقاتها على وجهها المأمور به ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ**﴾ [المؤمنون: 10 - 11] منازل أهل النار من الجنة والفردوس أعلى الجنة سقفه عرش الرحمن ﴿**هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ لا يموتون ولا يخرجون.

=

يصلي تأتيه حجارة المنجنيق عن يمينه ويساره، فلا يلتفت، قال الشافعي والمتصوفة: يضع المصلي بصره في موضع سجوده، فإنه أحضر لقلبه، وأجمع لفكره.

وقال مالك: ينظر أمامه، فإنه إن حنى رأسه ذهب بعض قيامه، ولا يرفع المصلي بصره إلى السماء في الصلاة، أو لتخطفن أبصارهم، وقد كان ﷺ يلمح في الصلاة ولا يلتفت.

المسألة الثالثة: قال مالك: في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾. قال: الإقبال عليها، وقال مقاتل: الخشوع أن لا يعرف من على يمينه، ولا من على يساره. واعلم أن قولك: الله أكبر، يحرم عليه الأفعال بالجوارح والكلام باللسان، وأن نية الصلاة تحرم عليه الخواطر بالقلب، والأخذ بالفكر [الأحكام الصغرى ص 447].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ [المؤمنون: 12] أي: ولد آدم وهو اسم جنس ﴿مِنْ سُلَالَةٍ﴾ وهي النطفة، والعرب تسميها: سلالة، والولد: سليلاً وسلالة؛ لأنهما مسلولان منه ﴿مِنْ طِينٍ﴾ أي: من نطفة سلت من طين وهو آدم؛ إذ أصله الطين، **والأقرب**: إن الإنسان آدم، وإن ضمير جعلناه لنسله.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ [المؤمنون: 13] أي: نسل الإنسان ﴿نُطْفَةً﴾ مبينًا ﴿فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ حرير وهو الرحم.

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٤ - ٢٠].

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾ [المؤمنون: 14] بالجمع للقراء إلا أبا بكر وابن عامر فبالإفراد، وكذا ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ أي: ألبسناها. وخلقنا هنا بمعنى: صيرنا ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ﴾ أي: الإنسان ﴿خَلْقًا آخَرَ﴾ بنفخ الروح، وقيل: غير ذلك مما ذُكِر في الأصل ﴿فَتَبَارَكَ﴾ ثبت ودام ﴿الله أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ المصورين خلقًا.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ [المؤمنون: 15] الخلق والتنقل في الأحوال ﴿لَمَيِّتُونَ﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 16] للجزاء بالأعمال ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ [المؤمنون: 17] أي: سماوات، سُميت طرائق؛ لأنها طرق الملائكة ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ بل حفظناهم من هلاككم لسقوط السماء، أو المراد: ما تركناهم سُدى.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ [المؤمنون: 18] يعلمه الله وهو ما يكفيهم

﴿فَأَسْكَنَّاهُ﴾ أبقينا منه بقية في الغدران والمستنقعات ينتفع بها ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ عند انقطاع المطر، أو المراد: إنَّا أنزلنا كل ما في الأرض من السماء، ثم أخرجناه في الأرض ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ فيهلك الكل عطشًا ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [المؤمنون: 19] خصّا بالذكر؛ لأنهما أكثر فواكه العرب ﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ أي: الجنات ﴿فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ شتاء وصيفًا.

﴿وَ﴾ [المؤمنون: 20] أنشأنا ﴿شَجَرَةً﴾ هي: الزيتون ﴿تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ بكسر السين لابن كثير وأبي عمرو والمدنيين، والباقون بفتحها، وهل معناه كطور سنين البركة؟ أي: جبل مبارك، أو الحسن بمعنى: أنه جبل حسن، أو الشجر الكبير. أو اسم المكان الذي به الجبل، أو اسم حجارة بعينها في الجبل الذي نُودي فيه موسى بين مصر وأيلة ﴿تَنْبُتُ﴾ بضم التاء وكسر الباء لأبي عمرو وابن كثير؛ أي: تنبت ملتبسة ﴿بِالدُّهْنِ﴾ والباقون بفتح التاء وضم الباء؛ أي: تنبت زيتونها، أو جناها ملتبسًا بالدهن ﴿وَصِبْغٍ﴾ آدم ﴿لِلْآكِلِينَ﴾ والأدم كلما أُكل به الخبز سواء انصبغ به كالزيت أم لا.

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ
وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ
فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً
مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ
حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ
بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ
ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ
إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا
مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المؤمنون: ٢١ - ٣٠].

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ [المؤمنون: 21] تعتبرون بها ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ بالحمل والانتفاع ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَعَلَيْهَا﴾ [المؤمنون: 22] أي: بعض الأنعام في البر ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ السفن في البحر ﴿تُحْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [المؤمنون: 23] وحده ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ﴾ معبود ﴿غَيْرُهُ﴾ سواه ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ توبيخ لهم ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ [المؤمنون: 24] لأتباعهم ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ﴾ يتشرف ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بادعاء الرسالة فيصير متبوعًا وأنتم تبع له ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ألَّا يعبد سواه ﴿لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ ظنوا أن الرسل لا تكون من البشر، والمراد: إنزالهم بإبلاغ الوحي ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ الأمم الماضية؛ أي: بإرسال بشر أو بالتوحيد.

﴿إِنْ هُوَ﴾ [المؤمنون: 25] ما هو ﴿إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾ حالة جنون ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ انتظروا ﴿بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ وهو انقضاء أجله ﴿قَالَ﴾ [المؤمنون: 26] نوح ﴿رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ أي: أعني بإهلاكهم بسبب تكذيبهم، قال تعالى مجيبًا دعاءه: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [المؤمنون: 27] بمرأى منَّا وحفظنا ﴿وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ﴾ أدخل ﴿فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ ذكر وأنثى؛ أي: من كل أنواعهما ﴿اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾ أي: من أمر ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ﴾ بإهلاكهم ﴿الْقَوْلُ﴾ أي: حق عليه الهلاك ﴿مِنْهُمْ﴾ ومنهم زوجته وولده كنعان ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا ﴿إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾.

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ﴾ [المؤمنون: 28] اعتدلت ﴿أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين وأهلكهم ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا﴾ [المؤمنون: 29] بفتح الميم وكسر الزاي لأبي بكر يريد موضع النزول، وهو الأرض بعد النزول من السفينة، وقيل: بعد ركوبها، والباقون بضم الميم وفتح الزاي أي: إنزالاً ﴿مُبَارَكًا﴾ ذلك الإنزال أو المكان، فالبركة في السفينة النجاة، وفي النزول بعد الخروج منها كثرة النسل من أولاده الثلاثة سام وحام ويافث وزوجاتهم المحمولين معه في السفينة ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ ما ذكر من النزول المبارك.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ [المؤمنون: 30] المذكور من إهلاك قوم نوح ونجاة المؤمنين

وخبر السفينة ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرة الله ﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ مختبرين قوم نوح بإرساله ووعظه لهم.

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢) وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ (٣٤) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ (٣٥) ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨) قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ (٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ (٤٠) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤١) ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ (٤٢) ﴾ [المؤمنون: ٣١ - ٤٢].

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [المؤمنون: 31] أي: بعد إهلاكهم ﴿قَرْنًا آخَرِينَ﴾ ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ [المؤمنون: 32] هو هود إلى عاد على الأظهر، وقيل: صالح وقومه ﴿أَنِ﴾ بأن ﴿اعْبُدُوا الله مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ [المؤمنون: 33] أي: بالمصير إليها ﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ﴾ نعمناهم ووسعنا عليهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ منه.

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا﴾ [المؤمنون: 34] أي: إذا أطعتموه ﴿لَخَاسِرُونَ * أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: 34 - 35] من قبوركم أحياء ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ [المؤمنون: 36] بعد بعد بكسر التاء فيهما لأبي جعفر، وبالفتح لمن سواه ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ أي: البعد لموعدكم.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا﴾ [المؤمنون: 37] أي: ما الحياة إلا حياتنا ﴿الدُّنْيَا نَمُوتُ

وَنَحْيَا﴾ أي: تموت الآباء ويحيا الأبناء وجعلوه حياة لهم؛ لأن الولد بعض الأب فكأنه حي، أو يموت قوم ويحيي قوم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ بعد الموت ﴿إِنْ هُوَ﴾ [المؤمنون: 38] ما الرسول ﴿إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ بمصدقين في البعث.

﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [المؤمنون: 39] بسببه ﴿قَالَ عَمَّا﴾ [المؤمنون: 40] أي ﴿قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ﴾ يصيرن ﴿نَادِمِينَ﴾ على كفرهم ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ [المؤمنون: 41] الهلاك أو صياح جبريل ﷺ ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: كائنة به ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ هو ما يحمله السيل من حشيش وعيدان شجر؛ أي: صيرناهم هلكى ﴿فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: هلاكًا للكفار ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا﴾ [المؤمنون: 42] أي: أقوامًا ﴿آخَرِينَ﴾.

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا
جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا
يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَـٰرُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا
وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَـٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى
ٱلْكِتَـٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ
قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ
عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم
بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾
أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [المؤمنون: ٤٣ - ٥٥].

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ [المؤمنون: 43] وقت هلاكها ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ ما يتأخرون عنه ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى﴾ [المؤمنون: 44] كثيرًا متتابعين بين كل اثنين زمن طويل، قرأ ابن كثير وأبو حفص وأبو عمرو بالتنوين، والباقون بتركه ﴿كُلَّ مَا جَاءَ

أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾ في الهلاك ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ سمراً وقصصًا يتحدث من بعدهم بأمرهم ﴿فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [المؤمنون: 45] بحجة بينة من اليد والعصا وغيرهما ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا﴾ [المؤمنون: 46] تعظموا عن الإيمان ﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم.

﴿فَقَالُوا﴾ [المؤمنون: 47] أي: فرعون وملائه ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ﴾ يعنون: موسى وهارون ﴿مِثْلِنَا﴾ في الأكل والشرب ونحوهما ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ مطيعون مذللون ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ [المؤمنون: 48] بالغرق ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [المؤمنون: 49] التوراة جملة واحدة بعد هلاك فرعون وقومه ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿يَهْتَدُونَ﴾ به.

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [المؤمنون: 50] عيسى ﴿وَأُمَّهُ آيَةً﴾ دلالة على قدرتنا في مجيء ولد بلا فحل ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ﴾ مكان مرتفع من الأرض، وهل هي غوطة دمشق، أو الرملة، أو بيت المقدس - وهي أقربُ الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً - أو مصر، أو أرض فلسطين؟ **أقــوال: ثالثها:** لابن عباس رضي الله عنهما، **والأول:** عليه الأكثر ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ مستوية منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها ﴿وَمَعِينٍ﴾ ماء جار ظاهر تراه العيون من عانه إذا أدركه بالبصر.

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [المؤمنون: 51] هل أراد به محمدًا ﷺ على عادة العرب في خطاب الواحد بلفظ الجمع، أو عيسى عليه السلام، أو الكل؟ **أقوال: أشهرها:** الأول ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ عملاً مستقيمًا على ما توحيه الشريعة ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾ [المؤمنون: 52] قرأ الكوفيون بكسر الهمزة، والباقون بفتحها، وابن عامر بتخفيف النون ساكنة بالكسر المشار إليه ملة الإسلام ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ احذرون ﴿فَتَقَطَّعُوا﴾ [المؤمنون: 53] أي: الأتباع ﴿أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ فرقًا فصاروا يهودًا ونصارى ومجوس، أو المراد: كتبًا، وإن لكل فريق كتاب، أو المراد: جعلوا كتبهم فرقًا فآمنوا ببعض وكفروا بالآخر وهو أقرب ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عندهم من الدين ﴿فَرِحُونَ﴾ معجبون مسرورون.

﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ [المؤمنون: 54] كفرهم وضلالهم ﴿حَتَّى حِينٍ﴾ إلى حين موتهم ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [المؤمنون: 55] أي: نعطيهم من ذلك مددًا لهم.

﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٦ - ٦٥].

﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [المؤمنون: 56] أي: نقدمها ثوابًا لعملهم ليس كذلك ﴿بَل لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنه استدراج لهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: 57] خائفون ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: 58 - 59] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾ [المؤمنون: 60] يعطون ﴿مَا آتَوْا﴾ أعطوا من الزكوات والصدقات ويعملون ما عملوا من أنواع البر ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ خوفًا من أن ذلك لا ينجيهم من عذاب الله، أو أنه لا يقبل منهم ﴿أَنَّهُمْ﴾ أي: لأنهم ﴿إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [المؤمنون: 61] يبادرون إلى الأعمال الصالحة ﴿وَهُمْ لَهَا﴾ أي: إليها لقوله: ﴿لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: 28]؛ أي: ما نهوا ﴿سَابِقُونَ﴾ أو المراد: سبقت لهم من الله السعادة قاله ابن عباس رضي الله عنهما ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [المؤمنون: 62] طاقتها، فمن لم يستطع الصلاة قائمًا فليصل قاعدًا، فإن لم يستطع فعلى جنب، ولم يستطع الصوم افطر ﴿وَلَدَيْنَا﴾ عندنا ﴿كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾ هو اللوح المحفوظ، وقيل: كتب أعمال العباد التي يكتبها الحفظة ﴿وَهُمْ﴾ أي: النفوس العاملة ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ بالنقص من الحسنات ولا بالزيادة

في السيئات.

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ [المؤمنون: 63] أي: الكفار ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾ غفلة وجهالة ﴿مِنْ هَـٰذَا﴾ القرآن ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ﴾ خبيثة ﴿مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: من دون أعمال المؤمنين المذكورة قيل: في ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾ [المؤمنون: 57] ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ لا بدّ لهم منها لسبق الشقاء لهم هذا ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾ [المؤمنون: 64] أغنياؤهم ورؤساؤهم ﴿بِالْعَذَابِ﴾ وهو السيف ببدر، أو الجوع حين دعا عليهم رسول الله ﷺ به ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ يصيحون جزعًا ويستغيثون فيقال لهم: ﴿لَا تَجْأَرُوا﴾ [المؤمنون: 65] ولا تجزعوا ولا تصيحوا ﴿الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا﴾ أي: من عذابنا ﴿لَا تُنْصَرُونَ﴾ لا تمنعون.

﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٦٦ - ٧٦].

﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي﴾ [المؤمنون: 66] القرآن ﴿تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ﴾ ترجعون القهقرى تأخرًا عن الإيمان.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ [المؤمنون: 67] مستعظمين عن الإيمان ﴿بِهِ﴾ أي: بالبيت الحرام كناية عن غير مذكور، وكانوا يقولون: نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا أحد ولا نخاف أحدًا، فيأمنون فيه وسائر الناس في الخوف ﴿سَامِرًا﴾ جماعة يتحدثون

في الليل في المجالس حول البيت ﴿تَهْجُرُونَ﴾ بضم التاء لنافع وكسر الجيم ومعناه: تفحشون، والباقون بفتح التاء وفتح الجيم من هجر إذا هدى، أو من الهجر لآيات الله بترك الإيمان بها.

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: 68] القرآن الذي دل على صدق النبي ﷺ ﴿أَمْ جَاءَهُمْ﴾ من الرسل ﴿مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ [المؤمنون: 68 - 69] محمدًا ﷺ ﴿فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ وهذا على سبيل التوبيخ؛ أي: إنما أرسلنا الرسل من قبله وإنهم عرفوا صدق محمد ﷺ وأمانته فكيف ينكرون قوله؟

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ [المؤمنون: 70] جنون الاستفهام في ذلك التقرير بالحق من صدق النبي، ومجيء الرسل للأمم قبلهم، ومعرفة رسولهم بما لا يخل به ﴿بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ التوحيد أو القرآن ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾.

﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ﴾ [المؤمنون: 71] هو الله عند الأكثر والقرآن ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ فأتى بزعمهم من الشرك والولد ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ فخرجت عن النظام؛ لوجود المانع ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ بالقرآن الذي فيه فخرهم وشرفهم إن اتبعوه ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ﴾ أشرافهم ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾ [المؤمنون: 72] على ما جئت به ﴿خَرْجًا﴾ أي: أجرًا وجُعلاً ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ ثوابه ﴿خَيْرٌ﴾ علي وأولى ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المؤمنون: 72 - 73] دين الإسلام.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ﴾ [المؤمنون: 74] دين الحق ﴿لَنَاكِبُونَ﴾ لعادلون مائلون ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ﴾ قحط وجدب ﴿لَلَجُّوا﴾ [المؤمنون: 75] تمادوا ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون ولم ينزعوا عنه.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ [المؤمنون: 76] الجوع بسبب دعاء النبي ﷺ، فأقاموا سبع سنين يأكلون الجيف والكلاب وصار أحدهم ينظر إلى السماء فلا يرى إلا دخان من شدة الجوع، فلمّا انقضت السبع جاء أبو سفيان سائلاً الرسول الله ﷺ أن يدعو بكشف القحط فدعا فكُشف ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا﴾ ما خضعوا وما ذلوا ﴿لِرَبِّهِمْ وَمَا

﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾ أي: لم يتضرعوا بالدعاء[1].

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى
ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا
وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ
هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ
مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المؤمنون: ٧٧ - ٨٩].

﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا﴾ [المؤمنون: 77] صاحب ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ هو القتل ببدر، وقيل: الموت، وقيل: قيام الساعة ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ آيسون من كل خير.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾ [المؤمنون: 78] خلق ﴿لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾

---

(1) إشارة: أفرد أرواحهم في مبادئ العهد بشهود نور جماله لها وخطابه معها، فلما وصلت الأشباح ابتلاها بحجاب النفوس والشياطين، ولم ترجع إلى طلب معادنها؛ فشكا الله سبحانه عنها، ومن حق معرفتها أنها تفنى براءة الحجاب والخطاب بالعتاب، وهذا وصف بعض العارفين الذين هاموا في أودية الكبرياء والعظمة، ولا يجدون لذة الوصال والجمال من صولة التوحيد؛ فوقعوا في بحار الأولية، وباشروا بالجرأة ما يوجب العتاب، فلم يلتفتوا إلى مراعاة الرجوع لاستكبارهم بمقاماتهم العظيمة، ولا يهتمون على فوائت حظوظ المشاهدة يا ليت لو علموا خفايا مكره لتضرعوا واستكانوا حتى يكشف ما وراء أحوالهم من عظائم غيوبات الصفات، وعجائب كشوف الذات، التي لو شاهدوها لذابوا ساعة بنعت الفناء في القدم، ولتاهوا ساعة بنعت البقاء مع السكر والصحو في الأبد.

القلوب لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا ﴿قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعم ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ [المؤمنون: 79] خلقكم ﴿فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تبعثون.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [المؤمنون: 80] في الزيادة والنقصان، أو المراد: التعاقب والاختلاف في السواد والبياض ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ما رأيتم من صنعه فتعتبرون.

﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ * قَالُوا﴾ [المؤمنون: 81 - 82] أي: الأولون ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ لمخرجون قالوه على طريق الإنكار والتعجب ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا﴾ [المؤمنون: 83] أي: البعث من بعد الموت ﴿مِنْ قَبْلُ إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿الأَوَّلِينَ﴾ كالأضاحيك والأعاجيب.

﴿قُلْ﴾ [المؤمنون: 84] لهم يا محمد ﷺ ﴿لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾ من المخلوقات ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ خالقها ومالكها؟ ﴿سَيَقُولُونَ لِله قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون: 85] أي: تتذكرون فتعلمون إن من قدر على خلقها ومن فيها ابتداء قادر على إعادتهم بعد الموت.

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِله﴾ [المؤمنون: 86 - 87] بإثبات الألف، وهل قبل الجلالة هنا؟ وفي الموضع بعده للبصريين ورفع وهو مكتوب كذلك في مصاحف أهل البصرة، والباقون بلا ألف وخفض الهاء منهما.

﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ تحذرون عقابه ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ﴾ [المؤمنون: 88] ملك، والتاء فيه للمبالغة ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ﴾ أي: يؤمن من شاء ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ أي: لا يؤمن من أخافه، أو هو يمنع من السوء من شاء، ولا يمنع عنه أحد ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قيل المعنى: أجيبوا إن علمتم ﴿سَيَقُولُونَ لِله قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: 89] تصرفون وتخدعون عن التوحيد والطاعة، أو المعنى: كيف يخيل لكم الحق باطلاً؟

﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ
مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا

تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ
أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا
يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن
يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ
صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾
فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩٠ - ١٠١].

﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ﴾ [المؤمنون: 90] الصدق ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في إدعائهم الشريك والولد والحق.

قوله: ﴿مَا اتَّخَذَ الله مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: 91] شريك ﴿إِذًا﴾ أي: إذا كان معه إله ﴿لَذَهَبَ﴾ انفرد ﴿كُلُّ إِلَهٍ﴾ بخلق ﴿بِمَا خَلَقَ﴾ بالاستيلاء عليه ومنع الآخر ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بالمغالبة كفعل ملوك الدنيا ﴿سُبْحَانَ الله عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [المؤمنون: 92] برفع الميم للمدنيين وحمزة والكسائي وخلف وأبي بكر، والباقون بالخفض، ورويس بخلاف عنه يبتدئ بالرفع وصل بالخفض، والغيب: ما غاب عنَّا، والشهادة ما شاهدناه ﴿فَتَعَالَى﴾ تعظم ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ * قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: 92 - 93] أي: الذي توعدوا به من العذاب وهو صادق بالقتل ببدر.

﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: 94] لا تهلكني بهلاكهم ﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ﴾ [المؤمنون: 95] يا محمد ﷺ ﴿مَا نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب لهم ﴿لَقَادِرُونَ﴾.

﴿ادْفَعْ﴾ [المؤمنون: 96] أي: بالكلمة أو الخصلة ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وهي: الصفح وتحمل الأذى ﴿السَّيِّئَةَ﴾ نسخت بآية السيف ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ يكذبون من الشرك.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ﴾ [المؤمنون: 97] امتنع ﴿بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ﴾ نزعات، أو وساوس ﴿الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: 97 - 98] في شيء من أموري؛ لأنهم يحضرون للشر، ثم ابتدأ فقال: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ [المؤمنون: 99] ورأى مقعده من النار، ومقعده من الجنة لو آمن.

﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: 100] إلى الدنيا هو فيه خطاب الواحد بخطاب الجمع للتعظيم، وقيل: هو خطاب الملائكة ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ ضيعت من قول: لا إله إلا الله والعمل بالطاعة ﴿كَلَّا﴾ ردوع له وزجر؛ أي: لا ترجع ﴿إِنَّهَا﴾ أي قوله: رب ارجعون ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ فلا فائدة له فيها ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾ أمامهم ﴿بَرْزَخٌ﴾ بين أيديهم ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ والمراد: حاجز يصدهم عن الرجوع إلى الدنيا، وهو ما بين الموت إلى البعث ولا رجوع بعده.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [المؤمنون: 101] هل هي النفخة الأولى، أو الثانية؟ **قولان: أقربها:** الثاني ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لا مفاخرة بها ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم ذلك النفخ ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ من أين أنت؟ ولا أين قبيلتك؟ لشدة الهول، وقوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: 27]، محمول على الإفاقة من هذه الدهشة.

﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠٢ - ١١٠].

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [المؤمنون: 102] بحسناته ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [المؤمنون: 103] بسيئاته ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ﴾ [المؤمنون: 103 - 104] تسفع أو تحرق ﴿وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ عابسون، ويقال لهم توبيخًا ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي﴾ [المؤمنون: 105] القرآن ﴿تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ للتخويف ونحوه ﴿فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون: 106] قرأ حمزة والكسائي وخلف «شقاوتنا» بالألف وفتح الشين، والباقون بكسر الشين بلا ألف؛ أي: الشقوة التي كتبت عليهم فلم تحصل لهم الهداية ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ عن الحق ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ [المؤمنون: 107] أي: النار ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ للكفر ﴿فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾.

﴿قَالَ﴾ [المؤمنون: 108] مالك خازن النار لهم بعد قدر الدنيا مرتين بإذن الله تعالى: ﴿اخْسَئُوا﴾ ابعدوا ﴿فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ في رفع العذاب فأيسوا عن الفرج وهو آخر كلامهم ولا ينفق لهم بعده إلا الشهيق والزفير وتطبق عليهم النار ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا﴾ [المؤمنون: 109] ذنوبنا ﴿وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾.

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ [المؤمنون: 110] بضم السين للمدنيين وحمزة والكسائي وخلف هنا وفي ص، والباقون بكسر السين هنا، واتفقوا على ضمه في الزخرف؛ أي: مستهزأ بهم أو هزوًا، ونزلت في بلال وعمَّار وخباب وصهيب وسلمان والفقراء من أصحاب النبي ﷺ كان المشركون يضحكون بينهم[1] ﴿حَتَّى أَنْسَوْكُمْ

---

(1) قرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وأبو حاتم عن يعقوب: «سُخرياً» بضم السين هاهنا وفي [ص: 63]، تابعهم المفضل في [ص: 32]. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: بكسر السين في السورتين. ولم يختلف في ضم السين في الحرف الذي في [الزخرف: 32]. واختار الفراء الضم، والزجاج الكسر. وهل هما بمعنىً؟ فيه قولان.
أحدهما: أنهما لغتان ومعناهما واحد، قاله الخليل، وسيبويه، ومثله قول العرب، بحر لُجِّيٌّ ولِجِيٌّ، وكوكبٌ دُرِيٌّ ودِرِّيٌّ.
والثاني: أن الكسر بمعنى الهمز، والضم بمعنى: السُّخرة والاستعباد، قاله أبو عبيدة، وحكاه الفراء، وهو مروي عن الحسن، وقتادة.
=

ذِكْرِي﴾ أي: أنساكم الضحك عليهم ذكري كما قال: ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾.

﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي
ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن
لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا
وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ
ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا
حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ
ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١١ - ١١٨].

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ﴾ [المؤمنون: 111] النعيم المقيم ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على أذاكم في الدنيا ﴿أَنَّهُمْ﴾ بكسر الهمزة لحمزة والكسائي، والباقون بفتح ﴿هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ وحدهم دونكم.

﴿قَالَ﴾ [المؤمنون: 112] على الماضي للقراء إلا ابن كثير وحمزة والكسائي فقرأ وأقل على الآخر وقال ضمير لله تعالى؛ لأنه قال لهم على لسان مالك أن يقول لهم: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ أي: في الدنيا، أو في القبر ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾ [المؤمنون: 113] أي: الحفظة لأعمال بني آدم من الملائكة ﴿قَالَ﴾ [المؤمنون: 114] مالك: ﴿إِنْ﴾ ما ﴿لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً﴾ وقرأ حمزة والكسائي قل ﴿لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قدر لبثكم في الدنيا في الطول لكان قليلاً بالنسبة إلى النار في الآخرة.

=

قال أبو علي: قراءة من كسر أرجح من قراءة من ضمّ، لأنه من الهزء، والأكثر في الهزء كسر السين. قال مقاتل: كان رؤوس كفار قريش كأبي جهل وعقبة [والوليد] قد اتخذوا فقراء أصحاب رسول الله ﷺ كعمّار وبلال وخبّاب وصهيب سِخْرِيّاً يستهزئون بهم ويضحكون منهم. [زاد المسير12/28].

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: 115] لعبًا وباطلاً ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: 115 - 116] السرير الحسن أو المرتفع.

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ﴾ [المؤمنون: 117] لا حجة ولا بينة ﴿لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ * وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: 117 - 118].

سورة النور

مدنية ثنتان أو أربع وستون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ
وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً
أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ
يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً
أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ
شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ
﴿٨﴾ ﴾ [النور: ١ - ٨].

هذه ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾[1] [النور: 1] بالتشديد لابن كثير وأبي عمرو؛

(1) هذه السورة مدنية بلا خلاف، ولما ذكر تعالي مشركي قريش ولهم أعمال من دون ذلك أي أعمال سيئة هم لها عاملون، واستطرد بعد ذلك إلى أحوالهم، واتخاذهم الولد والشريك، وإلى مآلهم في النار كان من أعمالهم السيئة أنه كان لهم جوارٍ بغايا يستحسنون عليهن ويأكلون من كسبهم من الزنا، فأنزل الله أول هذه السورة تغليظًا في أمر الزنا وكان فيما ذكر وكأنه لا يصح ناس من المسلمين هموا بنكاحهن، وقرأ الجمهور (سورة) بالرفع فجوّزوا أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هذه (سورة) أو مبتدأ محذوف الخبر، أي فيما أوحينا إليك أو فيما يتلى عليكم، وقال ابن عطية: ويجوز أن يكون مبتدأ أو الخبر (الزانية والزاني) وما بعد ذلك، والمعنى السورة =

لكثرة ما فيها من الفرائض، والباقون بالتخفيف؛ أي: أوجبنا ما فيها من الأحكام وألزمناكم العمل به ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾(1) [النور: 2] أي: إذا كان

المنزلة والمفروضة كذا وكذا إذ السورة عبارة عن آيات مسرودة لها بدء وختم إلاّ أن يكون المبتدأ ليس بالبين أنه الخبر إلاّ أن يقدر الخبر في السورة كلها وهذا بعيد في القياس و(أنزلناها) في هذه الأعاريب في موضع الصفة، وقرأ عمر بن عبد العزيز ومجاهد وعيسى بن عمر الثقفي البصري وعيسى بن عمر الهمداني الكوفي وابن أبي عبلة وأبو حيوة ومحبوب عن أبي عمرو وأمّ الدرداء (سورةً) بالنصب فخرج على إضمار فعل أي أتلو سورة و(أنزلناها) صفة، قال الزمخشري: أو على دونك (سورة) فنصب على الإغراء، ولا يجوز حذف أداة الإغراء وأجازوا أن يكون من باب الاشتغال أي أنزلنا (سورة أنزلناها) فأنزلناها مفسر لأنزلنا المضمرة فلا موضع له من الإعراب إلاّ أنه فيه الابتداء بالنكرة من غير مسوغ إلاّ إن اعتقد حذف وصف أي (سورة) معظمة أو موضحة (أنزلناها) فيجوز ذلك، وقال الفراء: (سورة) حال من الهاء والألف والحال من المكنى يجوز أن يتقدّم عليه، فيكون الضمير المنصوب في (أنزلناها) ليس عائدًا على (سورة) وكان المعنى أنزلنا الأحكام (وفرضناها) سورة أي في حال كونها سورة من سور القرآن، فليست هذه الأحكام ثابتة بالسنة فقط بل بالقرآن، والسنة، وقرأ الجمهور (وفرضناها) بتخفيف الراء أي فرضنا أحكامها وجعلناها واجبة متطوّعاً بها، وقيل: وفرضنا العمل بما فيها، وقرأ عبد الله وعمر بن عبد العزيز ومجاهد وقتادة وأبو عمرو وابن كثير بتشديد الراء إما للمبالغة في الإيجاب، وإما لأن فيها فرائض شتى أو لكثرة المفروض عليهم، قيل: وكل أمر ونهي في هذه السورة فهو فرض. انظر: [تفسير البحر المحيط (282/8)].

(1) في الآية مسائل: **المسألة الأولى:** الزنا هو الوطء المحرم شرعًا في غير ملك، ولا شبهة ملك في قبل أو دبر ذكر أو أنثى، ويندرج في ذلك اللواط، وقرئ الزانية بالرفع والنصب. وقد قررنا ذلك في السارق والسارقة، إنما ذكر الذكر والأنثى رفعًا؛ لما توهمه الشافعي من أن المرأة إذا جومعت في الصيام لم تكفِّر، لقوله: جامعت أهلي في رمضان، فقال له ﷺ: «كفِّر والمرأة ليست واطئة ولا مجامعة». قال القاضي: وهذا تقصير من الشافعي؛ لأن المرأة تتصف بالوطء كالرجل لاشتراكهما في اللذة.

المسألة الثانية: بدأ تعالى بالمرأة، في قوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾؛ لأنها أكثر شهوة من الرجل، ولأن زناها أعظم، لما يتولد عنه من الحمل، ولا شك أن المرأة أشد حياء لكن يذهب بالزنا، لا شك أن الجلد على البكر والرجم على الثيب، وذلك أن الآية تقتضي الجلد، ثم شرحت السنة ذلك، فقال ﷺ: «البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب الجلد والرجم». ثم نسخ الجلد، ثم لا خلاف أن المخاطب بالأمر الإمام، ومن ناب عنه، وزاد مالك والشافعي: السادة في العبيد.

حرين عاقلين بكرين غير محصنين ويضم لذلك تغريب عام كما في السُّنة وإن كان الزاني محصنًا فعليه الرجم كما سبق في النساء، والرقيق على النصف من الحر، وقدِّمت المرأة في أنه حد الزنا، وأخرت في آية حد السرقة؛ لأن الزنا إنما يتولد من شهوة الوقاع وهي المرأة أقوى وأكثر، والسرقة إنما تتولد من الجسارة والقوة وهي في الرجل أقوى وأكثر، وقدَّم الرجل في قوله: ﴿الزَّانِي لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً﴾ [النور: 3]؛ لأن الآية هنا في الحد والمرأة هي الأصل فيه لما مرّ، وهناك الآية في حكم النكاح والرجل هو الأصل فيه؛ لأنه الراغب والبادئ بالطلب بخلاف الزنا، فإن الأمر فيه بالعكس غالبًا ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ بفتح الهمزة لابن كثير، والباقون بإسكانها؛ أي: رحمة ﴿فِي دِينِ اللهِ﴾ أي: حكمه بأن تتركوا شيئًا من حدهما ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ﴾ ليحضر ﴿عَذَابَهُمَا﴾ أي: الجلد ﴿طَائِفَةٌ﴾ جماعة ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وما زاد على الواحد أولى.

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ﴾ [النور: 3] أي: لا يجامع ﴿إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا﴾ أي: لا يجامعها ﴿إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ونزل ذلك لمَّا همّ فقراء المهاجرين أن يتزوجوا بغايا المشركين وهن مؤسرات؛ لينفقن عليهم فقيل: التحريم خاص، وقيل: عام، ونسخ بقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى﴾ [النور: 32].

=

قال الشافعي في الجلد والقطع، وقال مالك في الجلد خاصة؛ لقوله ﷺ: «إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد».

المسألة الثالثة: قوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾: أي لا تشفقوا على الزناة في الحدود، وليكن الضرب وسطًا، وتستوي فيه الحدود كلها.

وقال أبو حنيفة: ضرب الزنا أشد، ثم دونه ضرب القذف، وأخفها ضرب الشراب، وفي الحديث: «أن رجلاً أصاب حدًا فأتى ﷺ، بسوط شديد، فقال: دون هذا، فأتى بسوط لين، فقال: فوق هذا». وقد أمر ابن عمر بأن لا ترفع الإبط في ضرب الجلد. قال القاضي: هذا ما لم يكثر الناس الفساد، فإنه يشتد في الضرب، وقد شرب رجل خمرًا في رمضان فحده ثمانين للشرب، ثم عشرين لهتك حرمة الشهر. وقد عبث رجل بصبي، فضربه الوالي ثلاثمائة سوط، ولم يغير مالك حين بلغه. والطائفة: قيل: واحد فما زاد، وقيل: رجلان، وقيل: أربعة، وقيل: عشرة. والطائفة مأخوذة من طاف، وهذا يصح في الواحد، ومن هنا استدل العلماء على قبول خبر الواحد. [الأحكام الصغرى ص444].

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ [النور: 4] العفيفات بالزنا ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ على زناهن برؤيتهم ﴿فَاجْلِدُوهُمْ﴾ أي: كل واحد منهم ﴿ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ هذا إن كان القاذف حرًّا فالعبد عليه أربعون، وإن كان المقذوف غير محصن فعلى قاذفه التعزير، وشروط الإحصان: إسلام، وبلوغ، وعقل، وحرية، وعفة عن زنا يحد به في دوام عمره حتى لو زنا وتاب لم يعد محصنًا هنا، فإن أقر المقذوف على نفسه بالزنا أو أتى القاذف بأربعة شهود على زنا المقذوف سقط الحد عن القاذف ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ لإتيانهم كبيرة.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: 5] وإذا تاب القاذف قبلت شهادته ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ [النور: 6] يقذفون ﴿أَزْوَاجَهُمْ﴾ أي: نساءهم بالزنا ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ﴾ أيشهدون بصحة ما قالوا ﴿إِلَّا﴾ أي: غير ﴿أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ﴾ بالضم لحمزة والكسائي وخلف وحفص، والباقون «أربع» بفتح العين ﴿شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيما رماها به من الزنا.

﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النور: 7] في ذلك، وقرأ نافع ويعقوب «إن» بتخفيف النون ساكنة، و«لعنة» بالرفع، والباقون بتشديد «إن» ونصب «لعنة»، والمعنى: فعليهم إن شهد أحدهم.... إلى آخره، وما ذكر يدفع عنه حد القذف ﴿وَيَدْرَأُ﴾ [النور: 8] يدفع ﴿عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ أي: الحد الذي ثبت بشهاداته ﴿أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فيما رماها به من الزنا.

﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا
تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى
تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ
بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ
يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النور: ٩ - ١٤].

﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ الله عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور: 9] في ذلك، وإذا كان حاضرًا أشارت إليه كما يشير إليها إذا كانت حاضرة، فإن غاب أحدهما ميزه الآخرة في غيبته بما يرفع اللبس في كل من الكلمات الخمس، وروى حفص «الخامس» الأخيرة بالنصب، والباقون بالرفع، وقرأ نافع ويعقوب «إن» بالتخفيف وكسر الأول ضاد «غضب» وفتح الباء ورفع الجلالة، ويعقوب فتح الضاد ورفع الباء وكسر الجلالة، والباقون بفتح الضاد ونصب الباء وتشديد «إن» قبل «غضب» وخفض الهاء.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ الله تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: 10] ليبيّن الحق وعجل العقوبة، ونزلت الآيات في هلال بن أمية وزوجته لمَّا قذفها بالزنا فتلاعنا وطلقها عويمر ثلاثًا وقالت: كَذَبت يا رسول الله إن أمسكتها، فكانت لكل من الملاعنين فيفرق بينهما ولا يجوز اجتماعهما في نكاح أبدًا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾[1] [النور: 11] الكذب على عائشة أم المؤمنين

---

(1) سبب نزول هذه الآية ما روي عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن السيد عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصًا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضًا، قالوا: قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين أزواجه وأيتهن خرج سهمها خرج بها النبي ﷺ معه قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما أنزل الحجاب فكنت أحمل في هودج وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع؛ فرجعتُ فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه، قالت: وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون أني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافًا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكل العلقة، من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه، وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إلي فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش؛ فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني وكان رآني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، ووالله ما تكلمنا بكلمة =

ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها، فقمت إليها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول، قالت: فهلك من هلك، وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي بن سلول، قال عروة أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه، وقال عروة أيضًا: لم يسم من أهل الإفك أيضا إلا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصبة، كما قال الله تعالى ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ قال: عبد الله بن أبي ابن سلول، قال عروة: كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسانُ، قالت عائشة: فقدمنا المدينة، فاشتكيت حين قدمت شهرًا، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليّ رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول كيف تيكم؟ ثم ينصرف، فذلك يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت، فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وكان متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكُنف قريبًا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط. وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، قالت: فانطلقتُ أنا وأم مسطح - وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، فاقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرًا؟ فقالت: أي هنتاه أو لم تسمعي ما قال؟ قالت فقلت: ما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، قالت فازددت مرضًا على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ ثم قال: كيف تيكم؟ فقلت له: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأنا أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ فقلت لأمي: يا أمتاه ماذا يتحدث الناس؟ فقالت: يا بنية هوني عليك فوالله لقل ما كانت امرأة قط رضية عند رجل يحبها لها ضرائر إلا أكثرن عليها، قالت فقلت: سبحان الله أو لقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي، قالت: ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه، فقال أسامة: أهلك ولا نعلم إلا خيرًا، وأما علي فقال: يا رسول الله لم يضيق اللهُ عليك والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة، فقال: أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك؟ قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرًا قط أغمضه أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله، قالت: فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي وهو على المنبر، فقال: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيرًا وما يدخل على أهلي إلا معي، قالت: فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل، فقال أنا يا رسول الله أعذرك فإن

كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: وقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، قالت: وكان قبل ذلك رجلاً صالحًا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنهُ فإنك منافق تجادل عن المنافقين، قالت: فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، قالت: فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت، قالت: فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم قالت وأصبح أبواي عندي، وقد بكيت ليلتين ويوما لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع حتى إني لأظن أن البكاء فالق كبدي فبينا أبواي جالسان عندي، وأنا أبكي فاستأذنت عَلَيّ امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي، قالت: فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ علينا فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهرًا لا يوحى إليه في شأني بشيء، قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: أما بعد يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه، قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته فاض دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي أجب رسول الله ﷺ فيما قال، فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال، فقالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرًا: إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني، فوالله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا قول أبي يوسف حين قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ ثم تحولت واضطجعت على فراشي وأنا أعلم والله يعلم أني حينئذ بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيًا يتلى، لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها، فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه الوحي فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه العرق مثل الجمان، وهو في يوم شات، من ثقل القول الذي أنزل عليه، قالت: فسري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال: يا عائشة أما والله فقد برأك الله، قالت: فقالت لي أمي: قومي إليه فقلت: والله لا أقوم إليه فإني لا أحمد إلا الله، قالت: وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ العشر الآيات، فلما أنزل الله في براءتي قال أبو بكر الصديق، وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله: ﴿وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قال أبو بكر الصديق: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا، قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ

بقذفها رضي الله عنها ﴿عُصْبَةٌ﴾ جماعة ﴿مِنْكُمْ﴾ أي: من المؤمنين وهم: حسان بن ثابت، وعبد الله بن أُبي المنافق، ومسطح، وحمنة بنت جحش ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ **لا تظنوه** أيها المؤمنون غير العصبة ﴿شَرًّا لَكُمْ﴾ إنما هو شر لمن وقع فيه ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ للأجر وظهور براءة عائشة - رضي الله عنها - وصفوان بن أمية، فإنها قالت: كنت مع النبي ﷺ في غزوة بعدما أنزل الحجاب ففزع منًّا ورجع ودنى من المدينة، وأُعلم بالرحيل ليلة مشيته وقضيت شأني وأقبلت إلى الرحل، فإذا عقدي انقطع فرجعت أطلبه وحملوا هودجي على بعيري يحسبونني فيه وكانت النساء خفافًا لم يثقلهن اللحم؛ لقلة أكلهن، ووجدت عقدي وجئت بعدما ساروا، فجلست في المنزل الذي كنت فيه وظننت أن القوم يتفقدونني فيرجعون إليّ، وكان صفوان قد عرَّس من وراء الجيش فنزل من آخر الليل يستريح، فأصبح بمنزله فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني؛ أي قوله: ﴿إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 156] وجهي بجلبابي، والله ما كلمني بكلمة وأسمعت منه كلمة

=

سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال لزينب: ماذا علمت أو رأيت؟ فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيرًا، قالت عائشةُ وهي التي تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع، قالت: وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك، قال ابن شهاب: فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط، قالت عائشة: والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول: سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت عن كنف أنثى قط قالت: ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله، ورواه محمد بن إسماعيل عن يحيى بن بكير، أخبرنا الليث عن يونس عن ابن شهاب بإسناد مثله، وقال: وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه، إلى قوله: فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك، ورواه أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: ولقد جاء رسول الله ﷺ بيتي فسأل عني خادمتي، فقالت: لا والله ما علمت عليها عيبا إلا أنها كانت ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل خميرها أو عجينها، فانتهرها بعض أصحابه، فقال: اصدقي رسول الله حتى أسقطوا لهابه، فقالت: سبحان الله والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر، وفيه قالت: وأنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرُفع عنه وإني لأتبين السرور في وجهه وهو يمسح جبينهُ ويقول: أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتكُ فقال لي أبواي: قومي إليهُ فقلت: لا والله لا أقوم إليهُ ولا أحمده ولا أحمد أحداً ولكن أحمد الله الذي برأنيُ لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه. انظر [تفسير البغوي (18/6)].

غير استرجاعه حين أناخ راحلته ووطئ على يدها، فركبتها فانطلق يقودني الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا في وقت الظهير به، فهلك من هلك بالإفك ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ﴾ أي: من العصبة الكاذبة ﴿مَا اكْتَسَبَ﴾ أي: جزاء ما اكتسب ﴿مِنَ الْإِثْمِ﴾ بقدر ما أفاض فيه ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ بضم الكاف ليعقوب وبكسرها لغيره، والمعنى: قام بإشاعة الحديث وبدأ بالخوض فيه وهو: عبد الله بن أُبي المنافق ﴿مِنْهُمْ﴾ أي: من العصبة الكاذبة ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ بالخلود في النار.

﴿لَوْلَا﴾ [النور: 12] هلا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ حين سمعتموه ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ﴾ أي: ظن بعضهم ببعض ﴿خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ﴾ كذب ﴿مُبِينٌ﴾ ظاهر.

﴿لَوْلَا﴾ [النور: 13] هلا ﴿جَاءُوا﴾ أي: العصبة الكاذبة ﴿عَلَيْهِ﴾ أي: على الذي قالوه من الإفك ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ يشهدون بمشاهدته ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ﴾ أي: في حكمه ﴿هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ في قولهم فيه.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ﴾ [النور: 14] أصابكم ﴿فِي مَا أَفَضْتُمْ﴾ خضتم ﴿فِيهِ﴾ من الإفك ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لا انقطاع له بالخلود في النار.

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [النور: ١٥ - ٢١].

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [النور: 15] أي: يرونه بعضكم عن بعض ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾ سهلاً ﴿وَهُوَ عِنْدَ الله عَظِيمٌ﴾ باعتبار إثمه.

﴿وَلَوْلَا﴾ [النور: 16] هلا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ﴾ ما ينبغي ﴿لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ﴾ معناه هنا: التعجب ﴿هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ كذب ببهت وبتحير من عظمته ﴿يَعِظُكُمُ الله﴾ [النور: 17] ينهاكم ﴿أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ تتعظون بذلك ﴿وَيُبَيِّنُ الله لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ [النور: 18] ومنها أمره ونهيه ﴿وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ﴾ [النور: 19] تظهر وتذيع ﴿الْفَاحِشَةُ﴾ باللسان وهي هنا: الزنا والعبرة بعموم اللفظ ﴿فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾ بحد القذف ﴿وَالْآخِرَةِ وَالله يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ﴾ أيها العصبة ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ الله رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: 20] بكم لعجل لكم العقوبة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ﴾ [النور: 21] طرق ﴿الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ﴾ أي: المتبع ﴿يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ القبائح ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ شرعًا ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا﴾ ما صلح، وقرأه بتشديد الكاف ابن مهران عن روح؛ أي: ما طهر ﴿مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ ممن فاض في الإفك وغيره ﴿وَلَكِنَّ الله يُزَكِّي﴾ يطهر ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ من الذنب فيقبل توبته ﴿وَالله سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ

لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [النور: ٢٢ - ٢٧].

﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ [النور: 22] يحلف، وقرأ أبو جعفر «لا يتأل» بياء ثم تاء مفتوحة وهمزة بعدها كذلك، ثم لام مشددة مفتوحة، والباقون بهمزة ساكنة بين الياء والتاء وكسر اللام مخففة ﴿أُولُو﴾ أصحاب ﴿الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ الغنى، أراد أبا بكر الصديق ﷺ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ وكان مسطح ابن خال أبي بكر وكان بدريًا مسكينًا مهاجرًا حلف أبو بكر لا ينفق عليه لمَّا خاض في الإفك بعد أن كان ينفق عليه ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ عنهم في خوضهم في أمر عائشة رضي الله عنها ﴿أَلَا تُحِبُّونَ﴾ خطاب لأبي بكر على وجه التعظيم ﴿أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فلمَّا قرأها رسول الله ﷺ على أبي بكر قال: بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ [النور: 23] بالزنا ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ العفائف ﴿الْغَافِلَاتِ﴾ عن الفواحش ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ بألَّا يقع في قلوبهن فعلها المؤمنات ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ واختُلف هل الآية خاصة بعبد الله بن أُبي المنافق، أو بمن قذف أزواجه ﷺ فلا توبة لهم، أو عامة في كل من قذف من اتصفت بهذه الأوصاف؟ ثم نسخت بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ...﴾ [النور: 4]، إلى قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ [النور: 5] على أقوال: أقربها: الأخير.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ﴾ [النور: 24] بالتاء من فوق في أوله للقراء إلا حمزة والكسائي وخلف فبالياء من أسفل ﴿عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ قبل أن يختم على أفواههم ﴿وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾ بعد ذلك، أو تشهد ألسنة بعضهم على بعض ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من قول وفصل.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ [النور: 25] هو يوم القيامة ﴿يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ﴾[1] جزاءهم ﴿الْحَقَّ﴾

---

(1) أي: يوم تشهد عليهم جوارحهم بأعمالهم القبيحة يعطيهم الله جزاءهم عليها موفرًا، فالمراد بالدّين هاهنا: الجزاء، وبالحق: الثابت الذي لا شك في ثبوته، قرأ زيد بن عليّ «يوفيهم» مخففًا من أوفى، وقرأ من عداه بالتشديد من وفّى، وقرأ أبو حيوة، ومجاهد «الحق» بالرفع على أنه نعت لله، وروي ذلك عن ابن مسعود، وقرأ الباقون بالنصب على أنه نعت لدينهم، قال أبو عبيدة: ولولا كراهة خلاف الناس لكان الوجه الرفع ليكون نعتًا لله ﷻ ولتكون موافقة لقراءة أبيّ، وذلك أن =

الواجب، أو حسابهم العدل والوجوب باعتبار عدم الخلق ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ * الْخَبِيثَاتُ﴾ [النور: 25 - 26] من النساء ومن الكلمات ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ من الرجال ومن الناس ﴿وَالْخَبِيثُونَ﴾ من الناس ﴿لِلْخَبِيثَاتِ﴾ مما ذكر ﴿وَالطَّيِّبَاتُ﴾ من القول والنساء ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ من الناس، ومن ذلك عائشة - رضي الله عنها - لرسول الله ﷺ ﴿وَالطَّيِّبُونَ﴾ من الناس ﴿لِلطَّيِّبَاتِ﴾ من القول فالخبيث لا يقول إلا خبيثًا وهم من رمى عائشة بالإفك والطيب لا يقول إلا طيبًا وهم براء ﴿أُولَئِكَ﴾ الطيبون من الرجال والطيبات من النساء ومنهم صفوان وعائشة رضي الله عنهما ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ﴾ للطيبين والطيبات ﴿مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة وأخرج الحاكم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: خلال لي تسع لم تكن لأحد إلا ما أتى الله مريم جاء الملك بصورتي إلى رسول الله ﷺ، وتزوجني وأنا ابنة سبع سنين، وأهديت إليه وأنا ابنة تسع، وتزوجني بكرًا، وكان يأتيه الوحي وأنا وهو في لحاف واحد، وكنت من أحب الناس إليه، ونزلت فيَّ آيات من القرآن كادت الأمة تهلك فيها، ورأيت جبريل ولم يره أحد من نسائه غيري، وقُبض في بيتي لم يله أحد من نسائه غير الملك إلا أنا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾ تستأذنوا ﴿وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور: 27] قبل الاستئذان فيقول الداخل: السلام أأدخل، وإذا سلم ثلاثًا فلم يجبه أحد فليرجع؛ فالأول: إعلام، والثاني: مؤامرة، والثالث: استئذان بالرجوع ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من دخولكم بلا استئذان ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ خيرته فتعلمون به(1).

=

جرير بن حازم قال: رأيت في مصحف أبيّ «يوفيهم الله الحق دينهم»، قال النحاس: وهذا الكلام من أبي عبيدة غير مرضيّ؛ لأنه احتج بما هو مخالف للسواد الأعظم، ولا حجة أيضًا فيه؛ لأنه لو صحّ أنه في مصحف أبيّ كذلك جاز أن يكون دينهم بدلا من الحقّ. انظر: [فتح القدير (5 / 200)].

(1) فيها مسائل: المسألة الأولى: نزلت الآية عامة في كل بيت، ونبه الله بها على أن الواجب الستر على الخلق، وأنه لا يكشف أحد على بيت أحد، وقد اطلع رجل على حجرة من حجر أزواج رسول الله ﷺ فقال له ﷺ: «لو علمت أنك تنظر لفقأت عينك». ولهذا شرع الاستئذان. والاستئناس: الاستئذان، وهكذا قرأ ابن عباس، وقال: أخطأ الكاتب. قال القاضي: وهذه رواية عن ابن عباس ضعيفة؛ لأن الأمة قد أجمعت على صحة ما بين دفتي المصحف، وقد تولى الله

=

﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النور: ٢٨ - ٣٠].

﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا﴾ [النور: 28] أي: في البيوت ﴿أَحَدًا﴾ يأذن لكم في الدخول ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا﴾ بعد الاستئذان ﴿فَارْجِعُوا﴾ ولا تقفوا على الباب ﴿هُوَ﴾ أي: الرجوع ﴿أَزْكَى﴾ أطهر ﴿لَكُمْ﴾ وأصلح وخير من القعود على الباب ﴿وَالله بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ولمَّا نزلت آية الاستئذان قالوا: كيف بالبيوت في الطرقات التي لا ساكن بها؟ فنزل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ [النور: 29] أي: بغير استئذان ﴿فِيهَا مَتَاعٌ﴾ منفعة ﴿لَكُمْ﴾ كالخانات ومنازل المارين، ومن ذلك: بيوت التجار في الأسواق كما قيل: ويحمل على ما إذا جرت العادة بذلك ﴿وَالله يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ تظهرون ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾.

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: 30] عن النظر إلى ما لا يجوز

= حفظه. وقيل: المراد: حتى تؤنسوا أهل البيت بالتنحنح، ليعلموا بالدخول عليهم.

المسألة الثانية: اعلم أن الاستئذان يكون بالسلام، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إذا استأذن أحدكم ثلاثًا، فلم يؤذن له فليرجع».

وصفة الاستئذان أن يقول الرجل: السلام عليكم، أأدخل؟ قال مالك، يقول: السلام عليكم، فإذا رد عليه، قال: أأدخل؟ فإن أذن له دخل وإلا رجع. واعلم أن الاستئذان إنما يكون في بيت ليس للإنسان، وأما بيته، فإن كانت فيه زوجته لم يستأذن، وإن كانت فيه أمه أو أخته استأذن، وفي الحديث: «أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: أستأذن على أمي؟ قال: نعم، ثم قال: أتحب أن تراها عريانة». وبالجملة فالزوجة لا حشمة بين الإنسان وبينها بخلاف الأقارب.

المسألة الثالثة: هذا الذي ذكرناه، هو للأدب في دخوله بيت غيره، أما بيت الإنسان، فقال علماؤنا: يقول: «السلام عليكم، من ربنا، التحيات، الطيبات المباركات، السلام علينا». رواه ابن وهب عن رسول الله ﷺ. قال القاضي: وسنده ضعيف، والصحيح ترك السلام والاستئذان..

النظر إليه ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ عمَّا لا يحل حتى يجب ستره ولو في الخلوة ﴿ذَلِكَ﴾ الغض وحفظ الفرج ﴿أَزْكَى﴾ خير ﴿لَهُمْ﴾ وأظهر ﴿إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فيجازى على ذلك.

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النور: ٣١ - ٣٢].

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ [النور: 31] عمَّا لا يحل لهن النظر إليه ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ بترك الحرام ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ أي: محل الزينة كمعصم وأذن ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وهو الوجه والكفان فلها كشفهما ولا يحل النظر إليهما عند خوف الفتنة وأمنها ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾ جمع: خمار؛ أي: يلقين مقانعهن وهو ما على الرأس ﴿عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ لستر الرأس والعنق والصدر ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الخفية؛ أي: مواضعها وهو ما عدا الوجه والكفين ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ أزواجهن، جمع: بعل ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ فكل من ذُكر يباح له إلى ما سوا مما بين السرة والركبة إلا الزوج فيباح له النظر إلى جميع البدن حتى الفرج؛ لكن يكره النظر إليه وفهم من التعبيد بنسائهن أنه لا يجوز على كافرة من النظر إلى مسلمة ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ كجارية المرأة وعبدها فينظر لكلها إن كان عفيفًا غير مكاتب، وكانت السيدة عفيفة ما عادا ما بين السرة والركبة ﴿أَوِ التَّابِعِينَ﴾ للناس للإصابة من فضول طعامهم ﴿غَيْرِ﴾ بالنصب

لأبي جعفر وابن عامر وأبي بكر، والباقون بالخفض ﴿أُولِي﴾ أصحاب ﴿الْإِرْبَةِ﴾ الحاجة إلى النساء ﴿مِنَ الرِّجَالِ﴾ بأن كان ممسوحًا إمَّا الخصي والعنين والشيخ والمخنث فكالذكر السليم ﴿أَوِ الطِّفْلِ﴾ أرادوا الأطفال ﴿الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا﴾ يطلعوا ﴿عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ فلم يميزوا، فيجوز إبداء الزينة لهم ما عدا ما بين السرة والركبة ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ كانت نساء الجاهلية إذا مشت إحداهن تضرب برجلها الأرض ليظهر خلخالها، أو يسمع صوته فنهين عن ذلك ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ بقبول التوبة.

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾ [النور: 32] جمع: أيم، وهو من لا زوج له، والمعنى: زوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ المؤمنين ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ أمر ندب ﴿إِنْ يَكُونُوا﴾ أي: الأحرار ﴿فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وقال الشافعي ﷺ: إذا كان فقير يكسر شهوته بالصوم إتباعًا لقوله ﷺ في ذلك ﴿وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النور: ٣٣ - ٣٦].

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾[1] [النور: 33] أي: ما يتزوجون به من مهر ونفقة عن الزنا ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فينكحون بذلك ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ﴾ يطلبون ﴿الْكِتَابَ﴾ المكاتبة ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ قوة على الكسب وديانة، وهذا أمر ندب عندنا ﴿وَآتُوهُمْ﴾ أمر وجوب للسادة ﴿مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ يستعينون به، فيلزم السيد أن يحبط عنه شيئًا، وصيغة المكاتبة: كاتبتك على كل شهر كذا، فإذا أديتها فأنت حر فيقبل العبد ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ﴾ هن الإماء ﴿عَلَى الْبِغَاءِ﴾ الزنا ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ منه، نزلت في عبد الله بن أُبي كانت إماؤه يردن التحصن ويكرههن، والشرط هنا لموافقة الواقع فلا مفهوم له ﴿لِتَبْتَغُوا﴾ بإكراههن المؤدي للزنا ﴿عَرَضَ﴾ متاع ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهُّنَّ فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ﴾ لهن ﴿رَحِيمٌ﴾ لهن.

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ [النور: 34] أيها الناس ﴿آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا﴾ شبهًا وخيرًا

---

(1) فيه أربع مسائل: **الأولى:** قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ﴾ الخطاب لمن يملك أمر نفسه، لا لمن زمامه بيد غيره فإنه يقوده إلى ما يراه، كالمحجور عليه - قولاً واحدًا - والأمة والعبد على أحد قولي العلماء. **الثانية:** و«استعفف» وزنه استفعل، ومعناه طلب أن يكون عفيفًا، فأمر الله تعالى بهذه الآية كل من تعذر عليه النكاح ولا يجده بأي وجه تعذر أن يستعفف، ثم لما كان أغلب الموانع على النكاح عدم المال وعد بالإغناء من فضله، فيرزقه ما يتزوج به، أو يجد امرأة ترضى باليسير من الصداق، أو تزول عنه شهوة النساء، وروى النسائي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة كلهم حق على الله ﷺ عونهم المجاهد في سبيل الله والناكح الذي يريد العفاف والمكاتب الذي يريد الأداء**». **الثالثة:** قوله تعالى: ﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي: طول نكاح، فحذف المضاف، وقيل: النكاح ها هنا ما تنكح به المرأة من المهر والنفقة، كاللحاف اسم لما يلتحف به، واللباس اسم لما يلبس، فعلى هذا لا حذف في الآية، قاله جماعة من المفسرين، وحملهم على هذا قوله تعالى: ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾ فظنوا أن المأمور بالاستعفاف إنما هو من عدم المال الذي يتزوج به، وفي هذا القول تخصيص المأمورين بالاستعفاف، وذلك ضعيف، بل الأمر بالاستعفاف متوجه لكل من تعذر عليه النكاح بأي وجه تعذر، كما قدمناه، والله تعالى أعلم. **الرابعة:** من تاقت نفسه إلى النكاح فإن وجد الطول فالمستحب له أن يتزوج، وإن لم يجد الطول فعليه بالاستعفاف فإن أمكن ولو بالصوم فإن الصوم له وجاء، كما جاء في الخبر الصحيح، ومن لم تتق نفسه إلى النكاح فالأولى له التخلي لعبادة الله تعالى، وفي الخبر «**خيركم الخفيف الحاذ الذي لا أهل له ولا ولد**»، وقد تقدم جواز نكاح الإماء عند عدم الطول للحرة في النساء والحمد لله. انظر: [تفسير القرطبي (12/221)].

عجيبًا وهو خبر عائشة أشبة خبر من قبلها ﴿مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: من قصص الماضيين كقصة يوسف ومريم في العفاف ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: 35] أي: منورهما السماء بالملائكة، والكواكب والأرض بالأنبياء، والعلماء وإشراق نحو الشمس ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ أي: صفته في قلب عبده المؤمن وهو القرآن والإيمان ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾ أي: كصفة نورها وهي: الأنبوبة في القنديل ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ أي: سراج وهو: الفتيلة الموقودة ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ أي: قنديل ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا﴾ والنور فيها ﴿كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ بالمد والهمز لأبي عمرو والكسائي وشعبة وحمزة كذلك مع ضم الدال ﴿يُوقَدُ﴾ قرأ ابن كثير والبصريان وأبو جعفر بياء مفتوحة وفتح الواو وتشديد القاف وفتح الدال؛ أي: توقد المصباح، وقرأ نافع وابن عامر وحفص بياء من أسفل مضمومة وتخفيف الواو بالسكون وفتح القاف مخففة ورفع الدال؛ أي: يوقد المصباح، والباقون كذلك لكنه بالتاء من فوق؛ أي: يوقد الزجاجة أو المشكاة ﴿مِنْ شَجَرَةٍ﴾ أي: من زيتها ﴿مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ بل بينهما فلا يمسها حر ولا برد مضرين ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا﴾ بنفسه ﴿يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ لصفائه ﴿نُورٌ﴾ بالزيت ﴿عَلَى نُورٍ﴾ بالنار ونور الله وهو هدايته للمؤمنين على نور الإيمان للمؤمنين ﴿يَهْدِي الله لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ إلى دينه الإسلام من أراده ﴿وَيَضْرِبُ﴾ يبيّن ﴿الله الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ تقريبًا لأفهامهم ليعتبروا ﴿وَالله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿فِي بُيُوتٍ﴾ [النور: 36] متعلق بيسبح الآتي ﴿أَذِنَ الله أَنْ تُرْفَعَ﴾ تبنى وتنطق ولا يذكر فيها فحش ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ بتوحيده كسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر ﴿يُسَبِّحُ﴾ أي: يصلي بكسر الباء للقراء، وقرأ ابن عامر وأبو بكر بفتح الباء ﴿لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ﴾ بمعنى: الغدوات؛ أي: البكر ﴿وَالْآصَالِ﴾ العشايا من بعد الزوال.

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ

فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور: ٣٧ - ٤١].

﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ﴾ [النور: 37] شراء ﴿وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾ في وقتها ﴿وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ المفروضة، ومعنى لا تلهيهم: إنهم لا يشتغلون في وقت أداء الصلوات عنها بما ذُكِر ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾ هو يوم القيامة ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ إمَّا بمعنى: تضطرب من شدة الهول، أو تنقلب عن الكفر والأغطية إلى الإيمان والأبصار، أو تتردد بين الخوف والرجاء.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ أي: حسنه، فيعطيهم ثوابه ولا يؤاخذهم بالسيئات ﴿وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: 38] ما لم ينالوه بسبب أعمالهم ﴿وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ﴾ [النور: 39] شعاع يُرَى نصف النهار في شدة الحر يشبه الماء الجاري على الأرض ﴿بِقِيعَةٍ﴾ جمع: قاع؛ أي: فلاة ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ﴾ يظنه العطشان ﴿مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ مما ظنه، فالكافر يعمل على ظن أن عمله ينفعه حتى إذا قدم على الله لم يجد العمل نافعًا له ﴿وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ﴾ أي: عند عمله ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ أي: جزاء عمله ﴿وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ المجازاة.

﴿أَوْ﴾ [النور: 40] مثل عملهم ﴿كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾ عميق كثير الماء ولجة البحر: وسطه ومعظمه ﴿يَغْشَاهُ﴾ يعلوه ﴿مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ تراكم بعضه على بعض ﴿مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾ روى البزي «سحاب» من غير تنوين ﴿ظُلُمَاتٌ﴾ بالخفض منونًا، وقرأ قنبل بتنوين «السحاب» مرفوعًا، والباقون بالتنوين ورفع «ظلمات» ﴿بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ أي: ظلمة الموج على ظلمة البحر، وظلمة الموج فوق الموج، وظلمة السحاب فوق الكل ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ لم يقرب من رؤيتها؛ لشدة الظلمة ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ أي: من لم يهده الله لم يهتد.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ﴾ [النور: 41] جمع: طائر ﴿صَافَّاتٍ﴾ باسطات أجنحتهن ﴿كُلٌّ﴾ من المذكورين ﴿قَدْ عَلِمَ﴾ الله ﴿صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾[1] الأول: لابن آدم والملك، والثاني: للطير، أو الكل مشتركون فيه، فصوت الطير تسبيح، وضربها بأجنحتها صلاة، أو الكل قد علم صلاة نفسه وتسبيحها ﴿وَالله عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ ﴾ [النور: ٤٢ - ٤٥].

﴿وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى الله الْمَصِيرُ﴾ [النور: 42] فيجمع الناس يوم القيامة فيجازي كلاً بعمله.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يُزْجِي﴾ [النور: 43] يسوق ﴿سَحَابًا﴾ بأمره برفق إلى محل أراده ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ﴾ الله ﴿بَيْنَهُ﴾ أي: يجمع قطع السحاب بعضها إلى بعض ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ متراكمًا بعضه فوق بعض ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ وسطه ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ أي: جبالاً فيها برد، وقيل: غير ذلك مما في الأصل

(1) أي: كلّ واحد مما ذكر، والضمير في «علم» يرجع إلى «كلّ»، والمعنى: أن كل واحد من هذه المسبحات لله قد علم صلاة المصلي وتسبيح المسبح، وقيل: المعنى أن كلّ مصلّ ومسبح قد علم صلاة نفسه، وتسبيح نفسه، قيل: والصلاة هنا بمعنى التسبيح، وكرّر للتأكيد، والصلاة قد تسمى تسبيحًا، وقيل: المراد بالصلاة هنا الدعاء أي: كل واحد قد علم دعاءه، وتسبيحه، وفائدة الإخبار بأن كل واحد قد علم ذلك، أن صدور هذا التسبيح هو عن علم قد علمها الله ذلك، وألهمها إليه، لا أن صدوره منها على طريقة الاتفاق بلا روية، وفي ذلك زيادة دلالة على بديع صنع الله سبحانه، وعظيم شأنه، كونه جعلها مسبحة له عالمة بما يصدر منها غير جاهلة له. انظر [فتح القدير (5/ 232)].

﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ فيهلك زرعه وماله ﴿وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ﴾ يقرب ﴿سَنَا﴾ ضوء ﴿بَرْقِهِ﴾ أي: السحاب ﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ الناظرة إليه؛ أي: يخطفها من شدة ضوئه، وقرأ أبو جعفر «يذهب» بضم الياء وكسر الهاء، والباقون بفتح الياء والهاء.

﴿يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [النور: 44] فيذهب بهذا ويأتي بهذا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من دلائل قدرته ﴿لَعِبْرَةً﴾ دلالة عظيمة ﴿لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ أصحاب البصائر على قدرة الله وتوحيده سبحانه.

﴿وَاللهُ﴾ [النور: 45] خالق ﴿خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ حيوان في الدنيا ﴿مِنْ مَاءٍ﴾ نطفة ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ كالحيات ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾ كبني آدم والطير ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ كالأنعام والبهائم والسباع، ولم يذكر من يمشي على أكثر من أربع؛ لمشابهته صورة له ﴿يَخْلُقُ اللهُ﴾ أعظم منها في غيرها ﴿مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾
وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ
أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم
مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ
يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ
﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ
مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النور: ٤٦ - ٥٣].

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ [النور: 46] هي القرآن ﴿وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ [النور: 47] أي: المنافقون ﴿آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾ فيما حكم الله ورسوله ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى﴾ يعرض ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ على رسوله وحكمه ﴿وَمَا

﴿أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ نزلت في بشر المنافق لمَّا دعاه يهودي إلى النبي ﷺ ليحكم بينه وبينه في أرض فطلب كعب بن الأشرف.

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ﴾ [النور: 48] أي: إلى حكم الله ﴿وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ﴾ الرسول ﷺ ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بحكم الله ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن الإجابة أو الحكم.

﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [النور: 49] على غيرهم ﴿يَأْتُوا إِلَيْهِ﴾ إلى محمد ﷺ ﴿مُذْعِنِينَ﴾ مطيعين مسرعين لعلمهم أنه لا يحكم إلا بالحق.

﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [النور: 50] كفر ﴿أَمِ ارْتَابُوا﴾ شكوا، أو المراد فيهما: أنهم كذلك ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾ استفهام إنكار؛ أي: لا يخافون ذلك، والحيف: الظلم ﴿بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لأنفسهم بإعراضهم عن الحق.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ﴾ [النور: 51] أي: إلى حكمه ﴿وَرَسُولِهِ﴾ ﷺ ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ والمراد: القول الآتي لهم ﴿أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا﴾ الدعاء إلى الرسول ﷺ ﴿وَأَطَعْنَا﴾ لإجابته ﴿وَأُولَئِكَ﴾ حينئذ ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ﴾ [النور: 52] يخافه ﴿وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ الناجون.

﴿وَأَقْسَمُوا﴾ [النور: 53] أي: المنافقون ﴿بِاللهِ جَهْدَ﴾ غاية ﴿أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾ بالجهاد ﴿لَيَخْرُجُنَّ﴾ إليه ﴿قُلْ لَا تُقْسِمُوا﴾ لا تحلفوا وتمَّ هنا الكلام، ثم ابتدأ ﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾ إمَّا معناه: هذه طاعة باللسان معروفة منكم، أو المراد: طاعة معروفة؛ أي: بنية خالصة خير لكم من قسم لا تصدقون فيه ﴿إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه.

﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ

﴿۝٥٥ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٥٦ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝٥٧﴾ [النور: ٥٤ - ٥٧].

﴿قُلْ﴾ [النور: 54] للناس يا محمد ﷺ: ﴿أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ محمدًا ﷺ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن ذلك ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾ أي: على الرسول ﴿مَا حُمِّلَ﴾ كُلِّف بتبليغ الرسالة ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ من الإجابة بالطاعة ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ التبليغ البيّن.

﴿وَعَدَ الله الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾[1] [النور: 55] فجعلهم ملوك العرب والعجم ويورثهم أرض الكفار ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ﴾ لأبي بكر بضم التاء وكسر اللام، ولغيره بفتحهما ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من بني إسرائيل في أرض الجبابرة، أو كما استخلف داود سليمان ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى﴾

---

(1) فيها مسائل: المسألة الأولى: يروى أن بعض الصحابة شكوا إلى رسول الله ﷺ ما هم فيه من الخوف وضيق الحال، فنزلت الآية. وقيل: أقام رسول الله ﷺ، بمكة عشر سنين خائفا هو وأصحابه، ثم هاجروا إلى المدينة، فأقاموا بها خائفين من المشركين، فقال له رجل: لا تزال ذا خوف، وقال مالك: نزلت الآية في أبي بكر وعمر، ولهذا قال علماؤنا: دلت الآية على صحة إمامة الخلفاء الأربعة، فلا يكون بعدهم مثلهم أبدًا؛ لأن الآية شهدت بإمامتهم وخلافتهم، ثم انقطعت الخلافة، وصارت ملكًا تارة لمن غلب وتارة لمن خلف، وفي الحديث، أن رسول الله ﷺ قال: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء» ثم قال الراوي: خلافة أبي بكر سنتان وعمر عشرة وعثمان اثنتا عشرة سنة، وعلي كذا، والحسن سنة انتهى، فهذه ثلاثون سنة، ولما بايع الحسن معاوية قال له رجل: يا مسود وجوه المؤمنين فقال له الحسن: إن رسول الله ﷺ قال على المنبر: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

المسألة الثانية: في الحديث أن الصحابة شكوا إلى رسول الله، ﷺ ما هم فيه من الخوف والمشاق، فقال: «قد كان من تقدم يجاء إليه بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق نصفين، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، فلا يخاف إلى الله ولكنكم تستعجلون» ثم قال: «زويت لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها». المسألة الثالثة: قوله تعالى: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾. قيل: أرض مكة، وعد الصحابة أن يتملوكها بعد الكفار، كما تملك بنو إسرائيل القبط، وقيل: أرض العرب والعجم، وهو الصحيح. [الأحكام الصغرى 462].

اختار ﴿لَهُمْ﴾ وهو الإسلام، فيظهره على كل الأديان ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ﴾ بالتخفيف لابن كثير ويعقوب وأبي بكر، والباقون بالتشديد ﴿مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ من الكفار ﴿أَمْنًا﴾ بزوالهم، قيل: نزلت لأن الصحابة لمَّا تحملوا جهدًا شديدًا بالصبر في مكة مدة الإقامة فيها على إيذاء الكفار، ثم هاجروا الهجرتين ولم يؤمروا بالقتال قال رجل من الصحابة: ألا يأتي يوم نأمن فيه وقاله تمنيًا لظهور الإسلام لا ضجرًا، وبيَّن الله سبب ذلك بقوله: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الأمن، والمراد: كفران النعمة ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ العاصون لله، قالوا: واستمر الأمن إلى قتل عثمان فغيَّر الله ما بهم، وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخوانًا.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: 56] و﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ﴾ [النور: 57] فائتين ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ مرجعهم إليها ﴿وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ النار.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [النور: ٥٨ - ٦٠].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [النور: 58] نزلت لمَّا دخل غلام عمر ﷺ عليه في حال كرهها، أو غلام أسماء بنت مرثد في حال كرهته ﴿لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من العبيد والإماء ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ﴾ أيها الأحرار هم الذين عرفوا أمر النساء لا من لم يعرف، والأمر في من لم يبلغوا وإلا فهم غير مكلفين ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ في ثلاثة أوقات ﴿مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ﴾ وقت القيلولة ﴿مِنَ

﴿الظَّهِيرَةِ﴾ أي: وقت شدة الحر وهو وقت الظهر غالبًا ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾خصّت؛ لأنها ساعات خلوة وقد توضع الثياب، فربما يظهر من الإنسان ما لا يحب أن يراه الناس، فيستأذن العبيد والأحرار في هذه الأوقات ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾[1] بالنصب لحمزة والكسائي وخلف وأبي بكر، والباقون بالرفع ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: الخدم والصبيان ﴿جُنَاحٌ﴾ في الدخول بلا استئذان ﴿بَعْدَهُنَّ﴾ أي: بعد الأوقات الثلاثة ﴿طَوَّافُونَ﴾ أي: العبيد والصبيان يطوفون ﴿عَلَيْكُمْ﴾ فيترددون للدخول والخروج في أشغالهم بلا إذن ﴿بَعْضُكُمْ﴾ يطوف ﴿عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ﴾ مثل هذا البيان ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وهذه الآية لم تنسخ على الأصح، فلا بدّ من استئذان ولكن تهاون الناس فيها.

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ﴾ [النور: 59] أيها الأحرار ﴿الْحُلُمَ﴾ الاحتلام ﴿فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ في جميع الأوقات ﴿كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأحرار الكبار، والذين كانوا مع الأنبياء قبلهم ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل هذا البيان ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ قيل: ونزلت هذه الآية في استئذان الرجل على محارمه.

﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النور: 60] جمع: قاعدة، وهي التي لا تحيض ولا تلد من الكبر ﴿اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ كذلك ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾ إثم ﴿أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ عند الرجال، والمراد: الجلباب والرداء الذي فوق الثياب والقناع الذي فوق الخمار لا الخمار ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ﴾ مظهرات ﴿بِزِينَةٍ﴾ أي: من غير إرادة إظهار الزينة بوضع ذلك، أو المراد: غير مظهرات مواضع الزينة الخفية كمحل القلادة والسوار

(1) قرأ جمهور السبعة «ثلاث عورات» برفع «ثلاث»، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم «ثلاث» بالنصب على البدل من الظرف في قوله «ثلاث مرات»، قال أبو حاتم: النصب ضعيف مردود، وقال الفراء: الرفع أحب إلي، قال: وإنما اخترت الرفع لأن المعنى: هذه الخصال ثلاث عورات، والرفع عند الكسائي بالابتداء، والخبر عنده ما بعده، ولم يقل بالعائد، وقال نصًا بالابتداء، قال: والعورات الساعات التي تكون فيها العورة، إلا أنه قرأ بالنصب، والنصب فيه قولان: **أحدهما**: أنه مردود على قوله «ثلاث مرات» ولهذا استبعده الفراء، وقال الزجاج: المعنى ليستأذنكم أوقات ثلاث عورات، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، و«عورات» جمع عورة، وبابه في الصحيح أن يجيء على فعلات - بفتح العين - كجفنة وجفنات، ونحو ذلك، وسكنوا العين في المعتل كبيضة وبيضات؟ لأن فتحه داع إلى اعتلاله فلم يفتح لذلك. انظر: [تفسير القرطبي (12/305)].

والخلخال ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ﴾ فلا يظهرن ذلك ﴿خَيْرٌ لَهُنَّ وَالله سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ واستدل بذلك على جواز رؤية وجه المرأة الكبيرة الأجنبية واعتمد متأخروا الشافعية خلافه.

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النور: ٦١ - ٦٤].

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: 61] في مؤاكلة السليم من ذلك، نزلت في حرج الأصحاء من الأكل معهم خشية من أن يأكل الصحيح الأكثر ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ حرج ﴿أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ أراد بيوت بعضكم بعضًا ﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ بأن خزنتموه لغيركم ﴿أَوْ﴾ بيوت ﴿صَدِيقِكُمْ﴾ أي: الذي صدقكم في مودته، فيجوز الأكل من بيوت من ذكر وإن لم يحضروا ولم يأذنوا إذا علم رضاهم به، وتحرج الصحابة من أن يأكل أحد منهم وحده، فكان إذا لم يجد أحدًا يأكل معه يترك الأكل فنزل قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾ متفرقين، جمع: شتيت ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا﴾ لكم لا أحد بها ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ إن لم يكن بها ساكن فتقولوا: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فترد عليكم الملائكة ﴿تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً﴾ تامة لكم فيها خير دائم ﴿طَيِّبَةً﴾ لما فيها من الدعاء من الملائكة لكم ودعائكم لأنفسكم والثواب من الله ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل هذا البيان ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النور: 62] محمد ﷺ ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ﴾ مع الرسول ﴿عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ يجمعهم من حرب، أو صلاة جمعة، أو عيد، أو تشاور في أمر ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ لم ينصرفوا؛ لعروض عذر ﴿حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أمرهم ﴿فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ في الانصراف ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: 63] لا تدعوه باسمه، ولكن فخّموا شأنه فقولوا: يا نبي الله، يا رسول الله في لين وخفض صوت، ولا تقولوا: يا محمد يا ابن عبد الله ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾ أي: يخرجون يستتر بعضهم ببعض في خفية لإيذاء الآخر، وكان هذا في فعل المنافقون في خطبة الجمعة، وقيل: في حفر الخندق ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ﴾ يعرضون ﴿عَنْ أَمْرِهِ﴾ أي: عن أمر الله ورسوله ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ بلاء في الدنيا ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾[1] [النور: 64] أي: يعلم وقته ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ في ذلك اليوم في الدنيا من

---

(1) قرأ الجمهور «يُرجعون» مبنيًا للمفعول، وقرأ ابن يعمر وابن أبي إسحاق وأبو عمرو مبنيًا للفاعل، والتفت من ضمير الخطاب في «أنتم» إلى ضمير الغيبة في «يرجعون» ويجوز أن يكون «ما أنتم =

خيرًا أو شر ﴿وَالله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وعن مجاهدة قال: قال رسول الله ﷺ: «**علموا رجالكم سورة المائدة، وعلموا نسائكم سورة النور**»[1].

عليه» خطابًا عامًا ويكون «يرجعون» للمنافقين، والظاهر عطف «ويوم» على «ما أنتم عليه» فنصبه نصب المفعول، قال ابن عطية: ويجوز أن يكون التقديم والعلم الظاهر لكم أو نحو هذا يوم فيكون النصب على الظرف. انظر [تفسير البحر المحيط (8 /341)].

(1) رواه البيهقي في «الشعب» (434/5).

سورة الفرقان

مكيّة إلا قوله: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ الله إِلَهاً آخَرَ...﴾ [الفرقان: 68]، إلى ﴿رَّحِيماً﴾ [الفرقان: 70] فمدني وهي سبع وسبعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢) وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا (٣) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٥) قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٦) ﴾ [الفرقان: ١ - ٦].

﴿تَبَارَكَ﴾ [الفرقان: 1] تعالى وتعاظم ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ القرآن الفارق بين الحلال والحرام ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾[1] محمد ﷺ ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ والمراد بالعالمين:

(1) هذه السورة مكية في قول الجمهور، وقال ابن عباس وقتادة: إلاّ ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ الله إِلَهاً آخَرَ...﴾ إلى ﴿رَّحِيماً﴾ وقال الضحاك مدنية إلا من أولها إلى قوله ﴿ولا نشوراً﴾ فهو مكي، ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها أنه لما ذكر وجوب مبايعة المؤمنين للرسول وأنهم إذا كانوا معه في أمر مهم توقف انفصال واحد منهم على إذنه وحذر من يخالف أمره وذكر أن له ملك السماوات والأرض وأنه تعالى عالم بما هم عليه ومجازيهم على ذلك، فكان ذلك غاية في التحذير والإنذار ناسب أن يفتتح هذه السورة بأنه تعالى منزه في صفاته عن النقائص كثير الخير، ومن خيره أنه (نزل الفرقان) على رسوله منذرًا لهم فكان في ذلك اطماع في خيره وتحذير من عقابه، و(تبارك) تفاعل مطاوع بارك وهو فعل لا يتصرف ولم =

الجن والإنس، قيل: والملائكة ورجح خلافه ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الفرقان: 2] مما يطلق عليه صفة المخلوق ﴿فَقَدَّرَهُ﴾ سوّاه وهيأه لما يصلح له ﴿تَقْدِيرًا﴾ بلا خلل ولا تفاوت.

﴿وَاتَّخَذُوا﴾ [الفرقان: 3] أي: الكفار ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: من غير الله ﴿آلِهَةً﴾ أي: أصنامًا ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ أي: دفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أي: جلبه ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا﴾ أي: إماتة ﴿وَلَا حَيَاةً﴾ أي: إحياء ﴿وَلَا نُشُورًا﴾ بفناء بعد الموت.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الفرقان: 4] أراد النضر بن الحارث وأصحابه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾ كذب ﴿افْتَرَاهُ﴾ محمد ﷺ ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ أرادوا اليهود، أو عبيد من أهل الكتاب كانوا بمكة، أو عبيد بن الحضرمي الحبشي الكاهن فرد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿فَقَدْ جَاءُوا﴾ أي: الكفار ﴿ظُلْمًا﴾ كفرًا ﴿وَزُورًا﴾

يستعمل في غيره تعالى فلا يجيء منه مضارع ولا اسم فاعل ولا مصدر، قال ابن عباس: لم يزل ولا يزول، وقال الخليل: تمجد، وقال الضحاك: تعظم، وحكى الأصمعي تبارك عليكم من قول عربي صعد رابية فقال لأصحابه ذلك، أي تعاليت وارتفعت، ففي هذه الأقوال تكون صفة ذات، وقال ابن عباس أيضًا والحسن والنخعي: هو من البركة وهي التزايد في الخير من قبله، فالمعنى زاد خيره وعطاؤه وكثر، وعلى هذا يكون صفة فعل وجاء الفعل مسندًا إلى (الذي) وهم وإن كانوا لا يقرون بأنه تعالى هو الذي نزل الفرقان فقد قام الدليل على إعجازه فصارت الصلة معلومة بحسب الدليل، وإن كانوا منكرين لذلك، وتقدّم في آل عمران لمَ سمي القرآن فرقانًا، وقرأ الجمهور (على عبده) وهو الرسول محمد ﷺ وقرأ ابن الزبير على عباده أي الرسول وأمته كما قال (لقد أنزلنا إليكم) (وما أنزل إلينا) ويبعد أن يراد بالقرآن الكتب المنزلة، وبعبده من نزلت عليهم فيكون اسم جنس كقوله (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) والضمير في (ليكون) قال ابن زيد: عائد على (عبده) ويترجح بأنه العمدة المسند إليه الفعل وهو من وصفه تعالى كقوله: (إنّا كنا منذرين) والظاهر أن (نذيراً) بمعن منذر، وجوز أن يكون مصدرًا بمعنى لإنذر كالنكير بمعنى الإنكار، ومنه (فكيف كان عذابي ونذر) و(للعالمين) عام للإنس والجن، ممن عاصره أو جاء بعده وهذا معلوم من الحديث المتواتر وظواهر الآيات، وقرأ ابن الزبير (للعالمين) للجن والإنس وهو تفسير (للعالمين)، ولما سبق في أواخر السورة ألا إن لله ما في السماوات والأرض فكان إخبارًا بأن ما فيهما ملك له، أخبر هنا أنه له ملكهما أي قهرهما وقهر ما فيهما، فاجتمع له الملك والملك لهما. انظر [تفسير البحر المحيط (342/8)].

كذبًا بهما ﴿وَقَالُوا﴾ [الفرقان: 5] أي: الكفار أيضًا عن القرآن: إن هذا إلا ﴿أَسَاطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا﴾ نسخها ممن سبق ﴿فَهِيَ تُمْلَى﴾ تقرأ ﴿عَلَيْهِ﴾ ليحفظها ﴿بُكْرَةً﴾ غدوة ﴿وَأَصِيلًا﴾ وعشيًا.

فرد عليهم سبحانه بقوله: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ﴾ [الفرقان: 6] أي: القرآن ﴿الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ أي: الغيب ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ
إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ
يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ
إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا
﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن
مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟
هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾
[الفرقان: ٧ - ١٤].

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ﴾ [الفرقان: 7] يعني: محمد ﷺ ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ لطلب المعاش مثلنا فيهما ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ يصدقه ﴿فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾[1] داعيًا وكانوا يقولون لمحمد ﷺ: لست بملك؛ لأنك تأكل، ولا

(1) قال الشيخ الألوسي (328/5): وليس في الآية على هذا دليل على تفضيل الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيما هو محل النزاع كما زعم الجبائي لأنها إنما وردت رداً على الكفار في قولهم (مَا لهذا الرسول) الخ وتكليفهم له عليهم الصلاة والسلام بنحو الرقي في السماء. ونحن لا ندعي تميز الأنبياء على الملائكة عليهم الصلاة والسلام في عدم الأكل مثلا والقدرة على الأفاعيل الخارقة كالرقي ونحوه ولا مساواتهم لهم في ذلك بل كون الملائكة متميزين عليهم عليهم الصلاة والسلام في ذلك مما أجمع عليه الموافق والمخالف ولا يوجب ذلك اتفاقاً على أن الملائكة أفضل منهم بالمعنى المتنازع فيه وإلا لكان كثير من الحيوانات أفضل من =

=

الإنسان ولا يدعي ذلك الاجماد.

وهذا الجواب أظهر مما نقل عن القاضي زكريا من أن هذا القول منه وليس في الآية على هذا دليل على تفضيل الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيما هو محل النزاع كما زعم الجبائي لأنها إنما وردت رداً على الكفار في قولهم { مَا لهذا الرسول } الخ وتكليفهم له عليهم الصلاة والسلام بنحو الرقي في السماء. ونحن لا ندعي تميز الأنبياء على الملائكة عليهم الصلاة والسلام في عدم الأكل مثلا والقدرة على الأفاعيل الخارقة كالرقي ونحوه ولا مساواتهم لهم في ذلك بل كون الملائكة متميزين عليهم عليهم الصلاة والسلام في ذلك مما أجمع عليه الموافق والمخالف ولا يوجب ذلك اتفاقاً على أن الملائكة أفضل منهم بالمعنى المتنازع فيه وإلا لكان كثير من الحيوانات أفضل من الإنسان ولا يدعي ذلك الاجماد. وهذا الجواب أظهر مما نقل عن القاضي زكريا من أن هذا القول منه صلى الله عليه وسلم من باب التواضع وإظهار العبودية نظير قوله عليه الصلاة والسلام: « لا تفضلوني على ابن متى» في رأي بل هو ليس بشيء كما لا يخفى. وقيل: إن الأفضلية مبنية على زعم المخاطبين وهو من ضيق العطن، وقيل: حيث كان معنى الآية لا أدعي الألوهية ولا الملكية لا يكون فيها ترق من الأدنى إلى الأعلى بل هي حينئذ ظاهرة في التدلي، وبذلك تهدم قاعدة استدلال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ المسيح أَن يَكُونَ عَبْداً لله وَلاَ الملئكة المقربون﴾ [النساء: 172] على تفضيل الملك على البشر إذ لا يتصور الترقي من الألوهية إلى ما هو أعلا منها إذ لا أعلا ليترقى إليه. وتعقب بأنه لا هدم لها مع إعادة (لا أَقُولَ) الذي جعله أمراً مستقلاً كالإضراب إذ المعنى لا أدعي الألوهية بل ولا الملكية، ولذا كرر (لا أَقُولَ). وقال بعضهم في التفرقة بين المقامين: إن مقام نفي الاستنكاف ينبغي فيه أن يكون المتأخر أعلا لئلا يلغو ذكره، ومقام نفي الادعاء بالعكس فإن من لا يتجاسر على دعوى الملكية أولى أن لا يتجاسر على دعوى الألوهية الأشد استبعاداً، نعم في كون المراد من الأول نفي دعوى الألوهية والتبري منها نظر وإلا لقيل لا أقول لكن إني إله كما قيل (وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنّى مَلَكٌ) وأيضاً في الكناية عن الألوهية بعندي خزائن الله ما لا يخفى من البشاعة، وإضافة الخزائن إليه تعالى منافية لها. ودفع المنافاة بأن دعوى الألوهية ليس دعوى أن يكون هو الله تعالى بل أن يكون شريكاً له عز اسمه في الألوهية فيه نظر لأن إضافة الخزائن إليه تعالى اختصاصية فتنافي الشركة اللهم إلا أن يكون خزائن مثل خزائن أو تنسب إليه وهو كما ترى. من باب التواضع وإظهار العبودية نظير قوله ﷺ «لا تفضلوني على ابن متى» في رأي بل هو ليس بشيء كما لا يخفى. وقيل: إن الأفضلية مبنية على زعم المخاطبين وهو من ضيق العطن، وقيل: حيث كان معنى الآية لا أدعي الألوهية ولا الملكية لا يكون فيها ترق من الأدنى إلى الأعلى بل هي حينئذ ظاهرة في التدلي، وبذلك تهدم قاعدة استدلال الزمخشري في قوله تعالى: (لَّن يَسْتَنكِفَ المسيح أَن يَكُونَ عَبْداً لله وَلاَ الملئكة المقربون) [النساء: 172] على تفضيل الملك على البشر إذ لا يتصور الترقي من الألوهية إلى ما هو أعلا منها إذ لا أعلا ليترقى إليه.

=

ملك من الملوك؛ لأنك تمشي في الأسواق فلست رسولاً، وما قالوه فاسد؛ لأن أكله لكونه بشرًا ومشيه في الأسواق لتواضعه.

﴿أَوْ يُلْقَى﴾ [الفرقان: 8] ينزل ﴿إِلَيْهِ كَنْزٌ﴾ من السماء ينفقه فلا يحتاج للمشي في الأسواق لطلب المعاش ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ بالياء من أسفل للقراء إلا حمزة والكسائي وخلف فقرءوا «نأكل» بالنون؛ أي فيكون له فضل بذلك علينا.

﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون ﴿إِنْ﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ مخدوعًا أو مصروفًا عن الحق فقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ [الفرقان: 9] الأشباه فقائل: هو مسحور، وقائل: هو محتاج للنفقة، أو إلى ملك يقوم بأمره ﴿فَضَلُّوا﴾ بذلك عن الحق ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ طريقًا إليه.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ [الفرقان: 10] الذي ذكروه من كنز وبستان ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: في الدنيا؛ لأنه أعطاه ذلك في الآخرة قطعًا ﴿وَيَجْعَلْ﴾ بالرفع لابن كثير، والباقون بالجزم ﴿لَكَ قُصُورًا﴾ أيضًا.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ [الفرقان: 11] يوم القيامة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ نارًا مستعرة؛ أي: مشتدة اللهب ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾ [الفرقان: 12] النار أو الزبانية ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا﴾ رأوا وعلموا ﴿لَهَا تَغَيُّظًا﴾ غليان؛ أي: كالغضبان إذا علاه أشد الغضب إذا رأوا ﴿وَزَفِيرًا﴾ صوتًا شديدًا.

=

وتعقب بأنه لا هدم لها مع إعادة (لاَأَقُولَ) لذي جعله أمراً مستقلاً كالإضراب إذ المعنى لا أدعي الألوهية بل ولا الملكية، ولذا كرر (لا أَقُولَ). وقال بعضهم في التفرقة بين المقامين: إن مقام نفي الاستنكاف ينبغي فيه أن يكون المتأخر أعلا لئلا يلغو ذكره، ومقام نفي الادعاء بالعكس فإن من لا يتجاسر على دعوى الملكية أولى أن لا يتجاسر على دعوى الألوهية الأشد استبعاداً، نعم في كون المراد من الأول نفي دعوى الألوهية والتبري منها نظر وإلا لقيل لا أقول لكن إني إله كما قيل (لا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ) وأيضاً في الكناية عن الألوهية بعندي خزائن الله ما لا يخفى من البشاعة، وإضافة الخزائن إليه تعالى منافية لها. ودفع المنافاة بأن دعوى الألوهية ليس دعوى أن يكون هو الله تعالى بل أن يكون شريكاً له عز اسمه في الألوهية فيه نظر لأن إضافة الخزائن إليه تعالى اختصاصية فتنافي الشركة اللهم إلا أن يكون خزائن مثل خزائن أو تنسب إليه وهو كما ترى.

﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ﴾ [الفرقان: 13] مصفدين قربت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال، أو مقرنين مع الشياطين ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ وبالاً وهلاكًا بأن يقول كل: يا ثبوراه، فيقال: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: 14] لأنه أنسب لكثرة عذابكم.

﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً
وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾
وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى
هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن
دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا
﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن
يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ
إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ
فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الفرقان: ١٥ - ٢٠].

﴿قُلْ﴾ [الفرقان: 15] يا محمد ﷺ: ﴿أَذَلِكَ﴾ الذي ذكرت من صفة النار وأهلها ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ أي: وعدها المتقون ﴿كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علم الله تعالى ﴿جَزَاءً﴾ ثوابًا ﴿وَمَصِيرًا﴾ مرجعًا ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ﴾ [الفرقان: 16] لأنهم لا يخرجون من الجنة أبدًا ﴿كَانَ﴾ وعدهم بما ذكر ﴿عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا﴾ وعدهم إياه على طاعته في الدنيا ﴿مَسْئُولًا﴾ سألوه له في الدنيا بقولهم ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: 194]، أو سأله لهم الملائكة بقولهم: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ [غافر: 8].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ [الفرقان: 17] بالنون في أوله للقراء إلا أبا جعفر وابن كثير ويعقوب وحفص فبالياء ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ الملائكة وعيسى وعزير والأصنام مع الجن والإنس ﴿فَيَقُولُ﴾ بالنون لابن عامر؛ أي: نحن، والباقون بالياء؛ أي: فيقول الله

تعالى للمعبودين: ﴿أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ﴾ وقعتموهم في الهلاك بأمرك إياهم بعبادتكم ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا﴾ أخطئوا ﴿السَّبِيلَ﴾ طريق الحق بأنفسهم؟

﴿قَالُوا﴾ [الفرقان: 18] أي: المعبودين: ﴿سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ قرأ أبو جعفر بفتح النون وفتح الخاء، والباقون بفتح النون وكسر الخاء؛ أي: ما كان ينبغي لنا أن نوالي أعداءك فكيف نأمرهم بعبادتنا؟ ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ﴾ في الدنيا بطول العمر وسعة الرزق ﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾ تركوا الموعظة والإيمان بكتابك، أو تركوا ذكرك وغفلوا عنه ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ هلكى ومنه رجل بائر.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ﴾ [الفرقان: 19] أي: كذب المعبودين العابدين ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ أي: فيما أنهم آلهة بالتاء لكل القراء إلا ابن شنبوذ فروى عن قنبل «يقولون» بالتاء؛ أي بقول: الذين عبدتم ما كان.... إلى آخره ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ بالياء من أسفل لكل القراء؛ أي: ما يستطيع ما عبدوه من دون الله إلا حفصًا فبالتاء من فوق ﴿صَرْفًا﴾ أي: صرف العذاب عن أنفسهم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ صنعًا من العذاب ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ﴾ يشرك ﴿مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ شديدًا بالخلود في النار.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الفرقان: 20] يا محمد ﷺ ﴿إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ لأنهم بشر متواضعون فأنت مثلهم، وقد قيل لك ما قيل لهم ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ بلية الغني بلية للفقير، والصحيح: بلية للمريض والشريف للوضيع ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ على ذلك فيحصل لكم الثواب به؛ أي: اصبروا ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾.

﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ
لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ
هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ
تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ
يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ

مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٢١ - ٣١].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [الفرقان: 21] لا يخافون البعث ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾ فتخبرنا بصدق محمد ﴿أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ فيخبرنا بذلك ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ بهذه المقالة ﴿وَعَتَوْا﴾ طغوا ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا﴾.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾ [الفرقان: 22] أي: عند الموت أو في يوم القيامة ﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين؛ لأن الملائكة تبشر المؤمنين كالجنة ورضوان الله ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: الملائكة للكفار ﴿حِجْرًا﴾ حرامًا ﴿مَحْجُورًا﴾ محرمًا أن يدخل كافر الجنة وأنتم كفار، وقيل غير ذلك مما في الأصل.

﴿وَقَدِمْنَا﴾ [الفرقان: 23] عمدنا ﴿إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ كصدقة وإغاثة ملهوف وعتق ونحوه ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ باطلاً لا ثواب لهم، والهباء: الغبار الذي لا يحسن باليد ولا يرى إلا في كوة أشرقت عليها الشمس، ويجازون عليه في الدنيا ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ [الفرقان: 24] أي: يوم القيامة ﴿خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ من المشركين المتكبرين في الدنيا ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾[1] موضع قابلة في الجنة.

(1) قال الشيخ الألوسي (107/6): إذ الجنة لا نوم فيها. وقال الليث: هي نومة نصف النهار، ودفع الاستدلال بأن ذلك مجاز، وإنما خص إنزال العذاب عليهم في هذين الوقتين لما أن نزول المكروه عند الغفلة والدعة أفظع وحكايته للسامعين أزجر وأردع عن الاغترار بأسباب الأمن والراحة، وفي التعبير في الحال الأولى بالمصدر وجعلها عين البيات، وفي الحال الثانية بالجملة الاسمية المفيدة في المشهور للثبوت مع تقديم المسند إليه المفيد للتقوى ما لا يخفى من المبالغة، وكذا في وصف الكل بوصف البيات والقيلولة مع أن بعض المهلكين بمعزل منهما إيذان بكمال الأمن والغفلة، وفي هذا ذم لهم بالغفلة عما هم بصدده، وإنما خولف بين العبارتين على ما قيل وبنيت الحال الثانية على تقوى الحكم والدلالة على قوة أمرهم فيما أسند إليهم لأن القيلولة أظهر في إرادة الدعة وخفض العيش فإنها من دأب المترفين والمتنعمين دون من اعتاد الكدح والتعب. وفيه إشارة إلى أنهم أرباب أشر وبطر.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ﴾ [الفرقان: 25] قرأ أبو عمرو والكوفيون هنا وفي قاف بتخفيف الشين فيهما، والباقون بالتشديد ﴿السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾ أي: عنه، وهو غمام أبيض رقيق ﴿وَنُـزِّلَ﴾ بنونين الأولى: مضمومة، والثانية: ساكنة وتخفيف الزاي ورفع اللام ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ منصوب لابن كثير، والباقون بنون واحدة وتشديد الزاي وفتح اللام ورفع «الملائكة» ﴿تَنْزِيلًا﴾ والمراد بالسماء الجنس، فتشقق سماء الدنيا يوم القيامة وينزل منها الملائكة، ثم الثانية إلى آخر السبع ويجتمعون في المحشر.

﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ﴾ [الفرقان: 26] أي: يوم التشقق ﴿الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ﴾ ذلك اليوم ﴿يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ لا على المؤمنين ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ﴾ [الفرقان: 27] هو عقبة بن أبي مُعَيْط صنع طعامًا كما كان يصنع إذا قدم من سفره ودعاء الناس ودعاء النبي ﷺ إليه، فأبى النبي ﷺ لمَّا دخل داره أن يأكل إلا أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فأجاب وشهد فأكل ﷺ، ثم أخبر عقبة أبي بن خلف فقال: صبأ فاعتذر له وارتد وأمره أن يأتي النبي ﷺ ويبزق في وجهه، فجاء إليه وبزق فعاد البزاق على وجهه فاخترق حذاءه لعنه الله ولم يصب النبي ﷺ منه شيء، ثم قتل عقبة يوم بدر وقتل النبي ﷺ أُبي بن خلف بيده يوم أحد ﴿عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ﴾ محمد ﷺ ﴿سَبِيلًا﴾ طريقًا إلى النجاة بالإسلام ﴿يَا وَيْلَتَى﴾ [الفرقان: 28] أي: ويلتاه، والمراد: الهلكة ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾ أبي بن خلف ﴿خَلِيلًا﴾.

﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ [الفرقان: 29] القرآن والإيمان ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ مع الرسول ﷺ ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ﴾ وهو كل من صد عن سبيل الله تعالى جنيًّا كان أو غيره ﴿لِلْإِنْسَانِ﴾ الكافر ﴿خَذُولًا﴾ تاركًا يتركه ويتبرأ منه عند نزول العذاب والبلاء، وحكم الآية عام في كل متحابين اجتمعا على معصية الله تعالى.

﴿وَقَالَ﴾ [الفرقان: 30] أي: يقول ﴿الرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ يوم القيامة: ﴿يَا رَب إِنَّ قَوْمِي﴾ قريشًا ﴿اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ متروكًا لم يؤمنوا به وأعرضوا، أو قاله الرسول لقومه في الدنيا فقرأه بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الفرقان: 31] أي: كما جعلنا لك أعداء من قومك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين فاصبر كما صبروا ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لك؛ أي: الحق ﴿وَنَصِيرًا﴾ على أعدائك.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ

بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا
﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ
سَبِيلٗا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ﴿٣٥﴾
فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ إِلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ تَدۡمِيرٗا ﴿٣٦﴾ وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا
كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا
أَلِيمٗا ﴿٣٧﴾ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرٗا ﴿٣٨﴾ وَكُلّٗا ضَرَبۡنَا
لَهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَۖ وَكُلّٗا تَبَّرۡنَا تَتۡبِيرٗا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ
ٱلسَّوۡءِۚ أَفَلَمۡ يَكُونُواْ يَرَوۡنَهَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ نُشُورٗا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الفرقان:
٣٢ - ٤٠].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾ [الفرقان: 32] هلا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ كتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وزبور داود، فقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: أنزلناه مفرقًا ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ قلبك؛ أي: نقويه لوعيه وحفظه ﴿وَرَتَّلْنَاهُ﴾ بينّاه أو فصلناه ﴿تَرْتِيلًا﴾ أو فرقناه تفريقًا

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ [الفرقان: 33] في إبطال أمرك يا محمد ﷺ ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ لدفع زورهم ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ بيانًا وتفصيلاً ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ﴾ [الفرقان: 34] سوقًا إلى جهنم مجرورين ﴿عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ منزلاً وهو جهنم ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أخطأ طريقًا ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ [الفرقان: 35] معينًا.

﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الفرقان: 36] هم القبط ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ﴾ أي: فكذبوا فأهلكناهم ﴿تَدْمِيرًا﴾ إهلاكًا ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ [الفرقان: 37] أي: نوحًا ذكره بلفظ الجمع؛ لأنه دعاهم للتوحيد، وكل رسول يدعوا إليه، فمن كذب فيه واحدًا فقد كذب الكل؛ أو لأنه لمَّا طال مكثه فيهم صار كأنه بمنزلة جمع ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ مع فرعون ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ﴾ الذين بعدهم ﴿آيَةً﴾ عبرة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في الآخرة غير الذي حل بهم في الدنيا.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَ﴾ [الفرقان: 38] أي: وأهلكنا من ذُكر، أو التقدير أذُكر عاد ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾[1] هي البئر التي لم تُطْوَ بالحجارة والآجر، وهل أرسل لهم شعيب، أو هم بقية ثمود وقوم صالح أنبئهم حنظلة بن صفوان؟ أقوال، وكانوا جلوسًا حول البئر فانهارت بهم مع منازلهم فهلكوا ﴿وَقُرُونًا﴾ أقوامًا ﴿بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ أي: بين عاد وأصحاب الرَّسّ.

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الفرقان: 39] في إقامة الحجة عليه ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ أهلكنا إهلاكًا ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا﴾ [الفرقان: 40] أي: كفار مكة ﴿عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ وهو الحجارة قرية قوم لوط سدوم لفعلها الفاحشة ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ في أسفارهم إلى الشام فيعتبروا وهو للتعزيز ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿نُشُورًا﴾ بعثًا.

﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الفرقان: ٤١ - ٤٦].

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ [الفرقان: 41] يا محمد ﷺ ﴿إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ مهزوءًا به، نزلت في أبي جهل كان يقول: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ الله رَسُولًا﴾ إلينا احتقارًا له ﴿إِنْ كَادَ

---

(1) عن ابن عباس هم قوم ثمود. ويبعده العطف لأنه يقتضي التغاير، وقال قتادة: هم أهل قرية من اليمامة يقال لها الرس والفلج قيل قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود. وقوم صالح، وقال كعب. ومقاتل. والسدي: أهل بئر يقال له الرس بأنطاكية الشام قتلوا فيها صاحب يس وهو حبيب النجار. [تفسير الألوسي (14 /96)].

لَيُضِلُّنَا﴾ [الفرقان: 42] قد قارب أن يضلنا ﴿عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ تثبيتًا عليها لصرفنا عنها ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ تهديد لهم ﴿حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ في الآخرة ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أخطأ طريقًا هم أم محمد ﷺ.

﴿أَرَأَيْتَ﴾ [الفرقان: 43] أي: أخبرني ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ أي مَهْوِيَّهُ الذي أراده؛ نزلت لأن كفار العرب كانوا يعبدون الحجر، فإذا رأوا حجرًا أحسن منه طرحوا الأول وعبدوا الثاني ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ حافظًا يمنعه من اتباع هواه لا يكون كذلك ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ [الفرقان: 44] سماع تأمل ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ ما بقوله ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ طريقًا؛ إذ الأنعام تهتدي لمراعيها وتنقاد لأربابها وهؤلاء بخلاف ذلك.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ [الفرقان: 45] تنظر ﴿إِلَى﴾ فعل ﴿رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ومدة كونه لا شمس معه ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ ثابتًا دائمًا لا تذهبه الشمس ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾ أي: على الظل ﴿دَلِيلًا﴾ لأنه لولا وجودها ما عرف الظل كالنور والظلمة والشيء يعرف بضده.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾ [الفرقان: 46] أي: الظل الممدود ﴿إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ بالشمس والظل قبل طلوع الشمس عام للأرض، فإذا طلعت قبض به الظل شيئًا فشيئًا.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا
(٤٧) وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً
طَهُورًا (٤٨) لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا (٤٩)
وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٥٠) وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا
فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا (٥١) فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا
(٥٢) ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا
بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا (٥٣) وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ
رَبُّكَ قَدِيرًا (٥٤) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ
رَبِّهِۦ ظَهِيرًا (٥٥) ﴾ [الفرقان: ٤٧ - ٥٥].

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [الفرقان: 47] سترًا ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ راحة ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ يقظة ينشرون فيه للرزق.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الفرقان: 48] المطر ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ مطهرًا ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ﴾ [الفرقان: 49] أي: بالمطر ﴿بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ﴾ أي: نسقي ذلك الماء؛ أي: منه ﴿مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ﴾ جمع: إنسان ﴿كَثِيرًا﴾.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾ [الفرقان: 50] أي: المطر ﴿بَيْنَهُمْ﴾ مرة هنا ومرة هنا ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ أي: يتذكروا بالفكر في قدرة الله تعالى ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ جحودًا لقولهم مطرنا بنوء كذا ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 51] يدعوهم إلى الحق، لكن بعثناك نذيرًا للكافة لتعظيم قدرك وأجرك ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ [الفرقان: 52] فيما يدعونك إليه ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ أي: بالقرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ شديدًا.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ [الفرقان: 53] خلقهما وأفاض أحدهما في الآخر ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ شديد العذوبة ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديد الملوحة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ حاجزًا من القدرة يمنع اختلاف أحدهما بالآخرة ﴿وَحِجْرًا﴾ سترًا ﴿مَحْجُورًا﴾ ممنوعًا به، فلا يبغي أحدهما على الآخر فيفسده.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ﴾ [الفرقان: 54] النطفة ﴿بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ أي: ذا نسب وصهر، والنسب: القرابة، والصهر: الخلطة التي نسبه القرابة، وهو الذي يحرم بالمصاهرة كأم الزوجة وبنتها ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ قادرًا.

﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ [الفرقان: 55] أي: الكفار ﴿مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾ إن عبدوه ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ إن تركوه وهو الأصنام ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ معينًا للشيطان بمعنى أنه يعينه بطاعته على معصيته.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا

بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩
﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾
وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾
وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟
سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا
وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٦ - ٦٦].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ [الفرقان: 56] يا محمد ﷺ ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [الفرقان: 57] أي: على تبليغ الوحي ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ فتقولوا: إنما طلب المال بذلك ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ بالإنفاق إلى سبيله فلا أمنعه ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ [الفرقان: 58] يا محمد ﷺ ﴿عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ﴾ صل ﴿بِحَمْدِهِ﴾ أي: ملتبسًا به ﴿وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ عالمًا فيجازيهم بها.

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ﴾ [الفرقان: 59] أي: يا أيها الإنسان اسأل بالرحمن ﴿خَبِيرًا﴾ يخبرك عن صفاته سبحانه، وهو خطاب للنبي ﷺ والمراد غيره، والخبير هو الله جل ذكره أو جبريل.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ [الفرقان: 60] أي: كفار مكة ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ أي: لا نعرفه إلا مسيلمة الكذاب ﴿أَنَسْجُدُ﴾ استفهام إنكار ﴿لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ أنت بالياء من فوق في أوله للقراء إلا حمزة والكسائي فبالياء ﴿وَزَادَهُمْ﴾ قوله لهم: ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: 60]، ﴿نُفُورًا﴾ عن الدين والإيمان.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾[1] [الفرقان: 61] هي البروج والاثنا عشر

(1) قال الألوسي (130/14): الظاهر أنها البروج الاثنا عشر المعروفة. وأخرج ذلك الخطيب في كتاب النجوم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وهي في الأصل القصور العالية وأطلقت عليها على طريق التشبيه لكونها للكواكب كالمنازل الرفيعة لساكنيها ثم شاع فصار حقيقة فيها، وعن الزجاج أن البرج كل مرتفع فلا حاجة إلى التشبيه أو النقل. واشتقاقه من التبرج بمعنى الظهور، والذي يقتضيه مشرب أهل الحديث أنها في السماء الدنيا ولا مانع منه عقلاً لا سيما إذا قلنا بعظم ثخنها بحيث يسع الكواكب وما تقتضيه على ما ذكره أهل الهيئة وهي عندهم أقسام الفلك الأعظم المسمى على ما قيل بالعرش ولم يرد فيما أعلم إطلاق السماء عليه وإن كان صحيحاً لغة سميت بأسماء صور من الثوابت في الفلك الثامن وقعت في محاذاتها وقت اعتبار القسمة وتلك الصور متحركة بالحركة البطيئة كسائر الثواب، وقد قارب في هذه الأزمان أن تخرج كل صورة عما حاذته أولاً وابتداؤها عندهم من نقطة الاعتدال الربيعي وهي نقطة معينة من معدل النهار لا تتحرك بحركة الفلك الثامن ملاقية لنقطة أخرى من منقطة البروج تتحرك بحركته وإذا لم يتحرك مبدأ البروج بتلك الحركة لم يتحرك ما عداها، وقد جعل الله تعالى ثلاثة منها ربيعية وهي الحمل. والثور. والجوزاء وتسمى التوأمين أيضاً، وثلاثة صيفية وهي السرطان. والأسد والسنبلة وتسمى العذراء أيضاً وهذه الستة شمالية. وثلاثة خريفية وهي الميزان. والعقرب. والقوس ويسمى الرامي أيضاً، وثلاثة شتوية وهي الجدي. والدلو. ويسمى الدالي وساكب الماء أيضاً. والحوت تسمى السمكتين وهذه الستة جنوبية، ولحلو الشمس في كل من الأثني عشر يختلف الزمان حرارة وبرودة الليل والنهار طولاً وقصراً وبذلك يظهر بحكم جري العادة في عالم الكون والفساد آثار جليلة من نضج الثمار وإدراك الزروع ونحو ذلك مما لا يخفى، ولعل ذلك هو وجه البركة في جعلها. وأما ما يزعمه أهل الأحكام من الآثار إذا كان شيء منها طالعاً وقت الولادة أو شروع في عمل من الأعمال أو وقت حلول الشمس نقطة الحمل الذي هو مبدأ السنة الشمسية في المشهور فهو محض ظن ورجم بالغيب وسيأتي إن شاء الله تعالى الكلام في ذلك مفصلاً، ولهم في تقسيمها إلى مذكر ومؤنث وليلي ونهاري وحار وبارد وسعد ونحس إلى غير ذلك كلام طويل ولعلنا نذكر شيئاً منه بعد أن شاء الله تعالى، ومن أراده مستوفى فليرجع إلى كتبهم، ثم الظاهر أن البروج المجعولة مما لا دخل للاعتبار فيها، والمذكور في كلام أهل الهيئة أنها حاصلة من اعتبار فرض ست دوائر معلومة قاطعة للعالم فيكون للاعتبار دخل فيها وإن لم تكن في ذلك كأنياب الأغوال لوجود مبدأ الانتزاع فيها فإن كان الأمر على هذا الطرز عند أهل الشرع بأن يعتبر تقسيم ما هي فيه إلى اثنتي عشرة قطعة وتسمى كل قطعة برجًا، فالظاهر أن المراد بجعله تعالى إياها جعل ما يتم به ذلك الاعتبار ويتحقق به أمر التفاوت والاختلاف بين تلك البروج، وفيه من الخير الكثير ما فيه، وقيل: إن في الآية إيماء إلى أن اعتبار التقسيم كان عن وحي، والمشهور أن من اعتبر ذلك أولاً هرمس وهو على ما قيل ادريس عليه السلام فتأمل.

منازل الكواكب السيَّارة، أو قصورًا فيها الحرس ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾ بالإفراد؛ أي: الشمس للقراء إلا حمزة والكسائي وخلف فقرأ «سرجًا» على الجمع؛ أي: النجوم ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ [الفرقان: 62] أي: خلفًا وعوضًا بقوم أحدهما مقام الآخر ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ﴾ بتشديد الذال والكاف مفتوحتين للقراء؛ أي: يذكر إلا حمزة وخلف فقرأ بتخفيف الذال ساكنة وضم الكاف من الذكر وهو الاتعاظ ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ شكرًا ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: 63] متواضعين بالسكينة والوقار ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ أي: السفهاء بما يكرهونه ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ سدادًا من القول وصدقًا.

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا﴾ [الفرقان: 64] على وجوههم، جمع: ساجد ﴿وَقِيَامًا﴾ على أقدامهم؛ أي: قائمين، وتحصل فضيلة قيام الليل بصلاة العشاء والفجر في جماعة، ويدخل في الآية من صلى بعد العشاء ركعتين أو أكثر قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: 65] لازمًا لا يفارق من عذب به من الكفار ﴿إِنَّهَا﴾ [الفرقان: 66] أي: جهنم ﴿سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا﴾ موضع قرار ﴿وَمُقَامًا﴾ لموضع إقامة.

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٧ - ٧٠].

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ [الفرقان: 67] بضم الياء وكسر التاء من فوق لابن عامر والمدنيين، وقرأ ابن كثير والبصريان بفتح الياء وكسر التاء من فوق، والباقون بفتح الياء وفتح التاء من فوق، والإسراف: النفقة في المعصية، والتقتير: منع ما

أوجبه الله تعالى ﴿وَكَانَ﴾ إنفاقهم ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: بين الإسراف والتقتير ﴿قَوَامًا﴾ وسطًا.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ﴾ [الفرقان: 68] قتلها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: الشرك، أو القتل، أو الزنا ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ أي: جزاء إثمه، أو وادٍ في جهنم ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ﴾ [الفرقان: 69] في النار ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ ذليلاً وضم الفاء من يضاعف، والدال من يخلد ابن عامر وأبو بكر، وقرأ الباقون بجزمها.

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ [الفرقان: 70] من ذنبه ﴿وَآمَنَ﴾ بربه ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ على وفق ما أمر به ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ فيتركون فعل السيئات ويفعلون الحسنات، أو يجعل مكان السيئة حسنة وهو أقرب ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [الفرقان: ٧١ - ٧٧].

﴿وَمَنْ تَابَ﴾ [الفرقان: 71] من غير ما ذكر من الذنوب ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ﴾ يرجع ﴿إِلَى اللهِ مَتَابًا﴾ مرجعًا، أو المراد: من أراد التوبة فليتب لوجه الله ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: 72] الشرك، أو الباطل، أو شهادة الزور ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ أي: سمعوا من الكفار الشتم والأذى﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ متحملين للإيذاء معرضين عن الباطل.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ [الفرقان: 73] وعظوا بالقرآن ﴿لَمْ يَخِرُّوا﴾ يقعوا ﴿عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ بل يسمعون ما وعظوا به ويرون الحق فيتبعونه ﴿وَالَّذِينَ

يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا﴾ [الفرقان: 74] أعطنا ﴿مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ بألف بين الياء من أسفل والتاء من فوق للمدنيين وابن كثير ويعقوب وابن عامر وحفص والباقون بلا ألف ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ أولادًا أبرارًا أتقياء تقر بهم أعيننا ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ ليقتدى بنا في الخير.

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ [الفرقان: 75] الجنة، والغرفة: كل بناء مرتفع عال ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على أمر الله وعن مصيبته ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾ بفتح الياء وإسكان اللام وفتح القاف لحمزة والكسائي وخلف وأبي بكر، والباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف ﴿فِيهَا﴾ أي: في الغرفة ﴿تَحِيَّةً﴾ الملائكة ومن الله ﴿وَسَلَامًا﴾ تسليمًا من الآفات، وسلامًا عليهم من الله ومن غيره ﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا﴾[1] [الفرقان: 76] موضع قرار ﴿وَمُقَامًا﴾ موضع إقامة.

﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ [الفرقان: 77] أي: ما يكترث بكم يا كفار مكة. لولا دعاؤكم إياه في الشدائد فيكشفها بدليل قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ فكيف يعبأ بكم ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ العذاب ﴿لِزَامًا﴾[2] أي: لإلزامهم في الآخرة بعدما حل بهم في الدنيا ببدر وغيره لك.

---

(1) الغرفة ربما كان المقصود بها الجنة، أو المكان الخاص في الجنة، كما أن الغرفة أكرم من البهو فيما اعتاد الناس في البيوت في هذه الأرض، عندما يستقبلون الأضياف، وأولئك الكرام الذين سبقت صفاتهم وسماتهم، يستقبلون في الغرفة بالتحية والسلام، جزاء ما صبروا على تلك الصفات والسمات، وهو تعبير ذو دلالة، فهذه العزائم تحتاج إلى الصبر على شهوات النفس، ومغريات الحياة، ودوافع السقوط، والاستقامة جهد لا يقدر عليه إلا بالصبر، الصبر الذي يستحق أن يذكره الله في هذا الفرقان، وفي مقابل جهنم التي يتضرعون إلى ربهم أن يصرفها عنهم لأنها ساءت مستقراً ومقاماً، يجزيهم الله الجنة (خالدين فيها. حسنت مستقراً ومقاماً) فلا مخرج لهم إلا أن يشاء الله، وهم فيها على خير حال من الاستقرار والمقام، والآن وقد صور عباد الرحمن، تلك الخلاصة الصافية للبشرية، يختم السورة بهوان البشرية على الله لولا هؤلاء الذين يتطلعون إلى السماء، فأما المكذبون فالعذاب حتم عليهم لزام.

(2) وهو ختام يناسب موضوع السورة كلها؛ ومساقها للتسرية عن رسول الله ﷺ وتعزيته عما يلاقي من عناد قومه وجحودهم، وتطاولهم عليه، وهم يعرفون مقامه؛ ولكنهم في سبيل الإبقاء على باطلهم يعاندون ويصرون.. فما قومه؟ وما هذه البشرية كلها، لولا القلة المؤمنة التي تدعو الله، وتتضرع إليه. انظر [في ظلال القرآن (5 /334)].

سورة الشعراء(1)

مكية إلا قوله ﴿ وَالشُّعَرَاءُ..﴾ [الشعراء: 224] إلى آخرها فمدني، وهي مائتا آية وست، أو سبع وعشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟
مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا
يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟

---

(1) موضوع هذه السورة الرئيسي هو موضوع السور المكية جميعًا، العقيدة: ملخصة في عناصرها الأساسية: **توحيد الله**: ﴿فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين﴾ **والخوف من الآخرة**: ﴿ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ **والتصديق بالوحي المنزل على محمد رسول الله ﷺ**: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين؛ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾ **ثم التخويف من عاقبة التكذيب**، إما بعذاب الدنيا الذي يدمر المكذبين؛ وإما بعذاب الآخرة الذي ينتظر الكافرين: ﴿فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون﴾.. ﴿وَسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ ذلك إلى تسلية الرسول ﷺ وتعزيته عن تكذيب المشركين له وللقرآن: ﴿لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين﴾ وإلى طمأنة قلوب المؤمنين وتصبيرهم على ما يلقون من عنت المشركين؛ وتثبيتهم على العقيدة مهما أوذوا في سبيلها من الظالمين؛ كما ثبت من قبلهم من المؤمنين، وجسم السورة هو القصص الذي يشغل ثمانين ومائة آية من مجموع آيات السورة كلها، والسورة هي هذا القصص مع مقدمة وتعقيب، والقصص والمقدمة والتعقيب تؤلف وحدة متكاملة متجانسة، تعبر عن موضوع السورة وتبرزه في أساليب متنوعة، تلتقي عند هدف واحد، ومن ثم تعرض من كل قصة الحلقة أو الحلقات التي تؤدي هذه الأغراض، ويغلب على القصص كما يغلب على السورة كلها جو الإنذار والتكذيب، والعذاب الذي يتبع التكذيب، ذلك أن السورة تواجه تكذيب مشركي قريش لرسول الله ﷺ واستهزاءهم بالنذر، وإعراضهم عن آيات الله، واستعجالهم بالعذاب الذي يوعدهم به؛ مع التقول على الوحي والقرآن؛ والادعاء بأنه سحر أو شعر تتنزل به الشياطين! والسورة كلها شوط واحد مقدمتها وقصصها وتعقيبها في هذا المضمار، لذلك نقسمها إلى فقرات أو جولات بحسب ترتيبها.

مَا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ
نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ
إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ
﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم
مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الشعراء:
١ - ١٦].

﴿طسم﴾ [الشعراء: 1] قيل: طور وسيناء وملك، وقيل غيره ﴿تِلْكَ﴾ [الشعراء: 2] أي: هذه الآيات ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ أي: آيات منه ﴿الْمُبِينِ﴾ المظهر للحق ﴿لَعَلَّكَ﴾ [الشعراء: 3] يا محمد ﷺ ﴿بَاخِعٌ﴾ قاتل ﴿نَفْسَكَ﴾ غمًّا من أجل أن ﴿أَلَّا يَكُونُوا﴾ أي: أهل مكة ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ فخفف عن نفسك هذا الأمر.

﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ﴾ [الشعراء: 4] أراد تظل؛ أي: تدوم ﴿أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ ذلاً ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾ [الشعراء: 5] وعظ ﴿مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ﴾ باعتبار النزول ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ﴾ أي: عن الإيمان به ﴿مُعْرِضِينَ﴾ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ﴾ [الشعراء: 6] أخبار أو عواقب ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ﴾ [الشعراء: 7] كثير ﴿أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ صنف ﴿كَرِيمٍ﴾ حسن النبات طيب للآكلين ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ [الشعراء: 8] دلالة على كمال قدرة الله تعالى، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مصدقين في علم الله ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: 9] ﴿وَإِذْ نَادَى﴾ أي: اذكر لقومك إذ نادى ﴿رَبُّكَ﴾ [الشعراء: 10] ليلة رأي النار والشجرة ﴿مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ [الشعراء: 11] ظلموا بالكفر واستعباد بني إسرائيل ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ الله بطاعته وهو إنكار لعدم تقواهم ﴿قَالَ﴾ [الشعراء: 12] موسى ﴿رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾.

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ [الشعراء: 13] من تكذيبهم لي ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ للعقدة التي سأل حلها في طه، وهي برفع القاف من: يضيق وينطلق، وقرأ يعقوب بفتحهما ﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ ليكون معي ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾ [الشعراء: 14] هو قتل القبطي ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ به.

﴿قَالَ كَلَّا﴾ [الشعراء: 15] أي: لن يقتلوك ﴿فَاذْهَبَا﴾ خطاب له ولأخيه، وغلب الحاضر على الغائب ﴿بِآيَاتِنَا﴾ هي اليد والعصا ونحوهما ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ ما تقولون، وما يقال لكم ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ﴾ [الشعراء: 16] أي: كل منَّا رسول ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشعراء: ١٧ - ٢٨].

﴿أَنْ﴾ [الشعراء: 17] بأن ﴿أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إلى فلسطين من الشام، ولا نعذبهم بالاستعباد ﴿قَالَ﴾ [الشعراء: 18] فرعون له ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا﴾ أي: في منازلنا ﴿وَلِيدًا﴾ صبيًا ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ قيل: ثلاثون سنة، وكان فيها يركب ويلبس من مراكب وملابس فرعون، وكان يسمى ابنه.

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ [الشعراء: 19] في قتل القبطي ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ الجاحدين لنعمة تربيتي عليك بلا استعباد ﴿قَالَ﴾ [الشعراء: 20] موسى له ﴿فَعَلْتُهَا إِذًا﴾ أي: في ذلك الوقت ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ عن الذي أوتيته بعد ذلك من

العلم والرسالة، أو من الجاهلين بأن ذلك يقتله؛ أي: فعلته خطأ ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ﴾ [الشعراء: 21] إلى مدين ﴿لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ علمًا ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا﴾[1] [الشعراء: 22] أي: تمن بها ﴿عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ﴾ استعبدت ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ولم تستعبدني؛ أي: لا نعمة لك بذلك؛ لأنك ظالم لهم ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ [الشعراء: 23] لموسى ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الذي تزعم إنك رسوله أراد أن يُعرفه له بالجنس والفصل المبني بالحقيقة وذلك محال.

فلذا أجابه موسى بقوله: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [الشعراء: 24] بذلك فآمنوا ﴿قَالَ﴾ [الشعراء: 25] فرعون لمَّا تحير في جواب موسى ﴿لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ من أكابر قومه ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ جوابه الذي لم يطابق السؤال فزاد موسى في البيان.

﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: 26] ذكره زيادة في ردع فرعون ﴿قَالَ﴾ [الشعراء: 27] فرعون ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ لأن كلامه عندهم كلام من لا عقل له فزاد في البيان و﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: 28] إنه كذلك فآمنوا به فلمَّا عجز فرعون عن الجواب تكبر.

﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ

---

(1) اختلف الناس في معنى هذا الكلام، فقال السدي والطبري والفراء: هذا الكلام من موسى ﷺ على جهة الإقرار بالنعمة، كأنه يقول: نعم! وتربيتك نعمة علي من حيث عبدت غيري وتركتني، ولكن لا يدفع ذلك رسالتي، وقيل: هو من موسى ﷺ على جهة الإنكار، أي أتمن علي بأن ربيتني وليدًا وأنت قد استعبدت بني إسرائيل وقتلتهم؟ ! أي ليست بنعمة؟ لأن الواجب كان ألا تقتلهم ولا تستعبدهم فإنهم قومي، فكيف تذكر إحسانك إلى على الخصوص؟ ! قال معناه قتادة وغيره، وقيل: فيه تقدير استفهام، أي أو تلك نعمة؟ قاله الأخفش والفراء أيضًا وأنكره النحاس وغيره، قال النحاس: وهذا لا يجوز لأن ألف الاستفهام تحدث معنى، وحذفها محال إلا أن يكون في الكلام «أم»، ولا أعلم بين النحويين اختلافًا في هذا إلا شيئًا قاله الفراء، قال: يجوز ألف الاستفهام في أفعال الشك، وحكي ترى زيدًا منطلقًا؟ بمعنى أترى، وكان علي بن سليمان يقول في هذا: إنما أخذه من ألفاظ العامة، قال الثعلبي: قال الفراء ومن قال إنها إنكار قال معناه أو تلك نعمة؟ على طريق الاستفهام، كقوله: (هذا ربي) (فهم الخالدون).

جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ
فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ
هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ
﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ
عَلِيمٖ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ
﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ
أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ
لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا
لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلۡقِيَ
ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ
ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَۚ
لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٩ - ٤٩].

﴿قَالَ﴾ [الشعراء: 29] لموسى ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ وكان سجنه شديدًا تحت الأرض ولا يبصر المسبحون فيه أحدًا أو لا يسمع ﴿قَالَ﴾ [الشعراء: 30] له موسى عند ذلك أتعقل ذلك؟ ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ من البراهين الدالة على رسالتي.

﴿قَالَ﴾ [الشعراء: 31] فرعون لموسى ﴿فَأْتِ بِهِ﴾ أي: بالشيء البين ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فإنا لن نسجنك حينئذ ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ [الشعراء: 32] ولمَّا قال له فرعون هل من غيرها ﴿وَنَزَعَ﴾ [الشعراء: 33] موسى ﴿يَدَهُ﴾ من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾ [الشعراء: 34] فرعون ﴿لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الشعراء: 35] أرض مصر ﴿بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ ﴿قَالُوا

أَرْجِهْ﴾ [الشعراء: 36] آخره ﴿وَأَخَاهُ﴾ هارون ﴿وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ جامعين ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ * فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [الشعراء: 37 - 38] وهو يوم الزينة.

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: 39] لنظر فعل الفريقين ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ﴾ [الشعراء: 40] أي: لكي نتبع ﴿السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ لموسى ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [الشعراء: 41] ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا﴾ [الشعراء: 42] أي: إذا غلبتم موسى ﴿لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ زيادة على الأجر.

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ [الشعراء: 43] أذن فيه توسلاً لإظهار الحق بعد أن قالوا: ﴿إِمَّا أَن تُلْقِيَ﴾ [الأعراف: 115] إلى آخر ما سبق ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ * فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الشعراء: 44 - 45] يكذبون من السحر ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ [الشعراء: 46].

﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الشعراء: 47 - 48] ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ [الشعراء: 49] فعلمكم شيئًا منه، وادخر ما عليكم به ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما ينالكم مني ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ أي: يد كل اليمنى، ورجله اليسرى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ في جذوع النخل ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

﴿ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا

ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الشعراء: ٥٠ - ٦٥].

﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾ [الشعراء: 50] لا ضرر علينا ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا﴾ مصلح حالنا باتّباع الحق ﴿مُنْقَلِبُونَ﴾ في الآخرة ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ﴾ [الشعراء: 51] بأن ﴿كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ موسى وهارون في زماننا.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾ [الشعراء: 52] بعد أن أقام سنين بينهم يدعوهم فلا يزدادون إلا تكبرًا ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ بني إسرائيل؛ أي: سر بهم ليلاً للبحر ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وجنوده للحيلولة بينكم وبين الخروج من مصر؛ فتلجون خلفكم البحر فأنجيكم وأغرقهم ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ﴾ [الشعراء: 53] كانت له ألف مدينة، واثنا عشرة ألف قرية ﴿حَاشِرِينَ﴾ يحشرون له الناس لمَّا علم بمسيرهم.

وقال ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ [الشعراء: 54] أي: موسى وقومه ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾ قطعة من الناس ﴿قَلِيلُونَ﴾ جمعًا وكانوا ستمائة ألف فأكثر، واستقلَّهم لكثرة جيشه؛ إذ مقدمته سبعمائة ألف.

﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾ [الشعراء: 55] لمغضبون بمخالفتهم لنا ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ [الشعراء: 56] خائفون، قرأ الكوفيون وابن ذكوان والدجواني عن هاشم: حاذرون بألف، والباقون بلا ألف.

﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾ [الشعراء: 57] أي: فرعون وقومه ﴿مِنْ جَنَّاتٍ﴾ كانت ممتدة بحافتي النيل ﴿وَعُيُونٍ﴾ أنهار جارية في الدور من النيل ﴿وَكُنُوزٍ﴾ [الشعراء: 58] أموال من الذهب والفضة ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ مجلس حسن يجلس فيه الأمراء والرؤساء ﴿كَذَلِكَ﴾ [الشعراء: 59] أي: الأمر كما وصفنا، أو كما أخرجناهم ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ بهلاكهم ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ لأن الله تعالى ردهم مع موسى إلى مصر بعد غرق فرعون وقومه فأعطاهم ما كان لهم ﴿فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ [الشعراء: 60] وقت إشراق الشمس

﴿فَلَمَّا تَرَاءَى﴾ تقابل ﴿الْجَمْعَانِ﴾ [الشعراء: 61] بحيث يرى كل فريق صاحبه ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ أي: سيدركنا فرعون وقومه ولا طاقة لنا بهم.

﴿قَالَ﴾ [الشعراء: 62] موسى ثقة بوعد الله له ﴿كَلَّا﴾ لا يدركوننا ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ بالنصر والهداية ﴿سَيَهْدِينِ﴾ يدلني على طريق النجاة منهم ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾ [الشعراء: 63] أي: فضربه فانفلق؛ أي: انفتق ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾ من الماء؛ أي: قطعة منه ﴿كَالطَّوْدِ﴾ الجبل ﴿الْعَظِيمِ﴾ الضخم ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾ [الشعراء: 64] قربنا ﴿ثَمَّ﴾ في ذلك المكان ﴿الْآخَرِينَ﴾ أي: قوم فرعون بأن قدمهم للبحر وقربهم للهلاك ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء: 65] من الغرق.

﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٦٦ - ٨٣].

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا﴾ [الشعراء: 66] أي: في البحر ﴿الْآخَرِينَ﴾ من فرعون وقومه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾ [الشعراء: 67] أي: أكثر أهل مصر ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ قيل: لم يؤمن منهم إلا آسية امرأة فرعون: وحزقيل المؤمن ومريم بنت موسى التي دلّت على عظام يوسف عليه السلام.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ﴾ [الشعراء: 68 - 69] خبر

﴿إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ﴾ [الشعراء: 69: 71] ندوم ﴿لَهَا﴾ على عبادتها ﴿عَاكِفِينَ﴾[1] مقيمين.

---

(1) مضت قصة موسى ﷺ مع فرعون وملئه؛ وانتهت بتلك النهاية، وفيها البشرى للمؤمنين المستضعفين المضطهدين كما كانت القلة المؤمنة يومذاك في مكة وفيه الدمار للظالمين المتجبرين الذين يشبه موقفهم موقف المشركين، فالآن تتبعها قصة إبراهيم ﷺ وقومه، ويؤمر الرسول ﷺ أن يتلوها على المشركين، ذلك أنهم يزعمون أنهم ورثة إبراهيم، وأنهم على دينه القديم؛ وهم يشركون بالله، ويقيمون الأصنام لعبادتها في بيته الحرام، الذي بناه إبراهيم خالصًا لله ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ ليتبينوا منه حقيقة ما يزعمون، والقصص في هذه السورة لا يتبع الخط التاريخي؛ لأن العبرة وحدها هي المقصودة، فأما في سورة الأعراف مثلاً فقد كان الخط التاريخي مقصودًا، لعرض خط وراثة الأرض، وتتابع الرسل من عهد آدم ﷺ فمضى القصص فيها يتبع خط التاريخ، منذ الهبوط من الجنة، وبدء الحياة البشرية، والحلقة التي تعرض هنا من قصة إبراهيم ﷺ هي حلقة الرسالة إلى قومه، وحواره معهم حول العقيدة، وإنكار الآلهة المدعاة، والاتجاه بالعبادة إلى الله، والتذكير باليوم الآخر، يعقب هذا مشهد كامل من مشاهد القيامة، يتنكر فيه العباد للآلهة، ويندمون على الشرك الذي انتهى بهم إلى ما هم فيه، كأنهم قد صاروا فعلاً إلى ما هم فيه! وهنا عبرة القصة للمشركين، ومن ثم يتوسع في الحديث عن مقومات عقيدة التوحيد، وفساد عقيدة الشرك؛ ومصير المشركين في يوم الدين؛ لأن التركيز متجه إليها، ويختصر ما عدا ذلك مما يفصله في سور أخرى، وقد وردت حلقات من قصة إبراهيم ﷺ في البقرة، والأنعام، وهود، وإبراهيم، والحجر، ومريم، والأنبياء، والحج، وكانت في كل سورة مناسبة لسياقها العام، وعرض منها ما يتفق مع موضوع السورة وجوها وظلها، عرضت في سورة البقرة حلقة بنائه للبيت هو وإسماعيل، ودعائه أن يجعل الله البلد الحرام آمناً، وإعلانه أن وراثة البيت ووراثة بانية إنما هي للمسلمين، الذين يتبعون ملته، لا لمن يدعون بالنسب وراثته، وكان هذا بصدد مخالفات بني إسرائيل، وطردهم ولعنهم، وتوريث دين إبراهيم وبيته للمسلمين، وعرضت كذلك حلقة محاجته للملك الكافر في صفة الله الذي يحيي ويميت، والذي يأتي بالشمس من المشرق، وتحديه للملك أن يأتي بها من المغرب، فبهت الذي كفر، كما عرضت حلقة طلبه من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، وأمره بذبح أربعة من الطير، وتوزيع أشلائهن على الجبال، ثم إحياؤها بين يديه، فجاءت تسعى إليه، وهذا وذلك في معرض الحديث في السورة، عن آيات الله وقدرته على الإماتة والإحياء، وعرضت في الأنعام حلقة بحثه عن ربه، واهتدائه إليه، بعد تأمل في النجوم والقمر والشمس، وتتبع مشاهد الكون، وكان ذلك في السورة التي تدور حول العقيدة، وآيات الله في الكون، ودلالتها على الصانع المبدع الذي لا شريك له، وعرضت في سورة هود حلقة تبشيره بإسحاق، وكان ذلك في سياق قصة لوط، ومرور الملائكة المكلفين تدمير قريته في طريقهم بإبراهيم، وفيها تبدو رعاية الله للمختارين من عباده وتدمير الفاسقين، وعرضت في سورة إبراهيم حلقة دعائه بجوار البيت المحرم لمن أسكنه

=

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ [الشعراء: 72] أي: يسمعون دعائكم ﴿إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ﴾ [الشعراء: 73] بالرزق ونحوه إن عبدتموهم ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ إن تركتم العبادة ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ﴾ [الشعراء: 74] أي: مثل هذا الفعل ﴿يَفْعَلُونَ﴾ فاقتدينا بهم مع علمنا بأنها لا تسمع وتضر ولا تنفع.

﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ﴾ [الشعراء: 75 - 76] الأولون ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي﴾ [الشعراء: 77] أي: أعداء ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ فإني أعبده ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: 78] يرشدني لطريق النجاة ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء: 79] يرزقني من عنده ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: 80 - 81] ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾ [الشعراء: 82] أرجو ﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ وأراد بالخطيئة الجنس وهي قوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: 89] و﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء63] وقوله عن سارة زوجته: هذه أختي؛ إذا مر بها على ظالم فأخذها منه وأراد أن يغشاها فأخذته الأرض مرارًا فتركها وأعطاها هاجر أم إسماعيل، ولما سأل الجبار عنها إبراهيم قال: هذه أختي، وأراد في الدين

=

من ذريته بواد غير زرع؛ وحمده على أن وهب له على الكبر إسماعيل وإسحاق؛ وطلبه إلى ربه أن يجعله مقيم الصلاة هو وذريته، وأن يقبل دعاءه، ويغفر له ولوالديه وللمؤمنين يوم يقوم الحساب، وكان سياق السورة كله هو عرض أمة الرسل؛ برسالة واحدة، هي التوحيد؛ وعرض المكذبين بأمة الرسل صفًا واحدًا كذلك؛ وكأنما الرسالة شجرة ظليلة في هجير الكفر وصحراء الجحود! وعرضت في سورة الحجر الحلقة التي عرضت في سورة هود مع شيء من التفصيل، في صدد ذكر رحمة الله بعباده المؤمنين، وعذابه للعصاة المذنبين، وعرضت في سورة مريم حلقة دعوته في رفق لأبيه، وغلظة أبيه عليه، واعتزاله لأبيه وقومه، وهبة إسماعيل وإسحاق له، وذلك في السورة التي تعرض رعاية الله للمصطفين من عباده، وجوها كله تظلله الرحمة والود واللين، وعرضت في سورة الأنبياء حلقة دعوته لأبيه وقومه، وزرايته على أصنامهم، وتحطيم هذه الأصنام، وإلقائه في النار التي كانت بردًا وسلامًا عليه بأمر الله، ونجاته هو وابن أخيه لوط إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين، وذلك في صدد استعراض أمة الرسل، ورعاية الله لهذه الأمة واتجاهها إلى عبادة الله الواحد الذي ليس له شريك، ووردت في سورة الحج إشارة إلى أمر بتطهير البيت للطائفين والعاكفين. انظر [في ظلال القرآن (5 /350)].

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ [الشعراء: 83] أراد النبوة ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ الأنبياء في الدرجة والمنزلة.

﴿ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾
وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا
بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ
لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ
﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا
يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾
وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا
كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾
[الشعراء: ٨٤ - ١٠٣].

﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: 84] ثناءً حسنًا وذكرًا جميلاً فيمن بعدي فأثنى عليه أهل كل ملة ﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [الشعراء: 85] أي: ممن تعطيها له ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: 86] هذا قبل أن يتبين له أنه عدو الله كما سبق في براءة.

﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ [الشعراء: 87] لا تفضحني ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الشعراء: 88] أحدًا ﴿إِلَّا﴾ [الشعراء: 89] لكن ﴿مَنْ أَتَى الله بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من الشرك.

﴿وَأُزْلِفَتِ﴾ [الشعراء: 90] قربت ﴿الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ * وَبُرِّزَتِ﴾ [الشعراء: 90 - 91] أظهرت ﴿الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ الكافرين ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ [الشعراء: 92] يوم القيامة ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ الله﴾ [الشعراء: 92 - 93] غيره ﴿هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾ لأنفسهم بدفعه عنهم.

﴿فَكُبْكِبُوا﴾[1] [الشعراء: 94] جمعوا وطرحوا بعضهم على بعض ﴿فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ أي: الشياطين أو كفرة الجن ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ [الشعراء: 95] ذريته وأتباعه من الجن والإنس ﴿قَالُوا﴾ [الشعراء: 96] أي: الغاوون ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ مع من عبدوهم ﴿تَالله إِنْ﴾ [الشعراء: 97] أي: أنه ﴿كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بيّن.

﴿إِذْ﴾ [الشعراء: 98] حين ﴿نُسَوِّيكُمْ﴾ نعدّلكم ﴿بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ في العبادة ﴿وَمَا أَضَلَّنَا﴾ [الشعراء: 99] أي: دعانا للضلال ﴿إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ هل هم الشياطين؟ أو أصولهم؟ أو إبليس وابن آدم قابيل؟ لأنه أول من سن المعاصي من البشر، أقوال.

﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ [الشعراء: 100] ليشفعوا لنا كالمؤمنين ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: 101] قريب يشفع لنا ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ [الشعراء: 102] تمنوا الرجعة إلى الدنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 102 - 103].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾

---

(1) أي: ألقوا في الجحيم على وجوههم مرة بعد أخرى إلى أن يستقروا في قعرها فالكبكبة تكرير الكب وهو مما ضوعف فيه الفاء كما قال الزجاج. وجمهور البصريين، وذهب الكوفيون إلى أن الثالث بدل من مثل الثاني فاصل كبكب عندهم كبب فأبدل من الباء الثانية كاف وضمير الجمع لما يعبودن من دون الله وهم الأصنام وأكد بالضمير المنفصل أعني (هُمْ) وكلا الضميرين للعقلاء واستعملا في الأصنام تهكماً أو بناء على إعطائها الفهم والنطق أي كبكب فيها الأصنام (والغاوون) الذين عبدوها، والتعبير عنهم بهذا العنوان دون العابدون للتسجيل عليهم بوصف الغواية، وفي تأخير ذكرهم عن ذكر آلهتهم رمز إلى أنهم يؤخرون في الكبكبة عنها ليشاهدوا سوء حالهم فينقطع رجاؤهم قبل دخول الجحيم. [تفسير الألوسي (14/ 267)].

إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ
﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾
فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي
الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [الشعراء: ١٠٤ - ١٢٠].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: 104].

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ [الشعراء: 105 - 106] في النسب ﴿نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: 106 - 107] على الوحي ﴿فَاتَّقُوا الله وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: 108] فيما أمرتكم به من التوحيد ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [الشعراء: 109] أي: على تبليغ الوحي ﴿مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ﴾ ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * فَاتَّقُوا الله وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: 109 - 110].

﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ﴾ [الشعراء: 111] نصدق ﴿لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ السفلة كحاكة وأساكفة، وقرأ يعقوب: «وأتباعك» بقطع الهمزة وإسكان التاء مخففة وضم العين وألف بينهما وبين الباء الموحدة المفتوحة، والباقون بوصل الهمزة وتشديد التاء مفتوحة وفتح العين بلا ألف.

﴿قَالَ﴾ [الشعراء: 112] نوح ﴿وَمَا عِلْمِي﴾ أي: علم لي ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ إنما أمرت بدعائهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي﴾ له ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ [الشعراء: 113] تعلمون ذلك ما عيرتموهم بالصنائع الدنية؛ إذ هي لا تضر في الدين ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ * إِنْ﴾ ما ﴿أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الشعراء: 114 - 115].

﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ﴾ [الشعراء: 116] عما تقول ﴿يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ [الشعراء: 117 - 118] احكم حكمًا ﴿وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [الشعراء: 118 - 119] المملوء من الناس وغيرهم من الحيوانات ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ [الشعراء: 120] أي: بعد إنجاء نوح ومن معه ﴿الْبَاقِينَ﴾ من أهل الأرض.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ
الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا
عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ
لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾
وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ
الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ
﴿١٤٠﴾ ﴾ [الشعراء: ١٢١ - ١٤٠].

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: 121 - 122].

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ [الشعراء: 123 - 124] في النسب ﴿هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: 124 - 125] ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الشعراء: 126 - 127] مال ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ ما ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ [الشعراء: 128] مكان عالي أو طريق بين جبلين ﴿آيَةً﴾ علامة من البناء ﴿تَعْبَثُونَ﴾ بمن يمر عليكم من الناس ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ [الشعراء: 129] قصورًا مشيدة للتحصن، أو حياضًا للماء، واحده مصنعة ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ كأنهم لا يؤملون الموت.

﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ﴾ [الشعراء: 130] أخذتم بضرب أو قتل ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ قتلاً وضربًا بلا رأفة ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ [الشعراء: 131 - 132] أي: أعطاكم ما تعلمون من النعم عليكم وبيَّن المدد بقوله: ﴿أَمَدَّكُمْ

بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ﴾ [الشعراء: 133 - 134] بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ أنهار ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ [الشعراء: 135] إن عصيتموني ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ في الدنيا والآخرة.

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾ [الشعراء: 136] أي: مستوٍ عندنا ﴿أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ الوعظ: ما يلين القلب بذكر الوعد والوعيد والعواقب ﴿إِنْ هَذَا﴾ [الشعراء: 137] ما هذا ﴿إِلَّا خُلُقُ﴾ بفتح الخاء وإسكان اللام لأبي جعفر وابن كثير والكسائي والبصريين؛ أي: اختلاف ﴿الْأَوَّلِينَ﴾[1] من الكذب، والباقون بضمهما؛ أي: عادة الأولين، وشأنهم يعبثون ما شاءوا ثم يموتون ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * فَكَذَّبُوهُ﴾ [الشعراء: 138 - 139] في وعده بالعذاب ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ في الدنيا بالريح ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: 139 - 140].

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا

---

(1) أظهروا قلة اكتراثهم بكلامه، واستخفافهم بما أورده فإن قيل لو قال أوعظت أم لم تعظ كان أخصر والمعنى واحد جوابه: ليس المعنى بواحد وبينهما فرق؛ لأن المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ أم لم تكن أصلاً من أهله ومباشرته، فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك أم لم تعظ، ثم احتجوا على قلة اكتراثهم بكلامه بقولهم: ﴿إِنْ هذا إِلاَّ خُلُقُ الأولين﴾ فمن قرأ «خُلُقُ الأولين» بالفتح فمعناه أن ما جئت به اختلاق الأولين، وتخرصهم كما قالوا (أساطير الأولين) أو ما خلقنا هذا إلا خلق القرون الخالية نحيا كحياتهم ونموت كمماتهم ولا بعث ولا حساب، ومن قرأ «خُلِقَ» بضمتين وبواحدة، فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم كانوا به يدينون ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت إلا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر، أو ما هذا الذي جئت به من الكذب إلا عادة الأولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه، ثم قالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ أظهروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من إنكار المعاد، فعند هذا بين الله تعالى أنه أهلكهم، وقد سبق شرح كيفية الهلاك في سائر السور، والله أعلم. انظر [تفسير الرازي (11 /495)].

يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ
إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ
﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَـٰدِمِينَ
﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الشعراء: ١٤١ - ١٥٩].

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ [الشعراء: 141 - 142] في النسب ﴿صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَا هُنَا﴾ [الشعراء: 142: 146] من البساتين والنعم ﴿آمِنِينَ﴾ من العذاب ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [الشعراء: 147 - 148] لطيف لين يفتت إذا مس من لينه مع نفعه ونضجه ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ [الشعراء: 149] حاذقين أو معجبين بأنفسكم، وقرأ ابن عامر والكوفيون: «فارهين» والباقون بلا ألف ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الشعراء: 150 - 151] المشركين، وأراد التسعة الذين عقروا الناقة ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الشعراء: 152] بالعصيان ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ بالطاعة.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: 153] الذين سحروا فخدعوا، أو المعللين بالطعام والشراب ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [الشعراء: 154] فلست بملك ﴿فَأْتِ بِآيَةٍ﴾ على صحة دعواك ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في الرسالة إلينا.

﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ﴾ [الشعراء: 155] نصيب من الماء ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ [الشعراء: 155 - 156] بعقرها ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ * فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ [الشعراء: 156 - 157] على ذلك عند رؤية العذاب ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [الشعراء: 158] الموعود له فهلكوا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: 158 - 159].

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي
لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ
أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا
خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ
لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا
يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ
﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ
قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾
وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الشعراء: ١٦٠ -
١٨٠].

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ [الشعراء: 160 - 161] في النسب ﴿لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ [الشعراء: 162 - 164] ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ﴾ [الشعراء: 164 - 165] بنكاحكم في أدبارهم ﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ أراد بني آدم ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ [الشعراء: 166] أي: إقبال النساء ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ معتدون تجاوزا الحلال للحرام.

﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ﴾ [الشعراء: 167] عن إنكارك علينا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ من قريتنا ﴿قَالَ﴾ [الشعراء: 168] لوط ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي﴾ [الشعراء: 169] ممن آمن معي ﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ من الخبائث ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء: 170] ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ [الشعراء: 171] هي امرأة لوط بقيت ﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾ الهالكين الباقين في العذاب ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا﴾ [الشعراء: 172] أهلكنا

﴿الْآخَرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الشعراء: 172 - 173] مطرهم وهو الكبريت أي: حجارته ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: 174 - 175].

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ [الشعراء: 176] قرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر: «ليكة» هنا وهي في ص بلام مفتوحة بلا ألف وصل قبلها ولا همزة بعدها وبفتح تاء التأنيث وصلاً، وهو اسم القرية التي كانوا فيها، والباقون بألف وصل مع إسكان اللام وهمزة مفتوحة بعدها، وخفض تاء التأنيث في الموضعين، والأيكة المكان الذي فيه الشجر الملتف ﴿الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ [الشعراء: 176 - 177] لم يقل أخوهم؛ لأنه لم يكن منهم ﴿أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 177 - 180].

﴿ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الشعراء: ١٨١ - ١٩٤].

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ [الشعراء: 181] أتموه ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ الناقصين لحقوق الناس في كيلهم ووزنهم ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ﴾[1] [الشعراء: 182] الميزان

(1) قال الزجاج: هو ميزان العدل أيّ: ميزان كان من موازين الدراهم وغيرها، وفيه لغتان: ضم القاف، وكسرها، وقيل هو القبّان المسمى بالقرسطون؛ وقيل هو العدل نفسه، وهي لغة الروم، وقيل: لغة سريانية، وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر «القُسطاس» =

﴿الْمُسْتَقِيمِ﴾ السوي ﴿وَلَا تَبْخَسُوا﴾ [الشعراء: 183] لا تنقصوا ﴿النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ التي لهم ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ بالقتل والمعاصي ﴿مُفْسِدِينَ * وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ﴾ [الشعراء: 183 - 184] الخلق ﴿الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ﴾ [الشعراء: 185 - 186] أي: أنه ﴿نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ [الشعراء: 186 - 187] قطعة ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في رسالتك.

﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: 188] فيجازيكم بعملكم ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ [الشعراء: 189] لأنه حصل لهم حرّ شديد فخرجوا لظل الشجر فخرج لهم منها نار فاحترقوا، أو أظلتهم سحابة فأمطروا نارًا ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: 189 - 191].

﴿وَإِنَّهُ﴾ [الشعراء: 192] أي: القرآن ﴿لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ﴾ [الشعراء: 192 - 193] قرأ ابن عامر ويعقوب وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر: «نزل» بتشديد الزاي ﴿الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ بنصبهما؛ أي: نزَّل الله بالقرآن الروح جبريل الآمين على الوحي، والباقون بالتخفيف ورفع الروح ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: 194] خص القلب؛ لأنه محل الحفظ والعلم والفهم ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ للناس به.

﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ
عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟
بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ
يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ

=

بضم القاف، وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بكسر القاف، والإشارة بقوله: «ذلك» إلى إيفاء الكيل والوزن، وهو مبتدأ، وخبره «خَيْرٌ» أي: خير لكم عند الله وعند الناس، يتأثر عنه حسن الذكر وترغيب الناس في معاملة من كان كذلك. انظر [فتح القدير (4/ 308)].

مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٥ - ٢٠٨].

﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾ [الشعراء: 195] ﴿**وَإِنَّهُ**﴾ [الشعراء: 196] أي: ذكر إنزال القرآن على الأكثر، أو ذكر محمد وبعثه ﷺ ﴿**لَفِي زُبُرِ**﴾ كتب ﴿**الْأَوَّلِينَ * أَوَلَمْ يَكُنْ**﴾ [الشعراء: 196 - 197] بتاء من فوق في أوله ﴿**لَهُمْ آيَةً**﴾ بالرفع، والباقون بياء من أسفل ونصب آية ﴿**أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ أي: أو لم يكن للمكذبين آية عليهم علماء بني إسرائيل بصدق محمد ﷺ كعبد الله بن سلام.

﴿**وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ**﴾ [الشعراء: 198] أي: القرآن ﴿**عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ**﴾ جمع أعجمي، وهو الذي لا يفصح ولا يتكلم بالعربية وإن كان عربيًا ﴿**فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ**﴾ [الشعراء: 199] بلغته العجمية ﴿**مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ**﴾ لاحتجاجهم بأنهم لا يفهمون قوله، أو المراد لو نزلناه على رجل أعجمي ما كانوا آمنوا به أنفة من اتّباعه.

﴿**كَذَلِكَ**﴾ [الشعراء: 200] أي: مثل إدخالنا التكذيب بقراءة الأعجمي ﴿**سَلَكْنَاهُ**﴾ أدخلنا التكذيب ﴿**فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ**﴾ وهم كفار مكة ﴿**لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ**﴾ [الشعراء: 201] بقراءة النبي ﷺ ﴿**حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ**﴾ وهو الموت ﴿**فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ [الشعراء: 202] به في الدنيا.

﴿**فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ**﴾ [الشعراء: 203] متركون إمهالاً لنؤمن؟ فيقال لهم: لا، قالوا: متى العذاب؟ قال تعالى: ﴿**أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * أَفَرَأَيْتَ**﴾ [الشعراء: 204 - 205] أخبرني ﴿**إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ**﴾ [الشعراء: 205 - 206] من العذاب ﴿**مَا أَغْنَى**﴾ [الشعراء: 207] دفع ﴿**عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ**﴾ في الدنيا؛ أي: لا يمنع العذاب أو لا يخفف ﴿**وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ**﴾ [الشعراء: 208] أي: أهلها، ﴿**إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ**﴾ رسل ينذرونهم.

﴿ **ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا**

ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ
لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ
عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ
أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ۗ
وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٠٩ - ٢٢٧].

﴿ذِكْرَى﴾ [الشعراء: 209] أي: عظة لهم ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ في إهلاكهم بعد الإنذار ليقدم إقامة الحجة عليهم.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ﴾ [الشعراء: 210] بالقرآن ﴿الشَّيَاطِينُ﴾ نزلت لما قال كفار مكة: الشياطين تلقي القرآن على لسان محمد ﴿وَمَا يَنْبَغِي﴾ [الشعراء: 211] أي: ما ينبغي للشياطين ولا يكون ﴿لَهُمْ﴾ ذلك ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ذلك ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ [الشعراء: 212] أي: استراقه من السماء ﴿لَمَعْزُولُونَ﴾ محجوبون بالشهب لرميهم بها عند الصعود إليه ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: 213] إن فعلت ذلك.

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214] هم بنو هاشم وبنو المطلب وقريش فدعاهم رسول الله ﷺ وأنذرهم ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 215] أي: تواضع ولِن لهم ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ [الشعراء: 216] أي: العشيرة ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر وعبادة غير الله.

﴿وَتَوَكَّلْ﴾ [الشعراء: 217] بالواو وللقراء إلا المدنيين وابن عامر فقرأوا فتوكل بالفاء ﴿عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ فوض أمرك إليه ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء: 218] في الصلاة ﴿وَ﴾ [الشعراء: 219] يرى ﴿تَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ المصلين، أو معهم، أو

تقلب بصرك فيهم؛ لأنه كان يرى في الصلاة من خلفه ﷺ كما كان يرى من أمامه أو غير ذلك كما ذكر في الأصل ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: 220].

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ [الشعراء: 221] أخبركم ﴿عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ [الشعراء: 221 - 222] كذاب ﴿أَثِيمٍ﴾ هم الكهنة ﴿يُلْقُونَ﴾ [الشعراء: 223] أي: الشياطين ﴿السَّمْعَ﴾ أي: ما يسمعوه من الملائكة للكهنة ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ يضمون إلى المسموع كذبات كثيرة، وكان هذا قبل أن تحجب الشياطين عن السماء.

﴿وَالشُّعَرَاءُ﴾ [الشعراء: 224] شعراء الكفار كعبد الله بن الزبعرى، وأمية بن أبي الصلت ﴿يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ هم رواة أشعارهم ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ﴾ [الشعراء: 225] من أودية الكلام ﴿يَهِيمُونَ﴾ فيمنعون مجاوزين الحد فيهجون ويمدحون بالباطل ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾ [الشعراء: 226] في شعرهم ﴿مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ كذبًا منهم، ثم استثنى شعراء الإسلام الذين أجابوا شعراء الجاهلية وهجوا الكفار ونافحوا عن النبي ﷺ وأصحابه: كحسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا﴾[1] [الشعراء: 227] أي: لم يشغلهم شعرهم

---

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله تعالى: (والشعراء) جمع شاعر مثل جاهل وجهلاء، قال ابن عباس: هم الكفار (يتبعهم) ضلال الجن والإنس، وقيل (الغاوون) الزائلون عن الحق، ودل بهذا الشعراء أيضًا غاوون، لأنهم لو لم يكونوا غاوين ما كان أتباعهم كذلك، وقد قدمنا في سورة النور أن من الشعر ما يجوز إنشاده، ويكره، ويحرم، روى مسلم من حديث عمرو بن الشريد عن أبيه قال: ردفت رسول الله ﷺ يومًا فقال: «**هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء**» قلت: نعم، قال: «**هيه**» فأنشدته بيتًا، فقال: «**هيه**» ثم أنشدته بيتًا، فقال: «**هيه**» حتى أنشدته مائة بيت، هكذا صواب هذا السند وصحيح روايته، وقد وقع لبعض رواة كتاب مسلم: عن عمرو بن الشريد عن الشريد أبيه، وهو وهم، لأن الشريد هو الذي أردفه رسول الله ﷺ واسم أبي الشريد سويد، وفي هذا دليل على حفظ الأشعار والاعتناء بها إذا تضمنت الحكم والمعاني المستحسنة شرعًا وطبعًا، وإنما استكثر النبي ﷺ من شعر أمية، **لأنه** كان حكيمًا، ألا ترى قوله ﷺ: «**وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم**» فأما ما تضمن ذكر الله وحمده والثناء عليه فذلك مندوب إليه، كقول القائل:

صار الشريد في رءوس العيدان الحمد لله العلي المنان

=

=

أو ذكر رسول الله ﷺ أو مدحه كقول العباس:

مـن قـبلها طـبت فـي الظـلال وفـي مـس تـــودع حـــيث يخـــصف الـــورق
ثـــم هـــبطت الـــبلاد لا بـــشر أنـــ ـــــت ولا مـــــضغة ولا علـــــق
بـــل نطفـــة تـــركب الـــسفين وقـــد ألـــ ـــــجم نـــــسرا وأهلــــه الغـــرق
تـــنقل مـــن صـــالب إلـــى رحـــم إذا مـــضى عـــالم بـــدا طـــبق

فقال له النبي ﷺ: «**لا يفضض الله فاك**»، أو الذب عنه كقول حسان:

هجـــوت محمـــدا فأجـــبت عـــنه وعـــند الله فـــي ذاك الجـــزاء

وهي أبيات ذكرها مسلم في «صحيحه» وهي في السير أتم، أو الصلاة عليه، كما روى زيد بن أسلم، خرج عمر ليلة يحرس فرأى مصباحًا في بيت، وإذا عجوز تنفش صوفًا وتقول:

علـــى محمـــد صـــلاة الأبـــرار صـــلى علـــيه الطيـــبون الأخـــيار
قـــد كـــنت قـــوامًا بكـــا بالأســـحار يـــا لـــيت شـــعرى والمـــنايا أطـــوار

هل يجمعني وحبيبي الدار

يعني النبي ﷺ فجلس عمر يبكي، قال أبو عمر: ولا ينكر الحسن من الشعر أحد من أهل العلم ولا من أولى النهي، وليس أحد من كبار الصحابة وأهل العلم وموضع القدوة إلا وقد قال الشعر، أو تمثل به أو سمعه فرضيه ما كان حكمة أو مباحًا، ولم يكن فيه فحش ولا خنا ولا لمسلم أذى، فإذا كان كذلك فهو والمنثور من القول سواء لا يحل سماعه ولا قوله، وروى أبو هريرة، وروي عن ابن سيرين أنه أنشد شعرًا فقال له بعض جلسائه: مثلك ينشد الشعر يا أبا بكر، فقال: ويلك يا لكع! وهل الشعر إلا كلام لا يخالف سائر الكلام إلا في القوافي، فحسنه حسن وقبيحه قبيح! قال: وقد كانوا يتذاكرون الشعر.

الثانية: وأما الشعر المذموم الذي لا يحل سماعه وصاحبه ملوم، فهو المتكلم بالباطل حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة، وأشحهم على حاتم، وإن يبهتوا البريء ويفسقوا التقي، وأن يفرطوا في القول بما لم يفعله المرء، رغبة في تسلية النفس وتحسين القول، وروى إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «**حسن الشعر كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام**» رواه إسماعيل عن عبد الله الشامي وحديثه عن أهل الشام صحيح فيما قال يحيى بن معين وغيره، وروى عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**الشعر بمنزلة الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام**».

الثالثة: روى مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: «**لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير من أن يمتلئ شعرا**» وفي الصحيح أيضًا عن أبي سعيد الخدري قال: بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ إذ عرض شاعر ينشد فقال رسول الله ﷺ: «**خذوا الشيطان - أو امسكوا الشطان - لأن يمتلئ جوف رجل قيحا خير له من أن يمتلئ شعرًا**» قال علماؤنا: وإنما فعل النبي ﷺ هذا مع هذا الشاعر لما علم من حاله، فلعل هذا الشاعر كان ممن قد عرف من حاله أنه قد اتخذ

=

=

الشعر طريقًا للتكسب، فيفرط في المدح إذا أعطى، وفي الهجو والذم إذا منع، فيؤذي الناس في أموالهم وأعراضهم، ولا خلاف في أن من كان على مثل هذه الحالة فكل ما يكتسبه بالشعر حرام، وكل ما يقوله من ذلك حرام عليه، ولا يحل الإصغاء إليه، بل يجب الإنكار عليه، فإن لم يكن ذلك لمن خاف من لسانه قطعًا تعين عليه أن يداريه بما استطاع، ويدافعه بما أمكن، ولا يحل له أن يعطي شيئًا ابتداء، لأن ذلك عون على المعصية، فإن لم يجد من ذلك بدا أعطاه بنية وقاية العرض، فما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة، قوله: «**لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه**» القيح المدة يخالطها دم، يقال منه: قاح الجرح يقيح وتقيح وقيح، و«يريه» قال الأصمعي: هو من الورى على مثال الرمي وهو أن يدوى جوفه، يقال منه: رجل مورى مشدد غير مهموز، وفي الصحاح: وروي القيح جوفه يريه وريا إذا أكله، وهذا الحديث أحسن ما قيل في تأويله: إنه الذي قد غلب عليه الشعر، وامتلأ صدره منه دون علم سواه ولا شيء من الذكر ممن يخوض به في الباطل، ويسلك به مسالك لا تحمد له، كالمكثر من اللغط والهذر والغيبة وقبيح القول، ومن كان الغالب عليه الشعر لزمته هذه لأوصاف المذمومة الدنية، لحكم العادة الأدبية، وهذا المعنى هو الذي أشار إليه البخاري في صحيحه لما بوب على هذا الحديث «باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر»، وقد قيل في تأويله: إن المراد بذلك الشعر الذي هجا به النبي ﷺ أو غيره، وهذا ليس بشيء لأن القليل من هجو النبي ﷺ وكثيره سواء في أنه كفر ومذموم، وكذلك هجو غير النبي ﷺ من المسلمين محرم قليله وكثيره، وحينئذ لا يكون لتخصيص الذم بالكثير معنى.

الرابعة: قال الشافعي: الشعر نوع من الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيح كقبيح الكلام، يعني أن الشعر ليس يكره لذاته وإنما يكره لمضمناته، وقد كان عند العرب عظيم الموقع.

الخامسة: قوله تعالى: (والشعراء يتبعهم الغاوون) لم يختلف القراء في رفع «والشعراء» فيما علمت، ويجوز النصب على إضمار فعل يفسره «يتبعهم» وبه قرأ عيسى بن عمر، قال أبو عبيد: كان الغالب عليه حب النصب، قرأ «والسارق والسارقة» و«حمالة الحطب» و«سورة أنزلناها»، وقرأ نافع وشيبة والحسن والسلمي: «يتبعهم» مخففًا، الباقون «يتبعهم»، وقال الضحاك: تهاجى رجلان أحدهما أنصاري والآخر مهاجري على عهد رسول الله ﷺ مع كل واحد غواة قومه وهم السفهاء فنزلت، وقاله ابن عباس، وعنه هم الرواة للشعر، وروى عنه علي بن أبي طلحة أنهم هم الكفار يتبعهم ضلال الجن والإنس، وقد ذكرناه.

السادسة: قوله تعالى: (ألم تر أنهم في كل واد يهيمون) يقول: في كل لغو يخوضون، ولا يتبعون سنن الحق، لأن من اتبع الحق وعلم أنه يكتب عليه ما يقوله تثبت، ولم يكن هائما يذهب على وجهه لا يبالي ما قال، نزلت في عبد الله بن الزبعرى ومسافع بن عبد مناف وأمية بن أبي الصلت، (وأنهم يقولون ما لا يفعلون) يقول: أكثرهم يكذبون، أي يدلون بكلامهم على الكرم والخير ولا يفعلونه، ثم استثنى شعر المؤمنين: حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير ومن كان على طريقهم من القول الحق، فقال: (إلا الذين آمنوا وعملوا

=

عن ذكرهم ﴿وَانْتَصَرُوا﴾ من المشركين بهجوهم إياهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ بهجو الكفار لهم فليسوا مذمومين ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أشركوا ﴿أَيَّ مُنْقَلَبٍ﴾ مرجع ﴿يَنْقَلِبُونَ﴾ يرجعون بعد الموت قال ابن عباس: إلى جهنم والسعير.

=

الصالحات وذكروا الله كثيرا) في كلامهم (وانتصروا من بعد ما ظلموا) وإنما يكون الانتصار بالحق، ومما حده الله ﷻ فإن تجاوز ذلك فقد انتصر بالباطل، وقال أبو الحسن المبرد: لما نزلت: (والشعراء) جاء حسان وكعب بن مالك وابن رواحة يبكون إلى النبي ﷺ فقالوا: يا نبي الله! أنزل الله تعالى هذه الآية، وهو تعالى يعلم أنا شعراء؟ فقال: «**اقرءوا ما بعدها**» (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أنتم (وانتصروا من بعد ما ظلموا) أنتم؛ أي بالرد على المشركين، قال النبي ﷺ: «**انتصروا ولا تقولوا إلا حقًا ولا تذكروا الآباء والأمهات**». انظر [تفسير القرطبي (13/ 145)].

سورة النمل

مكية وهي ثلاث أو أربع أو خمس وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾
ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا
يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ
وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾
إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ
تَصۡطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾ [النمل: ١ - ٩].

﴿طس تِلْكَ﴾ [النمل: 1] أي: هذه الآيات ﴿آيَاتُ الْقُرْآنِ﴾ أي: آيات منه ﴿وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ مظهر للحق من غيره ﴿هُدًى﴾ [النمل: 2] أي: هو هدى من الضلالة ﴿وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالجنة ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ[1] * إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ [النمل: 3 - 4] القبيحة

---

(1) هذه السورة مكية بلا خلاف، ومناسبة أول السورة لآخر ما قبلها واضحة، لأنه قال: (وما تنزلت به الشياطين)، وقبله: (وإنه لتنزيل رب العالمين)، وقال هنا: (طس تلك آيات القرآن): أي الذي هو تنزيل رب العالمين، وأضاف الآيات إلى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم، لأن المضاف إلى العظيم عظيم، والكتاب المبين، إما اللوح، وإبانته أن قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين، وإما السورة، وإما القرآن، وإبانتهما أنهما يبينان ما أودعاه من العلوم والحكم والشرائع، وأن إعجازهما ظاهر مكشوف ونكر، (وكتاب مبين) ليبهم بالتنكير، فيكون أفخم له كقوله: (في مقعد صدق) وإذا أريد به القرآن، فعطفه من عطف إحدى الصفتين على الأخرى، لتغايرهما في المدلول عليه بالصفة، من حيث أن مدلول القرآن الاجتماع،
=

ومدلول كتاب الكتابة، وقيل: القرآن والكتاب اسمان علمان على المنزل على محمد ﷺ فحيث جاء بلفظ التعريف، فهو العلم، وحيث جاء بوصف النكرة، فهو الوصف، وقيل: هما يجريان مجرى العباس، وعباس فهو في الحالين اسم العلم، وهذا خطأ، إذ لو كان حاله نزع منه علمًا، ما جاز أن يوصف بالنكرة، ألا ترى إلى قوله: (وكتاب مبين)، (وقرآن مبين) وأنت لا تقول: مررت بعباس قائم، تريد به الوصف؟ وقرأ ابن أبي عبلة: وكتاب مبين، برفعهما، التقدير: وآيات كتاب، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، فأعرب بإعرابه، وهنا تقدم القرآن على الكتاب، وفي الحجر عكسه، ولا يظهر فرق، وهذا كالمتعاطفين في نحو: ما جاء زيد وعمرو، فتارة يظهر ترجيح كقوله: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم) وتارة لا يظهر كقوله: (وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً) قال يحيى بن سلام: (هدى) إلى الجنة، (وبشرى) بالثواب، وقال الشعبي: هدى من الضلال، وبشرى بالجنة، وهدى وبشرى مقصوران، فاحتمل أن يكونا منصوبين على الحال، أي هادية ومبشرة، قيل: والعامل في الحال ما في تلك من معنى الإشارة، واحتمل أن يكونا مصدرين، واحتملا الرفع على إضمار مبتدأ، أي هي هدى وبشرى؛ أو على البدل من آيات؛ أو على خبر بعد خبر، أي جمعت بين كونها آيات وهدى وبشرى، ومعنى كونها هدى للمؤمنين: زيادة هداهم، قال تعالى: (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون) وقيل: هدى لجميع الخلق، ويكون الهدى بمعنى الدلالة والإرشاد والتبيين، لا بمعنى تحصيل الهدى الذي هو مقابل الضلال. (وبشرى للمؤمنين) خاصة، وقيل: هدى للمؤمنين وبشرى للمؤمنين، وخصهم بالذكر لانتفاعهم به، (وهم بالآخرة هم يوقنون): تحتمل هذه الجملة أن تكون معطوفة على صلة (الذين)، ولما كان: (يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) مما يتجدد ولا يستغرق الأزمان، جاءت الصلة فعلاً، ولما كان الإيمان بالآخرة بما هو ثابت عندهم مستقر الديمومة، جاءت الجملة اسمية، وأكدت المسند إليه فيها بتكراره، فقيل: (هم يوقنون) وجاء خبر المبتدأ فعلاً ليدل على الديمومة، واحتمل أن تكون الجملة استئناف إخبار، قال الزمخشري: ويحتمل أن تتم الصلة عنده، أي عند قوله: (وهم) قال: وتكون الجملة اعتراضية، كأنه قيل: وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة، وهو الوجه، ويدل عليه أنه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم، حتى صار معناها: وما يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح، لأن خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق، وقوله: وتكون الجملة اعتراضية، هو على غير اصطلاح النحاة في الجملة الاعتراضية من كونها لا تقع إلا بين شيئين متعلق بعضهما ببعض، كوقوعها بين صلة وموصولة، وبين جزأي إسناد، وبين شرط وجزائه، وبين نعت ومنعوت، وبين قسم ومقسم عليه، وهنا ليست واقعة بين شيئين مما ذكر وقوله الخ. حتى صار معناها فيه دسيسة الاعتزال. وقال ابن عطية: والزكاة هنا يحتمل أن تكون غير المفروضة؛ لأن السورة مكية قديمة، ويحتمل أن تكون المفروضة من غير تفسير، وقيل: الزكاة هنا بمعنى الطهارة من النقائص وملازمة مكارم الأخلاق. انظر [تفسير البحر المحيط (8 /444)].

بتركيب الشهوة حتى رأوها جنة ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون فيها متحيرين ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [النمل: 5] في الدنيا أسرًا وقتلاً ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾.

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى﴾ [النمل: 6] تؤتي ﴿الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ﴾ أي: وحيًا من عند ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ * إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ﴾ [النمل: 6 - 7] زوجته في مسيره من مدين لمصر ﴿إِنِّي آنَسْتُ﴾ أبصرت من بعيد ﴿نَارًا سَآتِيكُمْ﴾ أراد: امكثوا مكانكم سآتيكم ﴿مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن الطريق، وكان قد ضلها ﴿أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ قرأ الكوفيون بتنوين «شهاب» وإضافة الآخرون، **والقبس**: القطيعة من النار، **والشهاب**: العود الذي في طرفه النار ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ تستدفئون من شدة البرد إذ كانت تلك الليلة شاتية.

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ﴾ [النمل: 8] أي: بارك الله ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ رأى من في مكانها؛ أي: على من في مكانها وهو موسى، والمراد بالنار: النور ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ وهم الملائكة، أو عكسه، أو من في النار ومن حولها الملائكة، وهذه تحية من الله إلى موسى بالبركة، والمراد بالنار: النور عبر عنه بالنار؛ لأن موسى حسبه نارًا ﴿وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ كان هذا من جملة ما نودي به، ثم تعرف الله إلى موسى فقال: ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ﴾ [النمل: 9] أي: الشأن ﴿أَنَا اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ
إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ
إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾
وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن
كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ

﴿وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النمل: ١٠ - ١٧].

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ﴾ [النمل: 10] تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ لسرعة الحركة وإن كانت عظيمة الجثة ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾ هربًا من خوفها يا موسى ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ لم يرجع من عقب، أو لو يلتفت فناداه الله تعالى ﴿ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ من المخلوقات، أمَّا الخوف منه الذي هو شرط الإيمان فلا يفارقهم قال: ﴿إِلَّا﴾ [النمل: 11] لكن ﴿مَنْ ظَلَمَ﴾ نفسه من الناس ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾ تاب بعد العصيان ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أغفر له وأرحمه.

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ﴾ [النمل: 12] أي: في جيب قميصك وكان عليه جبة صوف لا كُم لها ولا أزرار فأدخل يده وأخرجها فإذا هي ﴿بَيْضَاءَ﴾ لها شعاع عظيم ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ برص ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ سبق ذكرها أنت مرسل بها ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ [النمل: 13] بيّنة واضحة ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ظاهر ﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾ [النمل: 14] أنكروا الآيات ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ أي: علموا أنها من عند الله ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ تكبرًا عن الإيمان بما جاء به موسى ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾ آخر أمر ﴿الْمُفْسِدِينَ﴾ من إهلاكهم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ [النمل: 15] ابنه ﴿عِلْمًا﴾ بالقضاء بين الناس، وبمنطق الطير، وتسبيح الجبال وغيره ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا﴾ بما آتانا من العلم والملك ﴿عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ [النمل: 16] في النبوة والعلم، وزيد لسليمان تسخير الريح والشياطين ﴿وَقَالَ﴾ سليمان ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾[1] أي: فهم كلامه

---

(1) قال الكلبي: كان لداود ﷺ تسعة عشر ولدا فورث سليمان من بينهم نبوته وملكه، ولو كان وراثة مال لكان جميع أولاده فيه سواء، وقال ابن العربي، قال: فلو كانت وراثة مال لانقسمت على العدد، فخص الله سليمان بما كان لداود من الحكمة والنبوة، وزاده من فضله ملكًا لا ينبغي لاحد من بعده، قال ابن عطية: داود من بني إسرائيل وكان ملكا وورث سليمان ملكه ومنزلته من النبوة، بمعنى صار إليه ذلك بعد موت أبيه فسمى ميراثا تجوزا، وهذا نحو قول: (العلماء ورثة الأنبياء) ويحتمل قوله ﷺ: «إنا معشر الأنبياء لا نورث» أن يريد أن ذلك من فعل الأنبياء
=

﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أوتيه غيرنا من النبوة والملك وغير ذلك ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾.

﴿وَحُشِرَ﴾ [النمل: 17] جمع ﴿لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يكفون عند تقدم آخرهم على أولهم، والوازع: الحابس كالنقيب، أو المراد يساقون، أو يجمعون، وكان الله أمر الريح ألَّا يتكلم أحد إلا نقلته إليه فاستمر هو وجنده على حالهم.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ
لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ
رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا
تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا
لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ
لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ
تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ

=

وسيرتهم، وإن كان فيهم من ورث ماله كزكريا على أشهر الأقوال فيه، وهذا كما تقول: إنا معشر المسلمين إنما شغلتنا العبادة، والمراد أن ذلك فعل الأكثر، ومنه ما حكى سيبويه: إنا معشر العرب أقرى الناس للضيف، قلت: قد تقدم هذا المعنى في مريم وأن الصحيح القول الأول لقوله ﷺ: «إنا معشر الأنبياء لا نورث» فهو عام ولا يخرج منه شيء إلا بدليل، قال مقاتل: كان سليمان أعظم ملكًا من داود وأقضى منه، وكان داود أشد تعبدًا من سليمان، قال غيره: ولم يبلغ أحد من الأنبياء ما بلغ ملكه، فإن الله سبحانه وتعالى سخر له الإنس والجن والطير والوحش، وآتاه ما لم يؤت أحدًا من العالمين، وورث أباه في الملك والنبوة، وقام بعده بشريعته، وكل نبي جاء بعده موسى ممن بعث أو لم يبعث فإنما كان بشريعة موسى، إلى أن بعث المسيح عليه السلام فنسخها، وبينه وبين الهجرة نحو من ألف وثمانمائة سنة، واليهود تقول ألف وثلاثمائة واثنتان وستون سنة، وقيل: إن بين موته وبين مولد النبي ﷺ نحوا من ألف وسبعمائة، واليهود تنقص منها ثلثمائة سنة، وعاش نيفًا وخمسين سنة. انظر [تفسير القرطبي (13 /165)].

مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النمل: ١٨ - ٢٤].

﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ﴾ [النمل: 18] بالشام أو الطائف أو كان بمكة كالذباب ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ هي رئيسة ذلك النمل، وقد رأت جند سليمان ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ يكسرنكم ﴿سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بكم، فسمع سليمان هذا الكلام من مسيرة ثلاثة أميال ﴿فَتَبَسَّمَ﴾ [النمل: 19] في أول الحال ﴿ضَاحِكًا﴾ في انتهائه ﴿مِنْ قَوْلِهَا﴾ ولما أشرق على واديهم حبس جنوده ثمَّ حتى دخلوا بيوتهم، وكان جنده ما بين راكب وماشٍ في هذا المسير.

﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ﴾ بها ﴿عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: معهم، أو في جملتهم وهم الأنبياء ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ [النمل: 20] في مسيره ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ سأل عنه ليدله على الماء؛ لأنه كان يعرف عمقه ومسافته دون سائر الطير، وكان إذا رآه أمر الشياطين باستخراجه، وكان تفقده إياه إمَّا لطلب الماء للصلاة أو لغير ذلك ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ فلم أره لذلك، ثم تحقق غيبته فتوعده بقوله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا﴾[1] [النمل: 21] تعذيبًا ﴿شَدِيدًا﴾ بنتف ريشه وذنبه، ووضعه في

---

(1) لأعذبنه بالصبر على دوام المراقبة والرعاية والغيبة في بحر النكرة في المعرفة ليفنى، ثم يفنى عن الفناء أو أذبحته بسيف المحبة أو بسيف العشق، أو ليأتيني من الغيب بسواطع أنور أسرار الأزل، وعلى صورة الظاهر نكتتها أن سليمان أحب الهدهد؛ لأنه رأى ذلك الهدهد في مكان العشق، ورأى عليه آثار العشق؛ فاستأنس به، وكان للهدهد خاصية أنه عرف مواقيت صلاته، ورأى الماء بين الطين والحجر، وكان يدل الجن على الماء لوضوئه وطهارته حيث نزل، وكان بين هدهد سليمان، وهدهد بلقيس عشق، فغاب عن سليمان عند نزوله، وتلاقيا الهدهدان؛ فلما تفقده علم أنه عند معشوقه، فغار عليه إذ اشتغل بغيره من خدمته فطلبه، وأمر العقاب أن يأتي به فطار العقاب، ورأى هدهد سليمان عند هدهد بلد سبأ، فأتى به على سليمان ﷺ؛ فقال: لأعذبنه عذابًا شديدًا، أي: لأحبسنه في موقع فراقه عن معشوقه، فلما جاء إليه الهدهد تحير في شأنه إيش يقول: فعلم أن سليمان في مقام أنس الله وعشقه، ويحب أن يستأنس بمستحسن فاحتال بأن يذكر عند سليمان ما رأى من حسن بلقيس وعظيم شأنها ليكون ذلك طريقًا له إلى قرب
=

الشمس لا يمتنع منها، ولا من هوام الأرض، أو لأنتفنه، ثم لأطلينه بالزفت أو لأجلسنه مع غير جنسه أقوال، **أظهرها:** أولها ﴿أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ بقطع حلقومه ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ بحجة مبيّنة في غيبته يكون له بها عذر ظاهر، وقرأ ابن كثير: «يأتينني» بنونين الأولى مشددة مفتوحة، والثانية مكسورة، والباقون بنون واحدة مشددة مكسورة.

﴿فَمَكَثَ﴾ [النمل: 22] بفتح الكاف لعاصم وروح، والباقون بضمها ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي: زمنًا يسيرًا، ثم أتى لسليمان متواضعًا برفع رأسه وإرخاء ذنبه وجناحيه فعفا عنه وسأله عما لقي في غيبته ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ اطلعت على ما لم تطلع عليه، والإحاطة العلم بالشيء من جميع جهاته ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ﴾ بفتح الألف، وفي سورتها لسبأ لأبي عمرو والبزي، والباقون بالخفض والتنوين فيهما، وأسكن قنبل الهمزة فيهما، وهي اسم قبيلة باليمن سمت بها لاسم جد لهم ﴿بِنَبَإٍ﴾ بخبر ﴿يَقِينٍ﴾.

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ [النمل: 23] واسمها بلقيس ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الملوك ﴿وَلَهَا عَرْشٌ﴾ سرير ﴿عَظِيمٌ﴾ ضخم وكان من ذهب، وقوائمه من جوهر، طوله: ثمانون ذراعًا، وعرضه: أربعون، وارتفاعه: في السماء ثلاثون، وهو مكلل بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، عليه سبعة أبواب على كل باب مغلق ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ [النمل: 24] طريق الحق ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ
وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ
أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ
فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن
سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ
يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أُولُو

=

محبوبه، فلما مهد ذلك مع نفسه تعظم في شأنه، واجترأ من حيث جرأة العشيق.

قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ
قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم
بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النمل: ٢٥ - ٣٥].

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ [النمل: 25] قرأ أبو جعفر والكسائي ورويس بتخفيف لام إلا ويعقوب بلا ياء، ويتبدلون، اسجدوا بهمزة مضمومة، والباقون بتشديد اللام، ويسجدوا كلمة واحدة والمعنى عليه؛ أي: يسجدوا ﴿لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ مصدر بمعنى المخبوء من المطر ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَ﴾ النبات في ﴿الْأَرْضِ﴾ ليعلم عنهما ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ بالتاء من فوق في أولهما للكسائي وجعفر، والباقون بالياء.

﴿الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: 26] فلما فرغ الهدهد من مقالته ﴿قَالَ﴾ [النمل: 27] له سليمان ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ﴾ فيما أخبرت ﴿أَمْ كُنْتَ﴾ فيه ﴿مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ثم دلهم على الماء فاستخرج فتوضئوا وصلوا وارتووا ثم كتب سليمان كتابًا **صورته:** «من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد: ف﴿أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: 31]» ولما كتبه طبعه بالمسك وختمه بخاتمه.

وقال للهدهد: ﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ﴾ [النمل: 28] أي: إلى بلقيس وقومها ﴿ثُمَّ تَوَلَّ﴾ تنح ﴿عَنْهُمْ﴾ قريبًا منهم ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ يردون من الجواب، فأخذ الهدهد الكتاب وأتى به بلقيس - وكانت بأرض يقال لها: مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام - فوجدها في قصرها قد غلقت الأبواب، ووضعت المفاتيح تحت رأسها، وهي نائمة مستلقية على قفاها، فألقى الكتاب على نحرها، وكانت قارئة، فلما رأت الختم ارتعدت وخضعت؛ لأن ملك سليمان كان في خاتمه، ثم قعدت على السرير وحولها الملأ وهم اثنا عشر ألف قائد مع كل قائد ألف مقاتل، فلما أخذوا مجالسهم ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: 29] لختمه أو لما فيه باعتبار البسملة، ثم نظرت ظهره فإذا فيه ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ﴾ [النمل: 30] أي: مضمون

الكتاب ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[1] ﴿أَلَّا تَعْلُوا﴾ [النمل: 31] تستكبروا ﴿عَلَيَّ﴾ بترك الإجابة ﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي﴾ [النمل: 32] أشيروا عليَّ ﴿فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً﴾ قاضية وفاصلة ﴿أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ تحضرون ﴿قَالُوا﴾ [النمل: 33] في جوابها ﴿نَحْنُ أُولُو﴾ أصحاب ﴿قُوَّةٍ﴾ كثرة عدد ﴿وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ بالشجاعة تعرضوا للقتال إن أمرتهم به ثم قالوا: ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ أي: افعلي رأيك.

﴿قَالَتْ﴾ [النمل: 34] مجيبة لهم عن تعرضهم للقتال ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ أي: عُنوة ﴿أَفْسَدُوهَا﴾ خربوها ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ﴾ أشراف ﴿أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ فأهانوهم كي يستقيم لهم الأمر فحذرتهم مسير سليمان إليها، وتم الخبر عنها وصدق الله قولها بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أي: مثل ما قالت بلقيس يفعلون فيخربون ويذلون الأكابر ثم قالت: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: 35] إليه فإن قبل علمت أنه ملك وينصرف عن ملكي، وإن لم يقبل فهو نبي؛ لأنه لا يطمع في المال، وإنما يريد اتّباعه على دينه، فأرسلت ألفًا من الخدم نصفهم ذكور ونصفهم إناث وخمسمائة من الذهب وغير ذلك مما ذكر في الأصل مع رسول بكتاب، فأسرع الهدهد وأخبر سليمان فأمر بضرب لبنات الذهب والفضة وأن تبسط في محله لتسعة فراسخ ميدانًا، وأن يبنوا حوله حائطًا بشرفات الذهب والفضة وأن يؤتى بأحسن دواب البر

(1) قد عرفت أنه كلام الله، ولا يشبه كلام الخلق، وقالت: كتاب كريم؛ فانبسطت من باء ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ إشارة بدء القدم والبقاء اللذين هما أصل جميع الصفات القديمة القائمة بذات الحق سبحانه من عرفه بالقدم والبقاء فقد عرفه بجميع الذات والصفات، وتلك المعرفة لا تكون إلا لمن شاهد مشاهدة الأزل والأبد، وعرفت من السين إشارة سنا الحق وأسراره، ومن الميم ملكه ومحبته، وإشارة الهيمنة المشاهدة المحيطة بكل ذرة من العرش إلى الثرى من حروف الله إشارة عين الذات الواحد الفرد من الألف، ومن اللامين الجلال والجمال، ومن إلهام الهوية، وغيوبات الغيب، ووجدت في الكلمة وجوب العبودية للربوبية ليصل برحمة الرحمانية العامة في الدنيا والآخرة ورحمة الرحيمية الخاصة في الآخرة لأهل الخصوص، وعلمت أنها بجميعها مقام الاتصاف من اتصف بها سهل عنده بتلفظها مراد أراده من معنى الإجابة القدرة بالأشياء بالآيات والكرامات.

والبحر مع أولاد الجن عن يمين الميدان وشماله.

﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ
أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ
أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ
﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ
﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ
مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ
لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ
مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن
قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النمل: ٣٦ - ٤٢].

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ﴾ [النمل: 36] ما أرسلته إليه مع رسلها ﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللهُ﴾ من الملك والنبوة ﴿خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ﴾ من المال ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ المراد: إن الملوك يفرحون بإهداء بعضهم إلى بعض، والأنبياء لا يفرحون بذلك؛ لأن الفرح بالدنيا حرام، وكان أمير الوفد بالهدية المنذر بن عمرو فقال له: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ [النمل: 37] بهديتهم ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ﴾ لا طاقة ﴿لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا﴾ من سبأ سميت باسم أب القبيلة ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ذليلون إن لم يأتون مسلمين فلما رجعت الرسل إليهم علمت بنبوته، ثم أمرت بعرشها فأدخلته في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من سبعة قصور، فوكلت به الحرث، ثم نادت بالرحيل إليه فارتحلت بجيشها، وكان سليمان عليه السلام رجلاً مهابًا لا يبدأ بشيء إلا إن تكلم فيه فخرج يومًا فرأى رهجًا قريبًا فقال: ما هذا فقالوا: بلقيس، وكان المكان الذي نزلت فيه على مسيرة فرسخ منه بين الكوفة والحيرة فأقبل سليمان على قومه و﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: 38] منقادين

طائعين ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾[1] [النمل: 39] هو المارد القوي الشديد ﴿مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ أي: من مجلسك الذي تقضي فيه بين الناس وكان من الغداة لنصف النهار ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ﴾ أي: على حمله ﴿لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ على ما فيه من الجواهر.

فقال: أريد أسرع من ذلك فلما قال ذلك: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [النمل: 40] الجمهور على أنه آصف بن برخيا ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ أي: نظرك إذا أشخصته قيل: إنه أمر سليمان فنظر إلى السماء كما قاله سعيد بن جبير، أو اليمن كما قاله ابن عباس، فما رجع بصره حتى دعا آصف بالاسم الأعظم فبعث الله ملائكة جروه من تحت الأرض فخرقوا به الأرض إلى أن طلعوا به بين يدي سليمان ﴿فَلَمَّا رَآهُ﴾ أي: لما رأى سليمان العرش ﴿مُسْتَقِرًّا﴾ ساكنًا ﴿عِنْدَهُ قَالَ هَذَا﴾ إي: الإتيان به كذلك ﴿مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي﴾ يختبرني ﴿أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ النعمة ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ أي: لأجلها إذ ثوابه له ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾.

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ [النمل: 41] أي: غيروه بحيث إذا رأته أنكرت أنه هو ﴿نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي﴾ لعرشها فتعرفه ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ﴾ الجاهلين ﴿الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى معرفته، وحمله على ذلك أنه أراد اختبار عقلها؛ لأن الجن كرهوه فيها خشية أن تبدي له أسرارهم؛ لأن أمها منهم، فقالوا: لا عقل لها، وحافرها كحافر الحمار، وهي شعراء الساقين، فنكر العرش بأن صير أعلاه أسفله، وأسفله أعلاه، وبدّل ألوانه وغيرها.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾ [النمل: 42] أي: مثل هذا ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ فلم تنف خشية الكذب، ولم تثبت خشية التكذيب، ولما رأى سليمان علمها شكر الله

(1) قرأ الجمهور بكسر العين وسكون الفاء وكسر الراء وسكون المثناة التحتية وبالتاء، وقرأ أبو رجاء وعيسى الثقفي وابن السميفع، وأبو السمال: «عفريه» بفتح التحتية بعدها تاء تأنيث منقلبة هاء رويت هذه القراءة عن أبي بكر الصديق، وقرأ أبو حيان بفتح العين، والعفريت: المارد الغليظ الشديد، قال النحاس: يقال للشديد إذا كان معه خبث ودهاء: عفر وعفريه وعفريت، وقال قتادة: هو الداهية، وقيل: هو رئيس الجنّ، قال ابن عطية: وقرأت فرقة: «عفر» بكسر العين جمعه على عفار، ومعنى قول العفريت: أنه سيأتي بالعرش إلى سليمان قبل أن يقوم من مجلسه الذي يجلس فيه للحكومة بين الناس. انظر [فتح القدير (359/5)].

على ما أتاه بقوله: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا﴾ أو هو من كلام بلقيس كأنها قالت: وأوتينا العلم بنبوة سليمان من قبل آية إحضار العرش بآية الهدهد ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ مؤمنين به.

﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [النمل: ٤٣ - ٤٨].

﴿وَصَدَّهَا﴾ [النمل: 43] عن عبادة الله ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ الله﴾ ثم استأنف الأخبار عنها بقوله: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ ثم أراد امتحان قدميها وساقيها فصنع لها صرحًا، وهو: سطح من زجاج أبيض شفاف تحته ماء جار فيه من سائر حيوانات البحر ثم ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ﴾ [النمل: 44] ظنته ﴿لُجَّةً﴾ وهي معظم الماء ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا﴾ فإذا هي من أحسن الناس ساقًا وقدمًا، وكان سليمان على سرير في صدر الصرح، وروى قنبل: ساقها، و﴿السُّوقِ﴾ [ص: 33] في ص ﴿عَلَى سُوقِهِ﴾ [الفتح: 33] في الفتح، بهمز الألف والواو بهمزة ساكنة، وزادوا له في حرفي: ص والفتح وجهًا آخر وهو ضم الهمزة قبل الواو، والباقون بغير همز في الثلاثة.

ولما رأى سليمان ذلك ناداها و﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ﴾ عكس: مستوٍ ﴿مِنْ قَوَارِيرَ﴾ زجاج وليس بماء، ثم دعاها للإسلام فأجابت ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بعبادة غيرك ﴿وَأَسْلَمْتُ﴾ أخلصت ﴿مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فأراد تزوجها فكره لشعر ساقيها فعملت له الشياطين النورة فأزيل بها فتزوجها وأحبها وأقرها على ملكها، وكان يزورها كل شهر مرة، ويقيم عندها ثلاثة أيام، وانقضى ملكها بانقضاء ملك

سليمان، قيل: إنه ملك وهو ابن ثلاث عشر سنة، ومات وهو ابن ثلاث وخمسين.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ [النمل: 45] في النسب ﴿صَالِحًا أَنِ﴾ أي: بأن ﴿اعْبُدُوا اللهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ﴾ مؤمن وكافر ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ في الدين ﴿قَالَ﴾ [النمل: 46] للمكذبين ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ بالبلاء والعقوبة ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ العافية والرحمة ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿تَسْتَغْفِرُونَ اللهَ﴾ من الشرك ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ﴾ [النمل: 47] أي: تشاءمنا بك ﴿وَبِمَنْ مَعَكَ﴾ وهم المؤمنون قالوه لما جاءوا في القحط أو لتفرق كلمتهم ﴿قَالَ طَائِرُكُمْ﴾ أي: ما يصيبكم من خير وشر ﴿عِنْدَ اللهِ﴾ أي: من عند الله ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ تختبرون بالخير والشر.

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [النمل: 48] التي لثمود وهي الحجر ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ من أبناء أشرافهم ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ بالطاعات وهم الذين عقروا الناقة.

﴿ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ
أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾
فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾
وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ
أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ
ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟
أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا
ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [النمل: ٤٩ - ٥٧].

﴿قَالُوا﴾ [النمل: 49] أي: قال بعضهم لبعض ﴿تَقَاسَمُوا﴾ احلفوا ﴿بِاللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ أي: قومه المسلمين؛ أي: نقتلهم ليلاً ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾ أي: ولي دمه ﴿مَا شَهِدْنَا﴾ ما حضرنا ﴿مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ فلا ندري من قتله ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ وقرأ حمزة والكسائي وخلف: «لتبيتنه، ثم لتقولن» بتاء من فوق بدل النون في الفعلين، وضم التاء

الثانية من الأول، واللام الثانية من الثاني، والباقون بالنون فيهما وفتح التاء واللام ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا﴾ [النمل: 50] بإرادة قتله ومن آمن معه ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ جازيناهم بمكرهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بمكرنا.

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾ [النمل: 51] آخر أمر ﴿مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ أهلكناهم بفتح الهمزة ليعقوب والكوفيين والباقون بالكسر ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ بصيحة جبريل أو برمي الملائكة الحجارة عليهم لما أتوا لبيت صالح عليه السلام ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ [النمل: 52] خالية ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ بسبب كفرهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الإهلاك ﴿لَآيَةً﴾ لعبرة ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [النمل: 52 - 53] وهم من آمن بصالح وكانوا أربعة آلاف.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ [النمل: 54] اللواط ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ ينظر بعضكم إلى بعض ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: 55] عاقبة أمركم ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: 56] من إدبار الرجال ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا﴾ [النمل: 57] جعلناها بتقديرنا ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الباقين في العذاب.

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ (٥٨) قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ
عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ
أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا
وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ
ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ
وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّن
يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ
أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) ﴾ [النمل: ٥٨ - ٦٣].

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ [النمل: 58] هو الحجارة ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ أي: بئس ما مطروا به من العذاب.

﴿قُلِ﴾ [النمل: 59] أمر للنبي ﷺ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ﴾ سلامة وأمن ﴿عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ أي: اصطفاهم واختارهم ﴿اللهُ خَيْرٌ أَمْ مَا يُشْرِكُونَ﴾ معناه: إثبات أن الله خير، وقرأ البصريان وعاصم يشركون بالياء من أسفل في أوله، والباقون بالخطاب.

﴿أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [النمل: 60] أي: آلهتكم خير أم الذي خلقهما ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ هو المطر ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ﴾ جمع حديقة وهو البستان المحاط عليه، فإن اتبعت الحائط فليس بحديقة ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ منظر حسن ﴿مَا كَانَ﴾ ما ينبغي ﴿لَكُمْ﴾ وليس في قدرتكم ﴿أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ﴾ أي: ليس معه إله أعانه على ذلك ولا على شيء ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ عن الحق.

﴿أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [النمل: 61] لا تميد بأهلها ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا﴾ وسطها ﴿أَنْهَارًا﴾ تطرد المياه ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ هي الجبال الثابتة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ﴾ العذب والمالح ﴿حَاجِزًا﴾ مانعًا؛ لأن يختلط أحدهما بالآخر ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾ [النمل: 62] المكروب المجهود ﴿إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ الضر عنه وعن غيره ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ أي: خلفاء فيها من أهلها كل قرن يخلفه غيره ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ وقرأ أبو عمرو وهشام وروح: «يذكرون» بالياء من أسفل، والباقون بالخطاب.

﴿أَمْ مَنْ يَهْدِيكُمْ﴾ [النمل: 63] يرشدكم لمقاصدكم ﴿فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ إذا سافرتم بالنجوم ليلاً، وبعلامات الأرض نهارًا ﴿وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: أمام المطر ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ
قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ
فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ

أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ
الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا
تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن
كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [النمل: ٦٤ - ٧٣].

﴿أَمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ [النمل: 64] في الأرحام من نطفة، ثم ينقله إلى انتهائه ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد الموت ﴿وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ بالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ حجتكم على إثبات شريك له ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إن إلهًا فعل شيئًا مما ذكر، والمراد: بذلك تفريقهم لقيام الحجة بوحدانية الله تعالى، وإنه المنفرد بما ذكر وبغيره.

لما سأل المشركون رسول الله ﷺ عن وقت قيام الساعة نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ﴾ [النمل: 65] أي: لا تعلم الملائكة والإنس والجن الغيب ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿اللهُ﴾ العليم بعلمه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: الكفار ﴿أَيَّانَ﴾ في أي وقت ﴿يُبْعَثُونَ﴾.

﴿بَلِ﴾ [النمل: 66] بمعنى هل هنا ﴿ادَّارَكَ﴾ قرأ ابن كثير والبصريان وأبو جعفر: «أدرك» بهمزة قطع مفتوحة وإسكان الدال بلا ألف على وزن أكرم؛ أي: أبلغ وانتهى ﴿عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: بها حتى سألوه عن وقتها؛ أي: لم يدرك علمهم ذلك؛ والباقون قرأوا: «بل ادّارك» بوصل الهمزة وتشديد الدال: تتابع وتلاحق علمهم بالآخرة ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ أي: في الدنيا ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ جمع عمٍ، وهو أعمى القلب.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النمل: 67] أيضًا في إنكار البعث ﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ من القبور أحياء ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ [النمل: 68] وعدوا ذلك ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أحاديثهم الكاذبة أي: المكذوب فيها.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل: 69] المنكرين للبعث كيف أهلكناهم بسبب ذلك ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا

﴿يَمْكُرُونَ﴾ [النمل: 70] نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا عقاب مكة؛ أي: لا تهتم بذلك فإني ناصرك.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ﴾ [النمل: 71 - 72] قرب ﴿لَكُمْ﴾ بالعذاب ﴿بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ من العذاب فحصل بالقتل يوم بدر والباقي مؤخرًا ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ [النمل: 73] حيث لم يعجل لهم العذاب ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [النمل: ٧٤ - ٨٢].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ﴾ [النمل: 74] تخفي ﴿صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بألسنتهم.

﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [النمل: 75] أي: شيء في غاية الخفاء عن الخلق ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هو اللوح المحفوظ ومكنون سبحانه.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ﴾ [النمل: 76] يبين ﴿عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: لهم، والمراد: من في زمن نبينا ﷺ ﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ في أمر الدين ﴿وَإِنَّهُ﴾ [النمل: 77] أي: القرآن ﴿لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ [النمل: 78] وبين غيرهم يوم القيامة ﴿بِحُكْمِهِ﴾ أي: عدله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ * فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: 78 - 79]

أي: البيّن، فالعاقبة لك.

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾[1] [النمل: 80] الكفار ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ هم الكفار أيضًا ﴿الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ معرضين ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ﴾ [النمل: 81] قرأ حمزة: «تهدي» هنا وفي الرعد بالتاء مفتوحة وإسكان الهاء بلا ألف، ونصب العُمي في الوضعين ﴿عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ﴾ ما تسمع ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن، والمراد: سماع فهم وقبول ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿وَإِذَا وَقَعَ﴾ [النمل: 82] وجب ﴿الْقَوْلُ﴾ العذاب ﴿عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ بلسان العرب ومن جملة كلامها ﴿أَنَّ النَّاسَ﴾ بفتح أن للكوفيين ويعقوب والباقون بالكسر ﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالقرآن ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾ وبخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يؤمن كافر.

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾
حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾
وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ
لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى
ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ
﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ
إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ
ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ

---

(1) لأنه إذا علم أن حالهم كحال الموتى في انتفاء الجدوى بالسماع، أو كحال الصم الذين لا يسمعون، ولا يفهمون، ولا يهتدون صار ذلك سبباً قوياً في عدم الاعتداد بهم، شبه الكفار بالموتى الذين لا حسّ لهم ولا عقل، وبالصمّ الذين لا يسمعون المواعظ، ولا يجيبون الدعاء إلى الله، قال علي بن عيسى: الفرق بين يستجيب ويجيب، أن يستجيب في قبوله لما دعيَ إليه، وليس كذلك يجيب لأنه قد يجيب بالمخالفة كقول القائل: أتوافق في هذا المذهب أم تخالف؟ فيقول المجيب: أخالف. انظر [تفسير الرازي (6 /273)].

تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ
شَىْءٍۢ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا
يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ
ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [النمل: ٨٣ - ٩٣].

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ [النمل: 83] جماعة ﴿مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ هم رؤساء الكفار ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يجمعون يرد آخرهم على أولهم سوقًا ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوا﴾ [النمل: 84] محل الحساب.

﴿قَالَ﴾ تعالى لهم ﴿أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي﴾ استفهام توبيخ ﴿وَلَمْ تُحِيطُوا﴾ من جملة تكذيبهم ﴿بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا﴾ أي: ما الذي ﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيما أمرتم به ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ [النمل: 85] أي: وجب عليهم العذاب ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ أشركوا ﴿فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ أي: لا حجة لهم، أو لا ينطقون؛ لختم أفواههم.

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا﴾ [النمل: 86] خلقنا ﴿اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ مضيئًا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ [النمل: 86 - 87] النفخة الأولى وهو القرن ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام ﴿فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ ثم ماتوا فورًا ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾ هم الشهداء عند الأكثر، وقيل: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ﴿وَكُلٌّ﴾ من الذين أُحيوا بعد الموت ﴿أَتَوْهُ﴾ بعد البعث ﴿دَاخِرِينَ﴾ صاغرين، وقرأ حمزة وخلف وحفص: «إتَوه» بقصر الهمزة وفتح التاء، والباقون بالمد والضم.

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ﴾ [النمل: 88] وقت النفخة الثانية ﴿تَحْسَبُهَا﴾ تظنها ﴿جَامِدَةً﴾ لعظمها فلا يدرك سيرها ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ تسير سيره حتى تقع على الأرض ثم تستوي بها مبسوسة ثم تصير ﴿كَالْعِهْنِ﴾ [القارعة: 5] ثم تصير ﴿هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: 23] ﴿صُنْعَ اللهِ﴾ أي: صنع ذلك صنعًا ﴿الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ قرأ ابن كثير والبصريان وابن عامر بخلاف عنه والعليمي عن أبي بكر: «يفعلون» بالياء أسفل في أوله، والباقون بالخطاب.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ [النمل: 89] يوم القيامة وهي: لا إله إلا الله ﴿فَلَهُ خَيْرٌ﴾

واصل إليه ﴿مِنْهَا﴾ ومنه الجنة ﴿وَهُمْ﴾ أي: الذين أتوا بها ﴿مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ لا يخافون في القيامة، وقرأ الكوفيون: «من فزع» بالتنوين، والباقون بدونه، وقرأ الكوفيون والمدنيان: «يومئذ» بفتح الميم، والباقون بكسرها.

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ الشرك ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ ألقوا عليها ﴿فِي النَّارِ﴾ وقال لهم الخزنة: ﴿هَلْ﴾ ما ﴿تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: 90] في الدنيا من الشرك؛ أي: ما تخزون إلا ذلك، ثم أمره ﷺ أن يقول لكفار مكة: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾[1] [النمل: 91] جعلها ﴿حَرَمًا آمِنًا﴾ [العنكبوت: 67] ﴿وَلَهُ﴾ تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ فهو ربه ومالكه وخالقه ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿وَأَنْ أَتْلُوَ﴾ [النمل: 92] أي: وأمرت أن أتلوا ﴿الْقُرْآنَ﴾ عليكم ﴿فَمَنِ اهْتَدَى﴾ باتّباعه ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لأجلها إذ ثوابه له ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ فلم يؤمن ﴿فَقُلْ﴾ له ﴿إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ فليس علي إلا التبليغ، وكان هذا قبل الأمر بالقتال ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ [النمل: 93] فأراهم يوم بدر وغيره ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالياء من أسفل وبالتاء، وهذا وعيد لهم بالجزاء على أعمالهم.

---

(1) يعنى مكة التي عظم الله حرمتها، أي جعلها حرما آمنا، لا يسفك فيها دم، ولا يظلم فيها أحد، ولا يصاد فيها صيد، ولا يعضد فيها شجر، على ما تقدم بيانه في غير موضع وقرأ ابن عباس: (التي حرمها) نعتًا للبلدة، وقراءة الجماعة (الذي) وهو في موضع نصب نعت لـ (رب) ولو كان بالألف واللام لقلت المحرمها، فإن كانت نعتا للبلدة قلت المحرمها هو، لا بد من إظهار المضمر مع الألف واللام، لأن الفعل جرى على غير من هول، فإن قلت الذي حرمها لم تحتج أن تقول هو. انظر [تفسير القرطبي (13/ 246)].

سورة القصص

مكيّة إلا قوله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ﴾ [القصص: 85] فنزلت بالجحفة، وإلا ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ﴾ [القصص: 52] إلى قوله: ﴿لاَ نَبْتَغِي الجَاهِلِينَ﴾ [القصص: 55] وهي سبع أو ثمان وثمانون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ
وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا
شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ
ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً
وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا
مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ
عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص: ١ - ٧].

﴿طسم * تِلْكَ﴾ [القصص: 1 - 2] أي: هذه الآيات ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْمُبِينِ﴾ للحق من الباطل ﴿نَتْلُوا﴾ [القصص: 3] نقص ﴿عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ﴾ خبر ﴿مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿لِقَوْمٍ﴾ لأجل قوم ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إذ هم المنتفعون به.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا﴾ [القصص: 4] تعظم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ فرقًا في الخدمة ﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾ من بني إسرائيل ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ المولودين ﴿وَيَسْتَحْيِي﴾ يستبقي ﴿نِسَاءَهُمْ﴾ لقول بعض الكهنة: يولد في بني

إسرائيل ولد يكون سبب زوال الملك ﴿**إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾[1] بالكفر وغيره.

﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ**﴾ [القصص: 5] أي: بني إسرائيل ﴿**وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً**﴾ قادة في الخير وملوكًا ﴿**وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾ لأملاك فرعون وقومه ﴿**وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾ [القصص: 6] أرض مصر والشام فنجعل لهم مكانًا يستقرون فيه ﴿**وَنُرِيَ**﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف: «ويرى» بالياء مفتوحة وفتح الراء وإمالتها مع الألف بعدها ﴿**فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا**﴾ برفع الثلاثة، والباقون بالنون مضمومة وكسر الراء ونصب الأسماء الثلاثة ﴿**مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ**﴾ يخافون، **والحذر**: التوقي من الضرر وكانوا يخافون من الولد الذي يولد وينزع ملكهم على يده فأراهم ما خافوه بولادة موسى عليه السلام.

---

(1) (تِلْكَ ءَايَاتُ الكتاب المبين) اسم الإشارة مبتدأ خبره ما بعده، أو خبر مبتدأ محذوف، و(آيات) بدل من اسم الإشارة، ويجوز أن يكون تلك في موضع نصب بـ (نتلو)، والمبين: المشتمل على بيان الحق من الباطل، قال الزجاج: مبين الحق من الباطل، والحلال من الحرام، وهو من أبان بمعنى: أظهر (نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ موسى وَفِرْعَوْنَ بالحق لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) أي: نوحي إليك من خبرهما ملتبسًا بالحق، وخص المؤمنين؛ لأن التلاوة إنما ينتفع بها المؤمن، وقيل: إن مفعول نتلو محذوف، والتقدير: نتلو عليك شيئًا من نبئهما، ويجوز أن تكون «من» مزيدة على رأي الأخفش أي: نتلو عليك نبأ موسى وفرعون، والأولى أن تكون للبيان على تقدير المفعول كما ذكر أو للتبعيض، ولا ملجىء للحكم بزيادتها، والحق: الصدق، وجملة: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأرض) وما بعدها مستأنفة مسوقة لبيان ما أجمله من النبأ، قال المفسرون: معنى (علا): تكبر، وتجبر بسلطانه، والمراد بالأرض أرض مصر، وقيل: معنى (علا): ادعى الربوبية، وقيل: علا عن عبادة ربه (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً) أي فرقاً، وأصنافاً في خدمته يشايعونه على ما يريد، ويطيعونه، وجملة: (يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ) مستأنفة مسوقة لبيان حال الأهل الذين جعلهم فرقًا وأصنافًا، ويجوز أن تكون في محلّ نصب على الحال من فاعل جعل، أي جعلهم شيعًا حال كونهم مستضعفًا طائفة منهم، ويجوز أن تكون صفة لطائفة، والطائفة هم بنو إسرائيل، وجملة: (يُذَبّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ) بدل من الجملة الأولى، ويجوز أن تكون مستأنفة للبيان، أو حالاً، أو صفة كالتي قبلها على تقدير عدم كونها بدلاً منها، وإنما كان فرعون يذبح أبناءهم، ويترك النساء؛ لأن المنجمين في ذلك العصر أخبروه أنه يذهب ملكه على يد مولود من بني إسرائيل؛ قال الزجاج: والعجب من حمق فرعون، فإن الكاهن الذي أخبره بذلك إن كان صادقًا عنده فما ينفع القتل، وإن كان كاذبًا فلا معنى للقتل (إِنَّهُ كَانَ مِنَ المفسدين) في الأرض بالمعاصي والتجبر، وفيه بيان أن القتل من فعل أهل الإفساد. انظر [فتح القدير (5 /386)].

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾ [القصص: 7] وحي إلهام أو منام، ولم يشعر بولادته لمَّا ولد غير أخته ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي﴾ عليه من الغرق ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ على فراقه ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ويقال: إنها أرضعته ثلاثة أشهر لا يبكي، وخافت عليه فوضعته بعد في تابوت مطلي من داخله بالزفت وأدخلته فيه وألقته في النيل ليلاً فاحتمله إلى أن وصل به إلى دار على النيل لفرعون هو جالس فيها مع زوجته آسية وغيرها.

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [القصص: ٨ - ١٣].

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ [القصص: 8] أعوانه بالتابوت صبيحة الليل بأمر فرعون فوضعوه بين يديه فأخرج وهو يمص من إبهامه لبنًا ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ﴾ في عاقبة الأمر ﴿عَدُوًّا﴾ في دينهم ﴿وَحَزَنًا﴾ بما يأتيهم به، وقرأ حمزة والكسائي وخلف: «وحزنًا» بضم الحاء وإسكان الزاي، والباقون بفتحها ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾ وزيره ﴿وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ عاصين فعاقبهم الله.

﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ﴾ [القصص: 9] آسية لفرعون لمَّا أراد قتله هو وأعوانه ﴿قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ فنفعها الله تعالى به ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ فأطاعوها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ إن هلاكهم على يده ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾ [القصص: 10] لمَّا علمت بالتقاطه لا تلتفت إلى شيء إلا إلى موسى خلى قلبها من

غير ولدها ﴿إِنْ﴾ أي: إنها ﴿كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ فتقول أنا أمه من شدة وجدها ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ أي: سكنّاه بالصبر ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين بوعد الله تعالى ﴿وَقَالَتْ﴾ [القصص: 11] أم موسى ﴿لِأُخْتِهِ﴾ مريم ﴿قُصِّيهِ﴾ اتبعي أثره لتعلمي خبره وتعلمين به ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ﴾ أي: أبصرته في مكان ﴿عَنْ جُنُبٍ﴾ في جانب بعيد اختلاسًا ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بإبصارها له.

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ [القصص: 12] أي: منعناه قبول ثدي واحدة منهن ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل رده إلى أمه ﴿فَقَالَتْ﴾ أخته لمَّا رأتهم كذلك وهم آخذون في طلب واحدة ترضعه ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ بالإرضاع وغيره ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ والنصح تصفية العمل من شوائب الفساد، ولمَّا قالت لهم ذلك قالوا: قد عرفت أهله فدلينا عليهم، فقالت: لا، إنما أردت - بضمير له الملك فرعون لا الولد - فأجابوها فأتت بأمه فقبل ثديها، ولمَّا قبلها خشيت أن يعرفوا أنها أمه، فقالت: إنما قبله لطيب اللبن وطيب رائحته، فأخذته بإذنهم فأرضعته في بيتها، وصارت تأخذ أجرة إرضاعه لكل يوم ديناراً فذلك قوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [القصص: 13] بعد لقائه ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾ برده إليها ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله وعدها أن يرده إليها، ولا أن هذه أُمة، وأن هذه أخته، وتربى عندها، ثم ردته بعد إكمال الرضاع إلى فرعون كما ذكر في قوله: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا...﴾ [الشعراء: 18] إلى آخره.

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾
وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ
وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ
قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى
فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ
ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ
يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ

عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [القصص: ١٤ - ١٩].

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ [القصص: 14] وهو ثلاثون سنة، أو ثلاث وثلاثون، أو ما بين الثمانية عشر إلى الثلاثين ﴿وَاسْتَوَى﴾ بلغ أربعين سنة ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ حكمة ﴿وَعِلْمًا﴾ فقهًا في الدين مع النبوة ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم بالطاعة الجزاء الحسن.

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾ [القصص: 15] مدينة فرعون، وهي منف، وقيل: عين شمس بعد أن غاب عنه مدة ﴿عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ وقت القيلولة نصف النهار، أو بين المغرب والعشاء خوفًا من فرعون؛ لأنه كان ترك ما هو عليه ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ أي: في مخاصمة ونزاع ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾ أي: من بني إسرائيل ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ من القبط، وكان القبطي طباخًا لفرعون سخر الإسرائيلي ليحمل له حطبًا إلى المطبخ ولمَّا بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يُخلص لبني إسرائيل بظلم كما كان من قبل ذلك ﴿فَاسْتَغَاثَهُ﴾ أي: طلب منه الغوث ﴿الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ فقال للفرعوني: خل سبيله، فقال: إنما أخذته ليحمل الحطب لمطبخ أبيك فنازعه، فقال الفرعوني: لقد هممت أن أحمله عليك، وكان موسى قوي البطش ذا بسطة في الخلق ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى﴾[1] أي: ضربه بجمع الكف دفعًا له ﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ أي: قتله وفرغ من أمره وندم موسى لمَّا قتله؛ لأنه لم يكن قاصدًا للقتل ودفنه في الرمل، ثم ﴿قَالَ هَذَا﴾ أي: فعل هذا، أو هذا الفعل ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ المهيج لغضبي ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ بيّن الضلالة أو مظهرها.

ثم ﴿قَالَ﴾ يا ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: 16] و﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ﴾ [القصص: 17] بحق إنعامك ﴿عَلَيَّ﴾

---

(1) الوكز: الضرب بجمع الكف، وهكذا اللكز واللهز، وقيل: اللكز على اللحى، والوكز على القلب، وقيل: ضربه بعصاه، وقرأ ابن مسعود «فلكزه»، وحكى الثعلبي: أن في مصحف عثمان: «فنكزه» بالنون، قال الأصمعي: «نكزه» بالنون: ضربه، ودفعه، قال الجوهري: اللكز الضرب على الصدر، وقال أبو زيد: في جميع الجسد يعني: أنه يقال له: لكز، واللهز: الضرب بجميع اليدين في الصدر.

بالمغفرة أعصمني ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾ عونًا ﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾ للكافرين وهذا دليل على أن الإسرائيلي كان كافرًا ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا﴾ [القصص: 18] من جهة القتيل ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ الترقب انتظار المكروه ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ يستغيث به ويصيح لينصره موسى على قبطي آخر ﴿قَالَ لَهُ﴾ أي: قال: ﴿مُوسَى﴾ للإسرائيلي ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ بيّن الغواية، أمس استغثت بي على شخص فقتل بسببك، واليوم تستغيث بي على آخر، ثم أدركت موسى الرقة على الإسرائيلي.

﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ [القصص: 19] لموسى والإسرائيلي ﴿قَالَ﴾ الإسرائيلي ظانًا أن موسى يريد البطش به لما سمعه من قوله: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ﴾ ولما رأى من غضبه ﴿يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ﴾ ما ﴿تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ بالقتل ظلمًا ﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ فلما سمع القبطي ذلك علم أن القاتل للقبطي في اليوم قبله موسى، وكان فرعون قد بلغه الأمر فطلب البينة على من قتله فلم توجد، فدل هذا في اليوم الثاني على أن القاتل موسى فاعترف فرعون بذلك فأمر الذبّاحين بقتل موسى عليه السلام فأخذوا الطريق الأعظم في طلبه.

﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [القصص: ٢٠ - ٢٥].

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾ [القصص: 20] أي: آخرها ﴿يَسْعَى﴾ يسرع

في مشيه من طريق خلاف طريقهم أقرب منها، وهو مؤمن آل فرعون اسمه حزقيل ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ﴾ قوم فرعون ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ يتشاورون في قتلك وتآمر بعضهم بعضًا بذلك ﴿فَاخْرُجْ﴾ من المدينة ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ في الأمر بالخروج ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا﴾ [القصص: 21] موسى ﴿خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ الطلب أن يدركه، أو يترقب أن يعتقه الله ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فرعون وقومه.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾ [القصص: 22] قصد بوجهه ﴿تِلْقَاءَ﴾ جهة ﴿مَدْيَنَ﴾ قرية سميت بمدين بن إبراهيم، وهي على مسيرة ثمانية أيام من مصر، ولم يكن يعرف طريقها فلذلك ﴿قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ قصد الطريق الوسط إلى مدين، فأرسل الله إليه ملكًا بيده عنزة فانطلق به إليها، وخرج موسى من مصر ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر والبقل، حتى رُؤي خضرته في بطنه، وما وصل إلى مدين حتى وقع خف قدميه وهو ما أصاب الأرض، وهو أول ابتداء ابتلاء لموسى عليه السلام.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: 23] هي بئر كانوا يسقون مواشيهم منها ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾ جماعة ﴿مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ﴾ سواهم ﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تحبسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس وتخلو لهما المحل ﴿قَالَ﴾ لهما موسى ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ شأنكما لا تسقيان مع الناس مواشيكما ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي﴾ أغنامنا ﴿حَتَّى يُصْدِرَ﴾ يرجع ﴿الرِّعَاءُ﴾ جمع راع، قرأ أبو جعفر وأبو عمرو وابن عامر: بفتح ياء «يصدر» وبضم الدال، والباقون بضم الياء وكسر الدال؛ أي: يصرفوا مواشيهم عن الماء؛ فإذا أصدروا أسقينا مواشينا مما فضل في الحوض ولا نزاحم ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقدر أن يتولى سقي المواشي بنفسه فلذا احتجنا نسقي الغنم وأبوهما شعيب عليه السلام.

﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ [القصص: 24] موسى عليه السلام من بئر بقربهما عليه حجر أزاحه بيده، وكان لا يحمله إلا جماعة من الناس عشرة أو أكثر ﴿ثُمَّ تَوَلَّى﴾ انصرف ﴿إِلَى الظِّلِّ﴾ وهي ظل شجرة فجلس تحتها من شدة الحر وهو جائع ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ طعام ﴿فَقِيرٌ﴾ محتاج، ولما سقى لهما رجعتا إلى أبيهما بسرعة على خلاف عادتهما فسألهما عن شأنهما فأخبرتاه بمن سقى لهما، فقال لأحدهما: اذهبي إليه لتحضريه لنا.

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ [القصص: 25] فسر بأنها وضعت

درعها على وجهها حياء منه قاله عمر بن الخطاب ﷺ ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ فأجابها غير مريد أخذ الأجر لكن حمله على الإجابة الجهد، وكأنهم قصدوا مكافأته فمشيت أمامه وصارت الريح تضرب ثوبها فربما انكشف ساقها قال: امشي خلفي ودليني فأجابته، فلما دخل على شعيب وجد العشاء بين يديه فقال له كُل، قال موسى: أعوذ بالله، قال: ولِمَ، ألست بجائع قال: بلى، ولكن أخاف أن يكون هذا عوضًا لما سقيت لهما، وأنا من أهل بيت لا نبيع شيئًا من عمل الآخرة بـ﴿مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا﴾ [آل عمران: 91] قال: لا والله، ولكن عادتي وعادة آبائي نقري الضيف، ونطعم الطعام، فجلس موسى فأكل، وأخبر بحاله فذلك قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ أي: أمره من قتله القبطي وقصدهم قتله وخروجه خائفًا من فرعون وقومه ﴿قَالَ﴾ شعيب له: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ لأن مدين لم تكن في حكم فرعون.

﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [القصص: ٢٦ - ٣٠].

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا﴾ [القصص: 26] وهي الصغرى المرسلة عند الأكثر ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ اتخذه أجيرًا لرعي الغنم عنّا ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ﴾ وموسى كذلك؛ لأنه أزال الحجر الذي لا يزيله إلا عشرة أو أكثر ﴿الْأَمِينُ﴾ لأنه مشى أمام المرأة وأمرها بالمشي خلفه، ولما جاءته وعلم بها صوب رأسه إلى الأرض فلم يرفعها

فرغبت في انكاحه ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾[1] [القصص: 27]

---

(1) قال ابن العربي المعافري: وفي الآية مسائل: **المسألة الأولى**: دلت الآية على أن الولي يجوز له عرض وليته على الرجل وهذه سنة الأنبياء وقد رض شعيب ابنته على موسى، وعرض عمر بن الخطاب بنته حفصة على أبي بكر وعثمان فلم يتكلم أبو بكر، وقال عثمان: لا أتزوج الآن، ثم خطبها رسول الله ﷺ، فلقيت أبا بكر، وكنت قد وجدت عليه، فقال لي: «ما منعني من تزوج حفصة إلا أني علمت أن رسول الله قد ذكرها، فكرهت أن أفشي سر رسول الله ﷺ»، وقد عرضت الموهوبة نفسها على رسول الله ﷺ فلم يقبلها.
المسألة الثانية: تمسك أصحاب الشافعي بقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ﴾.
وقالوا: إن النكاح موقوف على لفظ الإنكاح والتزويج. وقال علماؤنا: ينعقد بكل لفظ. وقال أبو حنيفة: ينعقد بكل لفظ يقتضي التمليك على التأبيد، ولا حجة للشافعي في الآية، لأن هذا شرع من قبلنا، وهم لا يرونه حجة، قالوا: انعقاد النكاح بلفظه تعبد، فلا يقاس عليه، وهذا ضعيف لأنه ﷺ قال في الموهوبة: «قد أنكحتكها»، وفي رواية: «قد ملكتكها»، وفي رواية: «قد أمكناكها بما معك من القرآن»، وهذا في البخاري. وقوله ﴿أُنكِحَكَ﴾ ابتدأ بالزوج؛ لأنه مقدم في العقد وله الزوجة.
المسألة الثالثة: قوله: ﴿إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾. وهذا يدل على أنه عرض، ولم يعقد، لأنه لو عقد لعين المعقود عليها، لأن العلماء وإن كانوا اختلفوا في جواز البيع إذا قال له بعتك أحد عبدي هذين بثمن كذا فإنهم اتفقوا على منع ذلك في النكاح؛ لأنه خيار، والخيار ممتنع في النكاح.
تبنيه: قوله: ﴿إِنِّي أُرِيدُ﴾: اختلف هل هذا إيجاب أم لا، كما اختلف الناس في الاستدعاء، هل هو قبول أم لا؟ فإذا قال أوجب لي البيع أو النكاح، فقال: فعلت انعقد، وإن لم يقل: قبلت لحصول الرضا بالقلب، وقد قال ﷺ: «يا بني النجار ثامنوني بحائطكم»، فقالوا: لا نطلب ثمنه إلا من الله. فانعقد البيع، وحصل المقصود من الملك.
المسألة الرابعة: في الحديث أن موسى تزوج الصغرى من بنتي شعيب، لكن عادة النكاح إنكاح الكبرى قبل الصغرى، وانعكس الأمر هنا، لأن الصغرى أرفق بأبيها فتزوجها لبرها بأبيها.
قال **القاضي**: جعل المنافع هنا صداقًا، وقد اختلف العلماء في جعل المنافع صداقًا، فمنع ابن القاسم، وقال: يفسخ قبل البناء، ويثبت بعده، وقال مالك: يكره. وقيل: يجوز تمسكًا بقصد موسى.
وقال أبو حنيفة: لا يجوز أن تكون منافع الحر صداقًا، ويجوز ذلك في منافع العبد.
تنبيه: إذا ثبت جواز الصداق إجازة فقوله: ﴿عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾ يقتضي ذكر الخدمة دون بيان قدرها. قال مالك: يجوز ذلك، ويحمل على العرف. وقال أبو حنيفة والشافعي: لا يجوز إبهام العمل للجهل بذلك. وقد قال بعضهم: أن موسى استؤجر على رعي الغنم، وذلك كان الصداق، ثم رعاية الغنم مذكورة في كتب الفقه. وقد قال ابن القاسم: لا تجوز الإجازة على رعاية الغنم إلا بشرط الخلف إن ماتت. وقيل: يجوز دون شرط الخلف، ومن غير تبيين ما
=

يرعى لكن حمل على العرف في قدر ما يرعاه. **قال القاضي أبو بكر**: ورواية ابن القاسم رواية ضعيفة جدًا.

المسألة الخامسة: قال بعضهم: هذا الذي ذكره شعيب لم يكن صداقًا، وإنما كان شرطًا لسنه على عادة العرب في اشتراط شيء لها عند إنكاح بناتها.

قلنا: هذا حلوان وحرام لا يليق بالأنبياء، فأما إذا اشترط الولي شيئًا لنفسه ففيه قولان: الجواز، والمنع.

قال القاضي: والذي يصح أن المرأة إن كانت ثيبًا جاز؛ لأن نكاحها بيدها، وإنما للولي مباشرة العقد، ولا يمتنع أخذ العوض عليه كما يأخذه الوكيل على عقد البيع، وإن كانت بكرًا كان العقد بيده فلا عوض له بذلك، فإن وقع فسخ قبل البناء، وثبت بعده. وقال بعضهم: اشترط شعيب ذلك لنفسه، وفوض الصداق فيؤخذ منه جواز نكاح التفويض.

المسألة السادسة: في هذه الآية اجتماع إجازة ونكاح، وفي ذلك خلاف. قيل: إن ذلك يكره ابتداء، فإن وقع مضى. وقال مالك وابن القاسم: لا يجوز، ويفسخ أبدًا، وهو المشهور. وقال أشهب وأصبغ بجوازه. قال **القاضي**: والصحيح جوازه، وعليه تدل الآية. قال علماؤنا: دلت الآية على أن النكاح للولي، ولا حظ فيه للمرأة؛ لأن شعيبًا تولاه دون غيره، وقاله فقهاء الأمصار.

وقال أبو حنيفة: لا يفتقر النكاح إلى ولي، وعجبًا له، وأين امرأة قط عقدت نكاح نفسها.

وفي الحديث: «لا نكاح إلا بولي». وفي الحديث: «أيما امرأة أنكحت نفسها بغير إذن وليها فنكاحها باطل قاله ثلاثًا»، فإن مسها فلها المهر بما استحل من فرجها، فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له.

المسألة السابعة: دلت الآية على أن الأب يزوج ابنته البكر دون استئمار، قاله مالك، وتمسك بالآية، وقاله الشافعي وكثير من الفقهاء. وقال أبو حنيفة: إذا بلغت الصغيرة لم تزوج إلا برضاها؛ لأنها بلغت حد التكليف، فأما الصغيرة فإن الأب يجبرها على النكاح، إذ لا إذن لها. وفي الحديث: «الأيم أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأمر في نفسها وإذنها صماتها». **تنبيه**: اختلف العلماء في اعتبار الكفاءة، وهل تعتبر في الدين والمال والحسب أو في بعض ذلك؟ وفي الحديث: «تنكح المرأة لأربع: لمالها وجمالها ولدينها وحسبها». ويجوز نكاح الموالي للعربيات والقرشيات؛ لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾. وقد جاء موسى خائفًا غريبًا فقيرًا، فزوجه شعيب بنته والآية أصل في الباب وأما سائر الأولياء، فاختلف هل يراعون الكفاءة أم لا؟ واعلم أن علماؤنا منعوا من البناء، حتى ينقد ولو ربع دينار. وقال ابن القاسم: فإن دخل قبل النقد مضى، لأن بعض علمائنا قالوا: النقد مستحب، على أن صداق موسى إن كان رعاية الغنم فقد تقدم العمل بالشروع في الرعاية. قال علماؤنا: وانتظار الدخول بغير شرط جائز؛ وإن طال بالشرط فلا يجوز إلا لضرورة، كالتأهب للبناء وانتظار صلاة المرأة.

المسألة الثامنة: قوله تعالى: ﴿**ثَمَانِيَ حِجَجٍ**﴾ دلت الآية على أن مدة إجازة الرعاية يجوز امتدادها

وهي الصغرى ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي﴾ أن تكون أجيرًا لي في رعي غنمي ﴿ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾ أي: سنين ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا﴾ أي: رعي عشر سنين ﴿فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ أي: الزيادة ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ باشتراط العشر ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ بالوفاء بالعهد وحسن الصحبة فلما قال ذلك ﴿قَالَ﴾ [القصص: 28] له موسى: ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرته من الشرط ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾ به فرغت منه؛ أي: إن قضيت رعي العشر أو الثمان ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ بطلب الزيادة عليه ﴿وَاللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ حفيظ أو شهيد فتم الأمر بينهما على ذلك، ولما تعاقدا أمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصا يدفع بها السباع عن الغنم، وكان عنده عصا الأنبياء، ومنها عصا من أساس الجنة خرج بها آدم وتوارثتها الأنبياء، وقيل: أتى بها ملك أودعها إياه فلما أتت ردها ثم ردها فلم يقع بيدها إلا هي فأخذاها ثم خرجا فتحاكما لأول من يلقاهما فلقيا

=

إلى ثماني أعوام. وقال ابن المواز: إلى عشرين عامًا، ومنعها بعضهم في عشر سنين، وهو الأصح، لسرعة تغير الأبدان غالبًا في مثل هذه المدة.

تنبيه: يجوز التطوع ببقاء عقد الإجارة إلى الأمد البعيد، فيقال: وتطوع بقاء الإجارة إلى كذا، وتطوع بكذا يقتضي تباين الأحكام. وتبين أن الطوع أخرجه عن لوازم العقد، فقوله: «وتطوع بعد العقد» حشو وتكرار مستغنٍ عنه.

المسألة التاسعة: قوله تعالى: ﴿أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾: أي إذا وفيت بأحد الأجلين، فليس لك طلب بالآخر. واعلم أن العمل في الإجارة يتقدم بالزمان، وبصفة العمل، وبهذا ينضبط، فإن كان في الزمان فهو مقدر به لازم في مدته، وإن كان بالعمل انضبط بصفته، ويلزم الأجير تمام المدة وللصفة، وليس له ترك ذلك، ولا يستحق شيئًا من الأجرة إلا بتمام العمل.

المسألة العاشرة: قوله تعالى: ﴿وَاللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾: اكتفى موسى وشعيب بالله في الإشهاد، ولم يشهدا أحدًا من الخلق، وقد اختلف العلماء في وجوب الإشهاد في النكاح، فقال الشافعي وأبو حنيفة: لا ينعقد إلا بشاهدين، وقال مالك: ينعقد دون شهود كالبيع، وإنما يستحب فيه الإعلان والتصريح. وفي مسلم: أن رسول الله ﷺ قال: «إن رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فأسلفه إياها دون شهيد، واكتفيا بشهادة الله، فلما انقضى أمد السلف بعث إليه بها في خشبة في البحر؛ لتعذر سفينة يركبها، فبلغت إلى رب السلف، فأخذ سلفه» الحديث.

تنبيه: قوله تعالى: ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾: دلت الآية على أن للرجل أن يذهب بأهله حيث شاء، إلا أن يكون لها شرط، فإن المسلمين عند شروطهم، وأحق الشروط أن توفَّى ما استحلت به الفروج. [الأحكام الصغرى ص787].

ملكًا فقال: هي لمن رفعها من الأرض فرفعها موسى فعلم شعيب أنها له من عند الله - عليهما السلام -.

﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾ [القصص: 29] أي: رعي الأغنام فيه، وقضى أتم الأجل وهو العشر استأذنه في السير بأهله لمصر فأذن له فذلك قوله: ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ زوجته ﴿آنَسَ﴾ أبصر من بعيد ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ اسم الجبل ﴿نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ في هذا المحل ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن الطريق؛ لأنه كان أخطأها ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ بفتح الجيم لعاصم وبضمها لخلف وبكسرها لمن بقي، وهي قطعة في شعلة ﴿مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ تستدفئون وكانت ليلة باردة.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ﴾ [القصص: 30] جانب ﴿الْوَادِي الْأَيْمَنِ﴾ الذي هو عن يمين موسى ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ على موسى؛ لأن الله تعالى كلمه عندها وبعثه نبيًا ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ أي: من ناحيتها وهي شجرة عناب أو عليق أو عوسج ﴿أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [القصص: ٣١ - ٣٦].

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [القصص: 31] فألقاها ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ صغير الحيات من حيث خفة الحركة ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾ هاربًا ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ لم يرجع فنودي ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ من هذه الحية ﴿إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ منها.

﴿اسْلُكْ﴾ [القصص: 32] ادخل ﴿يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ وأراد الكف اليمين؛ أي: ادخلها في طوق القميص وأخرجها ﴿تَخْرُجْ﴾ خلاف ما كانت عليه من السحرة ﴿بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ بلا برص لها شعاع كالشمس ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ يدك سميت جناحًا لأنها للإنسان كالجناح للطائر ﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾ الخوف أي: إذًا هالك أمر كما كانت، والرهب بفتح الراء وإسكان الهاء لحفص وأبان، وقرأ الكوفيون وابن عامر بضم الراء وإسكان الهاء، والباقون بفتحهما، وقال ابن عباس ومجاهد: ما من أحد بعد موسى إلا إذا ضم يده إلى صدره بأن وضعها عليه زال خوفه ﴿فَذَانِكَ﴾[1] أي: العصا واليد ﴿بُرْهَانَانِ﴾ مرسلان ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ معك ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ [القصص: 33] هو القبطي ﴿فَأَخَافُ أَنْ

---

(1) والبرهان اليد والعصا وقرأ ابن كثير بتشديد النون وخففها الباقون، وروى أبو عمارة عن أبي الفضل عن أبي بكر عن ابن كثير، «فذانيك» بالتشديد والياء، وعن أبي عمرو أيضًا قال لغة هذيل «فذانيك» بالتخفيف والياء، ولغة قريش «فذانك» كما قرأ أبو عمرو وابن كثير، وفي تعليله خمسة أقوال: قيل شدد النون عوضًا من الألف الساقطة في ذانك الذي هو تثنية ذا المرفوع، وهو رفع بالابتداء، وألف ذا محذوفة لدخول ألف التثنية عليها، ولم يلتفت إلى التقاء الساكنين، لأن أصله فذاانك فحذف الألف الأولى عوضًا من النون الشديدة، وقيل: التشديد للتأكيد كما أدخلوا اللام في ذلك، مكي: وقيل إن من شدد إنما بناه على لغة من قال في الواحد ذلك، فلما بنى أثبت اللام بعد نون التثنية، ثم أدغم اللام في النون على حكم إدغام الثاني في الأول، والأصل أن يدغم الأول أبدًا في الثاني، إلا أن يمنع من ذلك علة فيدغم الثاني في الأول، والعلة التي منعت في هذا أن يدغم الأول في الثاني أنه لو فعل ذلك لصار في موضع النون التي تدل على التثنية لام مشددة فيتغير لفظ التثنية فأدغم الثاني في الأول لذلك، فصار نونًا مشددة، وقد قيل: إنه لما تنا في ذلك أثبت اللام قبل النون ثم أدغم الأول في الثاني على أصول الإدغام فصار نونًا مشددة، وقيل: شددت فرقًا بينها وبين الظاهر التي تسقط لإضافة نونه، لأن ذان لا يضاف، وقيل: للفرق بين الاسم المتمكن وبينها، وكذلك العلة في تشديد النون في «اللذان» و«هذان»، قال أبو عمرو: إنما اختص أبو عمرو هذا الحرف بالتشديد دون كل تثنية من جنسه لقلة حروفه فقرأه بالتثقيل، ومن قرأ: «فذانيك» بياء مع تخفيف النون فالأصل عنده «فذانك» بالتشديد فأبدل من النون الثانية ياء كراهية التضعيف، كما قالوا: لا أملاه في لا أمله فأبدلوا اللام الثانية ألفًا، ومن قرأ بياء بعد النون الشديدة فوجهه أنه أشبع كسرة النون فتولدت عنها الياء. انظر [تفسير القرطبي (13/ 285)].

﴿يَقْتُلُونِ﴾ به ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص: 34] من حل العقدة التي سبق ذكرها في طه ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ معينًا، وقرأ نافع بفتح الدال من غير همز والباقون بسكون الدال والهمز ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ بضم القاف لعاصم وحمزة والباقون بالجزم ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾.

﴿قَالَ سَنَشُدُّ﴾ [القصص: 35] نقوي ﴿عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ على إنفاذ الأمر وتأدية الوحي بأخيك، والعضد: القوة وتمكين اليد من السطوة ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ بسوء، اذهبا ﴿بِآيَاتِنَا﴾ أي: بسببها ﴿أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ لفرعون وقومه.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ﴾ [القصص: 36] واضحات ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى﴾ مفتعل من عندك ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ الذي دعا إليه ﴿فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [القصص: ٣٧ - ٤٢].

﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ [القصص: 37] بإثبات واو قبل قال للقراء إلا ابن كثير بتخفيفها ﴿رَبِّي أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ أي: العاقبة الحسنة؛ أي: وهو أنا فإني محق فيما جئت به ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾ [القصص: 38] فاطبخ الآجر ﴿فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا﴾ قصرًا عاليًا ﴿لَعَلِّي أَطَّلِعُ﴾ انظر ﴿إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ﴾ أي: موسى ﴿مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ في إدعاء إلهًا غيري

فجمع هامان على ما قيل خمسين ألفًا فبنوه على ارتفاع عظيم فقعد فرعون عليه رمى بسهم فوقع ملطخًا بدم فقال: قتلت إله موسى وأرسل إليه جبريل فضربه بجناحه فتقطع ثلاث قطع: قطعة: قتلت ألف ألف من عسكر فرعون، والأخرى: وقعت في البحر، والثالثة: بالغرب، ولم يبق أحد عمل فيه إلا هلك.

﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: 39] أرض مصر ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ في الدار الآخرة ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ﴾ [القصص: 40] طرحناهم ﴿فِي الْيَمِّ﴾ البحر المالح ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾ آخر أمر ﴿الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾ [القصص: 41] أي: صيرناهم في الدنيا رؤساء في الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾ بدعائهم للشرك ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ [القصص: 42] أي: خزيًا أو بعدل ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ المبعدين.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ
بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ
قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ
عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا
كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن
رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾
[القصص: ٤٣ - ٤٦].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [القصص: 43] التوراة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾ جمع بصيرة؛ أي: أنوار يُقتدى بها ويُعمل ﴿وَهُدًى﴾ لمن عمل به ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ بما فيه من المواعظ والبصائر.

﴿وَمَا كُنْتَ﴾ [القصص: 44] يا محمد ﷺ ﴿بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ أي: الجبل أو الوادي الغربي حيث ناجى موسى ربه، والمراد: الطور ﴿إِذْ قَضَيْنَا﴾ عهدنا وأحكمنا

وأتممنا ﴿إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ بالرسالة لفرعون وقومه ﴿وَمَا كُنْتَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ الحاضرين لذلك فتعرفه وتخبر به، بل نحن أخبرناك فضلاً منَّا عليك ﷺ.

﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا﴾ [القصص: 45] خلقنا أممًا من بعد موسى ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ أي: طالت المهلة لهم فنسوا عهد الله تركوا أمره؛ وذلك لأنه تعالى عهد إلى موسى وقومه عهودًا في أمر محمد ﷺ والإيمان به، فلمَّا طال العهد وتواردت نسوا الوفاء بذلك ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ أي: فتخبر الناس بها ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ لك وإليك بأخبار المتقدمين فيتلوا ذلك على أهل مكة والناس.

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ﴾ [القصص: 46] الجبل ﴿إِذْ﴾ حين ﴿نَادَيْنَا﴾ موسى خذ الكتاب بقوة ﴿وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: رحمناك أو جعلناك رحمة ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ هم أهل مكة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون.

﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [القصص: ٤٧ - ٥٣].

﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ [القصص: 47] أي: عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا﴾ هلا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾(1) التي

(1) ﴿وَلَوْلا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ لولا هذه هي الامتناعية، وأن وما في حيزها في =

أرسلت بها ﴿وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: لعاجلناهم بالعقوبة.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ [القصص: 48] أراد محمد ﷺ ﴿مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُوتِيَ﴾ محمد ﴿مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ من الآيات كاليد والعصا أو كتابًا جملة فرد عليه تعالى بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل محمد ﷺ حيث ﴿قَالُوا سِحْرَانِ﴾ قرأ الكوفيون: «سحران» بكسر السين بلا ألف بعدها وإسكان الحاء؛ أي: التوراة والقرآن سحران، والباقون بألف بعد السين وكسر الحاء؛ أي: محمد وموسى ساحران ﴿تَظَاهَرَا﴾ تعاونا ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ﴾ أي: من موسى ومحمد أو من التوراة والقرآن ﴿كَافِرُونَ﴾.

﴿قُلْ﴾ [القصص: 49] لهم يا محمد ﷺ حيث قالوا ذلك: ﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا﴾ من التوراة والقرآن ﴿أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنهما ساحران أو في أن الكتابين سحران.

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ [القصص: 50] أي: لم يأتوا بما طلبت من الكتاب ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ﴾ أي: لا أضل منه ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين.

موضع رفع بالابتداء وجوابها محذوف، قال الزجاج: وتقديره: ما أرسلنا إليهم رسلاً: يعني: أن الحامل على إرسال الرسل هو إزاحة عللهم، فهو كقوله سبحانه: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرسل﴾ وقدّره ابن عطية: لعاجلناهم بالعقوبة، ووافقه على هذا التقدير الواحدي فقال: والمعنى: لولا أنهم يحتجون بترك الإرسال إليهم لعاجلناهم بالعقوبة بكفرهم، وقوله: ﴿فَيَقُولُواْ﴾ عطف على تصيبهم، ومن جملة ما هو في حيز لولا، أي فيقولوا: ﴿رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً﴾ ولولا هذه الثانية هي التحضيضية أي: هلا أرسلت إلينا رسولاً من عندك، وجوابها هو: ﴿فَنَتَّبِعَ ءاياتك﴾ وهو منصوب بإضمار أن لكونه جوابًا للتحضيض، والمراد بالآيات: الآيات التنزيلية الظاهرة الواضحة، وإنما عطف القول على تصيبهم؛ لكونه هو السبب للإرسال، ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها هي السبب لإرسال الرسل بواسطة القول ﴿وَنَكُونَ مِنَ المؤمنين﴾ بهذه الآيات، ومعنى الآية: أنا لو عذبناهم لقالوا: طال العهد بالرسل، ولم يرسل الله إلينا رسولاً، ويظنون أن ذلك عذر لهم ولا عذر لهم بعد أن بلغتهم أخبار الرسل، ولكنا أكملنا الحجة وأزحنا العلة وأتممنا البيان بإرسالك يا محمد إليهم. انظر [فتح القدير (5/ 409)].

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ [القصص: 51] بينّا لكفار مكة كيف فُعل بمن مضى، وذكرنا لهم أخبارهم وأخبار الدنيا والآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون فيؤمنون ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ [القصص: 52] أي: من قبل القرآن ﴿هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ بالقرآن كما آمنوا بكتابهم، نزلت في رهط منهم رفاعة القرظي وسلمان وعبد الله بن سلام ومن أسلم في زمنه ﷺ من نصارى الحبشة والشام.

﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: 53] أي: القرآن ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: من قبل نزول القرآن ﴿مُسْلِمِينَ﴾ مؤمنين بأن محمدًا ﷺ حق؛ لذكره في التوراة والإنجيل.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا
رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ
أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ
مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا
فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا
كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا
مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [القصص: ٥٤ - ٥٩].

﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ [القصص: 54] لإيمانهم بالكتابين ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ بصبرهم على العمل بها ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ يدفعون ﴿بِالْحَسَنَةِ﴾ لا إله إلا الله ﴿السَّيِّئَةَ﴾ الشرك أو يدفعون بالصفح والحلم أذى المشركين ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ في طاعة الله تعالى.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾ [القصص: 55] القبيح من القول ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ فلا يردون على من ذمهم من المشركين بتركهم الكتاب الأول للآخر ﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا﴾ ديننا ﴿وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ دينكم ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ هو سلام مسالمة؛ أي: لا نعارضكم

بشتم ولا قبح ﴿لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ أي: لا نطلب دينهم ولا نريده أو لا نصحبهم، وهذا قبل الأمر بالقتال.

﴿إِنَّكَ﴾ [القصص: 56] يا محمد ﷺ ﴿لَا تَهْدِي﴾ لا توصل إلى الخير من الإيمان ﴿مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ نزلت في حرصه على إيمان عمه أبي طالب؛ أي: لا تهدي من أحببت هدايته ﴿وَلَكِنَّ الله يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

﴿وَقَالُوا﴾ [القصص: 57] هم جماعة من كفار مكة القائل منهم: الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف ﴿إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ﴾ أي: نُنتزع بسرعة ﴿مِنْ أَرْضِنَا﴾ مكة قالوه خوفًا من إخراج العرب لهم فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ لأن العرب كانت تَغِير على كل شيء إلا عليه ﴿يُجْبَى﴾ بتاء في أوله في قراءة رويس والمدنيين، والباقون بالياء من أسفل، والمراد: يجمع ﴿إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فكل متجر ورزق يحمل إليه ﴿رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾ من قبلنا ومن عندنا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إنما نقوله حق؛ وإذا مكنًا لهم فكيف يخافون مع إيمانهم قبل الإيمان فكيف بهم بعده؟

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ [القصص: 58] أي: أهلها ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ أي: فعلت فيها الأبطر: وهو الاستعانة برزق الله تعالى على معاصيه فأكلوا رزقه وعبدوا غيره ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا﴾ سكونًا ﴿قَلِيلًا﴾ للمسافر والمارة فينزلونها يومًا أو بعضه ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ زالوا وبقينا من بعدهم.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾ [القصص: 59] أهل القرى الكافرة ﴿حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا﴾ أكثرها وأعظمها ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ كافرون.

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓۚ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ
كَمَا غَوَيْنَاۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ

يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ
وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾
وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [القصص: ٦٠ - ٦٩].

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ [القصص: 60] تمتعون به أيام حياتكم وتتزينون ويزول ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ﴾ هو ثوابه ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ إن الباقي خير من الفاني وقرأ أبو عمرو بخلاف عن السوسي: «أفلا يعقلون» بالياء من أسفل والباقون بالتاء.

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾[1] [القصص: 61] بالجنة ﴿فَهُوَ لَاقِيهِ﴾ مُصيبه وهذا مثل المؤمن ﴿كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فيزول عن قريب ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ للعذاب وهذا مثل الكافر، والهمزة للإنكار، استوائه وبيان إن المؤمن خير.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: 62] في الدنيا إنهم شركائي ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ [القصص: 63] وجب عليهم العذاب وهم رؤساء أهل الشرك ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ أي: فغووا كما غوينا؛ أي: ضلوا كما ضلينا، ولم نكرههم على الغي ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ منهم ﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ فبرئ بعضهم من بعض وصاروا أعداء.

﴿وَقِيلَ﴾ [القصص: 64] للكفار ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ الأصنام الذين زعمتم أنهم

---

(1) الوعد الحسن: هو الوعد بالجنة، والوعد الأحسن هو الوعد بالرؤية، والموعود له من المؤمن بالإيمان الرسمي، فهو لاقيه يوم القيامة؛ لأنها جنة غير معجَّلة، والموعود له هو المؤمن بالإيمان الحقيقي فهو لاقيه في الدنيا؛ لأن قيامة العارفين دائمة، وهذا الوعد مطلقًا مما يقتضيه استعداد كل من الأبرار والمقرَّبين، فلا يتخطَّى أحدهم حدَّ الآخر بحكم اسم العدل دون الفضل؛ لكن فرق بين حالة وحالة، فإن الأبرار، وإن كانوا يرون ربهم؛ لكن ذلك في الآخرة لا في الدنيا، وكذا في الأسبوع مرة لا في كل لحظة، كما هو شأن المقربين؛ لأنه لا حجاب لهم أصلاً.

شركاء لله ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ الدعاء ﴿وَرَأَوُا﴾ الكفار ﴿الْعَذَابَ﴾ في الآخرة ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ للإيمان في الدنيا لمَّا رأوا العذاب في الآخرة.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: 65] إليكم ﴿فَعَمِيَتْ﴾ [القصص: 66] خفيت واشتبهت ﴿عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ﴾ الأخبار ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم دعاهم ولم يجدوا جوابًا ينجيهم ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ عن حجة إذ لا وصول إليها.

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ [القصص: 67] من الشرك ﴿وَآمَنَ﴾ صدق بالتوحيد ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ بأداء ما وجب عليه ﴿فَعَسَى أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ ولمَّا قال المشركون: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: 31] فنزل: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: 68] ما يشاء ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ الاختيار في شيء ﴿سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ﴾ [القصص: 68 - 69] تخفي ﴿صُدُورُهُمْ﴾ قلوبهم من الكفر وغيره ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يظهرون بألسنتهم.

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [القصص: ٧٠ - ٧٥].

﴿وَهُوَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى﴾ [القصص: 70] في الدنيا ﴿وَ﴾ في ﴿الْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ فصل القضاء بين الخلق والقضاء النافذ في كل شيء ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ [القصص: 71] خبروني ﴿إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ

﴿اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ دائمًا إلى الساعة لا نهار معه ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ﴾ بزعمكم ﴿يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ﴾ نهار تبغون معايشكم فيه ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ سماع فهم وقبول فترجعون الإشراك.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا﴾ [القصص: 72] دائمًا ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ لا ليل معه ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ من التعب ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ما أنتم عليه من الضلال فترجعون.

﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ﴾ [القصص: 73] تبارك وتعالى ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ أي: في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ في النهار ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ بالطاعة فتؤمنون.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ [القصص: 74] أي: الله ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ذكر ليقرع عليه ﴿وَنَزَعْنَا﴾ [القصص: 75] أخرجنا ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ هو رسولهم المرسل إليهم ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ حجتكم بأن معي شركاء ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ﴾ في الألوهية ﴿لِلَّهِ﴾ لا يشاركه فيه أحد ﴿وَضَلَّ﴾ ذهب وبطل ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من الآلهة في الدنيا.

﴿ ۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ
مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن
قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا
يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا

ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [القصص: ٧٦ - ٨٠].

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ [القصص: 76] كان ابن عمه، أو ابن خالته أو عمه وآمن به أولاً ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ على موسى وقومه؛ أي: تكبر بكثرة المال وطلب العلو فأشرك ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ أعطيناه من الذهب والفضة وغيرها ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾ جمع المفتاح ﴿لَتَنُوءُ﴾ لتثقل ﴿بِالْعُصْبَةِ﴾ الجماعة ﴿أُولِي﴾ أصحاب ﴿الْقُوَّةِ﴾ أي: أتيناه شيئًا كثيرًا مفاتيحه تثقل العصبة من أصحاب القوة؛ لكثرتها فكيف بما فيها من المال وكنوزه سبعون أو أقل أو أكثر ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ المؤمنون من بني إسرائيل ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ بكثرة مالك، أي: فرح بطر ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ بذلك.

﴿وَابْتَغِ﴾ [القصص: 77] اطلب ﴿فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ بالزكاة والإنفاق في الخير ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي: لا تترك العمل فيها للآخرة كصلة الرحم ونحوها ﴿وَأَحْسِنْ﴾ للناس ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ﴾ تطلب ﴿الْفَسَادَ﴾ بالمعاصي ﴿فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾ [القصص: 78] قارون ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ﴾ أي: المال ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ خير وفضل ﴿عِنْدِي﴾ أي: في مقابلته، وكان أعلم الناس بالتوراة بعد موسى وهارون ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للمال؛ أي: هو عالم بذلك ويهلكه الله ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون.

﴿فَخَرَجَ﴾ [القصص: 79] قارون ﴿عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ بأتباعه الكثيرة على خيول بملابس الذهب والحرير وكانوا سبعين ألفًا ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَ لَنَا﴾ من الدنيا ﴿مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ﴾ نصيب منها ﴿عَظِيمٍ﴾ كثير واف.

﴿وَقَالَ﴾ [القصص: 80] لهم ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ اليقين بما وعد الله في الآخرة ﴿وَيْلَكُمْ﴾ كلمة زجر ﴿ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ مما أوتي قارون ومن معه ﴿وَلَا يُلَقَّاهَا﴾ أي: لا ينال الدار الآخرة أو لا يقول هذه الكلمة وهي ﴿وَيْلَكُمْ...﴾ [القصص: 80] إلى آخره أو لا ينال الأعمال الصالحة ﴿إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ على طاعة الله عن معصيته وزينة الدنيا.

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ

وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [القصص: ٨١ - ٨٤]

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ﴾ [القصص: 81] أي: بقارون ﴿وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ قال سمرة بن جندب: يخسف بقارون وقومه في كل يوم قدر قامة فلا يبلغ الأرض السفل إلى يوم القيامة ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ﴾ جماعة ﴿يَنْصُرُونَهُ﴾ يمنعونه ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ من غير الله ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ بنفسه من الله.

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾ [القصص: 82] قريب الخسف به قبل وقوعه ﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ﴾ معنى وي أعجب؛ أي: أن والكاف بمعنى السلام، إن ﴿اللهَ﴾ أي: لأنه ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ يضيق على من يشاء ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ بفتح الخاء والسين ليعقوب وحفص، والباقون بضم الخاء وكسر السين ﴿وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ لنعمة الله.

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ [القصص: 83] أي: الجنة ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ بالبغي ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ بالمعاصي ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ وليس من طلب العلو والفساد حب نظافة الثياب وحسنها؛ إذ كان لبسها حلالاً.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ [القصص: 84] الإيمان ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ أي: بسببها عشرة أمثالها فأكثر ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: مثله.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ

بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [القصص: ٨٥ - ٨٨].

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ [القصص: 85] أي: أنزله عليك ﴿لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ إلى مكة، نزلت؛ لأن النبي ﷺ لما وصل الجحفة اشتاق لمكة ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى﴾ يعني: نفسه ﴿وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ وهم كفار مكة، ونزل جوابًا لقول أهل مكة إنه ﴿فِي ضَلالٍ﴾ [القصص: 85].

﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو﴾ [القصص: 86] يا محمد ﷺ ﴿أَنْ يُلْقَى﴾ يوحى ﴿إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ القرآن ﴿إِلَّا﴾ لكن ألقاه إليك ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾ معينًا ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ المشركين؛ نزلت لما دعاه الكفار لدين آبائه.

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ الله بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ [القصص: 87] المعنى لا ترجع لقولهم ﴿وَادْعُ﴾ الخلق ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾ أي: لعبادته وتوحيده ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ بإعانتهم: والمراد غيره ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ الله إِلَهًا آخَرَ﴾ [القصص: 88] أي: لا تعبده معه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[1] ذاته ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالبعث فيجازيكم بأعمالكم.

---

(1) في هذا التجلي الذاتي تقديس صور الوجود، فيكون الله فيها هو الموجود والمشهود، كما قال باب مدينة العلم على المصطفى وعليه التحية: إن غبت بدا وان بدا غيبني، فلذلك قال الشيخ ﷺ: إني عجبت لمثلي كيف ما عبدا؛ أي: أنا هالك ووجه الله هو الظاهر لا أنا، فلو عبدت لكان هو المعبود، فما المانع من جواز عبادتي؟ وقد بيّنا لك أن المانع من ذلك هو كمال في العارف لا نقص؛ لأن الحق متنزل فيه لمرتبة العبودية، كما أن باطنه عين مرتبته الربوبية.

فهرس المحتويات